الدكتور محيي الدين سالم



مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٢٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٢٣٩٠٣٧٤٦

اسم الكتاب:
علل القراءات القرآنية
دراسة فكرية وصوتية
اسم المؤلف: الدكتور محيى الدين سالم
الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة.
٤٠٨ صفحة ١٧ × ٢٤ سم
رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٨٣٦٢
الترقيم الدولى: I.S.B.N.
977-225-245-7



دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

سالم، محيى الدين
علل القراءات القرآنية:
دراسة فكرية وصوتية / محيى الدين سالم.
- القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٩
٤٠٨ص؛ ١٧×٢٤سم.
تدمك ٧ ٢٤٥ ٢٢٥ ٩٧٧
١ - القرآن - القراءات
٢ - القرآن - تجويد
أ - العنوان
ديوى ٢٢٨

إهداء

إلى والدي ... شهيد الوطن والهوية ...

منحني الحياة ثم رحل إلى جوار ربه راضيا مرضيا

بعد أن غدر به جنود الاحتلال الفرنسى وهو قائم

يصلى صلاة الفجر...

إلى والدتي ... القانتة الصابرة ...

حملتني وهنا على وهن ... كفت نفسها ووهبت غيرها ...

أدعو الله أن يرزقها حسن الختام

محيى الدين سالم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وبه وحده نستعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته أجمعين ومَنْ تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وعلى سلفه الصالحين سيدنا إبراهيم وعيسى ومَنْ بينهما من الأنبياء والمرسلين...

أما بعــــد:

فإنه لا مكان للمصادفة في هذا الوجود ولا مجال لانتفاء الأسباب. وإن من أبرز معالم العقل المسلم أنه عقل غائي تعليلي يدرك أنه ما من شيء في هذا الوجود إلا وله علة وسبب وحكمة، وبناء على ذلك فإن العلم الحقيقي لا بد فيه من التفكر والتدبّر والسعي للكشف عن ماهية الأشياء التي خلقها الله وعن غاياتها، فذاك - لعمري - أنبل سبيل يسلكه الأبطال المخلصون والواعون والمؤمنون برسالتهم التي وُجدوا من أجلها، فقديما قيل: إذا عُرف السبب بطل العجب ومن ثم كان التطلع إلى معرفة الأسباب والأخذ بها أحق بغيره في أي مسعى محمود. وإننا لنتطلع أن يكون لنا شيء من شرف هذا السبيل في اختيارنا **«علل القراءات القرآنية»** موضوعا لبحثنا هذا.

إن اختيارنا لهذا الموضوع لم يكن - في الحقيقة - وليد الصدفة، فقد سبق لنا أن تقدمنا ببحث في **«العلل النحوية عند الأندلسيين»** لنيل شهادة الماجستير من قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية بإشراف الدكتور عبده الراجحي، وقد راعنا

آنئذ ما كان من تخريجات النحاة لبعض القراءات القرآنية، وكذا ما كان بينهم وبين القراء من خلاف حول جواز وعدم جواز بعض ما قُرئ به، ثم إنه قد أفزعنا ما كان فيه عامة المسلمين من تشكيك حول حقيقة تعدد القراءات القرآنية، خاصة من ذلك مازيد فيه شيء من الحروف أو نقص كقراءة أهل المدينة المنوّرة في آل عمران (الآية ١٣٣) ﴿ وَسَارِعُوا ﴾ بالواو وقراءة أهل العراق ﴿ سَارِعُوا ﴾ بدون واو، وقراءة أهل المدينة كذلك في سورة الحديد (الآية ٢٤) ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ وقراءة أهل العراق ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ بزيادة "هو"، أو ما قرئ بإبدال بعض حروفه كقراءة أهل الشام في سورة غافر (الآية ٢١) ﴿ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنكُمْ ﴾ وقراءة أهل العراق ﴿ أَشَدَّ مِنْهُمْ ﴾ وقراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو في سورة البقرة (الآية ٢٥٩) ﴿ نُنْشِرُهَا ﴾ بالراء المهملة وقراءة غيرهم ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ بالزاي المعجمة.

وقد راعنا أيضا ما كان لبعض المستشرقين من تفسيرات خاطئة لذلك التعدد في القراءة. كل ذلك شجعنا، بل دفعنا دَفْعًا للمضي قُدُمًا والتشبث بهذا الاختيار، خاصة وأن الأمر يتعلق بقراءات القرآن العظيم أقدس كتاب نزل به الروح الأمين من رب العرش الكريم على سيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله ﷺ. ومن الطبيعي أن تكون صحبتنا لهذا الكتاب المقدس بقراءاته الصحيحة فوق أي صحبة وأن تكون الفائدة التي يجنيها المرء جراء إخلاصه في صحبته تلك لا تضاهيها فائدة لتعدد قيمها وأبعادها العلمية والدينية.

ولقد يحلو للبعض تسمية دراستنا هذه بـ « توجيه القراءات » أو « تخريجها » أو « شرحها » وغير ذلك مما نجده شائعا مأخوذا به عند بعض المحدثين، ونحن نعتقد أن ذلك لا يضر، وإنما كان اختيارنا لعبارة « العلل » على غيرها من العبارات الأخرى من باب أنها التّسمية الأصل التي شاعت بين الدارسين واستعملت زمنا طويلا قبل أن يشيع غيرها، وهي لذلك أنسب لأن تكون قرينة للقراءات القرآنية لأن هذه القراءات هي أصل أصول الدرس اللغوي العربي.

وإنك لتجد مصطلحات قديمة كثيرة يكثر استعمالها بمعني «العلة»، ولكن العلة أعرف منها مثل: الحجة والمعنى والسبب والحكمة والمقصد والدليل والبرهان.

ومن الطبيعي أن تجد مَنْ يحرص على إيضاح ما بين هذه المصطلحات من فروق دقيقة تميزها لدى الخاصة من الناس، من ذلك ما نجده من قولهم: إن العلة ما كان موجبا للحكم، وإن السبب ما كان مجوّزا له[1]، وقولهم: «المعنى ما ثبت به حكم الأصل، والعلة ما ثبت به حكم الفرع»[2]. ولكننا ضربنا صفحا عن هذه الفروق الدقيقة فلم نجعلها من اهتمامات البحث.

ومن الطبيعي كذلك أن نجد أقسامًا عِدّة للعلل من حيث الأنواع: المادية والفاعلية والصورية والغائية، ومن حيث الدرجات: الأول والثواني والثوالث، ولكن بحثنا في الحقيقة لم يحفل بتفاصيل تلك الأقسام لأن همنا كان إيضاح حقيقة القراءات من أجل غاية تعليمية علمية، وبناء على ذلك ركزنا على العلل الصورية والغائية من الدرجة الأولى ولم نتعدّ ذلك إلى العلل من الدرجة الثانية إلا فيما ندر.

ولقد كنا نهدف في البداية إلى الإحاطة بجميع علل القراءات القرآنية الفكرية منها واللغوية سواء تعلق ذلك بالمستوى الصوتي أو الصرفي أو النحوي أو غير ذلك، وكان في نيتنا أيضا أن نبحث كل ذلك فيما صح من القراءات وفيما شذّ منها، ولكن تأكد لنا لاحقا أن ذلك الأمر صعب تحقيقه كله في زمن محدد إلا بتظافر جهود فرقة بحث بكاملها. وعليه فقد اكتفينا بالعلل الخارجية العامة ووقفنا بالعلل الداخلية الصوتية عند نهاية النصف الأول من القرآن الكريم إلا فيما ندر مما كانت الضرورة تستدعيه. ولعل الله يمد في أعمارنا ويمنحنا القوة ويشد من أزرنا لاستكمال الباقي.

---

(١) راجع: الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (نحو- فقه اللغة -بلاغة). د. تمام حسان. الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٨٣م. ص١٨١ .

(٢) نظرية القياس الأصولي. د. محمد سليمان داود. دار الدعوة، الإسكندرية ١٩٨٤ . ص٦٧

إن معنى تركيزنا على العلل الصورية والغائية أنّ منهجنا في هذا البحث يقوم على الجمع بين الوصف والتحليل؛ ذلك أن العلة الصورية التي يُسأل عنها بـ« كيف؟» تعتمدها العلوم الطبيعية والاجتماعية بشكل عام منهجا لها فتسعى من خلالها إلى شرح العلاقات بين العناصر أو الظواهر وكيفيات التركيب والتحليل وأداء الوظيفة، وقد كنا معنيّين كثيرا بتحديد كيفية قراءات القرآن منذ نزوله وَحْيًا على رسول الله ﷺ وانتهاء بالكيفية التي استقرت عليها تلك القراءات مما تواتر عند أئمتها الأعلام الذين نسبت إليهم. وأما العلة الغائية التي يُسأل عنها بـ« لماذا؟» فكانت غالبة في بحثنا تالية للعلة الصورية أو مصاحبة لها شارحة للغرض أو المرمى أو الحكمة التي من أجلها كانت قراءة من القراءات على كيفية معيّنة.

وإذا كان المنهج العلمي إلى عهد قريب ينأى بنفسه عن التعليل الغائي مخالفا في ذلك منهج فقهاء الإسلام وفقهاء العربية القدماء، فإنه قد أصبح مُعتمد منهج علم اللغة الحديث التوليدي التحويلي الذي يرى أصحابه ضرورة فيه لتعميق الفهم فيستعملون لذلك العلة الغائية إلى جانب العلة الصورية، ويرون أن لا نحرم البحث اللغوي منها محاباة للدقة في العرض على حساب العمق في الفهم[1].

إن اعتمادنا المنهج الوصفي التحليلي لم يحل دون الاستعانة في بعض الأحيان بالمنهج التاريخي الذي يسعى إلى إيضاح الأسباب والمسبّبات التي تتوالى في الزمان خاصة ما تعلق من ذلك بالباب الأول من البحث.

وسوف يلاحظ القارئ أننا اعتمدنا كذلك « الإحصاء » أرضية للمنهج الوصفي التحليلي في الباب الثاني فكنا نعرض في بداية كل فصل أو مبحث جدولا بالأحرف المختلف في قراءتها ليبدأ منها البحث عن كيفية القراءات والغاية منها.

وقد اعتمدنا طريقة العدّ أو الترقيم في شرح العلل عبر البحث كله مكتفين في ذلك بما بدا لنا أنه ضروري فلم نكن نطنب في ذلك ولم نكن نندفع.

وسوف يلاحظ القارئ كذلك أننا اعتمدنا ضمير جمع الحاضرين المتكلمين في

---

(١) الأصول. ص١٨٤ .

تدوين هذا البحث إشارة إلى أن صاحب البحث يشاركه تلك الآراء غيره من الباحثين وعامة المسلمين قلّ عددهم أو كثر، وهو في كثير من الأحيان ليس له فضل غير فضل الجمع والتبويب والشرح، فلا يظن القارئ الكريم أن ذلك الضمير قد جيء به تعظيما.. حاشا لله الذي له العظمة وحده.

لقد كان من الضروري والطبيعي أن تتنوع مصادر ومراجع هذا البحث نظرا لما كان يتميز به موضوعه من منزلة داخل اهتمامات الدرس العربي الإسلامي، فكانت كتب القراءات مصدره الأساسي، حظي كتاب «السبعة في القراءات» لابن مجاهد بمنزلة أولى بينها حيث اعتمده البحث في تخريج الأحرف المختلف في قراءتها، ولعل كتاب «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري هو الذي يحل في المرتبة الثانية، ثم بقية كتب القراءات الأخرى وكلها مهمة وعوّل البحث كذلك على كتب التفاسير خاصة منها كتاب «الكشاف» للزمخشري، و«معاني القرآن» للفراء، و«النهر الماد من البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي، كذلك كتب التراجم والطبقات، وكتب علوم القرآن، وكتب صحاح الحديث والسيرة، وكتب اللغة والنحو والمعاجم.

وكانت الدراسات الحديثة في اللغة وفي علوم القرآن مرجعا أساسيا في خدمة البحث.

وسوف يجد القارئ الكريم إحالات على تلك المصادر والمراجع بالهوامش وكذا بفهرس خاص في نهاية البحث.

وقد اقتضى المنهج أن يكون هذا البحث في بابيْن، احتوى أولهما على خمسة فصول حول النصّ القرآني وقراءاته وما صاحب ذلك من ظروف عامة وعوامل وأسباب نمت في أحضانها القراءات وترعرعت حتى جاءها ابن مجاهد على رأس المئة الثالثة للهجرة فأرسى قواعدها وأركانها، وعرّف بأئمتها الأعلام. وقد بدأنا في الفصل الأول من هذا الباب بأول ما نزل من القرآن الكريم (كلمة: اقرأ) فعرفنا بالقرآن والقراءة، وخصصنا الفصل الثاني لتوثيق القرآن بقراءاته، وتناولنا في الفصل الثالث قضية الأحرف السبعة، وفي الرابع: الرسم العثماني وعلاقته بالقراءات، وفي الخامس وقفنا عند ماصح من القراءات وما شذ منها مبرزين خصائص كل منهما وأنواعهما، وشارحين علل افتراقهما واختلافهما.

واحتوى الباب الثاني على خمسة فصول أيضا تضمنت كلها ظواهر صوتية كانت موضع اختلاف القراء فبسطنا ذلك واستخرجنا علله الخاصة، وقد خصصنا الفصل الأول لظاهرة تحقيق الهمز وتخفيفه، وتناولنا في الفصل الثاني ظاهرة الإدغام والإظهار والحذف، وفي الثالث ظاهرة الإمالة والفتح، وفي الرابع ظاهرة التحريك والإسكان، وجمعنا في الخامس بين ظواهر أخرى هي: المد والقصر، والإبدال، والوصل والوقف، وهاء الضمير، وقضايا صوتية أخرى.

والذي لا شك فيه أن صعوبات جمة قد واجهتنا في إنجاز هذا البحث، ولعل أهمها سعة الموضوع وامتداد أطرافه وتشعب قضاياه، وهو الأمر الذي أحجمنا عن تناول الجانب النحوي والصرفي وغير ذلك مما تعلق بالقراءات، وجعلنا أيضا نقف عند منتصف القرآن فيما تعلق بالجانب الصوتي.

ومع أن مصادر البحث ومراجعه بدت كثيرة ومتنوعة فإن التعامل مع كثير منها كان فيه مشقة. ولقد كنا في حاجة ماسة لمصادر صوتية مسموعة في مختلف القراءات الصحيحة، وهو ما لم يتوفر لنا لشيوع التسجيل الصوتي في العادة بقراءات معينة دون القراءات الأخرى.

ومع هذه الصعوبات وغيرها فإننا لم نحجم عن مواصلة البحث والتقدم فيه شيئا فشيئا.

نأمل أن نفيد بما قدمنا وأن يكون ذلك محاولة في الطريق الصحيح، فإن كنا أصبنا فيما قدمنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

وبالله وحده التوفيق

الجزائر (قسطنطينة) الاثنين ١٠ ذو الحجة ١٤٢٩هـ
الموافق ٨ ديسمبر ٢٠٠٨م

دكتور
محيي الدين سالم

الباب الأول

العلل الفكرية

الفصل الأول : القرآن والقراءات

المبحث الأول : القرآن

أولاً : تعريفه وأصل تسميته

ثانيًا : اختلافه عن الحديث القدسي والمصحف.

ثالثًا : من أسماء القرآن الكريم وخصائصه.

المبحث الثاني : القراءات.

أولاً : تعريفها :

أ - في اللغة.

ب- في الاصطلاح.

ثانيًا : أصحابها.

ثالثًا : مصادرها.

رابعًا : أصولها وفرشها.

خامسًا : بدء التأليف فيها.

الفصل الثانى : توثيق النص القرآنى

المبحث الأول : توثيقه في حياة الرسول ﷺ.

أولاً : نزوله منجما.

الفصل الأول

القرآن والقراءات

المبحث الأول : القرآن

أولا : تعريفه وأصل تسميته

١ – القرآن : في **اللغة** مصدر مرادف للقراءة. وقد ورد ذكره بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ **إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾ [القيامة : ١٧، ١٨] ثم نقل من هذا المعنى للدلالة على كلام الله تعالى المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، للإعجاز والبيان، المنقول إلينا بالتواتر، «الجامع لمصالح العباد في الحياة وبعد المعاد»[١]، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس[٢].

ذهب بعضهم إلى أنه مصدر مشتق من قرأ، يقال : قرأه يقرؤه قرْءاً وقراءة وقرآناً[٣].

وذهب بعضهم إلى أنه غير مشتق، ولكنه اسم علم لكتاب الله تعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ مثل التوراة والإنجيل[٤]، فهما غير مشتقين، فكان هو على شاكلتهما حسب هذا الرأي، ويأتي الإمام الشافعي على رأس هذا الفريق حيث يرى أن "القرآن ليس بمهموز ولم يؤخذ من قراءة ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل"[٥].

---

(١) نيل الخيرات في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، الشيخ عبد الحميد يوسف منصور، دار ابن خلدون، الإسكندرية ١٩٩٦، ص ١١ .

(٢) انظر : علم التجويد، دكتور محمد محمود عبد الله، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠١، ص ٤ ، ٥ .

(٣) انظر : لسان العرب، ج٥/٣٥٦٣، مادة : قرأ.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار المعارف بمصر، ج٥/٣٥٦٣، مادة : قرأ.

(٥) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٨، ج١/٦٨ .

والذي نميل إليه ونرجحه أن القرآن مشتق من الفعل قرأ لأسباب ظاهرة، هي :

أ – أن بناء لفظ القرآن من لفظ الفعل قرأ، أو قل : إن بناءهما من الحروف نفسها، وهو بناء ظاهر لا سبيل إلى رده ورد المعنى العام الذي تدل عليه حروفه، وأكثر من ذلك إشارة كتب اللغة ومنها المعاجم بخاصة إشارة صريحة إلى اشتقاق "قرآن" من "قرأ[١] وتأكيد الدارسين لذلك[٢]".

ب – تلازم ورود اللفظين (قرآن وقرأ) معا في أكثر من مرة في آيات الذكر الحكيم، من ذلك : قال تعالى : ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ**﴾ [الإسراء : ١٠٦] وقال ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ [القيامة : ١٨] أو تلازم أحدهما بمعنى الآخر، مثل قوله تعالى : ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ [المزمل : ٤].

جـ – أن من أهم سبل التعريف بالقرآن والتمكين للدين الجديد قراءة القرآن وهو ما تشير إليه بصراحة الآية السابقة ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ**﴾، ومن ثم قيل : إن القرآن هو كتاب الله المقروء، في مقابل كتابه المنظور، وهو الكون.

د – أن من أهم مهام الدين الجديد الدعوة للقراءة، وهو أول تكليف بلّغ إلى صاحب الرسالة ﷺ في قوله تعالى ﴿**اقْرَأْ**﴾ [العلق : ١، ٣] وما تلك القراءة إلا قراءة للقرآن كتاب الله الذي ختم به رسالاته.

وذهب فريق ثالث إلى أن القرآن مشتق من قرنت - بالنون بعد الراء - الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، سمي كذلك لأنه يضم السور إلى السور، والآيات إلى الآيات، والحروف إلى الحروف[٣]. وفي لسان العرب : « وقرأت الشيءَ قرآنا : جمعته وضممت بعضه إلى بعض »[٤].

---

(١) انظر مثلا : لسان العرب ج٥/٣٥٦٣، مادة : قرأ.

(٢) انظر مثلا : دراسات في علوم القرآن، دكتور : محمد بكر إسماعيل، دار المنار، القاهرة، ص ١٠.

(٣) انظر : الإتقان في علوم القرآن ج١/٦٨.

(٤) لسان العرب : ٥/٣٥٦٣ مادة « قرأ ».

والذي لا بد من الإشارة إليه هنا - حسب ما نعلم - أن الذي يدل على معنى ضم الشيء إلى الشيء من ذلك يكون بكسر القاف من "قران" وهو ما لم تشر إليه تلك الآراء مما اطلعنا عليه، من ذلك قولهم في الجمع بين الحج والعمرة : قران(١) . فليس فيه ما دل على معنى الجمع وكان مفتوح القاف، غير أن العامة ربما نطقته مضموم القاف مفتوح النون غير مهموز، وهو مع ذلك دال على مصدر "قرأ"، وإسقاط الهمز فيه هو من باب التسهيل والتخفيف لا غير، وهو ما أشار إليه الزجاج(٢) .

وذهب الفراء إلى أن القرآن "مشتق من القرائن، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ويشابه بعضها بعضا وهي قرائن"(٣) وهو قول اعتبره الزجاج سَهْوًا(٤) .

وقد رجح الزجاج أن يكون القرآن مشتقا من القرء : بمعنى الجمع، وهو رأي أبي عبيدة أيضا(٥) والراغب الأصفهاني الذي يرى أنه "إنما سمي قرآنا لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة"(٦) . أو لجمعه ثمرة جميع العلوم(٧) ، وهو ما يُشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل : ٨٩] و﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

وهذا الرأي الأخير - مع ما فيه من تخريج حسن - لا يرقى إلى درجة من قال باشتقاقه من القراءة لما ذكرناه من أسباب ظاهرة أولا، ثم هو - ثانيا - الرأي الغالب عند القدماء والمحدثين؛ قال قطرب (محمد بن المستنير) : "إنه سمي قرآنا لأن القارئ يظهره ويبينه من فيه"(٨) . وقال قوم: "هو مصدر لقرأت كالرُّجْحَان والغُفْران، سُميَ به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر"(٩) .

---

(١) انظر : لسان العرب، ج٥ / ٣٦١٠، مادة : قرن.
(٢، ٣، ٤، ٥، ٦) انظر : الإتقان في علوم القرآن ج١ / ٦٨ .
(٧) مباحث في علوم القرآن. مناع القطان، مكتبة وهبة، ص١٥ .
(٨، ٩) الإتقان في علوم القرآن، ج١ / ٦٨ .

ومهما يكن من أمر، فإن اشتقاق لفظ "القرآن" من الفعل "قرأ" هو الأرجح الغالب المأخوذ به؛ قال الزرقاني (محمد عبد العظيم) : "أما القول بأنه وصف من القرء - بسكون الراء - بمعنى الجمع، فهو قول ليس براجح، وكذلك قول من قال إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء، أو إنه مرتجل، أي موضوع من أول الأمر عَلَمًا على الكلام المعجز المنزل، فكل ذلك لا يظهر له وجه وجيه، ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة، ولا من بُعْدٍ عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة"(١) .

وأورد الزركشي (الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله) قول بعضهم : "لا يكون القرآن و"قرأ" مادته بمعنى جمع لقوله تعالى ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾ [القيامة : ١٧] فغاير بينهما، وإنما مادته "قرأ" بمعنى أظهر وبيّن، والقارئ يُظهر القرآن ويُخرجه..."(٢) .

٢ - أما في **الاصطلاح** فالمشهور أن الأصوليين والفقهاء وعلماء اللغة العربية يطلقون « القرآن » على : كلام الله تعالى المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله القرشي ﷺ بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المنقول بالتواتر والمحفوظ في الصدور والمسطور في المصاحف، والمتعبد بتلاوته، والذي أوله سورة الفاتحة وآخره سورة الناس...

غير أن بعضهم فضل أن يحيط في تعريفه بجميع ما اختص به القرآن من خصائص مميِّزة له عن غيره من الكتب المنزلة وغير المنزلة وذلك كاختصاصه بالإعجاز والتنزيل على الرسول ﷺ والكتابة في المصاحف والتواتر في النقل والتعبد به... إلخ. وفضل بعضهم التوسط فذكر له بعض الخصائص ولم يذكر أخرى، وذلك كذكر إنزال

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج١ / ١٤ . طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
(٢) البرهان في علوم القرآن، الإمام الزركشي. تحقيق : محمد أبو فضل إبراهيم، المكتبة العصرية : صيدا - بيروت - ج١ / ٢٧٧ .

ألفاظه وكتابتها في المصاحف ونقله بالتواتر. واختصر بعضهم في تعريفه فاكتفى بذكر خاصية كالإعجاز أو خاصيتيْن كالكتابة في المصاحف والنقل بالتواتر(١).

وللمتكلمين صفات يُلحقونها بخصائص القرآن السالفة الذكر، منها(٢):

١ – أنه مجرّد عن الحروف اللفظية والذهنية لأنه غير مخلوق.

٢ – أنه أزلي لأن كلماته تحمل معنى القدم.

٣ – أن كلماته غير متعاقبة لأن التعاقب يستلزم الزمان، والزمان حادث، فهي مترتبة كما تكون الصورة مترتبة في المرآة غير متعاقبة.

ثانيا : اختلافه عن الحديث القدسي والمصحف

نحسب أن إعجاز القرآن وتواتره، والتعبد به، وجعله في مصاحف مبدوءة بسورة الفاتحة ومختومة بسورة الناس حائل دون التباسه بالحديث القدسي الذي يخلو من هذه الخصائص، ولا يشتركان إلا في نسبة كل منهما إلى الله سبحانه وتعالى، غير أن القرآن نزل من عنده –سبحانه– بلفظه ومعناه، ونزل الحديث القدسي بمعناه دون لفظه(٣).

وطريقة الإشارة إلى القرآن الكريم تكون بعبارة "قال الله تعالى" وطريقة الإشارة إلى الحديث القدسي تكون بعبارة "قال رسول الله فيما يرويه عن الله عزوجل"(٤). و"القدسي" نسبة تدل على التعظيم والتنزيه والتطهير(٥).

ونحسب أيضا أن الفرق واضح وبيّن بيْن القرآن والمصحف لا يحتاج من ذي عقل إلى طول عناء، إذ أن القرآن هو "كلمات غيبية مجرة عن المواد"(٦)، وليس

---

(١) راجع ذلك في : مناهل العرفان: ص١٩ ، ٢٠ .
(٢) انظر: المرجع نفسه، ص١٧ ، ١٨ .
(٣) انظر : دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٢٣–٢٥ .
(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن، ص٢٠ ، ٢١ .
(٥) راجع: مباحث في علوم القرآن، ص١٩ ، ٢٠ .
(٦) الجمع الصوتي الأول للقرآن، دكتور: لبيب السعيد، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٧٨، ص ٧٣ ، ٧٤ عن روح المعاني للألوسي، ج١/ ١١ .

كذلك المصحف الذي هو الجسم المادي الذي كُتب عليه القرآن، حال ذلك حال اللغة والكتابة، إذ الكتابة تمثيل للغة ـ وهي منطوقة ـ وليست هي إياها.

ولا بد من التنبيه هنا إلى أن المقابلة بين القرآن والمصحف فيسمى أحدهما بالآخر هو استعمال الطاعنين على القرآن والظانين به ظن السوء خاصة منهم بعض المستشرقين الذين يسمون واحد المصاحف قرآنا وجمعها قرآنات، ذلك ما ذهب إليه المستشرق تيودور نولدكه (THEODOR NÔLDEKE) في كتابه: تاريخ القرآن[١].

ثالثا : من أسماء القرآن الكريم وخصائصه

أوردت كتب علوم القرآن أسماءه التي سمي بها، فلا يكاد كتاب يخلو من ذلك بشكل مفصل أو غير مفصل، ولعل ما ذكره الإمام الزركشي في كتابه "البرهان[٢]" وما ذكره الحافظ السيوطي في كتابه "الإتقان[٣]" من أشمل ما ذكر في ذلك، وقد ذكر في الإتقان "أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما[٤]". وهذه أهم تلك الأسماء:

١ ـ الكتاب : مصدر من كَتَبَ بمعنى الضم أو الجمع، أي ضم الحروف بعضها إلى بعض في الخط، وهو بذلك يكون موافقا للفظ "القرآن" في المعنى حسب رأي الزجاج ومن ذهب مذهبه من أن لفظ القرآن مشتق من "القرء[٥]" بمعنى الجمع[٦]، قال السيوطي : "والكتاب لغة : الجمع[٧]" وقال الزركشي إنما سمي كتابا "لأنه يجمع أنواعا من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة[٨]".

---

(١) انظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٧٦ .

(٢) انظر البرهان ج١ /٢٧٣ ـ ٢٨٢ .

(٣) انظر الإتقان ج١ /٦٧ ـ ٦٩ .

(٤) الإتقان ١ /٦٧، والبرهان ج/ ٢٧٣، وفيه أن الحرالي صنف في ذلك جزءا وأنهى أساميه إلى نيّف وتسعين.

(٥) في البرهان ج١ / ٢٧٧ : القري بالياء.

(٦) انظر : دراسات في علوم القرآن، ص ٢١ .

(٧) الإتقان ج١ /٦٧ .

(٨) البرهان ج١ / ٢٧٦ .

٢ ـ التنزيل : مصدر من نزَّل ـ بتضعيف الزاي، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، سمي كذلك "لأنه منزّل من عند الله على لسان جبريل(١)".

٣ ـ الفرقان : سمي كذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل، وهو ما ذكره السيوطي فيما نقله عن مجاهد وغيره(٢)، وقال الزركشي إنما سمي كذلك "لأنه فرّق بين الحق والباطل، والمسلم والكافر، والمؤمن والمنافق، وبه سمي عمر بن الخطاب الفارق(٣)".

٤ ـ الذكر : قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] وقال : ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

والذكر مصدر من ذكرت ذكراً، سمي به القرآن لما فيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية(٤).

وهذه الأسماء التي ذكرناها هي أشهر أسماء القرآن الكريم، وقد عقد الزركشي والسيوطي في كتابيهما ـ كما سلفت الإشارة ـ قائمة كبيرة بذلك وأكثر ما ذكرا منها ـ إن لم يكن كله ـ أوصاف للقرآن الكريم غلبت عليه فسمي بها كما سُمي الله تعالى بأسمائه الحسنى، من ذلك غير ما ذكرنا : الوحي، والبيان، والعلم، والعروة الوثقى، والبلاغ، والصراط المستقيم، والهدى، والنور، والحبل، والفصل...(٥).

ولا يختلف اثنان في أنه قد غلب تسميته "قرآنا" و"كتابا" «وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد»(٦) وذلك موضوع نفصل الحديث فيه في الفصل الثاني من هذا البحث.

---

(١) البرهان ج١ / ٢٧٦ . (٢) انظر : الإتقان ج١ /٦٨ .

(٣) البرهان ج١ / ٢٨٠، ومعلوم أن عمر بن الخطاب سمي "الفاروق" على وزن "فاعول" مبالغة في "فاعل".

(٤) انظر : البرهان ج١ /٢٧٩، والإتقان ج١ /٦٨ .

(٥) انظر ذلك بشكل مفصل في : البرهان ج١ /٢٧٣، وما بعدها.

(٦) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص١٧ .

هذا، ويرى الجاحظ أن الله سبحانه سمى القرآن بأسماء مخالفة لأسماء العرب في أشعارها، منزّلة على أمثلتها، فقد "سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا، وبعضَهُ سورةً كقصيدة، وبعضَها آيةً كالبيت، وآخرَها فاصلَة كقافية[1]"، ولا شك أن ذلك فعْلٌ طبيعي يتماشى مع ما أخبر به الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] وقوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، فمن عربيته جعله على أساليب العرب، فإن ذلك من "اللسان العربي المبين".

وقد أوجز الرسول ﷺ خصائص القرآن العظيم بقوله: "كتاب الله فيه نبأ مَنْ قبلكم، وخبر مَنْ بعدكم، وحُكْمُ ما بَيْنَكُم، وهو الفَصْلُ ليس بالهزل، مَنْ تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدي مِنْ غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن الرّدّ ولا تنقضي عجائبه[2]، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢]، مَنْ قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم[3]".

* * *

---

(١) الإتقان ج١/٦٧.

(٢) في كتاب: "إبراز المعاني من حرز الأماني" لأبي شامة الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ) حديث رواه ابن مسعود نصه: "إن هذا القرآن حبل الله لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد." أي لا يحدث له البلي ناشئا عن كثرة ترداده وتكريره ومرور الزمان عليه، انظر طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٧٨، ص ١٣. والحديث أخرجه البيهقي.

(٣) هذا الحديث أخرجه الترمذي، انظر: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني، دكتور: محمد الحبش، دار الفكر، دمشق، طبعة أولى ١٩٩٩، ص ٢٣، وفي رواية أخرى "إن القرآن لا يليه من جبار فيعمل بغيره إلا قصمه الله، ولا يبتغي علما سواه إلا اضله الله، ولا يخلَقُ عن ردّه، وهو الذي لا تفنى عجائبه، من يقل به صدق، ومن يحكم به يعدل، ومن يعمل به يؤجر، ومن يقسم به يقسط" انظر المرجع نفسه، ص ٢٤.

المبحث الثاني : القراءات

أولا : تعريفها

أ - في اللغة : القراءات في اللغة هي جمع قراءة، مصدر للفعل "قرأ"، تقول: قرأه يقرؤه قَرْءاً وقراءة وقرآنا[1] بمعنى : ألقاه أو لفظ به؛ في لسان العرب: "ومعنى قرأت القرآن : لفظت به مجموعا، أي ألقيته[2]" . فالقراءة في الأصل - كما ترى - لا بد أن تكون أصواتا منطوقة ذات ذبذبات صوتية. وجاز استعمالها مجازا للدلالة على غير الملفوظ به، وهو ما يعرف على أيامنا هذه بالقراءة الصامتة، أي التي لا يسمع لها صوت، حالها حال صلاة السّر التي يعيها القلب ولا يبوح بها اللسان، فهي تكون في النفس، ومنه قيل : إن الكلام البشري نفسي ولفظي، فالنفسي هو المعاني التي تجول بالفؤاد دون أن تصرح بها الأصوات، واللفظي هو المسموع بواسطة الأصوات المعبرة عن تلك المعاني[3].

وقد وجهت العناية الكبرى عند الدارسين في الفقه الإسلامي وأصوله وكذلك في دراسات اللغة العربية إلى الكلام الملفوظ لعلتيْن :

الأولى : لأن المقروء الملفوظ هو الأصل.

والثانية : لأن الإعجاز - حسب رأيهم - طريقه الألفاظ.

وبناء على ذلك فقد انصرفت الأذهان عند إطلاقنا كلمة "قراءة" إلى ذلك اللفظ المصرح به من خلال تصويت دون غيره مما كان في النفس.

---

(١) انظر : لسان العرب ج٥/٣٥٦٣، مادة "قرأ".

(٢) ج٥/٣٥٦٣ .

(٣) انظر : دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ١١ .

اسم الفاعل منه "قارئ"، وجمعه قُرَّاء، وهو اسم خُصَّ به مجموع علماء القراءات.

ومن ملاحق القراءة "الإقراء" مصدر من المزيد بالهمزة (أقرأ) لإفادة التعدية، صاحبه "المقرئ" وجمعه مقرئون، وهم الذين يقومون بفعل الإقراء، أي تبليغ الشيء إلى غيرهم عن طريق اللفظ، ومنه قولهم: أقرأ فلان السلام، يعني: أبلغه السلام، ومن ذلك "المقارءة" بمعنى المدارسة، من الفعل "قارأ" المزيد بالألف لإفادة المشاركة ومن ذلك أيضا "الاستقراء" بمعنى: أن تطلب القراءة من غيرك[١].

ب ـ **في الاصطلاح**: القراءات في الاصطلاح هي علم يعرف به كيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها مع عزوّ كل وجه من ذلك لناقله[٢]. وعرفها القسطلاني فقال: "علم القراءات علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من حقيقة النطق والإبدال من حيث السّماع[٣]".

وعرفها بعض المحدثين فقال: هي "النطق بألفاظ القرآن الكريم كما نطقها النبي أو كما نطقت أمامه فأقرّها[٤]".

فموضوعها ـ كما ترى ـ كلمات القرآن الكريم من حيث أحوال النطق بها، وذلك

---

(١) ينظر في ذلك كله: لسان العرب ج٥/٣٥٦٤، مادة قرأ.

(٢) انظر: منجد المقرئين، ابن الجزري، تحقيق: عبد الحي الفرماوي، القاهرة، طبعة أولى ١٩٧٧، ص ٦١، ونيل الخيرات في القراءات العشر المتواترة، الشيخ عبد الحميد يوسف منصور، دا ابن خلدون الإسكندرية ١٩٩٦، ص١٢.

(٣) الاحتجاج للقراءات الشواذ (دكتوراه)، محمد عبد الحكيم بن سليمان رجب، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية ١٩٨٩، ص ٥ عن: لطائف الإشارات للقسطلاني ج١/١٧٠.

(٤) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، دكتور: محمد أحمد الصغير، دار الفكر دمشق ١٩٩٩، ص ١٦ عن: القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، دكتور: عبد الهادي الفضلي، ص ٦٣، وانظر: المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، دكتور: محمد سالم محيسن، طبعة أولى، القاهرة ١٩٧٨، ص ٦٦.

بغرض العصمة من الخطإ في كيفية أدائها، ومن ثم صيانتها عن التحريف والتغيير، وأيضا ليُعْلَمَ كُلُّ ما قرأ به كلٌّ واحد من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يَقْرَأُ به كلٌّ واحد منهم وما لا يَقْرأُ به.

وواضعها ـ كما علمت ـ هم أئمة القراءة، ولكنه وضع رواية وتقليد لا وضع إبداع أو اختراع، فهو كما قال ابن الجزري : "إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد[١]" لأنها مستمدة من النقول الصحيحة المسندة أو المتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله ﷺ [٢].

قال أبو عمرو الداني : "وأئمة القراءة لا تعمل بشيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأَقْيَسِ في العربية، بل على الأثبتِ في الأثر والأصَحِّ في النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردها قياس عربية ولا فشوّ لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها"[٣].

وكونها موضوعة وَضْعَ رواية وتقليد أمرٌ له أهمية خاصة بَوَّأَ القراءات منزلة عالية بين العلوم الشرعية والعلوم العربية لعلتين على الأقل، هما :

أ ـ تعلقها بأشرف كتاب سماوي منزّل هو القرآن الكريم.

ب ـ بلوغ سندها إلى رسول الله ﷺ.

وقد أدى شرف هذه القراءات وقُدْسِيَّتُها إلى اعتقاد بعض الدارسين ـ على مرّ العصور ـ أنه لا فرق بينها وبين القرآن، أو أنها هي جزء لا يتجزأ منه[٤] ، وهم في ذلك يستندون إلى المعنى اللغوي لكل من القرآن والقراءات، إذ هما مصدران من الفعل

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان ج١ / ٥٢

(٢، ٣) انظر النشر في القراءات العشر، ج١ / ١٠، ١١ .

(٤) انظر مثلا، الدكتور محمد سالم محيسن "في كتابه : في رحاب القرآن" حيث يرى أن القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد (ج١ / ٣٠٩)، وانظر هذا الرأي في: الاحتجاج للقراءات الشواذ، ص ٦، وانظر أيضا : القراءات الشاذة : ص ١٧ .

"قرأ" كما وضحنا ذلك فيما سبق، ثم هم يعتقدون أن القراءات (أو الأحرف) منزلة من عند الله هي أيضا لا خلاف عندهم بينها وبين القرآن في ذلك.

وقد حاول علماء المسلمين جاهدين تصحيح هذه النظرة، ولعل أبرز دعوة في ذلك كانت من الإمام الزركشي الذي قال بإبطال ذلك الرأي موضحا "أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور.. من تخفيف وتثقيل وغيرهما(١)".

إن عنصر المشافهة في القراءات القرآنية أساسيٌّ جدا، لا حديث عنها إلا به "لأن في القراءات أشياءً لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة(٢)".

وعنصر المشافهة هذا في القراءات القرآنية هو المعوَّلُ عليه، لا على غَيْرِهِ التَّعْوِيلُ، لأن غَيْرَهُ سواء كان مصحفا أم قياسا أم غير ذلك ممتنع الاستناد إليه في أمر القراءة، وهو ما نص عليه علماء القراءات، قال ابن الجزري: "امتنعت القراءة بالقياس المطلق، وهو الذي ليس له أصل في القراءة يُرجع إليه، ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه، كما روينا عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما من الصحابة، وعن ابن المنكدر وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وعامر الشعبي من التابعين أنهم قالوا: "القراءة سُنّة يأخذها الآخر عن الأول، فاقرأوا كما علمتموه". ولذلك كان كثير من أئمة القراءة كنافع وأبي عمرو يقول: " لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرأت لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا(٣)".

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ج١ /٣١٨، وانظر: القبس الجامع لقراءة نافع، عطية قابل نصر، دار الحرمين بالقاهرة، طبعة أولى ١٩٩٤، ص ١٠.

(٢) منجد المقرئين، مرجع سابق، ص ٦١.

(٣) النشر في القراءات العشر ج١ /١٧.

ثانيا : أصحابها :

تُنسب القراءات ـ كما سبقت الإشارة ـ إلى علماء أئمة اشتهروا بدقة الضبط، وصدق الرواية، وكمال الحفظ إلى جانب معرفتهم بشتى العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وغير ذلك[١].

أخذوا القرآن عرضا ومشافهة عن الصحابة والتابعين، وعُرِفُوا بالورع والتقوى وشدة التحقيق فكانوا أشهرَ من عَلَمٍ على نار إذ هُمُ القدوة وإليهم شُدَّتِ الرحال، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، وقد كانوا مُوَزَّعين في الأمصار الإسلامية، منهم :

* في المدينة المنورة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن نصاح، ثم نافع ابن أبي نعيم.
* وفي مكة المكرمة : عبد الله بن أبي كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد ابن محيصن.
* وفي الكوفة : يحي بن وثاب، وعاصم بن أبي النجود، ثم حمزة بن حبيب الزيات، ثم الكسائي.
* وفي البصرة : عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، ثم عاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي.
* وفي الشام : عبد الله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي، وإسماعيل بن عبد الله ابن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذرامي، ثم شريح بن زيد الحضرمي[٢].

فهؤلاء وغيرهم اشتهروا في هذا الفن وسطع نجمهم، غير أن سبعة منهم اشتهروا أكثر من غيرهم لعلل نذكرها لاحقا، هؤلاء السّبعة هم :

---

(١) انظر شروط المقرئ، في : منجد المقرئين، ص ٦١ ـ ٧١ .
(٢) انظر : النشر، ج١/ ٨، ٩ .

نافع بن أبي نعيم، وعبد الله بن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم ابن أبي النجود، وحمزة، والكسائي، وعبد الله بن عامر.

وزاد من شهرة هؤلاء القراء أن كان لهم تلاميذ حاذقون صدوقون رووا[١] عنهم قراءاتهم بأمانة متناهية ونشروا قراءات أساتذتهم عبر طرق[٢] شتى من خلال تلامذتهم هم أيضا.

عُرف أصحاب هذه القراءات بـ"القراء" و "المقرئين" من الفعل أقرأ يُقرئُ المزيد بالهمزة لعلمهم أوّلاً بتلك القراءات ثم تعليمهم بعد ذلك إياها، ولكننا نفضل تسميتَهُم بالاسم الأول (قراء) لأنه خُصّ بهم دون سواهم ممن قرأ القرآن وأقرأه غَيْرَهُ سواء كان ذلك من الجيل الأول من الصحابة والتابعين أم كان من غيرهم ممن تابع التابعين إلى مَنْ هم على أيامنا هذه من حفظة القرآن الكريم المجوّدين له والمرتلين.

ثالثا : مصادرها

ولا بد أن هذه القراءات على اختلافها كانت لها مصادر لولاها ما عرفت ولا اعْتُرِفَ بها، ولا وُثِقَ من صحتها، ويمكن إيجاز ذلك في خمسة مصادر، هي[٣]:

١ ـ حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه".

٢ ـ الاختلافات التي حدثت في عهد رسول الله ﷺ بين الصحابة، وسوف نذكر لاحقا جملة منها، وقد كان صلوات الله عليه حَكَمًا فيها.

٣ ـ الاختلافات التي حدثت بين الصحابة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانت حاملا له على جمع المصحف الإمام، وسوف نفصل القول في ذلك لاحقا.

---

(١) الرواية، في علم القراءات، هي كل خلاف يُنسب إلى راو عن إمام.
(٢) الطريق هو الخلاف الذي يُنسب للأخذ من الراوي.
(٣) انظر هذه المصادر مفصلة في كتاب : القراءات واللهجات، عبد الوهاب حمودة، مطبعة السّعادة، مصر ١٩٤٨، ص ٥ .

٤ ـ الاختلافات التي رويت بين المصاحف العثمانية التي أرسلها عثمان إلى الآفاق، وقد وضح ذلك بشكل جلي كأثر من آثار القراءات.

٥ ـ الروايات التي رُوِيَتْ عن الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم، ونقلها ثقاة الأئمة، وتلقتها الأمة بالقبول.

كل ذلك ـ وقد يكون معه غيره ـ كان هو المنبع الذي أفرز لنا تلك القراءات التي عرفت واشتهرت بين العلماء والدارسين على مر العصور.

رابعا : أصولها وفرشها

وقد عرف لهذه القراءات أيضا "أصول" و"فرش"، إذ أن ذلك هو مدار كل كتاب تناول القراءات بالبحث، ولعل أصحابها قد سلكوا فيها مسلك علماء الفقه وأصوله فيما عرف عندهم من أصول وفروع، وما عند النحويين كذلك من أصول وفروع.

وقد حدد ابن الجزري أصول القراءات بنحو نيف وعشرين(١)، نذكر منها : المد، واللين، والقصر، والإشباع، والإدغام، والإظهار، والقلب، والتسهيل، والتثقيل، والفتح، والإمالة، والروم، والإشمام ... إلخ، وهي في مجموعها الكليات التي تضم جزئيات متماثلة والتي يفترض إمكانية قياس بعض منها على بعضها الآخر مما اتفق فيه بعض القراء واختلفوا، ولكن القياس في القراءات ـ مع ذلك ـ يبقى مُقَيَّداً فلا يُسمح به إلا في حالات نادرة حتى وإن تعلق الأمر بأصول ما دام أن القراءة سنة تتبع في أصولها وفرشها.

هذا ما نجده عند عامة علماء القراءات وأئمتها، فابن الجزري ـ مثلا ـ نجده متشددا في قياس فرع على أصل إلا إذا كان الموضع فيه غموض أداء ـ لاعتماد القراءات

---

(١) انظر ذلك في كتاب : التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، تحقيق : غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، القاهرة، طبعة أولى ١٩٨٦، ص ٦٧ وما بعدها.

على المشافهة ـ ويَعْوِزُه نص صريح، فإنه حينذاك لا يمانع إذا حصل إجماع على القياس، قال : "أما إذا كان القياس على إجماع انعقد أو عن أصل يعتمد فيصير إليه عند عدم النص وغموض وجه الأداء فإنه مما يسوغ قبوله ولا ينبغي رده، لا سيما فيما تدعو إليه الضرورة وتمس الحاجة مما يقوي وجه الترجيح، ويعين على قوة التصحيح، بل قد لا يسمى ما كان كذلك قياسا على الوجه الاصطلاحي إذ هو في الحقيقة نسبة جزئي إلى كليّ كمثل ما اختير في تخفيف بعض الهمزات لبعض الأداء، وفي إثبات البسملة وعدمها لبعض القراء[١] ...".

وهذا الرأي مع اشتراطاته الكثيرة المعقدة لم يقل به ابن الجزري إلا بعد معرفة أن هناك من قال به قبله من أئمة القراءة الأعلام السابقين عليه مثل مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) الذي قال بخصوص كتابه "التبصرة[٢]". «فجميع ما ذكرناه في هذا الكتاب ينقسم ثلاثة أقسام : قسم قرأت به ونقلته وهو منصوص في الكتب موجود، وقسم قرأت به وأخذته لفظا أو[٣] سماعا، وهو غير موجود في الكتب، وقسم لم أقرأ به ولا وجدته في الكتب ولكن قسته على ما قرأت به إذ لا يمكن فيه إلا ذلك عند عدم الرواية في النقل والنص، وهو الأقلّ».[٤]

إن قياس هؤلاء العلماء من أمثال ابن الجزري، ومكي بن أبي طالب في القراءات هو قياس الضرورة القصوى (عند عدم الرواية أو النص) ومن ثم وجدت ابن الجزري يحمل حملة شنعاء على الذين "أطلقوا قياس ما لا يروى على ما رُوي، وما له وجه ضعيف على الوجه القوي كأخذ بعض الأغبياء ـ كما يصفهم ـ بإظهار الميم المقلوبة من النون والتنوين، وقطع بعض القراء بترقيق الراء الساكنة قبل الكسرة والياء، وإجازة

---

(١) النشر ج١ / ١٧، ١٨.

(٢) التبصرة في القراءات، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، طبعة أولى ١٩٨٥

(٣) في الأصل : لفظا وسماعا (بواو بدل أو)، والتصحيح من : النشر ج١ / ١٨.

(٤) التبصرة في القراءات، ص ٣٩٤.

بعض من بلغنا عنه - كما يقول - ترقيق لام الجلالة[١] تبعا لترقيق الراء من (ذكر الله)[٢]" .

ويفضل عامة علماء القراءات عدم فتح باب القياس "لئلا يجسر على القول في القرآن بالرأي أهلُ الزيغ ... ومتى ما طمع أهل الزيغ في تغيير الحرف والحرفين غيّروا أكثر من ذلك. وعسى أن يتطاول الزمان كذلك فينشأ قوم فيقولون : لم يقرأ بعضهم هذا إلا وله أصل[٣]" .

ونتيجة لذلك فإن هذه الأصول لم تكن تنال الاهتمام الكبير في كتب القراءات القرآنية، إذ كان أكثر المصنفين يجعلونها مدخلا فقط لمعرفة الجزئيات المختلف فيها بين القراء[٤] أو يلحقونها بهذه الجزئيات فلا تكاد تُتميّز عنها[٥]، وقليل منهم من كان يهتم بها اهتمامه بفرش الحروف[٦]، وكثير منهم لم يخصها بحديث ولو كان موجزا[٧].

---

(١) لام الجلالة : يعني بها لام اسم الجلالة "الله" .

(٢) النشر ج ١ / ١٨ .

(٣) القراءات واللهجات، مرجع سابق، ص ٦٠، والقول لابن مجاهد صاحب كتاب : السبعة في القراءات.

(٤) ذلك هو صنيع الأستاذ محمد الصالح قمحاوي في كتاب "طلائع البشر في توجيه القراءات العشر" طبع دار النصر، القاهرة، طبعة أولى ١٩٧٨، انظر ص ٥ - ١٩ .

(٥) انظر مثلا : ابن مجاهد في كتاب "السبعة في القراءات" طبعة دار المعارف بتحقيق الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثالثة ١٩٨٨، ص ١٣٠ وما بعدها حيث عرض مباحث في أصول هي : هاء الكناية. والهمز؛ والمد، والإمالة والفتح مختلطة بما ورد في سورة البقرة من فرش الحروف، ولم يفرد منها بالبحث سوى الإدغام.

(٦) انظر مثلا ابن الجزري في كتاب "النشر" حيث خصها بحديث مطول، وكذلك فعل الشيخ محمد البيومي الدمنهوري في كتابه "الفتح الرباني في القراءات السبعة من طريق حرز الأماني" طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، طبعة أولى ١٩٩٧ .

(٧) ذلك هو صنيع أبي علي الفارسي في كتاب "الحجة في علل القراءات السبع : انظر الطبعة الثانية (١٩٨٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب، وكذلك فعل أبو منصور الأزهري في كتاب "معاني القراءات" .

أما الفرش في اصطلاح علماء القراءات فهو الجزئيات التي يختلفون فيها والتي لا يحق لك أن تقيس عليها غيرها لشبه يكون قد بدا لك، ومثال ذلك كلمة "ملك" في سورة الفاتحة، التي يقرؤها عاصم والكسائي "مالك" بألف بعد الميم، ويقرؤها غيرهما بغير ألف، وكلمة "ملك" في سورة الناس التي قرأها جميعهم بغير ألف، فهذه لا يمكن قياسها على الأولى، فلا يجوز قراءتها بألف بعد الميم، ذلك لأن كل حرف في الفرش إنما حالة قراءته هي حالة خاصة لا يخضع لها إلا هو، ومع ذلك فإن قيمته تبقى محفوظة له كقيمة القياس أو القاعدة اللغوية أو النحوية، يلزم المصير إليه واعتماده والتعويل عليه.

إن اختلاف القراءات في الفرش خاصة – هو اختلاف تَنَوُّع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض " فما ظهر أن قراءة اتخذت سبيلا استدبرته قراءة أو أنّ قراءة أمرت بما نهت عنه أخرى، ثم إن هذه القراءات بمنزلة سواء في الأسلوب والغاية (١) ".

ولا بد أيضا من أن نذكر أن الاختلاف في القراءات إنما هو اختلاف نقل ليس كاختلاف الفقهاء الذي هو اختلاف اجتهاد.

إذن لا بد من القول أن تقسيم القراءات إلى أصول وفروع هو تقسيم صوري نظري لم نجد له في الواقع إلا بعض الأمثلة أو الإشارات. ولعل الذي أدى إليه هو ما شاع عند علماء المسلمين - في القرنين الثالث والرابع على وجه الخصوص - من تأثر مناهج الدرس العربي بعضها ببعض، وغلب عندهم أن كل شيء لا بد فيه من أصل وفرع، ومن ثم فقد وجدت عند علماء القراءات مصطلح "الفرش" مقابلا لمصطلح "الفقه" عند علماء الفقه وأصوله، ومصطلح "الأصول" عندهم مقابلا لأصول الفريق الثاني، فالتأثر ظاهر ولكنه تأثر مظهري في جوهره، وذلك ما نجده عند علماء العربية حين اقتبسوا مصطلح "فقه" وأضافوا إليه كلمة "اللغة" فسموا علوم اللغة العربية "فقه اللغة" دون أن تنطوي تلك التسمية على إضافات مُميِّزة أو متميزة.

---

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٣٠ .

خامسا : بدء التأليف فيها :

ولا بد من أن نشير في ختام هذا الفصل إلى أن هذه القراءات قد شُرع في تدوينها على رأس المائة الثانية للهجرة، إذ تذكر المصادر أن أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب هو أبو عبيد القاسم بن سلام[١] (ت ٢٢٤ هـ) وجعلهم خمسة وعشرين قارئا، ثم تابعه أحمد بن جبير الكوفي (ت٢٥٨ هـ) فاقتصر منهم على خمسة من كل مصر واحد، ثم القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون (ت ٢٨٢ هـ) فذكر منهم عشرين إماما، ثم الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) الذي ألف كتابا سماه "الجامع"، جمع فيه نيفا وعشرين منهم، ثم الإمام أبو بكر محمد الداجوني (ت٣٢٤ هـ) الذي جمع كتابا أدخل فيه أبا جعفر ابن القعقاع أحد العشرة الذين اشتهروا، ثم كان الإمام أبو بكر أحمد بن موسى ابن العباس بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) أول من سبع السبعة، وقد قام الناس في زمانه وبعده فألفوا في القراءات كتبا كثيرة يضيق المقام ههنا لذكرها[٢].

وهكذا صارت القراءات ـ كما يقول ابن خلدون "ـصناعة مخصوصة، وعلما منفردا، وتناقله الناس بالشرق والأندلس في جيل بعد جيل[٣] ...".

وإلى هذا الحد تكون قد تحددت لنا معالم مميزة للقراءات سواء ما تعلق بتعريفها أو طبيعتها المتمثلة في الرواية والمشافهة، أو أعلامها الذين نسبت إليهم، أو مصادرها التي لولاها ما عرفت هي، أو أصولها وفرشها وهو جوهرها الذي تولته الأقلام بالتحبير والإيضاح.

---

(١) تشير بعض الدراسات إلى أن بدء التأليف في القراءات يعود إلى سنة ٩٠ هجرية على يدي يحيى بن يعمر، وأن أبا حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) كان من أوائل من ألف في القراءات، وكان بعد أبي عبيد القاسم بن سلام. انظر : تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، خالد عبدالرحمن العك، دار الفكر، دمشق، طبعة ثانية ١٩٨٦، ص ٨٦ .

(٢) انظر : النشر في القراءات العشر ج١ / ٣٤، ٣٥، وإبراز المعاني من حرز الأماني، ص ٢٢، ٢٥ والجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٣٦ وما بعدها.

(٣) مقدمة ابن خلدون، طبعة دار نهضة مصر،تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي. ج٣/١٠٢٨ .

وقد علمت أيضا أنها تختلف عن القرآن وإن كانت منه خرجت وإليه عادت فهي لا وجود لها إلا به ولا حديث فيها إلا عنه.

ولا شك أن النص القرآني قبل أن تصل قراءاته إلى ماوصلت إليه فدوّنت في مؤلفات قد مر بمراحل توثيقية حاسمة ومهمة كانت لها آثارها الخطيرة في حياة القرآن والقراءات، فكيف كان ذلك؟ ذلك هو مدار بحثنا في الفصل الثاني.

الفصل الثاني
توثيق النص القرآني

المبحث الأول : توثيقه في حياة الرسول ﷺ

حظي القرآن بعناية الله سبحانه وتعالى لم يحظ بمثلها كتاب غيره من الكتب المنزلة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ، وقال ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ﴾ [الأعلى: ٦].

وقد مر توثيقه بمرحلتين اثنتين : إحداهما هي التي كانت في حياة الرسول ﷺ، والأخرى كانت بعد ذلك.

فهذا الفصل هو في كيفية التوثيق لما له من صلة بالقراءات، وهو يهتم أكثر بعلل التوثيق بعد الكشف عن كيفيته.

ومما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى حينما أنزل القرآن الكريم على رسوله الأمين حَفَّهُ بوسائل مختلفة مهمة تقيه من كيد الكائدين وجحد الجاحدين، وتحفظ ديمومته وانتشاره بين خلق الله ليكون لهم دستورا وموعظة ومنهج حياة.

وقد تنوّعت تلك الوسائل وتعددت صورها، منها : نزول القرآن منجما، وكتابته حين النزول وتأليفه، وحفظه في الصدور وإقراؤه بدءاً من أول الوحي إلى نهايته، بالإضافة إلى معارضة جبريل عليه السلام للرسول ﷺ للقرآن كل سنة حتى وفاته ﷺ.

أولا : نزوله منجما

في اللسان أن "تنجيم الدَّيْن : هو أنْ يُقدّر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة..

ونَجَّمَ عليه الدِّيَةَ : قطّعها عليه نَجْمًا نَجْمًا .. ويُقال : جَعَلتُ مالي على فلان نجومًا مُنجّمةً : يُؤدّي كل نجم في شهر كذا، وقد جعل فلان ماله على فلان نجوما معدودة : يُؤدّي عند انقضاء كل شهر منها نجْمًا ...[١]" .

فالتنجيم كما ترى - جعل الشّيء قطعًا مُفرّقة مفصولة عن بعضها حتى تكون سهلة الأداء. وأصل فعله غير المزيد "نجم" : بمعنى طلع وظهر، وهو خاص بما لا يقوم على ساق[٢].

والمنجّم اسم مفعول من "نجّم" المزيد بتضعيف العين للدلالة على المقطّع أو المفرّق الذي فُصلت أجزاؤه عن بعضها، ومنه قولهم : أنزل القرآن منجّما : أي "نُجُمًا نُجُمًا، وكانت تنزل منه الآية والآيتان[٣]" وهذا توضيح بذلك كما ترويه كتب علوم القرآن وغيرها من المؤلفات التاريخية:

١ - في حديث عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن القرآن نزل إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ليلة القدر جُملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجّما في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين[٤].

٢ - وفي قول منسوب إلى الإمام الفخر الرازي أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، في كل ليلة ما يقدّر الله إنزاله في كل سنة، ثم نزل بعد ذلك منجما إلى الأرض في جميع السنة، أي أن الذي ينزل في ليلة قدر واحدة إلى سماء الدنيا ينزل منجما على الرسول ﷺ على مدار السنة الواحدة كاملة[٥].

---

(١) لسان العرب ج٦/٤٣٥٨ مادة "نجم".
(٢) انظر : لسان العرب ج٦ /٤٣٥٦ مادة "نجم".
(٣) انظر : لسان العرب ج٦ / ٤٣٥٧ .
(٤) انظر : الإتقان في علوم القرآن، ج١/٥٣ ، ٥٤ .
(٥) نفسه ج١/٥٤.

٣ ـ وقيل : إنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجّما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات على مدار عشرين سنة أو أكثر[١].

٤ ـ وهناك قول رابع مضمونه أن القرآن نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، ثم إن الحفظة (وهم السفرة الكرام الكاتبين في سماء الدنيا) نجمته على جبريل في عشرين ليلة قدر وأن جبريل عليه السلام نجمه على النبي ﷺ في عشرين سنة، وهو قول ـ كما ترى ـ قد جمع بين القولين الأول والثاني[٢].

والذي يعنينا بشكل أكثر من غيره أن قضية نزول القرآن منجما ـ كوسيلة من وسائل توثيقه ـ واقعة لا يختلف فيها اثنان ممن يؤمن برسالة الإسلام، سواء كانت على تلك الصفة أو على الصفة الأخرى.

وعن الكيفية التي كان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن على رسول الله ﷺ وكذا ردّ فعله ﷺ من ذلك، يروي الإمام البخاري في صحيحه بسند "عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ : "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليَّ فيفصِمُ[٣] عنّي وقد وعيْتُ عنه ما قال، وأحْيانًا يتمثل لي المَلَكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول" . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنّ جبينه لَيَتفَصَّدُ[٤] عرقًا[٥].

إن هذا الحديث يحتوي على عبارتين هامتين في حاجة إلى إيضاح وهما:

١ ـ نزول الوحي "مثل صلصلة الجرس" .

٢ ـ قوله ﷺ " إنه يعي ما يقول جبريل" .

---

(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن، ج١/ ٥٤.
(٢) نفسه ج١/٥٤ .
(٣) يفصم عني : يقلع وينجلي ما غشيني.
(٤) يتفصّد : يتصبب عرقا.
(٥) صحيح البخاري، مكتبة الإيمان، المنصورة ، مصر ١٩٩٨، ج١/ ٣٧ .

أما الصلصلة فهي صوت الحديد إذا حُرِّك[1]، سُميَ كذلك محاكاة لصوته إذا كُرِّرَ، ومنه قيل: صلصلة الجرس لتكرر صوته، ومنه قولهم : صَلَّ اللّجام : امتد صوته، فإن توهمت ترجيع صوت قلت : صلصل وتصلصل[2].

ومعلوم أن "الصلصلة" في صورتها الصوتية هذه ليست رمزا لغويًا من طبيعة اللغة الإنسانية، وإنّ جعل الوحي شبيها بها لحكمة إلهية لا يبعد أن يكون من أهدافها -والله أعلم- التكتم على الموحى به لأنه خصّ به الرسول ﷺ دون غيره، فما تلك الصلصلة إلا آيات القرآن الكريم بألفاظ عربية خصّ بها خاتم النبيين ﷺ.

وأما "وعيه" ﷺ لما حمله جبريل عليه السلام من آيات قرآنية في تلك الصورة الغريبة، فإن ذلك خاصية خصه بها الله سبحانه وتعالى كما خصّ بها من قبل النبي سليمان عليه السلام فكان يعي ويفهم أصوات ما يدبّ على الأرض من مخلوقات حية.

إن الذي استقرئ في الأحاديث الصحيحة أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة : خمس آيات، وعشر آيات، وأكثر، وأقل[3]، ولا شك أنّ نزوله بهذه الكيفية الخفيفة أمر يساعد على الوعي والحفظ أحسن من نزوله جملة أو أجزاء أجزاء أو حتى سورا سورا، ومع ذلك فإن ذلك الوعي يبقى وعيا خاصا ليس كوعي عامة البشر.

إن لنزول القرآن منجما في صورته الصوتية المقروءة غايات جمة تعد روافد لغاية أسمى هي توثيقه، وقد لخّص ذلك السيوطي في الإتقان فقال : "قال أبو شامة : فإن قيل ما السرّ في نزوله منجّما؟ وهلا أنزل عليه القرآن جملة؟ قلنا : هذا سؤال قد تولى الله جوابه، فقال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] يعنون كما أُنْزلَ على منْ قبله من الرسل. فأجابهم تعالى بقوله

---

(١) انظر : لسان العرب ج٤ / ٢٤٨٦ مادة "صلل" (٢) انظر : نفسه ج٤ / ٢٤٨٦ .
(٣) انظر : الإتقان ج ١ / ٥٧ .

﴿كَذَلِكَ﴾ أي : أنزلناه كذلك مفرّقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان : ٣٢] أي لنقوّي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسل إليه...

وقيل : معنى ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ : أي لتحفظه، فإنه عليه الصلاة والسلام كان أمّيًا لا يقرأ ولا يكتب، ففرّق عليه ليَثْبتَ عنده حفظُه، بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع، وقال ابن فورك : قيل أُنزلت التوراة جملة لأنها نزلت على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى، وأَنْزلَ الله القرآن مفرقا لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي، وقال غيره : إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ، ولا يتأتّى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا، ومنه ما هو جواب لسؤال ومنه ما هو إنكار على قول قيل أو فِعْلٍ فُعِلَ[١]" . قال تعالى : ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [الفرقان : ٣٣]، إذ كان المشركون إذا أحدثوا شيئا أحدث الله لهم جوابا[٢]، وقال بعضهم:

إنما الحكمة من إنزاله مفرّقا هي بيان الأحكام[٣].

تلك كانت المرحلة الأولى في توثيق النص القرآني، فأنزله الله تعالى على تلك الصورة منجما تخفيفا على نبيّه الأمّي من جهة، ومبالغةً في حفظه على صورته الصوتية الغضة كما قرأه جبريل عليه السلام عن رب العرش العظيم[٤].

ثانيا : كتابته

كتابة القرآن الكريم عند نزوله بين يدي رسول الله ﷺ كانت وسيلة من الوسائل

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١ / ٥٥، ٥٦ .　　(٢) انظر : الإتقان ج١/٥٦ .

(٣) انظر : نيل الخيرات في القراءات العشر المتواترة، ص ١٢ .

(٤) سمى بعضهم هذه المرحلة بمرحلة إقراء جبريل للنبي ﷺ، انظر ذلك في : تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص ٧٨ .

المهمة في حفظه، وقد تولى ذلك كُتَّاب الوحي[١]، وأشهرهم : زيد بن ثابت، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود وأنس ابن مالك رضي الله عنهم جميعا[٢].

في حديث صحيح بسند صحيح عن زيد بن ثابت أنه قال : "كنت جار رسول الله ﷺ، فكان إذا نزل الوحي أرسل إليّ فكتبتُ الوحي[٣]..." وقيل : "إنه ما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله ﷺ من يكتب له أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا[٤]".

وروى الزركشي عن الإمام أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) أنّ "كتابة القرآن ليست محدثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرّقا في الرقاع والأكتاف والعسب[٥]".

والأرجح أن كتابة القرآن في عهده ﷺ كانت تتم من طرف كُتَّاب الوحي بشكل مفرّق مقطع تماشيا مع مجموع الموحى به من القرآن في المرة الواحدة من ناحية، وتماشيا أيضا مع مساحة ما كانوا يكتبون عليه من الرقاع والأكتاف والعسب،

---

(١) ذكر الشيخ أبو عبد الله الزنجاني في كتابه "تاريخ القرآن" طبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، أن عدد كتاب الوحي هو ثلاثة وأربعون (٤٣) كاتبا، ذكر منهم تسعة وعشرين (٢٩)، انظر : ص ٢٠ . وفي معجم القراءات لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر طبعة جامعة الكويت ١٩٨٢ (ج/٧) أن عددهم تسعة وعشرون (٢٩) كاتبا، لعلهم هم الذين ذكرهم الشيخ الزنجاني.

(٢) انظر : مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ٩ .

(٣) كتاب المصاحف، السجستاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥، ص ٧ .

(٤) مقدمتان في علوم القرآن. نشر آرثرجفري، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٢ ص ٢٧، وانظر : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ١٩٩٥، ص ٥ .

(٥) البرهان في علوم القرآن، ج١/ ٢٣٨ .

واللخاف والأقتاب وقطع الأديم والأضلاع أيضا[١] وهي لا تتسع إلا لكتابة آية أو بعض آيات، ولكن ذلك لا يقلل من أهميتها لكونها أول كتابة للقرآن وعليها عول في المرحلة الثانية، مرحلة تأليفه إلى جانب التعويل على المحفوظ منه.

إننا نقول إن تأليفه هي مرحلة ثانية لسبب بسيط هو أنه لا يمكن تأليف أي شيء إلا إذا كانت مادته جاهزة، ومادة تأليف القرآن آياته، ولكن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أنه تأليف كامل ضم القرآن كله، حاله حال جمع أبي بكر أو جمع عثمان بعد وفاته ﷺ، أو حتى جمع بعض الصحابة الآخرين، فالأرجح أن تأليفه في عهد الرسول ﷺ كان تأليفا لبعض أجزائه أو لبعض سوره وذلك بعد أن يتجمع قدر كاف من الآيات المنزلات، كل ذلك كان يتم بين يدي رسول الله ﷺ، وبأمر منه، ففي حديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع .. قال البيهقي: "شُبّه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ[٢]". وليس هذا من طبيعة الكتبة الأولى التي تحفظ الموحى به في حينه، ولكنها من طبيعة الكتبة الثانية التي تجعل الموحى به في مكانه بين الآيات في السور.

---

(١) ـ الرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.
ـ الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم العريض الذي للبعير أو الشاة، يستعمل للكتابة عليه بعد أن يجف.
ـ العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.
ـ اللخاف: جمع لخفة: وهي صفائح الحجارة الرقاق، وقيل: هي الخزف. وقيل: قطع الأواني الفخارية.
ـ الأقتاب: جمع قتب، وهي الخشب التي توضع على ظهر البعير (تسمى أيضا: إكاف البعير) ليركب عليه.
ـ قطع الأديم: قطع الجلد المدبوغ.
ـ الأضلاع: جمع ضلع، وهي العظام التي تلف الصدر، ويكتب عليها بعد أن تجف.
(٢) الإتقان في علوم القرآن ج١/ ٧٦ .

والذي لا شك فيه أن كتابة القرآن في صورتها الأولى أو الثانية حاصلة لا يرد ذلك إلا معاند مكابر، والأدلة على ذلك كثيرة غير ما ذكرناه، من ذلك:

١ – أن الرسول ﷺ قال: "لا تكتبوا شيئا عني غير القرآن، فمن كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه[١]".

٢ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "خرج علينا رسول ﷺ ونحن نكتب الأحاديث، فقال: ما هذا الذي تكتبون؟ قلنا: أحاديث سمعناها منك. قال: أكتاباً غير كتاب الله تريدون؟ ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما اكتتبوا مع كتاب الله تعالى[٢]".

٣ – وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أوصاه بعدم إضاعة صحفه التي كان كتّاب الوحي من الصحابة يكتبونها في حضرته بعيد نزول الوحي عليه[٣].

٤ – وروى البخاري بسند صحيح عن البراء، قال[٤]: لما نزلت ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ قال النبي ﷺ: ادع لي زيداً، وليجئ باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة، ثم قال: أكتب ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ**﴾ وخلف ظهر النبي ﷺ عَمْرُو بن أم مكتوم الأعمى، قال: يا رسول الله، فما تأمرني فإني رجل ضرير البصر، فنزلت مكانها ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [النساء: ٩٥].

فهذه أربعة أحاديث تشير بوضوح إلى كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ وبين يديه، وهاهو ذا أحدها وهو الحديث الثالث يشير بوضوح إلى جمع ما كتب في صحف كان رسول الله ﷺ يحتفظ بها تحت فراشه.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١ / ٧٦، والقرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص٢.
(٢) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص٦. (٣) انظر: المرجع: نفسه، ص٦.
(٤) انظر: صحيح البخاري ج٣/ ٣٢٣، باب: كاتب النبي ﷺ.

كل ذلك كان من باب الحيطة من الرسول ﷺ وأصحابه في حفظ النّص القرآني مع أن الله سبحانه وتعالى أمّن رسوله في ذلك فقال ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ﴾ [الأعلى: ٦] وقال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ثالثا : حفظه في الصدور وإقراؤه

من نافلة القول أن نذكر أن حفظ القرآن في القلوب وإقراءه المسلمين كان أهم وسيلة في توثيق النص القرآني وذلك لأسباب:

١ - ما ذكرنا من أن القرآن أنزل في صورة صوتية منطوقة غير مكتوبة، فكان أولى له أن يحافظ على تلك الصورة ويُبلغ إلى المسلمين كما بلغه بها جبريل عليه السلام لنبي الأمة ﷺ.

٢ - ولا نبعد كثيرا إذا قلنا إن ذلك يتماشى وطبيعة اللسان العربي الذي أنزل به القرآن، وهو لسان حافظ على طبيعته الحقيقية الصوتية فكان للذاكرة سلطانها المطلق فيه[١]. ولا يخفى على أحد أن الرسالة الشفوية كانت هي المسيطرة على الأدب العربي شعره ونثره.

ولا شك أن محافظة القرآن الكريم ـ بعيد نزوله ـ على صورته الصوتية يتماشى وطبيعة العرب الذين كانت غالبيّتهم لا تولى عناية بالكتابة أو لم تكن تعرفها بتاتا[٢]. وقد سبقت الإشارة إلى أن الرسول ﷺ كان أميًا لا علم له بالكتابة، وربما كان يخاف من أن يعتري القرآن نقص بكتابة قد تكون منقوصة، ولذلك لم يكن متحمسا لأن يجعل كتابة القرآن أمرا واجبا، فكان يشجع المبادرات الفردية فقط[٣].

٣ - ومن ناحية أخرى، فإن من مقاصد الدين الجديد - كما أشرنا من قبل - قراءة القرآن لغاية في ذاتها امتثالا لقوله تعالى ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ

---

(١) سلطان الذاكرة : مصطلح أدبي لغوي استعمله الأستاذ البشير بن سلامة، راجع كتابه : اللغة العربية ومشاكل الكتابة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية ١٩٨٦، ص ٤١ ، ٤٢ .
(٢) سنبحث معرفة العرب للكتابة من عدمها لاحقا حينما نعرض لعلاقة الرسم بالقراءات.
(٣) انظر : اللغة العربية ومشاكل الكتابة، ص ٤١ .

عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وقوله ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] أي: قراءته، وذلك لما في قراءته من حكم جمة ربما عجزت كتابته عن توصيلها كما هي.

٤ - وهناك أمر مهم آخر، هو أن حفظ القرآن في الصدور وإقراءه في عهد الرسول ﷺ كان هو أصل كل قراءة دونت بعد ذلك، إذ ما كان لأن تُنزل تلك القراءات التي اشتهرت منزلتها لولا تلك المرجعية التاريخية المهمة التي حبا الله بها رسوله ﷺ فقال ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، في صحيح البخاري يعني: "جمعه في صدرك ثم تقرؤه[١]". وحبا بها صحابته وبقية المسلمين بعد وفاته ﷺ.

لقد كان رسول الله ﷺ أول جامع للقرآن في صدره وأول مقرئ له على المسلمين، ففي حديث صحيح أنه ﷺ كان: "إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه[٢]"، ويقول الشيخ الزنجاني: "وكان ﷺ بعد نزول الوحي إليه وحفظه الآية أو السورة يبلغها الناس، ويقرئُ من الفائزين بشرف الصحبة من كان يصلح لذلك ويستحفظهم إياها[٣]".

إن جمع القرآن ثم إقراءه منه ﷺ هو تكليف من الله، قال تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٨، ١٩] معنى ذلك: استمع وانصت ثم اقرأه كما علمت[٤]. وفي حديث صحيح رواه مسلم أن الرسول ﷺ قال: "إن ربي قال لي: قم في قريش فأنذرهم. فقلت له: ربِّ إذًا يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال: مبتليك ومبتلي بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان فابعث جندا أبعث مثلهم وقاتل بمن أطاعك مَنْ عصاك وأنفق ينفق عليك[٥]". وقد

---

(١) صحيح البخاري ج٤/ ٤٥٥.
(٢) نفسه ج٤/ ٤٥٦.
(٣) تاريخ القرآن، ص ١٣.
(٤) انظر: صحيح البخاري ج٤/ ٤٥٥، ٤٥٦.
(٥) النشر ج١/ ٦.

علق ابن الجزري على ذلك فقال : "فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تُغسل بالماء، بل يقرؤونه في كل حال كما جاء في صفة أمته (أمة القرآن) : "أنّاجيلكم في صدوركم" وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤونه كله إلا نظرا لا عن ظهر قلب[١]" .

ثم إن جمعه وإقراءه هو تشريف من الله للنبي ﷺ، بدليل ما ورد في الحديث الشريف : "ما أذنَ الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهرُ به[٢]" وكذلك قوله ﷺ : " الماهر بالقرآن مع الكرام البررة فزينُوا[٣] القرآن بأصواتكم[٤]" ، وقوله أيضا : "أشْرفُ أمتي حملة القرآن[٥]" وقوله كذلك : "ثلاثة لا يكترثون للحساب ولا تفزعهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الأكبر: حامل القرآن يؤديه إلى الله، يقدم على ربّه سيّدا، شريفا حتى يرافق المرسلين، ومن أذَّنَ سبْعَ سنين لا يأخذ على أذانه طمعًا، وعبْدٌ مملوك أدّى حق الله من نفسه وحق مواليه[٦]" . وقوله أيضا في حديث آخر رواه عبد الله بن مسعود : " خيركم من قرأ القرآن وأقرأه[٧]" .

ومادام الأمر كذلك على هذه الدرجة العظمى من التشريف، فلا عجب أن تجد الصحابة رضي الله عنهم يسعون جهد طاقتهم لجمع القرآن في صدورهم واستظهاره قراءة وإقراء، وقد مهر في ذلك نفر منهم سماهم الرسول ﷺ فقال : "استقرئوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبيّ ابن كعب[٨]" .

فهؤلاء طار نجمهم بين بقية الصحابة والمسلمين حتى أصبح بعضهم مقرئا للنبي ﷺ نفسه بعد أن كان هو معلمهم جميعا، ونعني بذلك أبيّ بن كعب

---

(١) النشر ج١ / ٦ .
(٢) صحيح البخاري ج٤ / ٤٦١ .
(٣) في الأصل : وزينوا، بالواو.
(٤) صحيح البخاري ج٤ / ٤٦١ .
(٥) انظر : سند هذا الحديث في : النشر ج ١ / ٢، ٣ .
(٦) النشر ج١ / ٣ .
(٧) النشر ج١ / ٣ . وهذا الحديث رواه عثمان بن عفان بلفظ آخر فقال : قال رسول الله ﷺ : "خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه." النشر ج١ / ٣ .
(٨) معرفة القراء الكبار للذهبي ج١ / ٣١ وانظر أيضا : صحيح البخاري ٣ / ٣٢٥، وفيه : "خذوا القرآن" بدل "استقرئوا القرآن" .

(ت بعد ٢٠هـ)، فقد ورد في الحديث عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: "إني أُمرتُ أن أقرأ عليك، قال: آالله سماني لك؟ قال: نعم، فبكى أبيّ[١]." وكان الرسول ﷺ إذا ذكر الصحابة بخصالهم ذكر أبيًّا فقال: أقرؤهم أبيّ بن كعب[٢]". وورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "أقضانا عليّ وأقرؤنا أبيّ[٣]".

وقد أَهَّلَتْ أُبِيًّا هذه المنزلة لأن يتبوّأ مقعدا رفيعا بين الصحابة ويصبحَ مُقرئهم جميعا بلا منازع، فقد قيل: أخذ عنه القراءة ابن عباس، وأبو هريرة، وعبد الله ابن السائب، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وأبو عبد الرحمن السلمي[٤]، وعن هؤلاء أخذ القراءة خلق كثير من التابعين.

وكان عبد الله بن مسعود ابن أم عبد (ت٣٢ هـ) رضي الله عنه يشار إليه بالبنان في حفظ القرآن وإقرائه، فقد قيل إنه "كان أحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ، وأقرأه، وكان يقول: حفظت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة[٥]..." بل أكثر من هذا أن رسول الله ﷺ كان يوصي صحابته للاقتداء به في القراءة فكان يقول: "من أحبَّ أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد[٦]".

وكذلك كان زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) رضي الله عنه ـ كاتب النبي وأمينه على الوحي ـ قد جمع القرآن في صدره على عهد رسول الله ﷺ[٧]. وإليه يعود الفضل في الجمعين الكتابيين بعد وفاة الرسول ﷺ فيما سنذكره في الصفحات التالية من هذا الفصل.

---

(١) معرفة القراء الكبار ج١ / ٣٠ .
(٢) نفسه ج١/ ٢٩ .
(٣) نفسه ج١/ ٣٠، وفي صحيح البخاري (ج٣ / ٣٢٦) "قال عمر: أبيّ أقرؤنا وإنا لندع من لحن أبي" أي من لغته.
(٤) انظر: معرفة القراء الكبار ج١/ ٢٩ .
(٥) معرفة القراء الكبار ج١/ ٣٢، ٣٣ .
(٦) معرفة القراء الكبار ج١/ ٣٤ .
(٧) انظر: نفسه ج١/ ٣٧ .

وتذكر كتب القراءات أن الخليفتين عثمان وعليّا كانا ممن جمع القرآن حفظا على عهد النبي ﷺ[1]، وإليهما ترجع بعض قراءات السبعة المشهورين، فعاصم ابن أبي النجود يقول : "ما أقرأني أحد حرفا إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكان قد قرأ على عليّ رضي الله عنه[2]"، وقيل إن ابن عامر مقرئ أهل الشام قرأ على عثمان رضي الله عنه، وقيل قرأ على المغيرة على عثمان[3].

وكان أبو موسى الأشعري (ت ٤٤ هـ) رضي الله عنه يصف النبيُّ ﷺ قراءته فيقول : "لقد أوتيَ هذا مزماراً من مزامير داود[4]"، وذلك تعبيرا على حلاوة صوته وطلاوته في قراءة القرآن. وقد كان ممن جمع القرآن حفظا. وكذلك كان أبو الدرداء (ت ٣٢ هـ) رضي الله عنه[5].

فهؤلاء سبعة ذكرهم الإمام شمس الدين الذهبي في الطبقة الأولى من طبقات كتابه "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار" وذيّل ذلك بقوله : "فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وأُخذ عنهم عرضا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة[6]".

وقد جمع القرآن حفظا على عهد الرسول ﷺ غير هؤلاء السبعة عدد آخر من الصحابة، منهم : معاذ بن جبل، وأبو زيد الأنصاري، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وعتبة بن عامر[7]، ويروي الإمام الذهبي عن الشعبي قوله : "لم يجمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ غير ستة كلهم من الأنصار : زيد بن ثابت، وأبو زيد، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وأبو الدرداء، ونسي السادس، رواه إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي فسمى السادس : سعد بن عبيد، وزاد آخر وهو مُجَمِّعُ بن جارية، فقال : قرأ أيضا القرآن إلا سورة أو سورتين أو ثلاثا[8]".

---

(١) انظر : معرفة القراء الكبار، ج١/ ٢٧ . (٢) نفسه ج١/ ٢٧ .
(٣) انظر : نفسه ج١/ ٢٤ . (٤) نفسه ج١/ ٣٩ . (٥) انظر : نفسه ج١/ ٤١ .
(٦) معرفة القراء الكبار، ج١/ ٤٢ . (٧) انظر : نفسه، ج١/ ٤٢ .
(٨) نفسه : ج١/ ٣٨، وانظر : البرهان في علوم القرآن، ج١/ ٢٤١، وقد أورد البخاري في =

وقد ذكر الإمام الزركشي أن حملة القرآن في حياة النبي ﷺ "أضعاف هذه العدّة المذكورة، ويشهد لصحة ذلك كثرة القراء المذكورين يوم مسيلمة باليمامة، وذلك في أول خلافة أبي بكر، وفي الصحيحين : قُتل سبعون من الأنصار يوم بئر معونة[١] كانوا يسمون القراء[٢]" .

وقد أحصى منهم ابن الجزري خمسة وعشرين، ثمانية عشر من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، وكان ابن سلام الجمعي قد ذكرهم في كتابه الذي ألفه حول القراءات على أنهم هم الذين أتقنوا القرآن وتلقوه من في رسول الله ﷺ[٣] .

هؤلاء هم الذين كان لهم الفضل الأكبر في نشر القرآن مشافهة بعد ذلك ـ على عهد الخلفاء الراشدين ـ إذ توزّع أغلبهم أو منْ أخذ عنهم من التابعين في الأمصار الإسلامية يقرئون كتاب الله للناس كما علموه من في رسول ﷺ ، فكان منهم بمكة : عبيد بن عمير، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وعكرمة، وابن مليكة، وبالمدينة : ابن المسيب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وبالكوفة : أبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبير، والشعبي، وبالبصرة : أبو العالية، وعامر بن عبد قيس، وابن سيرين، ونصر بن عاصم، وبالشام : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان ابن عفان في القراءة، وخليد بن سعد صاحب أبي الدرداء[٤] .

إن عملية حفظ القرآن الكريم في الصدور أو القلوب قد تفاوتت من قارئ لآخر، فقد يكون من الصحابة من حفظه كله على عهد الرسول ﷺ والأقرب إلى ذلك هم

=صحيحه (ج٣/ ٣٢٦) هذا الحديث تحت باب "القراء من أصحاب النبي ﷺ" وهو يتضمن أربعة من الأنصار فقط، وقد رواه قتادة فقال: "سألت أنس بن مالك رضي الله عنه : من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبيّ بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد."

(١) يوم بئر معونة : هو يوم اليمامة أو يوم مسيلمة، سمي كذلك لوجود بئر في المكان الذي جرت فيه تلك المعركة أيام حروب الردة.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ج١/ ٢٤٢ .

(٣) انظر : النشر في القراءات العشر، ج ١/ ٦ .

(٤) انظر : النشر، ج١/ ٨ .

الأربعة المذكورون في الحديث الشريف السابق، وقد يكون منهم من حفظ بعضه على عهده ﷺ ثم حفظه كله بعد ذلك، وذلك هو مذهب ابن الجزري الذي قال : "وكان منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه، كل ذلك كان في زمن الرسول ﷺ(١)" .

وقد تناولت الدراسات بالبحث قضية جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ، وقد حدث خلاف فيما إذا كان ذلك الجمع المشار إليه في المصادر القديمة ـ هو جمع حفظ أم جمع تدوين في مصحف .

والذي نميل إليه أن الجمع الحفظي في الصدور هو المقصود، إذ كان هو الأشهر وعليه كان التعويل لما ذكرناه من أسباب، ثم هاهو ذا إسماعيل بن أبي خالد ـ المشار إليه قبل قليل ـ يروي عن الشعبي الستة الذين جمعوا القرآن من الأنصار في عهد الرسول ﷺ ثم يضيف إليهم مُجمّع بن جارية يقول عنه "قرأ أيضا القرآن" أي قرأه كما قرؤوه هم، أي الستة، فيكون بذلك قد دلّ على أن جمعهم للقرآن" إنما هو جمع قراءة وحفظ لا جمع كتابة أو تدوين .

وانظر إلى عبارة الذهبي في حديثه عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ من أنه "جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وجمعه في صحف لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم تولى كتابة مصحف عثمان رضي الله عنه(٢) " ففي ذلك إشارة واضحة إلى أن جمعه الأول، الذي هو جمع حفظ، يختلف عن جمعيْه الثاني والثالث اللذين هما جمع كتابة في صحف أو مصحف .

إن الذي نرجحه أن يكون الجمع الكتابي الكامل في مصحف قد تم بعد وفاة رسول الله ﷺ . أما الذي حصل منه في حياته فالأرجح أنه كان في صورة منقوصة كما بيّنا ذلك في الصفحات السابقة، ويمكن حصر أسباب عدم جمع القرآن جمعا كتابيا كاملا في مصحف ـ في عهد رسول الله ﷺ ـ فيما يلي :

---

(١) النشر، ج١/ ٦ .

(٢) معرفة القراء الكبار، ج١/ ٣٧ .

١ ـ أنّ النسخ كان يرد على بعض الآيات، فلو جمع القرآن جمع كتابة كله ثم رفعت أحكام أو تلاوة بعضه لأدى ذلك إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ[١].

٢ ـ لم تكن الحاجة ماسة لجمعه في مصحف ـ في ذلك العهد ـ لـمّا كان الإسلام الناشئ لا يزال محدود الرقعة، فهو مصون بين القلة القليلة من الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يتسابقون إلى حفظه في قلوبهم.

٣ ـ إن الله آمّن نبيّه من النسيان فقال ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦]، فكان النبي ﷺ بعد ذلك في غنى عن الجمع الكتابي الكلي[٢]، إذ لم يكن يشجع على كتابته إلا المبادرات الفردية فقط كما سبقت الإشارة إليه[٣].

٤ ـ سبقت الإشارة إلى أن القراءة هي أهم خاصية مظهرية في القرآن الكريم وأن القرآن ما أنزل إلا ليُقرأ، ومن ثم فقد كان تدوينه أو خطّه ـ كما هو حال الكتب المنزلة الأخرى التي اعتراها تحريف ـ ليس مرغوبا فيه، خاصة وأن القرآن الكريم ظل عشرين سنة أو يزيد ينزّل منجّما، والذي يخيّل إلينا أن الذين ذهبوا إلى القول بالجمع الكتابي الكلي للقرآن في مصحف ـ على أيامه ﷺ ـ ربما يكون قد ثبت في أذهانهم المعنى الحسي "الملموس" لكلمة الجمع دون أن يتجاوزه إلى المعنى الحسي "المعقول"، فذلك أمر وارد.

تلك إذاً كانت ثلاث وسائل أساسية في توثيق النص القرآني على عهد الرسول ﷺ رأينا أن نقف عندها دون الوسائل الأخرى لاعتقادنا أن غيرها ملحق بها غير مستقل عنها.

---

(١) انظر: البرهان، ج١/ ٢٣٥، والإتقان، ج١ / ٧٦ .
(٢) انظر: البرهان، ج١/ ٢٣٨ .
(٣) انظر: اللغة العربية ومشاكل الكتابة، ص ٤١ .

من ذلك معارضة جبريـل عليه السلام للرسول ﷺ كل سنة في القرآن فإن ذلك ـ لا شك ـ عملية مهمة في توثيق النص القرآني، ولكنها لا تخرج عن وسيلة حفظه وإقرائه، وعملية المعارضة هذه تكون باستظهار الرسول ﷺ للقرآن أمام جبريل عليه السّلام بغرض المدارسة والتثبت من صحة ما حفظه ﷺ، وكان ذلك يتم مرة كل سنة، حتى إذا كانت السنة التي لحق فيها بالرفيق الأعلى عرضه عليه مرتين كانت ثانيتهما حاسمة إذ ثبت نص القرآن الكريم حسب ما جاء فيها، وهو نصه الذي نعرفه اليوم بترتيبه من غير تقديم أو تأخير، ومن غير زيادة أو نقصان[١].

كذلك ما كان من أمر استظهار الصحابة من محفوظهم للقرآن أمام الرسول ﷺ اقتداء باستظهاره هو له أمام جبريل عليه السلام، فإن ذلك ملحق بحفظه وإقرائه أيضا، وإنما كان منهم ذلك زيادة في الحيطة والاحتراس حتى لا يكون محفوظهم منه قد اعتراه خطأ أو تحريف.

---

(١) انظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ٦.

المبحث الثاني : توثيقه بعد وفاة الرسول ﷺ

أولا : توطئة

إن توثيق النص القرآني هنا نعني به جمعه كُلَّهُ كِتَابةً في الصحف والمصاحف لأسباب دعت إليها الحاجة بعد وفاة الرسول ﷺ وانقطاع الوحي فلم يعد هناك ترقّب لنسخ بعضه تلاوة أو حكما، ثم إن الظروف قد جدّت باتساع الدولة الإسلامية فخيف على القرآن من أن يعتريه التغيير أو التحريف سواء كان ذلك لأسباب مقصودة ممن يعادي الإسلام والمسلمين أو كان بغير قصد من حديثي العهد بالإسلام ممن انضوى تحت لوائه من أهل البلاد المفتوحة أو كان من التابعين الذين قلّت معرفتهم بالقرآن وقراءاته والذين انطوت أنفسهم وألسنتهم على عادات ما كانوا ليتخلوا عنها بسهولة، أو من التابعين الذين كان لهم اختيار لقراءة من القراءات المسموعة المسندة، ولكنه كان اختيارا فيه من التعصب والحمية والولاء، بحيث يكون ملغيًا للاختيارات الأخرى، وهي كلها مسموعة ذات سند.

فهذه إذاً مرحلة جديدة في توثيق النص القرآني أصبحت الحاجة ماسة فيها إلى جمع القرآن كله وتدوينه وعدم الاكتفاء بحفظه، قال الإمام الزركشي : " فحين وقع الخوف من نسيان الخلق حدث ما لم يكن، فَأُحْدِثَ بضبطه ما لم يحتج إليه قبل ذلك(١)".

ولا بد أن نذكر أن توثيقه بواسطة الحفظ قد استمر بعد وفاة الرسول ﷺ أيضا، بل لا يزال ذلك قائما على أيامنا هذه، مما يدل على أن وسيلة الحفظ في الصدور قد حافظت على قيمتها وأهميتها. وتذكر بعض الدراسات أن ممن أتم حفظ القرآن بعد

---

(١) البرهان، ج١ / ٢٣٨ .

وفاة الرسول ﷺ من المهاجرين : سالم مولى أبي حذيفة، وأبو بكر الصديق، وعمر ابن الخطاب، وحذيفة بن اليمان، وطلحة، وسعد،وعمرو بن العاص، وأبو هريرة، ومعاوية وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وابن الزبير، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة. ومن الأنصار : مجمع بن حارثة، وأبو زيد، وأنس بن مالك(١).

ولا بد من الإشارة أيضا إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب قد أدى دورا مهمًا في تعليم قراءة القرآن للداخلين في الإسلام بعد الفتوح، فكان يختار من الصحابة من يرسلهم لإقراء الناس في الأمصار، فبعث منهم : عبد الله بن مسعود إلى الكوفة، وعبد الرحمن بن ملجم إلى مصر، ومعاذ بن جبل إلى فلسطين، وعبادة بن الصامت إلى حمص، وأبا الدرداء إلى دمشق(٢).

هناك جمعان كتابيان مهمان في هذه المرحلة هما : جمع أبي بكر الصديق، وجمع عثمان بن عفان رضي الله عنهما، ولكن هناك أيضا بعض الروايات تذكر أن بعض الصحابة كان لهم جمع خاص اشتهر، ربما كان سابقا على جمعي الخليفتين:

- **أولها** : ما نسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه من جمعه للقرآن كتابة في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته. وقد قيل : إنه ليأتيه الرجل فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه(٣).

وثمة رواية أخرى عن عليّ رضي الله عنه أيضا تشير إلى أنه جمع القرآن عقب وفاة الرسول ﷺ مباشرة، وأن ذلك الأمر قد شغله عن بيعة أبي بكر، فقد روى ابن أبي داود السجستاني بسند عن ابن سيرين أنه قال : " لما توفي النبي ﷺ أقسم عليّ أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل، فأرسل إليه أبو بكر

---

(١) انظر : تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص ٨٢ .
(٢) انظر : الاحتجاج للقراءات الشواذ، مرجع سابق، ص ٢٧ ، ٢٨ .
(٣) انظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٤٠ .

بعد أيام : أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال : لا والله، إلا أنني أقسمت ألا أرتدي برداء إلا لجمعة، فبايعه ثم رجع[١]".

فهذا نص يشير إشارة واضحة إلى جمع عليّ رضي الله عنه للقرآن كتابة، ولكنه نص مطعون في صحته لأمرين اثنين على الأقل:

الأول : أن تعليق عبارة "في مصحف" بالجمع تعليق لم يقل به إلا أشعث، وهو ليّن الحديث - كما يقال - ومن ثم فإن أغلب الظن من قوله "حتى يجمع القرآن" يعني: حتى يتمّ حفظه[٢].

الثاني : أن عليّا نفسه صرح أن أول من جمع القرآن كلّه كتَابَةً هو أبو بكر الصديق، قال "أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع بين اللَّوْحَيْن[٣]".

ومما لا شك فيه أن غلاة الشيعة كانوا وراء الترويج لجمع عليّ وبعض أهل البيت للقرآن في مصاحف[٤].

- ثانيها : ما نسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جمعه للقرآن أيضا، فعن ابن أبي داود السجستاني بسند عن الحسين[٥] "أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل : كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال : إنا لله، وأمر بالقرآن

---

(١) المصاحف، ص ١٦ .

(٢) انظر : المصاحف، ص ١٦، والحديث في الإتقان للسيوطي (ج١ / ٧٧) من غير عبارة "في المصاحف" ونصه : قال علي : لما مات رسول ﷺ آليت أن لا آخذ على ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعته."

(٣) المصاحف، ص ١١ .

(٤) انظر رأي أبي علي الفارسي في كتاب : الصاحبي في فقه اللغة، مطبعة البابى الحلبي، مصر ١٩٧٧، ص ٣٢٦، وانظر الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٤٠، ٣٢٠ - ٣٢٢ .

(٥) في بعض المراجع، "الحسن" ولعله الحسن البصري، انظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص٤١ .

فَجُمِعَ، وكان أول من جمعه في المصحف[١]" غير أن هذا الحديث منقطع كما يقول السيوطي[٢] فيما نقله عن ابن حجر.

وعن بعض الدارسين ـ وهذا أرجح ـ أن ما نسب إلى عمر من جمع ملحق بجمع أبي بكر لا يخرج عنه[٣]. ومما يؤكد ذلك أن بعض العبارات أوردها السجستاني في كتاب "المصاحف" منسوبة مرة لعمر في موضع، ومنسوبة أخرى ـ في موضع آخر ـ لأبي بكر، وهو ما يدل على أن الروايتين رواية واحدة وأن الجمعين جمع واحد، من تلك العبارات :

(أ) عبارة "كان أول من جمعه في مصحف"، فهي تكاد تكون عبارة علي ابن أبي طالب السابقة في أبي بكر وهي "هو أول من جمع بين اللوحين".

(ب) عبارة نسبت لعمر هي قوله " إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوه[٤] بلغة مضر، فإن القرآن نزل على رجل من مضر[٥]". فهذه تتكرر في الجمع البكري ـ كما سوف نرى ـ بالألفاظ نفسها تقريبا، ومنسُوبة لأبي بكر.

والثابت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له دور كبير في الجمع البكري، ومن ثم لا يبعد أن يكون ذلك وراء نسبة تلك العبارات إليه وخصه بجمع للقرآن.

ـ **وثالثها** : ما نسب لسالم مولى أبي حذيفة، واعتبره السيوطي غريبًا في باب أول من جمع القرآن[٦]، حيث روى عن ابن بريدة قوله : "أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة، أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه فجمعه[٧]..." والثابت أن سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه قد قُتل يوم اليمامة[٨] بُعَيْدَ وفاة

---

(١) المصاحف، ص ١٦، وانظر : الإتقان ج١/ ٧٧.
(٢) انظر الإتقان ج١/ ٧٧.
(٣) انظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٤٢.
(٤) في المصاحف : فاكتبوها، والأصح ما أثبتناه لعودة الهاء على القرآن لا على اللغة.
(٥) المصاحف، ص ١٧.
(٦) انظر : الإتقان ج١/ ٧٧.
(٧) نفسه، ج١/ ٧٧.
(٨) انظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٤٣ عن : روح المعاني، للألوسي.

الرسول ﷺ، ومن ثم فقد أحاط شك بهذه الرواية، ووُصِفَتْ بالمنقطعة أيضا[1] ولعل تشابه عبارة ابن بريدة هذه وعبارة ابن سيرين السابقة في عليّ بن أبي طالب يزيد من هذا الشك من جهة ويؤكد على أن العبارتين عبارة واحدة من جهة ثانية.

فهؤلاء ثلاثة ممن صاحب الرسول ﷺ وعايش خليفته أبا بكر، قيل إنهم جمعوا القرآن في مصاحف، غير أن جمعهم مطعون فيه كما أوضحنا أو أن ذلك الجمع لا يعدو إلا أن يكون ملحقا بجمع أبي بكر، فما هو هذا الجمع البكري؟.

ثانيا : جمع أبي بكر :

هو أهم جمع كتابي للقرآن الكريم لثلاثة أمور مهمّة هي :

(أ) أنه شمل القرآن كلّه مرتّبًا كما عُرِفَ عن النبي ﷺ في سوره.

(ب) كونه جاء في مرحلة دقيقة وحرجة للغاية، وهي المرحلة التي تلت وفاة الرسول ﷺ مباشرة، حدثت فيها ردّة كبيرة وصراعات كان نتيجتها موتُ خَلْقٍ كثيرين من بينهم عدد كبير من حفظة القرآن الكريم وقرائه الأمناء عليه، وقد كان هلاك هؤلاء والخوف من موت ما تبقى من أمناء القرآن أقوى سبب بَرَّرَ به الخليفتان أبو بكر وعمر إقدامهما على هذا الجمع بعد أن اقتنع بذلك بقية الصحابة[2].

(جـ) وهو مهم أيضا لكونه قد عُوِّلَ عليه بدرجة كبيرة جدًّا، فيما تلاه من جمع، ونعني به جمع عثمان رضي الله عنه.

عن زيد بن ثابت كاتب الوحي للرسول ﷺ قال : "أرسل إليّ أبو بكر مقتل[3] أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده.

---

(١) انظر : الجمع الصوتي، ص ٤٣، والإتقان ج١ / ٧٧ .

(٢) إنا لنشبه بهذا ما صدر مرارا من دعوات في الجزائر لإعادة كتابة تاريخ الثورة من أفواه المجاهدين قبل التحاقهم بالرفيق الأعلى.

(٣) مقتل : ظرف زمان، والمعنى : بعد يوم مقتل أهل اليمامة، واليمامة : معركة بين المسلمين أيام أبي بكر وبين مسيلمة الكذاب، وقعت سنة ١٢ هـ، وكان قائد المسلمين فيها خالد ابن الوليد.

- قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرّ[1] يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل - بالقراء - بالمواطن[2] فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

- قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

- قال عمر : هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

- قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

قال (أبو بكر) : هو والله خير.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال[3]، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري[4] لم أجدها مع

---

(١) استحرّ : اشتد، وفي "المقنع" لأبي عمرو الداني : "أسرع" بدل "استحر". انظر : طبعة دار الفكر، دمشق ١٩٨٣، ص ٣ .

(٢) المواطن : الأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفار.

(٣) في رواية : "من الصحف والعسب واللخاف، وصدور الرجال" بزيادة "الصحف" انظر المصاحف ص ١٣، وفي أخرى : "من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال" بزيادة "الرقاع". انظر : المصاحف ص ١٤ .
وفي أخرى "من الأكتاف والأقتاب والعسب، وصدور الرجال" بزيادة "الأكتاف والأقتاب" انظر المصاحف ص ١٥ .

(٤) سورة التوبة، الآية ١٢٨، وفي رواية : أن الذي فُقِدَ هو ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الأحزاب٢٣ . انظر: المصاحف ص ١٤ .

أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة [فألحقتها في سورتها]، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه(١)".

ولعل أهم ما نخرج به من هذا النص السابق أن ثبوت الجمع الكتابي الكامل للقرآن مؤكد، وأنه قد حصل باتفاق الخليفتين وزيد بن ثابت على أن ذلك "خير" من أن يترك القرآن دونه لعدة عوامل ـ ذكرنا بعضها ـ خاصة منها ما لحق قراءه من هلاك يوم اليمامة(٢).

ـ فيم جمع ؟

الأرجح أن زيد بن ثابت قد جمع القرآن في صحائف دون سواها مما كان قد استعمل في الكتبة الأولى على عهد الرسول ﷺ كما تذكر بعض الروايات(٣)، قال ابن حجر العسقلاني : "إنما كان في الأديم والعسب أولا قبل أن يجمع في عهد أبي بكر، ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة(٤)"، وهو رأي يتفق مع ما ذكره ابن الجزري حيث قال : إن أبا بكر "أمر زيد ابن ثابت بتتبع القرآن وجمعه، فجمعه في صحف(٥)..." وروى السيوطي عن ابن شهاب أنه "لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في المصحف(١)".

---

(١) صحيح البخاري، ج٣/ ٣٢١ ، ٣٢٢، وانظر أيضا : أ ـ المصاحف : ص ١٢ ـ ١٥، ب ـ مقدمتان في علوم القرآن، ص ١٨ . جـ ـ البرهان ج١/ ١٣٣ ، ١٣٤، د ـ الفهرست ص ١٢١ ،١٢٢ . هـ ـ المقنع في رسم المصاحف، ص ٤ ـ ٥ . و ـ تاريخ القرآن، ص ٤٠ ، ٤١ . ز ـ الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) قيل : قتل من القراء يومها سبعون، وقيل : سبعمائة : انظر : الفرقان، ابن الخطيب محمد عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٤ .

(٣) من ذلك ما ذكره الدكتور شوقي ضيف حيث قال : "وكتبه زيد ومن أسهموا معه في هذا العمل الجليل في قطع الآدم وغيرها"، انظر : مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٠ .

(٤) الإتقان، ج١/ ٧٨ . (٥) النشر، ج١/ ٧ . (٦) الإتقان ج١/ ٧٢ .

فهذا قول يؤكد على أن الجمع كان "في الورق" فقط، وأن ما كان قبل ذلك منه -على عهد الرسول- هو الذي تنوّعت مواد ما كان يكتب عليه، وهو ما تدل عليه عبارة "معهم وعندهم" فكلمة "معهم" تعني: ما كتب عليه القرآن من الأكتاف والعسب واللخاف والأقتاب والأضلاع مما كان لا سبيل إلى دسّه وإخفائه، وكلمة "عندهم" تعني: ما كتب عليه من الرقاع وقطع الأديم والكاغد والقماش والورق مما يمكن طيه ودسّه وحمله.

وتلاحظ أن ابن شهاب في هذا النص -السابق- يصرح أن جمع أبي بكر كان "في المصحف"، وإنما هي صحف كثيرة جمعت وضمت إلى بعضها فكانت قراطيس وهو ما نص عليه ابن شهاب نفسه فيما رواه عن سالم بن عبد الله بن عمر من أن أبا بكر جمع القرآن في قراطيس[١]، أي في صحف[٢]، أو أوراق منفصلة عن بعضها وليست في شكل الكتاب الذي نعرفه اليوم، وإنما جاز تسميتها بالمصحف لأنها كانت تحاط بعد جمعها بدفتين من الورق المقوى أو غيره مما كان قويا كالألواح[٣]، وإلى هذا المعنى أشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حديثه السابق عن أول جامع للقرآن حين قال عن أبي بكر: "هو أول من جمع بين اللوحين[٤]".

وهناك دليل آخر أكثر أهمية ودلالة على أن جمع أبي بكر هو جمع في صحف لا مصحف، ذلك هو ما روي عن الخليفة عثمان رضي الله عنه لما بعث -فيما بعد- إلى حفصة ابنة عمر وزوج الرسول ﷺ والأمينة على جمع أبي بكر حيث قال لها: "أن ارسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك[٥]". وزاد عثمان

---

(١) انظر: الإتقان، ج ١/ ٧٨.

(٢) في لسان العرب أن القرطاس هو الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها، وأن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام ٧]. معناه: في صحيفة، وكذلك قوله ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ [الأنعام ٩١]: في صحف. انظر: ج٥/ ٣٥٩٢، مادة قرطس.

(٣) انظر معنى المصحف في: لسان العرب ج٤/ ٢٤٠٤ مادة "صحف".

(٤) المصاحف، ص ١١.

(٥) النشر ج١/ ٧، والمصاحف، ص ٢٦، وانظر: معجم القراءات ج١/ ١١.

رضي الله عنه في تأكيد ذلك بأن قال لمن ولا هم أمر النسخ: "أن انسخوا الصحف في المصاحف[1]". وفي البرهان للزركشي: "حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة[2]".

ويدعم ذلك أيضا ما أورده السجستاني في كتاب المصاحف من أن عثمان رضي الله عنه عندما أراد نسخ القرآن "أرسل إلى الربعة التي كانت في بيت عمر فيها القرآن[3]". والربعة هي الصندوق الذي حوى الصحف، سمي كذلك لأنه يشبه الربع وهو المنزل أو الدار[4]، والذي نميل إليه أنهم ما كانوا في حاجة إلى "ربعة" لولا كون المجموع من القرآن قد دوّن على صحف مستقلة عن بعضها[5].

والذي نراه ـ بعد هذا ـ أنه لا مانع من تسمية مجموع الصحائف مصحفا ما دامت قد ضُمّ بعضها إلى بعض فأصبح ميسورا حفظها وحملها، فإن وجودها على تلك الحال هو الذي رخص لهم تسميتها باسم "المصحف" بعد أن اكتمل جمع القرآن في الورق وربط، عن ابن شهاب قال: "لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسما، فقال بعضهم: السِّفْرُ، وقال بعضهم: المُصْحَفُ، فإن الحبشة يسمونه المصحف[6]...".

ويجوز تسمية الصحيفة الواحدة مصحفا كما جاز تسمية الكتاب صحيفة، ومما يدل على ذلك أن الرسول ﷺ نهى "أن يسافر بالمصاحف إلى أرض العدو مخافة أن ينالوها[7]." فإذا علمت أنه لم تكن في عهده ﷺ مصاحفُ بالمعنى المتعارف عليه أدركت أن المقصود ما هو إلا صحائفُ أو صحفٌ مما كان من الكتبة الأولى.

---

(1) المصاحف، 26. (2) البرهان ج1/236.

(3) المصاحف، ص 33. (4) انظر معنى الربعة في: لسان العرب ج3/1563 مادة "ربع".

(5) وإلى هذا ذهب الشيخ محمد بخيت المطيعي فيما نقله عن ابن حجر العسقلاني، انظر: الكلمات الحسان، دار الرائد العربي، بيروت 1982، ص 50.

(6) الإتقان، ج1/69، وانظر: خطوط المصاحف، محمد بن سعيد شريفي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 17.

(7) المصاحف، ص 206، وانظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص 68، والواو في "ينالوها" تعود على الأعداء.

إنّ الذي يهم أكثر من هذا كله هو أن الجمع الكتابي الكلي البكري كوسيلة من وسائل توثيق النص القرآني ثبت أنه قد تمّ بعد أن اجتمع رأي أبي بكر ورأي عمر ورأي زيد وبقية الصحابة.

- منهج الجمع

تمّ ذلك وفق منهج واضح ومحدد أعان على وقاية القرآن من كل ما لحق النصوص الأخرى من مظنّة الوضع والانتحال، وعوامل النسيان والضياع[1]. فقد عمد أبو بكر رضي الله عنه إلى جمع الحفظة المشهود لهم بالإتقان، وكان منهم زيد ابن ثابت، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب، وطلحة، وحذيفة بن اليمان، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وأبو موسى الأشعري، فاجتمعوا برئاسة زيد بن ثابت في دار عمر بن الخطاب يتشاورون في طريقة جمعه، ثم أخذوا يجتمعون في المسجد النبوي، وأحضروا كل ما كتبوه بين يدي الرسول ﷺ وبإملائه، وعهدوا إلى بلال بن رباح أن ينادي في المدينة بجمع القطع التي عليها قرآن مكتوب بمحضر الرسول وإملائه، وأمر أبو بكر زيدا أن يكتب القرآن كله على الترتيب[2] الذي تلقاه هو ومن معه من الحفظة عن الرسول ﷺ بنفس الألفاظ، ونفس الحروف، ونفس الصورة في العرضة الأخيرة التي تدارس فيها الرسول القرآن مع جبريل بعد تمامه[3].

وقد تم لزيد بن ثابت ورفاقه من الحفظة ذلك وفق خطة يمكن تلخيصها فيما يلي[4]:

---

(١) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص٣٧ .

(٢) وهو الترتيب الذي عليه القرآن اليوم في سوره وآياته، ويرى بعضهم أن ذلك الجمع كان مرتب الآيات في سورها ومن غير ترتيب السور بعضها إثر بعض، انظر : الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن، الشيخ : محمد بخيت المطيعي، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٢، ص ٥٠ .

(٣) مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٠ .

(٤) انظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٣٧ ، ٣٨ .

١ ـ كان كل من تلقى من الرسول ﷺ شيئا من القرآن يأتي به على أي حرف من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

٢ ـ لا يكتب إلا ما ثبت كتابته بين يدي رسول ﷺ، فلا يعتمد في ذلك على مجرد الحفظ ولكن مع المبالغة في الاستظهار، وما ثبت أنه عُرض على النبي ﷺ عام وفاته دون ما كان مأذونا فيه قبل العرضة الأخيرة.

٣ ـ يتم كتابتهم للآيات والسور على الترتيب والضبط اللذين تلقاهما المسلمون عن رسول الله ﷺ.

٤ ـ لا يقبل من أحد ممن جاء بقرآن حتى يشهد شاهدان، قيل يشهدان بأن المكتوب من القرآن الذي جيء به قد كتب بين يدي رسول ﷺ وعلى مسمع منه[١]، وقيل يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن[٢]، وقيل يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبي ﷺ عام وفاته[٣]، وقيل: المراد بها الكتابة والحفظ[٤].

ومما يلي يدل على حرص اللجنة وتشبثها بمبدأ الشاهدين أن عمر بن الخطاب جاء بآية الرجم "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم[٥]" فلم يكتبها زيد لعدم وجود شاهد ثان، وذلك مبالغة منه في الاحتياط وإدراكه للمهمة العظمى الملقاة على عاتقه، بل أكثر من ذلك لم يكتب آيتي آخر سورة التوبة ـ كما مر ـ مع حفظه هو لذلك حتى جاء بهما أبو خزيمة الأنصاري.

٥ ـ وفوق هذا كان زيد وعمر ـ بأمر من الخليفة أبي بكر ـ يقعدان على باب المسجد يسألان عن صحة ما جُمع حتى يتثبتا تثبتا لا يحسان معه بأي صورة من الشك كيفما كانت درجة بساطتها أو حتى تفاهتها. وقد ذهب بعضهم إلى أن لجنة

---

(١) انظر: الفرقان، لابن الخطيب، ص ٣٦. (٢) انظر: الإتقان، ج١/ ٧٧.

(٣) انظر: الإتقان، ج١/ ٧٨.

(٤) انظر: الإتقان، ج١/ ٧٧، والجمع الصوتي الأول للقرآن ص ٣٨.

(٥) انظر: الفرقان، ص ٣٦، والقراءات الشاذة وتوجيهها النحوي ص ٣٢.

الجمع هذه قد عوّلت كثيرا على ما جمع في عهد الرسول ﷺ، وذلك ما نص عليه الحارث المحاسبي في قوله : "كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، فإنما أمر الصّديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعًا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول ﷺ فيها القرآن منتشرا، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء[١]".

إن زيدا ورفاقه رضي الله عنهم قد اجتهدوا وأخلصوا في ذلك فاستعملوا كل الوسائل الموضوعية المتاحة، وكان غرضهم في ذلك كما قال أبو شامة الدمشقي "أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ، لا من مجرد الحفظ[٢]" فكان أن التقى المحفوظ بالمكتوب في ذلك[٣].

ومما لا شك فيه أن اختيار زيد بن ثابت لرئاسة هذا الجمع قد زاد من كماله وتمام توثيقه لما كان فيه من ميزات حسنة لا تتوفر في غيره، فهو الشاب القادر على تحمل الأعباء - كما وصفه الصديق - وهو الحافظ المجوّد، وهو كاتب الوحي الأمين عليه، وهو الذي حضر العرضة الأخيرة التي استقر عليها نص القرآن، فهو مع كل هذا أهل لهذه المهمة، لا ينافسه فيها أحد.

ثالثا : جمع عثمان

هو عبارة عن توحيد للصحف والمصاحف في مصحف واحد درءاً للاختلافات التي انتشرت على عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلئن كان جمع أبي بكر للقرآن في الصحف بسبب الخوف على ضياع كثير من القرآن بعد موت كثير من حفظته أيام حروب الردة، إن سبب جمع عثمان له في مصحف واحد أو مصاحف عدة كان بنية القضاء على الاختلافات التي شاعت - على أيام خلافته - بين القراء حتى

---

(١) الإتقان، ج١ /٧٨ .　　(٢) الإتقان، ج١ /٧٧ .

(٣) انظر : معجم القراءات ج١ / ١٠ .

بلغ الأمر إلى حد المراء في القرآن، وهو فعل نهى الرسول ﷺ عنه فقال : "ولا تماروا فيه، فإن المراء فيه كفر".

-أسباب الجمع

إن ما حدث من اختلافات بين الصحابة - في العهد النبوي - في القراءة قد لقي إجابة وحلا له بمجرد احتكامهم إلى الرسول ﷺ، أما اختلاف بعضهم وبعض التابعين في الأمر نفسه على عهد الخليفة عثمان فإنه كان بعيدا عن معاينة صاحب الشرع ﷺ، ثم إن كثيرا منهم لم يعلموا بما أبيح من ذلك على أيامه، فوجدت كل فريق أو قارئ يتعصب لقراءة ما وينكر ما عداها مما قرأ به غيره، فأدى ذلك إلى حدوث خصام(١).

وقد تنوعت تلك الاختلافات فكانت تتوزع على :

١ - ألفاظ مختلفة في السمع لا في المعنى كالفتح والإمالة والتفخيم والترقيق، ويعود ذلك حتى إلى أيام الوحي الأولى حيث كان الحفظة يختلفون في بعض الأداء حسب سماعهم من الرسول ﷺ(٢).

٢ - ألفاظ مختلفة في السمع والمعنى، كقراءة "يسيّركم" و"ينشركم" "من قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢] وقراءة "لله" و"للبيت" من قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦](٣).

٣ - ألفاظ أو عبارات مختلفة في الإثبات والحذف، مثل ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل: ٣] التي قرئت أيضا " والذكر والأنثى" بحذف "ما خلق" وهي منسوبة لابن مسعود وأبي الدرداء.

---

(١) انظر ذلك في : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٤٥، وهو رأي أبي مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه : الإبانة عن معاني القراءات.

(٢) انظر : مقدمة كتاب السبعة في القراءات ص ١٠، ١١.

(٣) انظر : المصاحف، ص ١٨.

٤ ـ ألفاظ مختلفة في بعض الحركات، مثل ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]: قرأها حمزة والكسائي بضم الياء في الأولى فعل مبني للمجهول، وفتح الياء في الثانية، فعل مبني للمعلوم، وقرأها بقية السبعة بفتح الياء في الأولى وضمها في الثانية.

٥ ـ ألفاظ مختلفة في بعض الحروف مثل ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] قرأها علي بن أبي طالب "طلع منضود" بالعين بدل الحاء(١).

لقد كانت هذه الأمثلة ونظيرتها مما شاع بين قراء القرآن الكريم في الأقاليم الإسلامية سببا كافيا مقنعا لدفع الخليفة عثمان للإقدام على توحيد مصادر القراءة قطعا لاختلاف الأمة وتوثيقا لنص القرآن وحمايته من التشويه أو التحريف الذي قد يلحقه من جراء تلك الاختلافات التي أصبحت تشكل المدخل إلى المتربصين بالقرآن وأهله خاصة بعد بُعد الزمان عن عهد الرعيل الأول من الصحابة وبعده عن قائدهم وقاضيهم الموحى إليه ﷺ، وذلك هو مضمون قول الإمام ابن حزم: "إنما خشي ـ عثمان رضي الله عنه ـ أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين، أو أن يهمَ واهم فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال، فكتب مصاحف مجتمعا عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفا لكي إن وهم واهم أو بدّل مبدّل رُجع إلى المصحف المجتمع عليه، فانكشف الحق وبطل الكيد والوهم(٢)" وقال أبو عمرو الداني: "وقيل إنما جمع ـ عثمان ـ الصحف في مصحف واحد لما في ذلك من حياطة القرآن وصيانته وجعل المصاحف المختلفة مصحفا واحداً متفقا عليه، وأسقط ما لا يصح من القراءات ولا يثبت من اللغات(٣)".

وقد ثبت أن رجال الجدل المسيحيين اتخذوا ما انفرد به ابن مسعود من زيادات في مصحفه حجة للطعن في صحة القراءة المشهورة(٤).

---

(١) انظر: الجمع الصوتي الأولى للقرآن ص ٤٤، ٤٥.
(٢) الجمع الصوتي الأولى للقرآن، ص ٥٧ عن: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٧٧.
(٣) المقنع، ص ١٢٠.
(٤) انظر: مذاهب التفسير الإسلامي ـ جولد تسيهر، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣، ص ١٦.

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك "أن حذيفة بن اليمان[١] قدم على عثمان بن عفان خليفة المسلمين، في حدود الثلاثين للهجرة[٢] وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد ابن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أنْ يُحْرق[٣]".

وروى بعضهم أن زيد بن ثابت ـ رئيس لجنة النسخ ـ قال : "فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها في المصحف[٤]".

وفي النشر لابن الجزري أن عثمان رضي الله عنه كتب من المصاحف ثمانية "فوجه بمصحف إلى البصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك

---

(١) صحابي مشهور وراو لحديث الرسول ﷺ، شهد أحدا، وولاه عمر بن الخطاب على المدائن في العراق، وكان من الفاتحين الشجعان.

(٢) هذا الذي أثبته ابن الجزري في النشر (ج١ / ٧) موافقة لغيره، وقيل : كان ذلك سنة ٢٥ هـ انظر : الجمع الصوتي، ص ٤٥، وقال ابن حجر : كان ذلك سنة ٢٥ بعد مضي سنتين وثلاثة أشهر من خلافة عثمان. انظر : معجم القراءات ١ / ٦١ .

(٣) صحيح البخاري ج٣ / ٣٢٢ .

(٤) الإتقان ج١ / ٧٩، والمصاحف، ص ٢٦، ٣٧ .

مصحفا بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفا الذي يقال له الإمام[1]"، ووجه بمصحف إلى مكة، وبمصحف إلى اليمن، وبمصحف إلى البحرين[2]" .

وروى الداني ذهاب أكثر العلماء إلى "أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ ... فوجه إلى الكوفة إحداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة[3]" .

ويبدو أن حذيفة بن اليمان كان له الدور الأكبر في : إقدام الخليفة عثمان على نسخ هذه المصاحف بعد ما راج من اختلاف القراء، حيث يروى عنه - إضافة إلى ما ورد في النص السابق - أنه كان يضيق صدره لما كان يسمعه في مساجد العراق من انقسام الناس بين قراءتيْ عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري، فكان يقول : "والله إن بقيت حتى آتي أمير المؤمنين - عثمان - لأمرته بجعلهما قراءة واحدة[4]" ومما زاد في غضبه أكثر أن سمع اثنين اختلفا في سورة البقرة، فقرأ أحدهما : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وقرأ الآخر: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للبيت[5] ﴾ فكان أن سعى

---

(١) كانت صحف أبي بكر - من قبل - قد سميت "المصحف الإمام" وهي أولى بذلك لعلتين: الأولى : لأنها أول ما جمع من القرآن جمع تدوين كامل، والثانية : لأنها قد عوّل عليها في نسخ مصاحف عثمان.
أما تسمية مصحف عثمان "الخاص" بذلك فلأن صاحبه خليفة المسلمين وإمامهم، وأنه ما استشير - مستقبلا - في شيء من القرآن إلا كان ذلك المصحف دليله.
ويجوز تسمية كل مصحف من المصاحف التي نسختها لجنة زيد بن ثابت بإشارة من الخليفة عثمان بالمصحف الإمام، لأن كل مصحف من تلك المصاحف في مصر هو الإمام، والدليل على ذلك أن عثمان لما أراد كتابة ذلك خطب في المهاجرين والأنصار وقال : "اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إماما" (المصاحف ٢٩) فحق أن يكون كل ما كتب بإشارته إماما.

(٢) النشر، ج١ / ٧ . وفي كتاب المصاحف : "كتب سبعة مصاحف" (ص ٤٣) أي أن الذي ترك في المدينة هو نسخة واحدة.

(٣) المقنع، ص ٩، وانظر : البرهان ١ / ٢٤٠، وقد ذكر الدكتور حسن عون أن تلك المصاحف كانت أربعة وجه بواحدة منها إلى مصر، ولم يذكر ذلك غيره، انظر : اللغة والنحو، الطبعة الأولى ١٩٥٢ الإسكندرية ص ٢٠٢ .

(٤) المصاحف، ص ٢٠ .

(٥) انظر : المصاحف، ص ١٨ .

في حث الخليفة على توحيد المصاحف .وقد صادف أنّ عثمان كان وقع له نحو ما وقع لحذيفة من سماع بعض تلك الاختلافات إذ كان "المعلم يعلّم قراءة الرجل، والمعلم يعلّم قراءة الرجل[١] فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون... حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا فقال : أنتم عندي تختلفون فيه .. فمن نأى عنّي من الأمصار أشد فيه اختلافا [٢].. " .

فلما جاءه حذيفة وأعلمه باختلاف الأمصار زاد اقتناعه بأنه لا مناص من توحيد المصاحف فقام في المهاجرين والأنصار خطيبا : "ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول : قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً. قلنا (أي الصحابة) : فما ترى؟ قال : أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف .قلنا : فنعم ما رأيت[٣]" فكان منه ما أراد.

وقد وافقه الصحابة على توحيد المصاحف ورضي الناس به. وقد تم كتابته على ترتيب التلاوة لا على ترتيب النزول[٤]، فزاد بذلك بأن رتب السور بعضها إثر بعض بعد أن جُمعت كلها من طرف لجنة أبي بكر ولكن من غير ترتيب[٥].

وروى ابن أبي داود بإسناد صحيح عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : "أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك ولم ينكر ذلك منهم أحدٌ[٦]" .

وخطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : "يا أيها الناس لا تغلو في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي

---

(١) أي : يعلّم قراءة رجل قارئ آخر غير الأول.
(٢) المصاحف، ص ٢٨ ، ٢٩، وانظر : الجمع الصوتي، ص ٤٦ .
(٣) المصاحف، ص ٣٠ . وانظر : الجمع الصوتي، ص ٤٧ .
(٤) انظر : البرهان، ج ١ /٢٣٧ .
(٥) انظر : الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن، ص ٥٠ .
(٦) المصاحف، ص ١٩ .

فعل في المصاحف إلا عن ملإٍ منّا جميعا"[١] وروي عنه أنه قال لما حرق عثمان المصاحف "لو لم يصنعه عثمان لصنعته[٢]" .

ونسب إلى عبد الرحمن بن مهدي أنه قال : خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا عمر :صَبْرُه نفسه حتى قُتِل مظلومًا، وجمعه الناس على المصحف[٣]" .

وقال الإمام الزركشي مثنيا على فعل عثمان : "وفي الجملة إنه إمام عدل غير معاند ولا طاعن في التنزيل، ولم يحرق إلا ما يجب إحراقه، ولذا لم ينكر عليه أحد ذلك، بل رضوه وعدّوه من مناقبه[٤]" .

لقد توّج رضى عبد الله بن مسعود رضى الجميع على فعل عثمان في المصاحف، وذلك على الرغم مما مسّه بخصوص هذا الأمر حيث استبعد من الجمع أولا ثم أحرق مصحفه، ولكنه عاد بعد جفاء وإصرار ليعلن رضاه بفعل عثمان الذي وافقه عليه الصحابة، وقد علل ابن مسعود رضاه بعمل عثمان بكون الكتب المقدسة قبل القرآن قد نزلت على حرف واحد أو باب واحد[٥] .

ـ منهج الجمع

ويمكن تلخيص منهج لجنة نسخ المصاحف العثمانية كما يلي :

١ ـ الاعتماد على جمع أبي بكر السابق، وهو الجمع الذي اعتمد على ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ أو بموافقة منه، وقد أوضحنا ذلك.

٢ ـ يتم النسخ بتعاهد الخليفة عثمان للجنة[٦] ، حيث كان رضي الله عنه يراجع ما يكتبونه كلمة كلمة وحرفا حرفا، ويصلح ما فاتهم سهوا[٧] . ومما راجعه وصححه "لم يتسن" جعلها ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ، و" أمهل الكافرين" : جعلها ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ [الطارق : ١٧][٨] .

---

(١) المصاحف، ص ٣٠ .
(٢) نفسه، ص ١٩ .
(٣) نفسه، ص ١٩ .
(٤) البرهان، ج١/ ٢٤٠ .
(٥) انظر : المصاحف، ص ٢٥ .
(٦) انظر : الإتقان ج١ /٧٩ .
(٧) انظر : الفرقان، ص ٤٠ .
(٨) انظر : الفرقان، ص ٤٠ .

٣ - إذا اختلفوا في آية تركوا لها مكانا حتى يشهد من هو أعلم بها، روى السيوطي عن أنس بن مالك بسند، قال : "فكانوا إذا اختلفوا وتدارءوا[١] في أي آية قالوا : هذه أقرأها رسول الله ﷺ فلانا، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث[٢] من المدينة، فيقال له : كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيقول : كذا وكذا، فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكانا[٣]".

٤ - يقتصر عند اختلاف أعضاء اللجنة على لغة قريش - كما مر في حديث سابق - من ذلك اختلافهم في ﴿التَّابُوتُ﴾ [البقرة : ٢٤٨] و"التابوه"، فقال النفر القرشيون : التابوت، وقال زيد : التابوه، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوه : التابوت، فإنه بلسان قريش[٤].

٥ - تحتاط اللجنة في الألفاظ المتواتر نطقها على أكثر من وجه فتبقيه خاليا من أي علامة مثل كلمة "ملك" في سورة الفاتحة التي جردت من الألف لتواتر قراءتها بها وبدونها. وقد جردت المصاحف العثمانية جميعها - التي نسختها اللجنة - من الشكل والإعجام للغاية نفسها، أما إذا كان الاختلاف المتواتر في غير ما كانت صورة رسمه واحدة، فإن اللجنة تكتبه برسم في مصحف وبالرسم الآخر في مصحف آخر[٥].

٦ - يمنع كتابة ما نسخت تلاوته، وما لم يكن في العرضة الأخيرة، وما كانت روايته آحادا، وما لم تعلم قرآنيته كالشروح التي كان بعض الصحابة يكتبونها مختلطة بالقرآن.

---

(١) تدارءوا : تدافعوا واختلفوا (٢) على رأس ثلاث : أي ثلاث ليال.

(٣) الإتقان : ج١/ ٧٩، وانظر : المقنع ص ٧٠، وفيه أنه "يجاء به" فيشهد أمام اللجنة. وانظر: المصاحف ص ٢٩ .

(٤) انظر المصاحف، ص ٢٦ .

(٥) أحصي من ذلك فيما سمي باختلاف مرسوم المصاحف العثمانية تسعة وأربعون (٤٩) حالة، انظر : القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني، ص٩٢ .

٧ - تراعي اللجنة في ترتيب السور والآيات ما كان قد روعي في جمع أبي بكر وثبت أنه منقول عن الرسول الله ﷺ فيما كان يكتب بين يديه.

٨ - بعد الفراغ من كتابة المصحف يراجعه زيد بن ثابت رئيس اللجنة ثم يراجعه عثمان خليفة المسلمين نفسه قبل حمل الناس عليه.

وهذه جميعها خطوات فيها جهد كبير - كما ترى - وهي على درجة عالية من الدقة والحيطة.

ثم إن أمير المؤمنين - بعد هذا - قد قام بتعيين فئة من المقرئين المجوّدين صَاحَبَ كل واحد منهم المصحف المرسل إلى مَصْرٍ من الأمصار[١]، فأرسل إلى مكة المكرمة عبد الله بن السائب المخزومي، وأرسل إلى الكوفة أبا عبد الرحمن السلمي، وأرسل إلى البصرة عامر بن عبد قيس، وأرسل إلى الشام المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، واستبقى في المدينة زيد بن ثابت.

وقد أقرأ هؤلاء أهلَ الأمصار بما في مصحفهم كما تلقوه هم من الصحابة الذين تلقوه هم بدورهم عن الرسول ﷺ مشافهة[٢].

وقد كانت الغاية المثلى من هذا التوثيق : كما علمت - جمع الناس على المتواتر من القرآن وترك ما كان غير ذلك مما كان في مصاحف بعض الصحابة على وجه خاص، وكذلك ما كان في بعض الصحف الأخرى سواء كانت مملوكة لشخص معين أو كانت غير ذلك، ولعل تلك المصاحف التي كانت تتداول في العراق بالكوفة والبصرة كانت أقربها جميعا إلى دفع أمير المؤمنين عثمان إلى توحيد المصحف بعدما بلغه من أمر اختلافها، وقد كان أكثر تلك الاختلافات مصدرها مصحفا عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري.

---

(١) انظر : تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص ٨٣ .
(٢) انظر : النشر في القراءات العشر، ج١ /٨ .

- شيوع مصاحف خاصة

إن انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وما استجد بعد ذلك من ظروف قد نتج عنه عوامل جعلت بعض الصحابة يكتبون لأنفسهم مصاحف خاصة، من تلك العوامل نذكر عاملين هما :

(أ) خوف الصحابة من ضياع القرآن بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وحدوث ما حدث من ردّة بعد ذلك أشعلت حروبا قتل فيها خلق كثير خاصة من حفظة القرآن الكريم.

(ب) إقتداء الصحابة وبعض التابعين بما قام به الخليفة أبو بكر وصحبه عمر ابن الخطاب، فألفيت كل من توفرت له إمكانيات الجمع إلا وقام به، خاصة من كُتّاب الوحي الذين كانوا يكتبون لرسول الله ﷺ(١).

وكان بعضهم قد كتب لنفسه مصحفا بدعوى أنه أولى بذلك من غيره وهو ما نسب لابن مسعود، أو بدعوى أخرى مبطنة كما قيل في جمع علي وعائشة رضي الله عنهما، فقد قيل إن ابن مسعود أنكر - في بادئ الأمر - جمع القرآن على حرف زيد بن ثابت(٢) بدعوى أنه أولى منه بالجمع وأنه أعلم بالقرآن حفظا، فقد قيل إنه حفظ منه سبعين سورة وزيد لا يزال طفلا صغيرا، وأنه أعلم من غيره بمناسبات نزوله ومواضعه وأوقاته(٣). وأما ما نسب لعلي وعائشة من دعوى مبطنة فإنها دعوى لا تخرج عن كونهما من أهل البيت وعدم رضاهما على بيعة أبي بكر في بادئ الأمر ثم تشبثهما بمحفوظهما من القرآن قبل العرضة الأخيرة. ونحن لا نستبعد أن يكون غلاة الشيعة وراء هذه الدعوات جميعا، ومما يدل على ذلك أنهم ظلوا متمسكين

---

(١) ذكر ابن أبي داود واحدا وعشرين مصحفا للصحابة والتابعين. انظر : المصاحف، ص ٦٠ وما بعدها.

(٢) نسب إلى الخليفة عثمان أنه قال : "إني رأيت أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت ثم أبعث بها إلى الأمصار." انظر : مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٠ .

(٣) انظر : المصاحف، ص ٢١، ٢٣، ٢٤ .

بمصحف ابن مسعود وفضلوه على المصحف العثماني، ومن طريف ما يروى في هذا الإطار "أن الشيعي الإمامي كان إذا حلف قال : إنني إذا نقضت يميني وقعت في كذا وكذا من الآثام، وأدخلت في القرآن ما لم يثبته ابن مسعود[١]" وتذكر بعض الدراسات أنه قد بقي بأيدي الشيعة مصاحف يقولون "إنها بخط عليّ أو بعض أبنائه أو أحد أهل البيت[٢]".

إن مصاحف الصحابة بما احتوت عليه من اختلافات بينة توحي بأن الأصل الذي اعتمد في نسخها لم يكن جمع أبي بكر كما كان أصل جمع عثمان، بل الأصل فيها ما كان قبل العرضة الأخيرة بما في ذلك بعض المنسوخ من القرآن أو بعض الشروح والإيضاحات، وقد أكد على ذلك بعض الدارسين فقال : "وأما ما روي من اختلاف مصاحف الصحابة عن المصحف العثماني، فمن أسبابه أنه لم يبلغهم النسخ، فاستمروا في كتابته وقراءته قبل المصاحف العثمانية وإجماع الصحابة عليها[٣]".

والأرجح أن تلك المصاحف قد ألفت بعد الجمع البكري، وليس قبل ذلك[٤]، إنما الذي كان قبل ذلك هو عبارة عن تأليفات مبتورة في صحف لا مصاحف، ونحسب أن تلك المصاحف لو اعتمدت على جمع أبي بكر لانتفت فيها تلك الاختلافات الكثيرة التي من أمثلتها :

- أنّ أبيّ بن كعب قرأ في سورة النساء (الآية ٢٤) : ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾ بزيادة "إلى أجل مسمى"، وقرأ من سورة البقرة (الآية ٢٢٦) : "للذين يقسمون" بدل ﴿**لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ**﴾.

- وأن ابن مسعود قرأ في سورة النساء (الآية ٤٠) : " إن الله لا يظلم مثقال نملة

---

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٣٢٠ . (٢) نفسه، ص ٣٢٢ .

(٣) القراءات واللهجات، مرجع سابق، ص ٤٢ .

(٤) ذهب بعضهم إلى أن تأليف تلك المصاحف كان في عهد الرسول ﷺ. انظر : القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص ٢٤ .

" بدل ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، وقرأ في سورة آل عمران (الآية ٤٣) : "واركعي واسجدي في الساجدين" بدل ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، وقرأ في سورة البقرة (الآية ١٠٦) : "وما ننسك من آية أو ننسخها" بدل ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ وقرأ في سورة العصر (الآية ٢) : " إن الإنسان لفي خسر وإنه فيه إلى آخر الدهر" بزيادة "وإنه فيه إلى آخر الدهر".

- وأن ابن عباس قرأ في سورة البقرة (الآية ١٣٧) : "فإن آمنوا بالذي آمنتم به فقد اهتدوا " بدل ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾ وذلك على القراءة بالمعنى لاعتقاده أنه لايجوز أن نقول "مثل" لأن الله ليس له مثل، وقرأ أيضا في سورة البقرة (الآية ٢٣٨) : "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر" بزيادة "وصلاة العصر[1] ".

فهذه نماذج لتلك الاختلافات ذكرناها هنا على سبيل التمثيل لا الحصر، فقد وجدت أمثلة كثيرة شبيهة بها في مصاحف بقية الصحابة والتابعين، ولا يبعد أن يكون معظم تلك الاختلافات - كما توضحه الأمثلة السابقة - أن يكون من باب التفسير والإيضاح، أو مما كان قبل العرضة الأخيرة.

ومع كون تلك المصاحف مصاحف خاصة بأصحابها من الصحابة وبعض التابعين إلا أنها تركت انطباعا سيئا، بل إنها ألحقت ضررا بأهل القرآن واعتبرت نقطة سوداء باتخاذها منحى معاكسا لتوثيق النص القرآني، ولكن قيام أمير المؤمنين عثمان بتوحيد المصاحف قطع دابرها ووضع حدًا لها، ورأب صدع الأمة ولمّ شملها وجمعها على ما تواتر من الأحرف واشتهر، وهو الذي ضمنته العرضة الأخيرة وصح عن رسول الله ﷺ واستفاض[2]. وقد ساعده على ذلك اجتماع رأي الأمة وتفهم الصحابة والتابعين ممن كان لهم مصحف خاص فسلموه له لإتلافه بعد أن تبين لهم أن فعل الخليفة حق وهو أولى بالاتباع.

---

(١) انظر : الفرقان، ص ١٠٦ وما بعدها.

(٢) انظر : منجد المقرئين، ص ١١١ .

ـ ما الذي حوته المصاحف العثمانية من الأحرف السبعة؟

لقد اختلف علماء القراءات في ما الذي حواه المصحف العثماني المنسوخ من القراءات التي كان الناس يقرؤون بها قبله فانقسموا إلى قسمين[1].

(أ) القسم الأول : يرى أن المصاحف العثمانية ضمت الأحرف السبعة كلها بدليل:

١ ـ أنه لا يتصور اجتماع الصحابة على ترك قراءة قبض رسول الله ﷺ عليها.

٢ ـ أن المصاحف العثمانية منسوخة من مصحف الصديق وهي قد حوت ما استقر في العرضة الأخيرة.

٣ ـ أن عثمان لا يقدر على فرض حرف واحد دون الستة الباقية لتعدد القراء في الأمصار.

٤ ـ أنه لم يرد في خبر صحيح أن عثمان أمر كُتَّاب المصاحف أن يقتصروا على حرف واحد.

٥ ـ أن في المصاحف العثمانية اختلافات كثيرة مما يدل على أنها لم تكتب بحرف واحد فقط.

(ب) القسم الثاني : يرى أن المصاحف العثمانية احتوت على حرف واحد بدليل:

١ ـ أن الأمر بالأحرف السبعة لم يكن أمر وجوب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة.

٢ ـ أنه كان يلزم لكتابة المصحف بالأحرف السبعة أن يكتب على سبع قراءات.

٣ ـ أن عثمان قد اقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم، وأن التوسعة في القراءة بغير لغتهم كانت رفعا للحرج والمشقة في أول الأمر فقط.

---

(١) انظر : الاحتجاج للقراءات الشواذ، ص ٣٨ ـ ٤١ .

٤ ـ إذا قيل : إن المصاحف العثمانية محتوية على الأحرف السبعة، كان ما خالف الرسم يقطع بأنه ليس من الأحرف السبعة، وهذا قول محظور لأن كثيرا مما خالف الرسم قد صح عن الصحابة عن النبي ﷺ .

وقد وصف ابن الجزري قضية اشتمال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة أو عدم اشتمالها عليها كلها بأن تلك "مسألة كبيرة اختلف العلماء فيه[١]" ويمكن تلخيص ما انتهى إليه ابن الجزري ـ في هذا الأمر ـ في ثلاث فرق[٢] .

(أ) ذهاب جماعات من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة .

(ب) ذهاب بعض العلماء والأئمة إلى أن هذه المصاحف مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة .

(جـ) ذهاب بعض العلماء منهم محمد بن جرير الطبري إلى أن تلك المصاحف مشتملة على حرف واحد هو حرف قريش، أما الترخيص في الأحرف السبعة فكان في بداية الإسلام .

وبعد، فهكذا كان توثيق نص القرآن الكريم، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، صانه الله تعالى فقال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ، وصانه رسوله الله ﷺ التزاما بأمر ربه في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧] وقوله ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وصانه الصحابة في حياته ﷺ فحفروه في صدورهم وخطوه في صحائفهم، واحتضنوه من بعده فدوّنوه مجتمعا كله في مصاحف اعتمدوا فيها على الأصل المسموع من في رسول الله ﷺ الذي ثبت في العرضة الأخيرة .

---

(١) النشر في القراءات العشر، ج١ / ٣١ . (٢) انظر : النشر، ج١ / ٣١ـ٣٣ .

وقد أجمع بعد ذلك على مبدأ عصمة النص القرآني من الزيغ والعبث والأهواء مثل ما حدث لبعض النصوص الأخرى المقدسة، وقد أيقن الباحثون أن النص الذي تنزل به جبريل الأمين على النبي ﷺ هو النص عينه الذي قرأه الناس في القرون الخالية، وهو النص الذي يقرؤه الناس اليوم أيضا.

ومع أن كثيرا من الباحثين الغربيين تناولوا بالتحليل والنقد سلامة النصوص المقدسة، وجزموا بتحريف كثير منها، غير أنهم لم يطالوا سلامة النص القرآني إلا ما كان من بعض أصحاب الهوى الذين لم يجدوا من يهتم بأقوالهم وأفكارهم التي تفتقر إلى أدنى درجات التحقيق العلمي، ولعل أبرز مثال على سلامة النص القرآني عند هؤلاء هي تلك الصورة التي رسمها "موريس بوكاي" المفكر الفرنسي في دراسة بعنوان : "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" انتهى فيها إلى إثبات التحريف في التوراة والإنجيل، وسلامة القرآن من أي تحريف أو تبديل أو تغيير نتيجة توثيقه من خلال تلك الوسائل والكيفيات التي عرضنا لها فيما سبق. ولقد أدت نتائج هذه الدراسة، وثبوت توافق القرآن مع المعطيات العلمية الحديثة إلى إعلان صاحب الدراسة (موريس بوكاي) إسلامه في نهاية المطاف سنة ١٩٨٣ [١].

ولا شك أن إشاراتنا العابرة فيما سبق إلى الأحرف السبعة قد نبّه إلى قضية مهمة تستحق وقفة منا لتوضيح ذلك، فما هي قصة هذه الأحرف السبعة؟ وما علاقة القراءات القرآنية بها؟ ذلك هو مدار حديثنا في الفصل الثالث.

---

(١) انظر : القراءات المتواترة : ص ٢٤ ، ٢٥ .

الفصل الثالث
الأحرف السبعة وتعدد القراءات

ارتبطت القراءات القرآنية ارتباطا وثيقا بـ "الأحرف السبعة" التي ذكرت في حديث شريف، فمَن قائل : إن القراءات هي تلك الأحرف، ومن قائل : إن تعدد القراءات سببه الأحرف السبعة، بل ذهب بعضهم إلى القول : إن الأحرف السبعة المذكورة في الحديث هي القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد على رأس المائة الرابعة! فما هي حقيقة ذلك كله؟

أولا : نص حديث الأحرف السبعة

الغرض من محاولتنا الإحاطة بنص حديث الأحرف السبعة ورواياته وطرقه هوالوقوف على ما لذلك من أهمية حين مقابلته بما فسّر به - فيما سوف نوضحه لاحقا - من الأقوال الكثيرة المختلفة التي يقف المرء أمامها حائرا لما انطوت عليه من اختلافات أواتجاهات متباينة بشكل كبير.

لا بد من الإقرار أولا أن هذا الحديث صحيح الإسناد تواتر نقله عن رسول الله ﷺ، كما نص على ذلك أبوعبيد القاسم بن سلام[١]. وقد تعددت طرق رواياته كما صرح بذلك أكثر من واحد، منهم ابن الجزري الذي قال : "وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك، فرويناه من حديث عمر ابن الخطاب، وهشام بن حكيم بن حزام، وعبد الرحمن بن عوف، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وأبي بكرة، وعمروبن العاص، وزيد بن أرقم، وأنس ابن مالك، وسمرة بن جندب، وعمر بن أبي سلمة، وأبي جهيم، وأبي طلحة الأنصاري، وأم[٢] أيوب الأنصارية [امرأة أبي أيوب الأنصاري] رضي الله عنهم.

---

(١) انظر: النشر جـ١ / ٢١

(٢) في: الإتقان جـ١ / ٦١ "أبي أيوب"، وانظر: معجم القراءات القرآنية ١ / ٦٧ .

وروى الحافظ أبويعلى الموصلي في مسنده الكبير أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوما وهوعلى المنبر : أذكر أن رجلا سمع النبي ﷺ قال : **إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف**، لما قام، فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف. فقال عثمان رضي الله عنه : وأنا أشهد معكم[1].

فهؤلاء عشرون (٢٠) صحابيا نسب إليهم أن قد رووا الحديث، وهوما يعني أنه لا مجال لأدنى شك في هذا الأمر. وقد زاد بعضهم : سليمان بن صرد[2] فاكتمل العدد واحدا وعشرين (٢١) صحابيا، وذكر آخر[3] هؤلاء جميعا ثم أردف ذلك بعبارة "وغيرهم ممن رواه" وهوما يعني أن رواته أكثر من ذلك العدد.

وهذا بيان بنص حديث الأحرف السّبعة كما رُوي عن بعض هؤلاء الصحابة المذكورين[4]:

١ - روي البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب أنه قال : "سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هويقرؤها على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره[5] في الصلاة، فانتظرته حتى سلّم ثم كَبَّبْته بردائه أوبردائي[6] فقلت له : كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقتُ أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت : يارسول الله إني سمعت هذا يقرأ

---

(١) النشر، جـ١ / ٢١

(٢) انظر: الإتقان جـ١ / ٦١، ودراسات في علوم القرآن.ص٧٦، والأحرف السبعة وارتباطها بالقراءات، فتحي بن الطيب خماسي، دار المعرفة، دمشق، طبعة أولى ١٩٩٥، ص ٨٢ .

(٣) هو الدكتور محمد بكر إسماعيل في كتابه: دراسات في علوم القرآن، ص ٧٦ .

(٤) راجع نص هذا الحديث في: النشر جـ١ / ١٩-٢١، والإتقان جـ١ / ٦١،٦٢، والبرهان جـ ١ / ٢١١،٢١٢، ودراسات في علوم القرآن، ص٧٧-٨٠، والأحرف السبعة ص ٨٣-٨٧

(٥) كدت أساوره في الصلاة: أي أواثبه وأقاتله، انظر: لسان العرب جـ٣ / ٢١٤٧ مادة: سور.

(٦) هكذا في الحديث، والأرجح أنها: لبّبته بردائه الذي كان عليه، في لسان العرب (٥ / ٣٩٨١ مادة: لبب): لبّبت فلانا إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره ثم جررته.

بسورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان. فقال رسول الله ﷺ : أرسله ياعمر، اقرأ ياهشام. فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها. قال رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ : **إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه.**"

٢ - وروى مسلم بسند عن أبيّ بن كعب قال : "كنت في المسجد فدخل رجل يصلّي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه[١] ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ، فقلتُ : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسّن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنتُ في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غَشِيَني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا، فقال : يا أبيّ أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددتُ إليه : أنْ هوّن على أمتي، فردّ إليّ الثانية : اقرأه على حرفين، فرددتُ إليه : أنْ هوّن على أمتي، فردّ إليّ الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردّة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت : اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرّتُ الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام".

وفي رواية ابن مسعود بعد الردة الثالثة : "**اقرأه على سبعة أحرف فمن قرأ على حرف منها فلا يتحوّل إلى غيره رغبة عنه.**"

وفي رواية أبي بكرة بعد الردة الثالثة : " **اقرأه على سبعة أحرف كل شافٍ كافٍ مالم تختم آية عذاب برحمة وآية رحمة بعذاب.**"

٣ - وروى مسلم عن أبيّ بن كعب أيضا أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار[٢]،

---

(١) قيل: إن تلك القراءة كانت في سورة النحل، انظر: النشر جـ ١ / ٢٠ .

(٢) أضاة بني غفار: مستنقع ماء كالغدير قرب المدينة المنورة، ينسب إلى بني غفار لأنهم نزلوا عنده.

قال : "فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ[1] القرآن على حرف. فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا."

٤ ـ وروى الترمذي عن أبيّ بن كعب أيضا، قال : "لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المروة[2]، قال : فقال رسول الله ﷺ لجبريل : إنّي بعثتُ إلى أمة أمّيين فيهم الشيخ الفاني[3] والعجوز الكبيرة والغلام، قال [جبريل] : فمرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف... وفي لفظ : فمن قرأ منها شيئا فهو كما قرأ."

وفي رواية حذيفة بن اليمان : "فقلت : يا جبريل، إني أرسلتُ إلى أمة أميّة فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابا قط. قال [جبريل] إن القرآن أنزل على سبعة أحرف."

٥ ـ وروي البخاري ومسلم عن ابن عباس أنه قال : "قال رسول الله ﷺ : أقرأني جبريل على حروف، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة."

٦ ـ وروي الحاكم وابن حبان عن ابن مسعود، قال : "أقرأني رسول الله ﷺ سورة من آل حم، فرحت إلى المسجد فقلت لرجل : اقرأها، فإذا هو يقرؤها حروفا ما أَقْرؤها، فقال : أقرأنيها رسول الله ﷺ، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه

---

(١) تقرأ: فعل مجرد والأمة: فاعل، وفي رواية "تقرئ" مزيد (من اقرأ)، وامتك: مفعول به وانظر: الجمع الصوتي ص ١٦٥، والقراءات المتواترة، ص٣٤، والنحو والقراءات (دكتوراه) محمد شاطر، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، سنة ١٩٧٢، ص ٣٩ .

(٢) في النشر (جـ١ / ٢٠): أحجار المرا، بالف ممدودة، وهو موضع آخر (غير بني غفار) قرب المدينة.

(٣) في البرهان (جـ١ / ٢٢٧): "الشيخ الكبير" وفي موضع آخر: "الشيخ العاسي" بعين مهملة وسين مهملة أيضا، انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص٧٩ .

فغيّر وجهه وقال : "إنما أهلك مَنْ قبلكم الاختلاف" ثم أسرّ إلى علي - بن أبي طالب - شيئا، فقال عليّ : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما عَلِمَ، قال : فانطلقنا وكل رجل يقرأ حروفا لايقرؤها صاحبه."

٧ - وروى الطبري والطبراني عن زيد بن أرقم، قال : "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت وأقرأنيها أبيّ بن كعب فاختلفت قراءتهم، فبقراءة أيِّهم آخذ ؟ فسكت رسول الله ﷺ وعليّ إلى جنبه، فقال عليّ : ليقرأ كل إنسان منكم كما عَلِمَ، فإنه حسن جميل."

٨ - وأخرج الإمام أحمد - في مسنده - بسند عن عمروبن العاص "أن رجلا قرأ آية من القرآن، فقال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأي ذلك قرأتم أصبتم، ولا تماروا فيه، فإن المراء فيه كفر."

فهذه ثمانية أحاديث تروي مناسبة تسبيع أحرف القرآن، وتلاحظ أن بعضها راجع إلى بعض كما هوحال الأحاديث (ذات الأرقام : ٢، ٣، ٤) التي رواها أبي ابن كعب فأصلها حديث واحد اختلفت ألفاظه باختلاف طرق روايته، والمعنى واحد، يدل على ذلك بشكل واضح خواتم الأحاديث الثلاثة : فعبارة "ولك بكل ردة رددتها مسألة" تعني ما تعنيه العبارة " فأيّما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا" وهوكذلك المعنى المستخلص من عبارة "فمن قرأ منها شيئا فوكما قرأ" .

وتلاحظ أيضا أن الحديثين السادس والسابع المرويين على لسان عليّ ابن أبي طالب لم يُشر فيهما إلى العدد سبعة (٧) الذي ارتبط بأحرف القرآن.

واقتُصر فيهما على عبارة لها أهمية في علم القراءات وهي أن يقرأ كلٌّ "كما علم" ، وما عُلم من أمر القراءة مصدره الرسول ﷺ وهوأوجه كثيرة.

ولعله من المفيد أن نؤكد هنا على عناصر مهمة بدت لنا من خلال عرض هذه الأحاديث، وهي :

(أ) أن هذه الأحاديث تخص كيفية قراءة القرآن الكريم لا شيئا آخر كما زعم بعض المستشرقين الذين ادعوا أن الحديث لا علاقة له بقراءات القرآن، وسوف نعرض ذلك عند الحديث عن معاني الأحرف السبعة عند علماء المسلمين وغيرهم.

(ب) أن القصد من هذه الأحرف ـ كيفما كان عددها ـ التي نزل بها القرآن هوالتيسير على الأمة في القراءة والفهم.

(جـ) أن كون القراءة كانت على سبعة أحرف ـ بما يعنيه العدد سبعة من حقيقة أومجاز ـ كان بطلب من الرسول ﷺ إذ لم يجئه جبريل عليه السلام من رب العزة إلا بحرف واحد، وذلك ما دل عليه حديث ابن عباس (رقم ٥) صراحة، مع العلم أن هذه الأحرف جميعها قد علمها الرسول ﷺ بوحي من الله.

(د) أن هذه الأحاديث صَدرت عنْ الرسول ﷺ في مرحلة متأخرة من فترة نزول الوحي عليه، بعد أن كثر الداخلون في الإسلام من القبائل العربية التي تتباين لهجاتها[١]، وذلك بعد هجرة الرسول ﷺ، ومما يدُل على ذلك ما ورد في الحديث الذي رواه أبيّ بن كعب (رقم ٣ و٤) من أن الرسول ﷺ كان حين قاله " عند أضاة بني غفار" أو"عند أحجار المروة " وهما موضعان بالمدينة المنوّرة[٢]. وقال بعضهم : إن ذلك كان في آخر العهد المدني بعد صلح الحديبية، أوبعد فتح مكة[٣].

إن حديث "نزول القرآن على سبعة أحرف" قد ارتبطت به القراءات القرآنية ارتباطا وثيقا فعده الدارسون أصل كل حديث عنها والمعوّلَ عليه الأول في محاولة فهم اختلافها وتباينها.

وعلى الرغم من وضوح المناسبة التي قيل فيها هذا الحديث ـ كما سبق توضيحه ـ

---

(١) انظر: علوم القرآن، الدكتور: عبد الفتاح أبو سِنّة، دار الشروق، القاهرة، طبعة أولى ١٩٩٥، ص ٥٥ .

(٢) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص ٧٨ . (٣) انظر: علوم القرآن، ص ٥٤ .

فقد ذهب العلماء المسلمون وغير المسلمين مذاهب شتى في تفسيره، فكيف كان ذلك؟

ثانيا : آراء حول معنى الأحرف السبعة

اختلف علماء المسلمين حول معنى الأحرف السّبعة التي وردت في الحديث الشريف السابق اختلافا كبيرا حتى زاد عن المعقول، وأدى ذلك إلى حدوث اضطراب لدى الدارسين حوله، بل إن اختلاف السلف منهم في هذا الأمر كان سببا في استشكاله عند العلماء من الخلف، فهذا ابن الجزري مشهود له بطول باعه في القراءات وما اتصل بها من علوم القرآن، ومع ذلك فقد استعصى عليه فهم هذا الحديث فقال : "ولا زلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة..(١)" وهذا الأستاذ محمود العقاد ـ رحمه الله ـ لما سئل : لوأنك التقيت رسول الله ﷺ فعن أيّ شيء كنتَ سائله ؟ فأجاب : كنتُ أسأله عن معنى الأحرف السبعة(٢).

وربما اعتبر بعضهم هذا الحديث ـ نتيجة الاختلاف الكبير في معناه ـ أنه قد قُصد فيه عدم الإيضاح حتى ليبدو عندهم طلسما من الطلاسم التي لا أمل في الفوز بمعرفة حقيقتها.

لئن بلغ عدد رواة الحديث واحدا وعشرين صحابيا ـ وهوعدد يؤكد على صحته ـ فإن عدد الآراء المختلفة التي رويت حوله قد قاربت ضعف هذا العدد، قال السيوطي : "اختلف في معنى هذا الحديث على نحْوأربعين قولا(٣)".

ولا شك أن بلوغ الاختلاف إلى هذا الحد يكون مدعاة إلى التعمية والغموض لا إلى التوضيح والفهم. مع العلم أن مناسبة الحديث ـ كما سبق القول ـ معلومة وأنه قيل جوابًا عن اختلاف الصحابة في القراءة.

---

(١) النشر، جـ١ / ٢٦ . (٢) انظر: علوم القرآن، ص ٥٣ .

(٣) البرهان، جـ١ / ٢١٢، والإتقان، جـ١ / ٦١، ٦٢ .

وهذا عرض بأشهر ما ورد في ذلك من الأقوال :

- **الرأي الأول** : وهو رأي أبي جعفر محمد بن سعدان النحوي (ت ٢٣١ هـ) ومن نحا نحوه، ومضمونه أن الحرف من المشكل الذي لا يدرى معناه لأن العرب تسمي الكلمة المنظومة حرفا[١]، وتُسمِّي القصيدة بأسرها كلمة[٢]، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة[٣]، والحرف أيضا المعنى والجهة[٤].

ومعنى ذلك أن الحرف من المشترك اللفظي[٥] الذي لا يتعيّن المعنى المراد منه إلا بقرينة، ولعل القرينة الحالية لم تكن واضحة في ذهن ابن سعدان النحوي - ومن ذهب مذهبه - وأنه إنما كان يبحث عن قرينة مقالية صريحة فلم يجدها مما اضطره إلى الحكم على أن الحرف - في الحديث - "مشكل".

- **الرأي الثاني** : وهو رأي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) وآخرين، ملخصة أن الحروف معناها الأوجه ؛ قال ابن قتيبة : "وقد تدبرت وجوه الاختلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه[٦]" . وهذا بيان بهذه الأوجه:

- **الوجه الأول** : الاختلاف في إعراب الكلمة، أوفي حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغيّر معناها، نحو قوله تعالى : ﴿ **هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ** ﴾ [هود : ٧٨] بضم الراء من أطهر" وفتحها، وقوله : ﴿ **وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ** ﴾ [سبأ: ١٧] بفتحة على الراء، و"هل يُجازى إلا الكفورُ" بضمة على الراء.

---

(١) في لسان العرب (٥/ ٣٩٢٢ مادة: كلم): "والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء".

(٢) في لسان العرب (مادة: كلم): وتقع - الكلمة - على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها".

(٣) في لسان العرب (٢/ ٨٣٧، مادة: حرف): "الحرف من حروف الهجاء معروف: واحد حروف التهجي" وقد ورد للحرف في لسان العرب (مادة: حرف) حوالي تسعة معان، فانظرها.

(٤) انظر: البرهان، جـ١/ ٢١٣، والإتقان جـ١/ ٦١ .

(٥) انظر: دراسات في علوم القرآن (مرجع سابق) ص ٨٢ .

(٦) انظر هذه الأوجه في: النشر جـ ١/ ٢٧،٢٨، والقراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص ١٨، ١٩، والفرقان ص ١٢٦ - ١٢٩ .

ـ **والوجه الثاني** : أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتابة، نحوقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ : ١٩] بصيغة الطلب، و ﴿رَبَّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ بصيغة الماضي، وقوله : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥] بفتح اللام والقاف مع التضعيف[١]، و"تلقونه" بكسر اللام وضم القاف مع المد[٢].

ـ **والوجه الثالث** : أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحوقوله تعالى : ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] بالزاي المعجمة، و"ننشرها" بالراء المهملة[٣].

ـ **والوجه الرابع** : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتابة ولا يغيّر معناها، نحو قوله تعالى :﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٢٩] و"زقية واحدة".

ـ **والوجه الخامس** : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحوقوله تعالى : ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] و"طلع[٤]".

ـ **والوجه السادس** : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحوقوله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق : ١٩] و"وجاءت سكرة الحق بالموت".

ـ **والوجه السابع** : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى : ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٣٥] و"وما عملت أيديهم"، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان : ٢٦] و"إن الله الغني الحميد".

---

(١) أصله: تتلقونه، حذفت تاء لتوالي الأمثال، ومعناه يأخذ بعضكم عن بعض. انظر: الكشاف للزمخشري، دار الريان للتراث، القاهرة ١٩٨٧، جـ٣/٢١٩.

(٢) قال الزمخشري لـ(الكشاف ٣/٢١٩): "تلقونه وتألقونه من الولق والألق، وهو الكذب، والولق: الإسراع.

(٣) – معنى ننشزها: نرفعها ونركبها بعضها على بعض، وننشرها: نحييها.

(٤) الطلع: ما يطلع من النخلة فيصير تمرا، والطلح: الموز المرصوص.

هذه هي الأوجه السبعة التي يرى ابن قتيبة أنها تجيب عن سؤال كثيرا ما راود الدارسين العرب ومرتدي علوم القرآن من المسلمين وغيرهم، هو: ما المقصود بالأحرف السبعة ؟

إن تلك الأوجه من الأحرف ـ لاشك ـ واقعة مروية صحيحها وشاذها غير أنه لا يمكن الجزم أنها هي المقصودة في الحديث وإنّ تفسير ابن قتيبة لذلك لا يخلومن بعض المبالغات التي ألجأه إليها تمسكه بالعدد سبعة وعدم مراعاته للحقبة الزمنية التي تفصله عن عهد النبوّة الذي قيل فيه الحديث الشريف المذكور[١]، فركن في تفسيره إلى ما صارت إليه وجوه القراءات بعد ذلك بزمن طويل[٢]. وقد تنبه إلى ذلك قاسم ابن ثابت – فيما ذكره السيوطي – فرد على ما ذهب إليه ابن قتيبة بأن الرخصة في الأحرف السّبعة وقعت حين كان الناس لا يكتبون ولا يعرفون الرسم[٣]، وإنما كانوا يعرفون الحروف ومخارجها[٤]. ولعل في ردّ كثير من أمثلة تلك الأوجه خلال الجمع العثماني مايدل على أنها ليست من الأحرف السّبعة المقصودة في الحديث، ولقد صُنّفت أمثلة كثيرة منها ـ فيما بعد ـ ضمن الشاذ الذي عُدّ من باب المترادف أوالشرح والإيضاح.

إن رأي ابن قتيبة قد مال إلى الأخذ به كثير من العلماء منهم: ابن حجر العسقلاني[٥] وأبوبكر الباقلاني[٦]، وابن الجزري الذي ذكر مضمون ما ذهب إليه ابن قتيبة مع اختلاف في الأمثلة، فتلك الأوجه السبعة هي عنده مما "يمكن أن يكون صوابا[٧]." فإن لم يكن المقصود هوتلك الأوجه فيرجح أن يكون ـ عنده ـ أوجه أخرى هي: "اختلاف الإظهار والإدغام، والروم والإشمام، والتفخيم والترقيق، والمد والقصر، والإمالة والفتح، والتحقيق والتسهيل، والإبدال والنقل مما يُعبّر عنه بالأصول[٨]."

---

(١) انظر: القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص ٢٠ . (٢) انظر: المرجع نفسه، ص ٢٢ .
(٣) سنبحث لاحقا قضية معرفة العرب للكتابة من عدمها في العهد النبوي وقبله.
(٤) انظر: الإتقان، جـ١ / ٦١،٦٢ . (٥) انظر: الكلمات الحسان، ص ٩٥ .
(٦) انظر: الفرقان، ص ١٢٩ ، ١٣٠ . (٧) النشر جـ١ / ٢٦ .
(٨) النشر جـ١ / ٢٦ .

إن هذا الرأي على الرغم من تعبيره عن واقع لهجي عربي كان معنيًا في الحديث الشريف إلا أنه لا يمكن الجزم بأن ما تضمنه يحتوي الأحرف السبعة، إذ هي أوسع من ذلك، وتلاحظ أن ابن الجزري قد وقع في شراك العدد سبعة كما وقع ابن قتيبة، فاكتفى بذكر سبعة أزواج من أضداد أصول القراءات.

ومذهب الإمام أبي الفضل الرازي (ت ٢٩٠ هـ) في معنى الأحرف السبعة لا يختلف كثيرا عن مذهب ابن قتيبة فيها، فعنده أن هذه الأوجه هي[١] :

(أ) اختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث.

(ب) اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.

(ج) اختلاف وجوه الإعراب.

(د) الاختلاف بالنقص والزيادة.

(هـ) الاختلاف بالتقديم والتأخير.

(و) الاختلاف بالإبدال.

(ز) اختلاف اللغات (وهو الاختلافات الصوتية التي يعبر عنها بأصول القراءات).

- **الرأي الثالث** : وهو رأي أبي عبيد القاسم بن سلام وآخرين، ملخصه أن الأحرف معناها اللغات، قال أبوعبيد : "معنى : أنزل القرآن على سبعة أحرف، أي : أنزل على سبع لغات لسبع قبائل : قريش، وكنانة، وأسد، وهذيل، وبنوتميم، وضبة، وقيس، وهم الذين انتهت إليهم الفصاحة، وسلمت لغاتهم من الدَّخل[٢]. "وفي موضع آخر ذكر أن تلك القبائل هي : قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن[٣]، أي بإخراج كل من أسد وضبة وقيس، وضم كل من : ثقيف

---

(١) انظر: معجم القراءات القرآنية جـ١ / ٧١، والنشر جـ١ / ٢٧ .

(٢) الفرقان: ص ١٢٦ .

(٢) انظر: النشر جـ١ / ٢٤، وانظر موقع كل قبيلة من هذه القبائل على الأطلس اللغوي في كتاب: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص ٢١٦ .

وهوازن واليمن. وقال آخرون : "خمس لغات في أكناف هوازن : سعد وثقيف وكنانة وهذيل وقريش، ولغتان على جميع ألسنة العرب.[1]" وقيل : إن المقصود بالخمس الذين من هوازن : سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف (ونسي ذكر الخامسة) ويقال لهم : عليا هوازن[2].

وقيل : إن السبعة محصورة في الكعبيين : كعب قريش وكعب خزاعة[3].

ويرى أبوحاتم السجستاني أن تلك اللغات هي : لغة قريش، وهذيل، وتميم، والأزد، وربيعة، وهوازن وسعد بن بكر[4].

وقيل : إن تلك اللغات هي : العربية والحبشية والنبطية والسريانية والفارسية والطحاوية والرومية[5].

إن رأي أبي عبيد هذا القائل بأن الأحرف لغات – قد مال إلى الأخذ به كثير من العلماء ذكر منهم السيوطي أبا عبيد وثعلب والزهري وابن عطية وأبا حاتم السجستاني وأبا علي الأهوازي[6] كما مال إلى الأخذ به كل من الطبري وأبي شامة الدمشقي[7].

والغالب في القصد أنّ تلك اللغات موجودة بنسب متفاوتة ضمن أحرف القرآن، وليس معناه أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات[8]، وهوما أكد عليه أبوعبيد القاسم في قوله : "ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع متفرقة فيه (أي : في القرآن)، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة

---

(١) النشر جـ١ / ٢٤ .
(٢) انظر: الإتقاف جـ١ / ٦٢ والأحرف السبعة ص ٦٩ .
(٣) انظر الإتقان جـ١ / ٦٢، و الأحرف السبعة ص ٧٠ .
(٤) انظر: الإتقان جـ١ / ٦٢ .
(٥) انظر: مقدمتان في علوم القرآن، ص ٢١٢ .
(٦) انظر: الإتقان جـ١ / ٦٢ .
(٧) انظر: معجم القراءات القرآنية جـ١ / ٧٠،٧١ .
(٨) ذلك ما عبّر عنه الزركشي بـ "أوجه المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة" مثل: أقبل وهم وتعال، وعجّل وأسرع، وانظر وأخّر وأمهل... انظر: البرهان جـ ١ / ٢٢٠ .

هوازن، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم... وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبًا[١]".

إن هذا الرأي الذي يرى أن الأحرف السّبعة هي سبع لغات من لغات العرب متمسك هوالآخر بالعدد سبعة، لا يرى شيئا في غير ضوء ذلك العدد، وهو رأي مطعون فيه لذلك السبب، قال السيوطي : "واستشكل بعضهم هذا بأنه يلزم عليه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات[٢]." وهوقول مردود عند بعضهم لعلة هي "أن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي من لغة واحدة وقبيلة واحدة وقد اختلفت قراءتها، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته[٣]".

ويمكن القول أن هذا الرأي - على الرغم من ميل كثير من علماء السلف إليه - لا يخلومن بعض النعرات القبلية الضيقة، وذلك بتفضيلة لغات على أخرى، ثم إنه بتمسكه بالعدد سبعة يجنح إلى معارضة الغرض الذي قيل لأجله الحديث الشريف (أنزل القرآن...) وهوالتيسير لا التقييد.

- **الرأي الرابع** : وهو رأي رواه السّيوطي عن شَيْذَلَة، وملخصه أن معنى الأحرف هو الأصناف أو الأنواع أو المعاني، إذ أن بعض علماء الأصول والفقه يذهبون إلى أن الأحرف هي : الأمر، والنهي[٤]، والحلال والحرام، والمحكم، والمتشابه، والأمثال، وهي أصناف احتواها القرآن. وذهب البلاغيون[٥] إلى القول بأن المراد بها : الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والاستعارة، والتكرار والكناية، والحقيقة والمجاز، والمجمل والمفسّر، والظاهر والغريب. والنحويّون قالوا : المراد بها : التذكير والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع والإفراد، والتصغير

---

(١) الإتقان جـ ١ / ٦١، والبرهان جـ١ / ٢١٧ .   (٢) الإتقان، جـ١ / ٦٣ .

(٣) الإتقان، جـ١ / ٦٣، وقد علل بعضهم لرفض هذا الرأي بعلل أخرى، انظر مثلا رأي الدكتور محمد بكر إسماعيل في كتابه : دراسات في علوم القرآن، ص ٨٩، ٩٠ .

(٤) وقيل: "الزجر" بدل النهي. انظر: الإتقان جـ١ / ٦٤ .

(٥) في الإتقان (جـ١ / ٦٤): أهل اللغة.

والتعظيم، واختلاف الأدوات. والصوفية قالوا: هي الزهد والقناعة مع اليقين، والجزم[1] والخدمة مع الحياء، والكرم والفتوّة مع الفقر، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا، والشكر والصبر مع المحاسبة، والمحبة والشوق مع المشاهدة[2].

وهذه الآراء الأخيرة يغلب على الظن أنها مصنوعة إذ هي لا تمتّ لمعنى الحديث المذكور بصلة، فإن ثبت صحة نسبتها فهي تتعلق بشيء آخر غير حديث الأحرف السبعة.

وقد كفانا بعض علماء المسلمين مؤونة حين ردوا على أصحاب الرأي الأول منها، فقال أحدهم: "من أوّل السبعة الأحرف بهذا فهو فاسد لأنه محال أن يكون الحرف منها حراما لا ما سواه وحلالا لا ما سواه[3]...".

وقال ابن عطية - فيما رواه السّيوطي -: "هذا القول ضعيف لأن الإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة[4]." وقال الماوردي فيما رواه السّيوطي وغيره -: "هذا القول خطأ لأنه ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل حرف من الحروف وإبدال حرف بحرف، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام[5]." وقال أبوشامة: "يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب لا للأحرف، أي هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه، أي أنزله الله على هذه الأصناف لم يقتصر منها على صنف واحد كغيره من الكتب[6]."

وعلق ابن الجزري على هذه الآراء فقال: "وهذه الأقوال غير صحيحة، فإن

---

(١) هكذا في الأصل (الإتقان ١ / ٦٤) ولعلها: الحزم، بالحاء المهملة بدل الجيم المعجمة.

(٢) انظر: الإتقان جـ١ / ٦٣، ٦٤.

(٣) الإتقان، جـ١ / ٦٤.

(٤) نفسه، جـ١ / ٦٤.

(٥) الإتقان، جـ١ / ٦٤، والبرهان جـ١ / ٢١٧.

(٦) الإتقان، جـ١ / ٢٥.

الصحابة الذين اختلفوا وترافعوا إلى النبي ﷺ ـ كما ثبت في حديث عمر وهشام وأبيّ وابن مسعود وعمرو بن العاص وغيرهم ـ لم يختلفوا في تفسيره (أي : القرآن) ولا أحكامه، وإنما اختلفوا في قراءة حروفه[1] ."

إن هذه الآراء يمكن أن تفسر بها أقسام القرآن الكريم، أما أن تكون مفسرة لحديث الأحرف السبعة فإن ذلك غير صالح. والذي لا نشك فيه أن الداعي الذي كان وراء ادعاء بعض المستشرقين أن حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف" لا علاقة له باختلاف القراءات أن ذلك الداعي هوهذه المذاهب المختلفة من الأنواع أوالمعاني التي ألصقت بالحديث المذكور خطأ، يقول جولد تسيهر : إن الحديث "في معناه الصحيح الذي لم يقف علماء الدين الإسلاميون أنفسهم موقفا واضحًا منه لا علاقة له في الأصل بتاتا باختلاف القراءات بَيْدَ أن كثرة إهاجة[2] نص القرآن حملت في وقت جدّ مبكر على تفسير الحرف في هذا المقام بالقراءة[3] ."

وهذا غير صحيح على الإطلاق، بل إن حديث "الأحرف السبعة" لا مجال لإطلاقه إلا مجال اختلاف القراءة، وهوما ثبت في توضيحنا السابق.

غير أن ذهاب علماء المسلمين فيه تلك المذاهب المختلفة ـ إذا ثبت ذلك ـ أخلط على الدارسين فهمه. وما نظن أن إنكار "جولد تسيهر" لتلك العلاقة إلا نتيجة لهذا الخلط، فإن ذلك وارد جدًا، وقد يكون ذلك الإنكار منه مقصوداً أيضا، وهوأمر غير مستبعد من بعض المستشرقين ومن نحا نحوهم من أهل الزيغ والضلال، ذلك أن بعضهم واعتماداً على القاءات المختلفة لحديث الأحرف السّبعة قد ذهب إلى القول بأن ذلك يعني أنّ في القرآن اختلافا كثيرا لا مجرد اختلاف في طرق أدائه[4] .

---

(١) النشر، جـ١ / ٢٥ .
(٢) هكذا في الترجمة العربية، ولعلها تعني: استحضار النص للمعاني المختلفة.
(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، ترجمة د.عبد الحليم النجار. دار اقرأ ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣، ص ٥٣ .
(٤) انظر: دراسات في علوم القرآن، ص ٩٦ .

"والحقيقة أن كثرة الأقوال وتهافتها، وضعف الروايات وسقوطها، مكّن لأعداء الإسلام من التهجم على الكتاب الخالد الذي ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾ [فصلت : ٤٢] وأتاح لهم فرصة الاعتراض والتشكيك[١] ."

ـ الرأي المختار :

"الأحرف تعني الأوجه والقراءات" :

لابد بعد معرفة هذه الاختلافات العميقة حول معنى حديث الأحرف السبعة من أن نرسوعلى شاطئ أمان نطمئن فيه إلى حقيقة معنى هذا الحديث، فما هي تلك الحقيقة؟

إن حديثنا منذ البداية بخصوص هذا الأمر يجنح إلى التشبث بقرينتين اثنتين هما :

أ ـ مناسبة رواية حديث الأحرف السّبعة كقرينة قطعية لا تضاهيها قرينة أخرى .

ب ـ أصل معنى لفظ "الحرف" ، في اللغة واستعماله في صدر الإسلام .

أما مناسبة رواية حديث الأحرف السّبعة فقد بيّنتها نصوص الحديث في رواياته المختلفة والتي عرضناها من قبل حيث ثبت أنه لا مناسبة له غير اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في قراءة القرآن بناء على ما سمعه كل واحد منهم عن الرسول ﷺ ، وأن رسول الله ﷺ لم يُرد إلا معنى واحداً من تلك المعاني التي ذهب إليها علماء المسلمين وغيرهم فأخلطوا القول أقاويل في الحديث حتى عاد عليه بالتعمية والجهل بعد أن زاد الحد عن حدّه فانقلب إلى ضده[٢] .

إن الذي ينظر بإنصاف إلى الروايات الواردة في الحديث لا يشك في وضوح المراد من الأحرف السّبعة وأنها أوجه ترجع إلى كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ويختلف بسببها تأدية تلك الألفاظ[٣] .

---

(١) دراسات في علوم القرآن، ص ٩٧ .
(٢) انظر: الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن، ص ٨٦، ٨٧ .
(٣) انظر: المرجع نفسه، ص ٩٢، ٩٣ .

وإن المتمعن في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (الحديث رقم ١) أوقول أبي ابن كعب (الحديث رقم ٢) أولفظ حذيفة (الحديث رقم ٤) وكذلك قول ابن مسعود (الحديث رقم ٦) - لا شك - سوف لن يذهب بعيدا فيحمل الأحرف السبعة ما لا تحتمله، عدا دلالتها على أوجه القراءة كما علمها كل واحد من الصحابة عن الرسول ﷺ، ومن ثم، فحديث الأحرف السّبعة بريء من تلك المعاني التي حمّلها إياه بعضهم غير الأوجه، وهوأيضا بريء مما نسب إليه من إشكال (في الرأي الأول) لأن القرينة التي توضح المعنى المراد منه موجودة، وهي القرينة الحالية، فهي تمنع من أن يكون معناه غير الأوجه.

وأما تشبثنا بأصل معنى الحرف في اللغة فإنه يعني بصورة أخرى تشبثنا في تفسير الحديث المذكور بأهمية زمانه الذي قيل فيه، فنحن نعتقد جازمين أن المعاني الأخرى المجازية مما قيل بدلالة الحرف عليها مثل اللغات أوالأصناف أوالمعاني هي محدثة بعد ذلك بزمن بعيد، فهي ترجع إلى عصر التدوين وعصر نشاط العلوم الإسلامية بشكل عام.

إن معنى الحرف في الأصل: الطرف والجانب، فحرف كل شيء: طرفه وشفيره وحدّه، وحرف كل شيء أيضا: ناحيته، ومنه قيل: فلان على حرف من أمره، أي ناحية منه كأنه ينتظر ويتوقّع، فإن رأى من ناحية ما يحبّ وإلا مال إلى غيرها[١]، ومنه جاء قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [الحج: ١١]، قال الزمخشري: "على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحس بظفر وغنيمة قرّ واطمأن، وإلا فرّ وطار على وجهه[٢]"، فهويعبد الله على السراء دون

---

(١) انظر: لسان العرب جـ٢/ ٨٣٨، مادة: حرف. (٢) الكشاف، جـ٣/ ١٤٦.

الضراء، أوكما قال أبو عمرو الداني : "على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله، وإذا تغيرت عليه وامتحنه بالشدة والضرّ ترك العبادة وكفر، فهذا عَبَدَ الله على وجه واحد، فلهذا سمي النبي ﷺ هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفًا على معنى أن كل شيء منها وَجْهٌ[1]" .

ومعلوم أن القبائل العربية كانت بألسنتها عادات متأصلة فيها، تجعلها تنحرف بألسنتها انحرافات متباينة كان من الصعب التخلص منها، وهو ما جعل النبي ﷺ - بوحي من الله - يتسامع في ذلك رغبة منه في تبليغ القرآن الكريم إلى أوسع شريحة من تلك القبائل، وترغيبا منه لهم في قراءته وحفظه، فوجدته ﷺ يسأل الله معافاته ومغفرته بأن أمته لا تطيق ذلك، فهي أمة أمية تطبعت ألسنة قبائلها على عادات لا تزول عنها إلى غيرها.

من تلك العادات ما كان عند الهذلي من نطقه الحاء عينا فيقول مثلا "عتى عين" يريد "حتى حين"، وما كان عند الأسدي من كسر حرف المضارعة، وما كان عند التميمي من همز وعند القرشي من تسهيل، وما كان عند آخرين من إشمام الضم الكسر أوالعكس، وكان عند غيرهم من إمالة أوتفخيم أوترقيق، وغير ذلك، فتلك حروف لسان، أي تطرفه أوتوجهه توجها غير توجه الآخر.

إن هذا هوأرجح الأقوال - فيما نرى - وقد ذهب إليه فحول من علماء المسلمين وأئمتهم نذكر منهم ابن قتيبة وأبا الفضل الرازي وأبا عمروالداني (ت ٤٤٤ هـ)، وابن عبد البرّ النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) وابن الجزري، وابن حجر العسقلاني، والقاضي ابن الطيب أبا بكر الباقلاني وغيرهم.

وقد مال إلى ذلك كثير من الدارسين، فمن قائل : "والأحسن في الجواب أن

---

(١) النشر، جـ١ /٢٣ .

يقال : إن المراد بالأحرف[١] السّبعة الأوجه السبعة التي يجوز أن يقرأ به[٢]" ومن قائل : إن الأحرف تعني "الأوجه التي يحصل بها الاختلاف الذي يتنوّع في اللفظ والمعنى[٣]."

وقد ذهب بعضهم - خلال القرن الرابع الهجري - إلى اعتبار الأحرف السبعة هي القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد، وهورأي بيّن فساده وقد تعقبه علماء مجتهدون فردوا على ذلك وبيّنوا أنه دعوى باطلة وصفوا صاحبها بالجهل، قال ابن الجزري : "وتفسير الحديث بهذه القراءات السبع خطأ فاحش وجهل من قائله، ولم تكن القراءات السبع متميزة إلا في قرن الأربعمائة..[٤]" وقال ابن تيمية : "لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة [. . .] ليست قراءات القراء السبعة فقط[٥]."

ومع أن هذا الرأي - القديم - بيّن خطؤه كما أوضح ذلك ابن الجزري وابن تيمية وغيرهما إلا أن بعض الدارسين المحدثين تمسكوا به بدعوى أن من معجزات النبي ﷺ الإخبار بالغيب، ومن ثم فلا عجب أن يراد - حسب زعمهم - بالأحرف السبعة القراءات السبع المتواترة المعلومة التي جمعها ابن مجاهد[٦].

إن هذا الرأي يكون مقبولا مستحسنا لوأن أصحابه اكتفوا فيه بالتأكيد على أن الأحرف السبعة هي "القراءات" بصيغة الجمع المطلق غير المحدد بالعدد سبعة الذي يشير إلى القراءات التي جمعها ابن مجاهد، وإن كان ذلك لم يرتضه بعض علماء المسلمين، وهورأي منسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي حيث يرى أن الأحرف معناها القراءات وواحدها أي الحرف معناه قراءة[٧]. وقد تعقب ذلك الزركشي

---

(١) في الأصل "القراءات" والصحيح ما أثبتناه.
(٢) الكلمات الحسان، ص ٩٥ .
(٣) نفسه، ص ٩٥ .
(٤) منجد المقرئين، ص ١٢٧ .
(٥) نفسه، ص ١٢٩ .
(٦) انظر: علوم القرآن (مرجع سابق) ص ٦٠ ، ٦١ .
(٧) انظر: البرهان جـ ١ / ٢١٤ .

ووصفه بأنه "أضعف" الآراء التي قيلت حول معاني الأحرف السّبعة[١]، ولكننا نرى أنّ :

- رأي الخليل جدير بالاتباع :

إن الخليل بن أحمد قد تفرّد في القول بأن الأحرف السبعة هي القراءات، والذي لا شك فيه " أن انفراده بالرأي هنا لم ينتج من قلّة إحاطة أوتدبّر، ومثله لا يقول الرأي بلا استبصار[٢]"، إذ كيف يكون إماما في العربية وحجة النحاة وإمامهم، ويتربع على عرش عروض الشعر بلا منازع، فلا يكاد يذكر غيره إلى جانبه في هذا المجال، بل لم يستطع أحد أن يزيد عليه شيئا إلى عهد قريب منا - كيف يكون على هذه الدرجة من التفرد ثم يوصف رأيه في أمر الأحرف السّبعة بأنه "أضعف الآراء" أويوصف رأيه هذا بالتوهين والشذوذ[٣].

إن الذي تشير إليه المصادر أن الخليل لم يقرن لفظ "القراءات" بالعدد "سبعة" إنما ذكره مستقلا على الإطلاق أو التعميم. ونعتقد جازمين أن من حكم على رأيه بالتوهين أوالضعف يكون قد أخطأ التقدير حينما اعتقد أن الخليل أراد تلك القراءات السبع التي جمعت على رأس المئة الرابعة أوبعد ذلك، وهوفهم خاطئ يعود على أصحابه.

إن الخليل بن أحمد قد توفي سنة سبعين ومائة هجرية (١٧٠ هـ) أي قبل وفاة ابن مجاهد (سنة ٣٢٤ هـ) - مسبع السّبعة - بأكثر من قرن ونصف القرن، ومن الخطإ الفادح أن يظن ظان أنه أراد بالأحرف تلك القراءات السّبعة، فالصواب إذًا أن يقال : إنه أراد أن تلك الأحرف المذكورة في الحديث الشريف السابق هي قراءات قرأ بها النبي ﷺ وتلقاها عنه الصحابة رضي الله عنهم ثم من بعدهم أئمة السلف. فهذا الفهم لرأي الخليل "هواللائق بمكانته ومنزلته العلمية[٤]".

---

(١) انظر: البرهان جـ١ / ٢١٤ .
(٢) القراءات المتواترة، ص ٣٦ .
(٣) انظر: القراءات المتواترة، ص ٣٦ .
(٤) القراءات المتواترة، ص ٣٧ .

إن القراءة ـ كما سبق ذكره ـ هي كيفية أداء كلمات القرآن الكريم، وهي بهذا المعنى لا تختلف عما يدل عليه الحرف كما ورد في الحديث الشريف، فأنْ تسميَه وجهًا أوقراءة فهو– عندنا – سيّان، وقد قال بذلك أبوعمروالداني حيث ذهب إلى أن للأحرف معنيَيْن :

الأول : أنها أوجه.

والثاني : أن "معناها أن يكون ـ الله ـ سمى القراءات أحرفًا[١]" .

وكذلك سماها ابن الجزري فقال : "هي الأوجه والقراءات[٢]."

إن الميل إلى أن الأحرف تعني القراءات بمفهومها الواسع قد أخذت دائرته تتسع منذ الخليل، وهوأمر تنبه له المستشرق "جولد تسيهر" إذ نجده يصرح "أنّ كثرة إهاجة نص القرآن حملت في وقت جدّ مبكّر على تفسير الحرف في هذا المقام بالقراءة[٣]." وهوما أشارت إليه بعض الدراسات اللغوية العربية المعاصرة فقيل : إن الحرف أطلق في البدء على اللغات ثم أصبح يعني قراءة قرآنية[٤]. ولعل مانجده من مبادلة بين الحرف والقراءة، أي تسمية أحدهما بالآخر عند بعض أعلام اللغة العربية الأوائل ـ لعل ذلك يكون دليلا قويا على ترجيح رأي من ذهب إلى أن الأحرف تعني القراءات، فهذا الفراء الكوفي (ت ٢٠٧ هـ) يقول في تفسيره لقول الله تعالى ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ ﴾ [غافر: ٥] : "وفي حرف عبد الله برسولها[٥]" ، وفي قوله تعالى ﴿ وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ [غافر: ٨] يقول : "وبعضهم يقرأ : جنة عدن، واحدة، وكذلك هي في قراءة عبد الله واحدة[٦]." فعنده أن القراءة والحرف سيّان.

---

(١) النشر، جـ١ / ٢٣ (٢) نفسه، جـ١ / ٢٥ .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٥٣ .

(٤) انظر: أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، د. عفيف دمشقية، ص ١٤، وانظر: النحو والقراءات (دكتوراه) ـ محمد شاطر، ص ٣٩

(٥) معاني القرآن للفراء. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار دار السرور، القاهرة، جـ٣ / ٥ .

(٦) معاني القرآن جـ٣ / ٥ .

إن هذا كله يعني بالضرورة أن رأي الخيل غير شاذ ولا ضعيف، وكان من الأجدر أن يلصق الضعف والشذوذ بتلك الآراء التي ذهب أصحابها إلى أن الأحرف السبعة هي معاني الأحكام أوأنواع القرآن وأصنافه وعلومه.

لقد شاع بين الدارسين والعلماء من قبلهم أن القراءات المتواترة السّبع أو العشر التي اشتهرت هي جزء من الأحرف السبعة(١)، فماذا يعني هذا ؟ هل يمكن أن يكون الشيء جزءا من شيء آخر يختلف عن مادته أوطبيعته التي هومنها ؟ إذا حصل شيء من ذلك فإنه - لا شك - مناقض للمنطق ولطبيعة الأشياء، ومن ثم وجب الإقرار بأن مذهب الخليل بن أحمد في أمر الأحرف السّبعة مذهب حق وصواب.

ثالثا : علة نزول القرآن على سبعة أحرف

كان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ألسنتهم مختلفة، ولهجاتهم متباينة، ويتعذر على الواحد منهم أن ينتقل من لهجته التي نشأ عليها إلى غيرها، إذ لوكلفهم الله تعالى مخالفة ما نشأوا عليه لشق عليهم ذلك، ومن ثم وجدته سبحانه وتعالى يأذن لرسوله ﷺ بأن يقرئ الناس على حروف مختلفة تيسيراً عليهم وتماشيا مع روح الدين الجديد من أنه ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد اقتضت رحمته تعالى بهذه الأمة أن يخفف وييسر عليها حفظ كتابها وتلاوة دستورها، فكان من الحكمة أن يقرئ الرسول ﷺ كل قبيلة بما يوافق لغتها ويلائم لسانها رغبة في تبليغ الرسالة المنزلة إلى العرب كافة، ومن خلالهم إلى شعوب المعمورة قاطبة.

إن العرب على اختلاف قبائلهم كان فيهم من حمية الجاهلية ما يحول دون تخليهم عن عاداتهم ثم الأخذ بغيرها، إضافة إلى ما في ذلك من مشقة وما يتبعه من

---

(١) قال ابن الجزري في أمر القراءة الصحيحة: "هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن." النشر ١/ ٩ ومنجد المقرئين ص ٢١٩ .

سوء فهم للمراد في الكتاب المبين، وهوأمر خطير قد يؤدي إلى قلب الدلالات أوالتباسها.

إن الرسول ﷺ كان واعيا بتلك الفروق اللغوية أواللهجية حتى ما كان منها على مستوى اللفظ الواحد مثل الإمالة والهمز والمد وغيرها، ولذلك وجدته حريصا على تدليل ذلك بين القبائل جميعها، بل حتى بين أفراد القبيلة الواحدة، وكان فوق ذلك كله يعلم أنه قد بعث في "أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط." وكان حريًّا به أن يتوجه إلى الله بالدعاء طلبا للتوسعة في حروف القراءة فكان يقول لجبريل عليه السلام : "اسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك" وقد كان له ما أراد.

وقد اهتم علماء الأمة بالحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف فعرضوا لها وبسّطوا القول فيها، من ذلك ما أورده ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) ونقله عنه ابن الجزري في (النشر) حيث قال : "فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيّه ﷺ أن يقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عادتهم فالهذلي يقرأ "عتى عين" [يوسف: ٣٥] "يريد : حتى حين... والأسدي يقرأ "تعلمون وتعلم" و﴿ **وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ [آل عمران: ١٠٦] و﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ** ﴾ [يس: ٦٠]. كل ذلك بكسر حرف المضارعة ـ، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ "قيل لهم" ﴿ **وَغِيضَ الْمَاءُ** ﴾ [هود : ٤٤] بإشمام الضم مع الكسر و﴿ **بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ** ﴾ [يوسف: ٦٥] بإشمام الكسر مع الضم، و﴿ **مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا** ﴾ [يوسف : ١١] بإشمام الضم مع الإدغام(١)." وزاد ابن الجزرى على هذا فقال : "وهذا يقرأ : عليهمُ وفيهمُ، بالضم، والآخر يقرأ : عليهمُو ومنهمُو، بالصلة... والآخر يقرأ : موسى وعيسى، بالإمالة، وغيره يلطف، وهذا يقرأ "خبيرًا وبصيرًا" [يوسف : ١١] بالترقيق، والآخر يقرأ : الصلاة والطلاق، بالتفخيم، إلى غير ذلك.(٢)" قال ابن قتيبة : "ولوأراد كل

---

(١) النشر، جـ١ / ٢٢، ٢٣ .

(٢) النشر، جـ١ / ٣٢ .

فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات ومتصرفا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين[١]".

وحول هذا الأمر أي سبب ورود الحديث على سبعة أحرف قال ابن الجزري قولا لا يختلف في عمومه عما قاله ابن قتيبة، وهذا نص ذلك :

"فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا لها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيِّها أفضل الخلق وحبيب الحق... وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أومن حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج لا سيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه ﷺ، فلوكُلِّفوُا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يُستَطاع[٢]."

وقد اعتمدت فكرة التيسير والتسهيل في الأحرف السّبعة ـ أحرف القرآن ـ كرأي ضمن الآراء الكثيرة التي رويت حول معنى حديث أحرف القرآن، قال الحافظ أبوحاتم بن حبّان بن أصبغ السبتي الأندلسي (ت ٣٥٤ هـ) إنه اختلف فيها على خمسة وثلاثين قولا منها " أن المراد التوسعة على القارئ ولم يقصد به[٣] الحصر[٤]." ونقل السيوطي عن القاضي عياض "أنه ليس المراد بالسّبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسَّعَةُ، ولفظ السّبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السّبعون في العشرات والسبعمائة في المئين، ولا يراد العدد المعيّن[٥]."

---

(١) النشر جـ١ / ٢٣، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٧٩ عن: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، طبعة الحلبي ١٩٥٤، ص٣٠ .

(٢) النشر، جـ١ / ٢٢ .

(٣) الهاء تعود على حديث الأحرف السبعة.

(٤) البرهان، جـ١ / ٢١٢ .

(٥) الإتقان، جـ١ / ٦١ .

وهذا القول ذكره ابن الجزري دون إسناد فقال : "ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر، قال تعالى : ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١] و﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة : ٨٠]، وقال ﷺ في الحسنة "إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة" وكذا حمل بعضهم قوله ﷺ : "الإيمان بضع وسبعون شعبة"[١] وقد أقر بهذا بعض المحدثين منهم المستشرق "جولد تسيهر" حيث قال : "وليس مفترضا، فيما يبدو، أن يكون القصد إلى تحديد حسابي ثابت مفهوم من عدد السبعة في هذا الحديث... بل المراد من هذا العدد حتى في حالة اتخاذه دليلا على فروق النصّ (أي اختلاف القراءات) هوإفادة معنى الكثرة، فالقرآن على أحرف كثيرة العدد، وكل منها يمثل على قدم المساواة كلام الله المعجز."[٢]

كل هذه النصوص السابقة تشير إشارة واضحة إلى أن الأحرف السبعة ليس القصد منها حقيقة ذلك العدد المحصور بين الستة والثمانية، إنما المراد هوالكثرة العددية التي قد تكون مساوية حقيقة للعدد سبعة وقد تكون غير ذلك من أوجه القراءات التي لا تخرج عن ألسنة العرب خلافا لما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس الذي يرى أن "قصد التيسير والتسهيل يشمل جميع المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأزمانهم... فليست تلك الحروف السبع التي أجيز قراءة القرآن بها مقصورة على اللهجات العربية..."[٣] وهورأي غريب في بابه لم يقل به غيره، فهويناقض قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وقوله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] وقوله ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ١٢].

وقد تُجَاوِزَ السَّعَةُ في الأحرف العددَ سبعة، إلا أن الغالب فيها – كما يبدو –

---

(١) النشر، جـ١ / ٢٦ .　　(٢) مذاهب التفسير الإسلامية ص ٥٤ .

(٣) في اللهجات العربية. د إبراهيم أنيس، الطبعة السادسة مطبعة الأنجلو المصرية ١٩٨٤، ص ٥٦، ٥٧ .

يتأرجح بين الواحد والسبعة كما يشير إلى ذلك ظاهر نص الحديث "رقم ٣" وأن جبريل عليه السلام جاء في المرة الأولى بحرف واحد، وفي الثانية بحرفين، وفي الثالثة بثلاثة أحرف، وفي الرابعة بسبعة أحرف.

ولم يزد على ذلك حرفا، وفي حديث أبي بكرة أن الرسول ﷺ ـ بعد بلوغ العدد سبعة ـ قال: "فنظرت إلى ميكائيل فسكت فعلمت أنه قد انتهت العدة[١]." وقد فَسَّرَ ذلك ابن الجزري بإرادة العدد سبعة وانحصاره[٢]. والأرجح أنه دال ـ في الحديث ـ على أي عدد من الأعداد السابقة عليه بدءاً من الواحد حتى السادس أيضا، يدل على ذلك ما رواه الحاكم: "أنزل القرآن على ثلاثة أحرف[٣]." وقد علق أبوشامة على الحديث بقوله: "يحتمل أن يكون معناه أن بعضه أنزل على ثلاثة أحرف...أوأراد: أنزل ابتداء على ثلاثة ثم زيد إلى سبعة[٤]." وذهب الزركشي إلى أن "معنى جميع ذلك أنه نزل منه ما يقرأ على حرفين، وعلى ثلاثة، وأكثر إلى سبعة أحرف[٥]."

وأكثر الثلاثة إلى السبعة يمكن أن يكون أربعة أوخمسة أوستة، وهوما يتفق مع ما رُوي عن مجاهد من أنه "كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف[٦]."

وأما ما قَلّ على الثلاثة فيتفق مع ما رواه سالم مولى أبي حذيفة من "أن سعيد ابن جبير كان يقرأ القرآن على حرفين[٧]."

إن كل ذلك يدل على أقصى مدى لأحرف القرآن الكريم ـ في الغالب ـ هوالعدد سبعة، وأدناها حرف واحد.

---

(١) انظر: النشر جـ١ / ٢٦.
(٢) انظر: النشر جـ١ / ٢٦.
(٣) البرهان جـ١ / ٢١٢.
(٤) البرهان جـ١ / ٢١٢
(٥) نفسه جـ١ / ٢١٢.
(٦) الأحرف السبعة وارتباطها بالقراءات ص ٣٤.
(٧) نفسه، ص ٣٤.

رابعا : علة تعدد قراءات القرآن

إذًا كان لا بد من الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات فإنه لا سبيل إلى إنكار أن الأحرف السبعة هي أصل القراءات المتواترة المشهورة، ومن ثم فإن تفسير تعدد هذه القراءات لا يخرج عن الإطار الذي فُسّرت فيه الأحرف السّبعة وتعددها، من كون العرب الذين نزل بينهم القرآن لغاتهم شتى وألسنتهم متفرقة، وأن فيهم من تتحكم فيه حمية الجاهلية أولا يطيق التَّحَوُّلَ عمّا نشأ عليه من عادات، ثم إن القرآن لَمّا أنزل كان من الأهداف المرسومة له أن يُبَلِّغَ مشافهة إلى أوسع شريحة من الأمة، فكان لا بد من التسامح في كيفيات أدائه كما قرأ بها الرسول ﷺ أوبالطريقة التي قرئت بها من الصحابة بحضرته وأقرها ﷺ .

إن اختلافات الصحابة في القراءة كانت يسيرة في المراحل الأولى من الوحي ثم مافتئت أن ازدادت تباينا في المراحل الأخيرة منه، وذلك بعد كثرة القُرّاء من جهة، وكثرة القبائل التي دخلت تحت لواء الإسلام والتي تتباين لهجاتها من جهة ثانية.

وقد وُثّقت هذه الاختلافات مع توثيق النص القرآني على عهد الخلفاء الراشدين، بل إن الصحابة من القراء سعى كل واحد منهم إلى التشبث بما انفرد به عن الرسول ﷺ وتبليغه إلى أهل المصر الذي انتهى إليه مقامُه.

هذا هو الإطار العام الذي احتضن القراءات منذ البدء مرورا بنسخ المصاحف العثمانية وما عرفته من تسامح في الإبقاء على قدر لا بأس به من تلك القراءات المتواترة إلى أن جاء عصر تدوينها على رأس المئة الثانية للهجرة "فقام جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبَيَّنُوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، ومَيّزوا بيْن المشهور والشاذ، والصحيح والفَاذِّ، بأصول أصّلوها وأركان فَصَّلُوها(١)" .

---

(١) النشر، جـ١ /٩ .

والذي يعنينا هنا بدرجة أولى هواختلاف القراءات المتواترة والمشهورة، وهواختلاف لا يعني أبداً أن فيها تناقضا أوتضادًا، وإنما اختلافها هواختلاف تنوّع وتَغَايُرٍ فحسب[١]، وهواختلاف يُصَدِّقُ بعْضه بعضًا، ويُفسّر بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض[٢].

أي أن تلك القراءات هي سواء في الأسلوب والغاية، بل هي كلها من إعجاز أسلوب القرآن الكريم[٣].

إن الذي عرضنا له من إطار تعدد القراءات لم يختلف فيه الدارسون قدماؤهم ومعاصروهم، فما مِنْ أحد منهم إلا وفَسَّرَ ذلك التعدد بذلك الإطار العام، فهذا أبوشامة الدمشقي يصرح بأن القرآن « فيه من جميع لغات العرب، أي من لهجاتها، لأنه أنزل عليهم كافة، وأبيح لهم أن يقرؤوه على لغاتهم المختلفة فاختلفت القراءات فيه لذلك[٤]. » وهذا الدكتور عبده الراجحي يقول : إن "السبب الرئيس عندنا في اختلاف القراءات هوما نفهمه من طبيعة القراءات ذاتها، ومن طبيعة المجتمع الإسلامي الأول، فالقرآن أُخذ بالمشافهة أوّلاً بين الرسول وجبريل من ناحية، ثم بين الرسول وصحابته، ومع كتابته له في الرقاع والعسب واللخاف والأكتاف وُجد الاختلاف [...] وعاش الصحابة مع الرسول يقرأون فيختلفون، واشتهر بينهم نفر كثير [...] ثم جاءت الفتوح الإسلامية وخرج الصحابة معها إلى الأمصار الإسلامية الجديدة يستقرئون هناك، ونشط الخلفاء في إيفاد القراء من الصحابة إلى الأمصار ليعلموا الناس القرآن [...] . وعلى هذا الأساس سارت الحال مع القراءات، فاختلف الصحابة أول الأمر في القراءة أيام الرسول ﷺ [...] وخرجوا مع الفتوح يقرئون الناس فتختلف قراءاتهم، وكانت المصاحف العثمانية المجموعة على حرف[٥]، وبعد إحراق ماعداها

---

(١) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٣٠ .

(٢) انظر: القبس الجامع لقراءة نافع، ص ٢١ .

(٣) انظر: الجمع الصوتي، ص ١٣٠ .

(٤) تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص ١٠٢ .

(٥) مذهبنا أن عثمان جمع مصاحف على أحرف كثيرة متواترة بدليل اختلاف تلك المصاحف نفسها.

من مصاحف مُحْتَمِلَة للكثير من هذا الاختلاف، فكثر القراء الأئمة، وتعددت القراءات المأخوذة عنهم[1] "

ولم يختلف عن هذا كثيراً الأستاذ عطية قابل نصر[2] حيث أرجع أسباب اختلاف القراءات إلى عدة أمور استخلصها مما قاله علماء القراءات، وهي[3] :

١ - أن مرجع هذه القراءات المتعددة إلى السّنة والاتباع لا إلى الرأي والابتداع، وكذا إلى النقل الصحيح المتصل سنده بالرسول ﷺ، إذ ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه أوحسب هواه، فيغيّر عبارة بأخرى أوكلمة بمرادفها، لأن القراءة سنّة متبعة.

وإن في اختلاف الصحابة في القراءة على عهد الرسول ﷺ لخيرُ دليل على أنّ القراءة أساسها ومردها السماع من رسول الله ﷺ والنقل عنه، وليس للقياس أو الاجتهاد في ذلك دخل.

٢ - أن الصحابة رضوان الله عليهم قد اخْتَلَفَ أخذُهم عن رسول الله ﷺ فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد على ذلك، ومن هنا نشأ اختلاف القراءات.

٣ - أن الخليفة عثمان رضي الله عنه حرص على أن يرسل مع كل مصحف صحابيا يُعَلّمُ الناس القرآن بما يوافق مصحفهم، فأقرأ كل صحابي أهل إقليمه بما سمعه من رسول الله ﷺ، وقد تمسك أهل كل إقليم بما تلقوه سماعا من الصحابي الذي أقرأهم.

ومن أجل هذا ظهر الخلاف في القراءات، وبقي أهل كل إقليم محتفظين بما تركه فيهم ذلك الصحابي الذي لَقّنَهُم القرآن كما تعلمه من رسول الله ﷺ، ثم بقي الرواة عنهم متمسكين بذلك إلى أنْ تلقاه الأئمة القراء أصحاب القراءات المشهورة الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يتلونها وينشرونها فنقلها عنهم الرواة على ذلك الاختلاف.

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص ٨١-٨٣ .

(٢) مدرس الدراسات القرآنية وعميد معهد القراءات بالقاهرة سابقا.

(٣) انظر: القبس الجامع لقراءة نافع، ص ١٩، ٢٠ .

ولا يخرج عن هذا الإطار ما ذهب إليه الدكتور لبيب السعيد من أن القراءات قد اختلفت "باختلاف قراءات الأسلاف، وتفرق هؤلاء وأولئك في البلاد[١]"، ومن أن اختلاف الألسنة أواللهجات كان رأس أسباب اختلاف القراءات[٢]، مع العلم أن الدكتور لبيب السّعيد لا فرق عنده بين الأحرف السبعة والقراءات المتواترة فهما عنده شيء واحد[٣].

ولم يحد الأستاذ عبد الوهاب حمودة صاحب كتاب "القراءات واللهجات" عن النهج الذي رسمه الأسلاف وفسروا في إطاره أسباب تعدد القراءات، فعنده ـ كما هوعند غيره ـ أن أسباب اختلاف القراءات كان منتهاها "أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف ـ العثمانية ـ كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعًا من الصحابة... فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع كونهم متمسكين بالأحرف السبعة[٤]."

هذا هو الإطار الذي احتضن القراءات القرآنية وأسس لعوامل تعددها واختلافها، وهي عوامل ـ كما لاحظت ـ داخلية لم تخرج عن الإطار العربي ولم تنفصل عن الظروف التي تم فيها استقبال دستور الأمة الجديد، ومردها بالأساس هوالسماع من الرسول ﷺ تسامحا منه وتيسيرا على الأمة وامتثالا لأمر الله سبحانه لما كانت ألسنة الأمة مختلفة، وذلك بغرض إحاطة جميع فئات الأمة بالقرآن قراءة وفهما، ثم تطبيق أحكامه وتبليغه للآخرين على صورته تلك.

وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن وراء تعدد القراءات القرآنية عوامل أخرى أهمها ـ حسب زعمهم ـ خلوالرسم العثماني من النقط والشكل. فما هي حقيقة ذلك؟ ذلك هومدار حديثنا في الفصل الموالي من هذا البحث.

---

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٣٠ .

(٢) انظر: الجمع الصوتي، ص ١٢٦ و: القراءات المتواترة، ص ٢٧ .

(٣) انظر: الجمع الصوتي، ص ١٢٦ وما بعدها.

(٤) القراءات واللهجات، ص ٥٤، ٥٥ .

الفصل الرابع
الرسم العثماني والقراءات

ارتبطت القراءات القرآنية في أذهان كثير من الناس بالرسم القرآني منذ أن أقدم الخليفة عثمان على كتابة القرآن الكريم في مصاحف - بعد إجماع الصحابة - سميت باسمه، وأبطل ما عداها من مصاحف الصحابة والتابعين. وقد تميزت تلك المصاحف العثمانية الموجهة إلى الأمصار الإسلامية برسم خاصّ جعل بعض المستشرقين وعلى رأسهم بعض الدارسين يميلون إلى القول بأن له علاقة مباشرة بتعدد القراءات، فما هي حقيقة هذا الرسم ؟ وما حقيقة علاقته بالقراءات؟

أولا : العرب والكتابة

١ - معرفة العرب للكتابة

أ - قبل الإسلام : الثابت أن العرب كانت تعرف الكتابة قبل مجيء الإسلام[١] بدليل وجود إشارات واضحة إلى أنه كان حينذاك كُتّاب، أي في العصر الجاهلي؛ من ذلك أن بعض المصادر تذكر أن عمر بن زُرارة كان يُوصفُ بالكاتب المعلم، وكذلك غيلان بن سلمة بن مُعَتّب[٢]. وفي القرآن الكريم ما يؤكد ذلك، منه قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ [الفرقان : ٥] أي : كتبها الرسول ﷺ لنفسه عن المتقدمين عليه زمانا[٣].

ويرجح بعض الدارسين أن العرب عرفوا الكتابة قبل ما لا يقل عن ثلاثة قرون قبل الإسلام[٤].

---

(١) انظر: الخط العربي وتاريخه، الدكتور : محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٩٤، ص ٢٩ .

(٢) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، الدكتور : ناصر الدين الأسد، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٦٦، ص ٥٠، والخط العربي وتاريخه، ص ٣٠ .

(٣) انظر: الكشاف جـ٣/ ٢٦٤

(٤) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٣ و٤٦ .

ومما يدل على ثبوت ذلك أيضا ما رواه أبو عمرو الداني بسند أن زياد بن أنعم قال: "قلتُ لعبد الله بن عباس: معاشر قريش، هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع وتفرقون فيه ما افترق هجاءً، بالألف واللام والميم، والشكل والقطع، وما يُكتب به اليوم قبل أن يبعث الله تعالى النبي ﷺ؟ قال: نعم. قلت: فمن علّمكم الكتاب؟ قال: حرب بن أمية...[1]".

ب - **في صدر الإسلام**: وفي صدر الإسلام نعثر على أدلة كثيرة تؤكد معرفة العرب للكتابة حينذاك، وهذه أمثلة من تلك الأدلة:

* ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "قَيِّدُوا العِلْمَ بالكتاب[2]".

وأنه قال أيضا: " ما حقّ امرئ له ما يوصي فيه يبيت ثلاثا إلا ووصيته عنده مكتوبة[3]".

* طلب الرسول ﷺ بعد معركة بدر من الأسرى الذين لم يستطيعوا فداء أنفسهم أن يُعلّمَ كُلٌّ واحد منهم عشرةً من المسلمين القراءة والكتابة[4].

* اشتهر عن الرسول ﷺ أنه كان يأمر كُتّاب الوحي بكتابة القرآن عند النزول، وقد ذكرنا ذلك في الفصل الثاني.

* اشتهر عن الرسول ﷺ أنه كان يبعث برسائل خطية إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة يدعوهم فيها إلى الإسلام، منها واحدة إلى المقوقس عظيم القبط في مصر، وأخرى إلى المنذر بن ساوي، وثالثة إلى النجاشي في الحبشة[5].

---

(١) المحكم في نقط المصاحف، ص ٢٦

(٢) انظر:صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على، ت٨٢١ هـ) مطبعة الأميرية، القاهرة،جـ٣ / ٣٦ . و كذلك:أصل الخط العربي و تطوره حتى نهاية العصر الأموي، سهيلة ياسين الجبوري، مطبعة الأديب البغدادية، طبعة أولى١٩٧٧، ص٧٧ .

(٣) انظر:أصل الخط العربي وتطوره، ص ٧٧

(٤) انظر:المرجع نفسه، ص ٧٧

(٥) راجع هذه الرسائل في :مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٣، و انظر:صورة لرسالة الرسول ﷺ إلى المنذر ص ٣٠ .

* ثبت أنه اشتهر من الصحابة عدد لا بأس به، كانوا يكتبون الوحي للرسول ﷺ منهم : علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وزيد بن ثابت وغيرهم.

* ومن تلك الأدلة على شيوع الكتابة، في صدر الإسلام، مما ورد في القرآن قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ** ﴾ [البقرة : ٢٨٢].

٢ ـ أصل الكتابة عند العرب :

إن هذه الكتابة التي كانت شائعة عند العرب والمسلمين قد اختلف في أصلها ؛ فابن النديم يذكر خمس روايات مختلفة في ذلك، منها أن ابن عباس قال : إن أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بَوْلان[١]، سكنوا الأنبار ـ بالعراق ـ هم : مُرَامُر بن مُرَّة، وأسْلَم بن سِدْرَة، وعامرُ بن جَدَرَة ؛ فأما مُرامر فوضع الصّور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام.

وقد سئل أهل الحيرة ـ بالعراق ـ : ممن أخذتم الكتاب ؟ فقالوا : من أهل الأنبار[٢]. وهو ما ذكره ابن أبي داود في المصاحف[٣]، وذكره أبو عمرو الداني في المقنع[٤]، ومال إليه حمزة بن الحسن الأصفهاني حيث اعتبر روايته "عارية من المحال يقبلها القلب[٥]."

وأما أحمد بن فارس فيشير إلى قول بعضهم : إن آدم عليه السّلام أول من كتب الكتاب العربي، وقول ابن عباس : إن أول من وضعه إسماعيل عليه السّلام، غير أنه (أي ابن فارس) يرفض القولين، ويعزو أصلها إلى التوقيف، فهي عنده من عند

---

(١) وهي قبيلة من طيئ. (٢) انظر:الفهرست، ص ٥٧ وما بعدها

(٣) انظر: المصاحف، ص ٩ . (٤) انظر: المقنع ص ٩ .

(٥) التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ). تحقيق :محمد أسعد طلس، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٦٨، ص١٩، وانظر: صبح الأعشى جـ٣/ ٨ .

الله[١] . وقد نقل الحافظ السيوطي ذلك عنه[٢] .

أما ابن خلدون فيرى أن أصل الخط العربي مقتبس من الخط الحميري المسند[٣]، انتقل من اليمن إلى الحيرة بالعراق، " ومن الحيرة لَقِنَهُ أهل الطائف وقريش[٤]." وهو رأي لا يبعد كثيرا عما ذكره ابن النديم في رواية ابن عباس السابقة.

ويميل بعض الدارسين المحدثين إلى أن الخط العربي مقتبس من الخط النبطي معتمدين في ذلك على عاملين اثنين :

ـ **الأول** : أن النقوش العربية في العصر الجاهلي والإسلامي – التي عُثر عليها – خالية من النقط والشكل خلواً تامًا فليس فيها حرف واحد منقوط ولا مشكل، وهي الخاصية الواضحة البارزة في خط الأنباط، إذ أن نقوشهم التي عُثر عليها – والتي ترجع إلى مراحِل مختلفة – تخلو من أية دلالة من دلائل الإعجام[٥] .

ـ **الثاني** : أن الأنباط قريبو الصلة بالعرب، فهم أبناء عمومتهم، وأنهم كانوا قبل الإسلام ينزلون على تخوم المدينة في حوران والبتراء ومعان، وكانوا يجاورون العرب الحجازيين في تبوك ومدائن صالح والعلا في شمال الحجاز[٦]، فعلاقتهم بالعرب متعددة الأسباب : قرابة دم، وقرابة جوار، وقرابة مصلحة.

وهذا الرأي الأخير، إذا ثبت، يجعلنا نقول بأن خلوّ الخط العربي من النقط

---

(١) انظر: الصاحبي لابن فارس،طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٧٧ ،ص١٢، ١٣.

(٢) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مطبعة دار التراث، القاهرة، طبعة ثالثة جـ٢ / ٣٤١ وما بعدها.

(٣) يرى الدكتور :علي عبد الواحد وافي أن " المسند" مشتق من الخط الكنعاني أو الفنيقي الذي اشتقت منه خطوط أخرى كالخط الإغريقي. انظر: فقه اللغة، دار نهضة مصر، الطبعة السابعة، ص٧٨ .

(٤) مقدمة ابن خلدون، تحقيق :د. علي عبد الواحد وافي، جـ ٢ / ٩٦٢ .

(٥) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٤، و :دراسات في تطور الكتابات الكوفية :إبراهيم جمعة، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٩ ، ص١٧، و:أصل الخط العربي وتطوره، ص١٥٥ .

(٦) انظر: دراسات في تطور الكتابات الكوفية، ص ١٧ .

والشكل طبيعة فيه منذ البداية وليست حادثة مع نسخ عثمان رضي الله عنه للمصاحف[١]. إن ذلك ليبدو أمراً مقبولا خاصة مع ثبوت خلوّ تلك النقوش العربية -على قلتها- من النقط والشّكل[٢].

٣- ثبوت نقط الكتابة العربية منذ البدء :

هناك إذاً أدلة ثابتة تشير بوضوح إلى وجود النقط منذ العصر الجاهلي، منها :

أ - ما أشرنا إليه من قبل في النص الذي نقله ابن النديم عن ابن عباس من أن ثالث ثلاثة بولان المشار إليهم، وهو مُرامُر بن جدرة كان قد "وضع الإعجام" أي النقط.

ب - ما رواه القلقشندي من "أن الإعجام في الحروف العربية كان قديما جدّا أي منذ اختراع الكتابة[٣]."

وقد أكد بعض الدارسين الآخرين على قدم الإعجام في العربية، واعتبروا أن ما عثر عليه من النقوش الخالية من النقط لا يعدو إلا أن يكون شيئا بسيطا تضمن كلمات قليلة ولا يمكن اتخاذه دليلا على عدم النقط في الجاهلية.

ومما استندوا إليه في القول بثبوت النقط منذ العصر الجاهلي ما عثر عليه من برديات في صدر الإسلام منها واحدة يرجع تاريخها إلى سنة اثنتين وعشرين (٢٢)

---

(١) يرى بعض الدارسين أن العربية لم تعرف النقط والشكل قبل الإسلام، وأن أول من وضع الشكل أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩ هـ) بأمر من زياد بن سمية والي البصرة، وأن أول من وضع النقط نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تلميذا أبي الأسود بأمر من الحجاج بن يوسف في زمن عبد الملك بن مروان انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٧٩-١٨٢ .

(٢) يرى الشيخ أبو عبد الله الزنجاني أن الإعجام موضوع قبل الإسلام ولكن تساهلوا في شأنه شيئا حتى تنوسي ولم يبق منه إلا النادر- انظر: تاريخ القرآن للزنجاني، ص ٦٧، ويرى غيره أن صحف أبي بكر التي اعتمد عليها عثمان في كتابة المصاحف كانت خالية من النقط، وإنما الذي كان منه فيها هو علامات خاصة باللغات التي كان الصحابة يقرؤون بها فأمر عثمان بإزالتها، انظر: تاريخ القرآن ص ٦٧ بالهامش.

(٣) صبح الأعشى، ج٣/ ١٥١ .

هجرية على عهد الخليفة عمر بن الخطاب مكتوبة بالعربية واليونانية، بعض حروفها منقوط معجم وهي حروف : الخاء والذال والزاي والشين والنون[١].

جـ - ما رُوي من أشعار جاهلية تدل على وجود النقط منذ ذلك العصر، من ذلك :

قول المُرَقّش :

الدّارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كما * رَقَّشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمُ**

وقول طرفة :

كسُطُورِ الرَّقِّ رَقَشَهُ * بالضُّحَى مُرَقِّشٌ يَشِمُهُ**

وحول معنى الرقش قال أبو علي القالي : "رَقَّشْتُ الكتابَ رَقْشًا و رَقَشْتُه، إذا كتبتُه ونقطته[٢]." وقال الأعلم الشنتمري في شرح بيت طرفة السابق : " وقوله: كسطور الرَّقّ : شبّه رسوم الرَّبْع بسطور الكتاب، ومعنى رَقَّشَهُ : زَيَّنَهُ وحسّنه بالنقط[٣]."

د - ماثبت عند علماء المسلمين من أن عثمان رضي الله عنه إنما جرّد المصاحف من النقط والشكل لتحتمل ما تواتر من القراءات عن رسول الله ﷺ؛ قال أبو عمرو الداني: " وإنما أخلى الصدر منهم (أي من الصحابة) المصاحف من ذلك (أي: من النقط) ومن الشكل من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات والفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده الأخذ بها والقراءة بما شاءت [الأمة] منها، فكان الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نقطها وشكلها[٤]."

---

(١) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٠ وانظر: أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٥٧ . وممن قال بعدم وجود الإعجام في العربية أيضا :جورج شهلا وشفيق جحاني في كتابهما "قصة الألف باء العربية" فانظره: هناك.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٩ عن أمالي القالي :٢/ ٢٤٦، وانظر: أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٥٦ .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٩ .

(٤) المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني، تحقيق د.عزة حسن، دار الفكر، دمشق ١٩٩٧، ص٣ .

وقال ابن الجزري : " وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسْمُوعَيْن المتْلُوَّيْن شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعْنَيَيْن المعقوليْن المفهوميْن[١] . "

وقال أيضا : " وجُرّدت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبيّ ﷺ[٢] ... " .

فأنت لا تستطيع إخلاء الشيء من الشيء إلا إذا كان هذا الثاني موجودا في الأول، مستقرا فيه، كما أنه لا يمكنك أن تجرّده من أيّ شيء إلا إذا كان ذلك متوَفّراً فيه، متميّزاً به، فقد دلّ ذلك على أن الكتابة العربية إنما كانت منقوطة مرقّشة قبل أن تخلى أو تجرد من نقطها وشكلها للعلة التي ذُكرت .

تلك كانت أربعة أدلة سقناها للتدليل على أن النقط كان موجوداً منذ البدء . ولعل طبيعة الخط العربي كانت تقتضي ذلك لتشابه رسم حروف كثيرة منه[٣]، مثل : الباء والتاء والثاء والنون، وهو مالم يكن في الخط النبطي إذ كانت حروفه جميعها متميزة في رسمها عن بعضها البعض مما جعلها بمنأى عن الالتباس، ومن ثم فهو في غير حاجة إلى نقط[٤] .

ولكننا ـ مع كل هذا ـ لا ندعي أن العرب كانت تنقط جميع حروف كتابتها التي تنقط على أيامنا هذه، بل نقول : إن الأرجح أنها كانت تلجأ إلى النقط كلما خافت الالتباس، وذلك على طريقة السُّرْيان والعبرانيين الذين كانوا ينقطون بعضا من حروفهم[٥]، يقول القلقشندي " ...فالنقط مطلوب عند خوف اللبس، لأنه إنما وضع لذلك، أما مع أمن اللبس فالأولى تركه لئلا يُظلم الخط من غير فائدة[٦] . "

---

(١) النشر، جـ١ / ٣٣ .　　(٢) النشر، جـ١ / ٧ .

(٣) للحروف العربية ثمان عشرة صورة، انظر: تفصيل ذلك في :صبح الأعشى، جـ٣ / ١٩، وانظر أيضا :خطوط المصاحف (مرجع سابق) ص ١٥ .

(٤) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٨ .

(٥) انظر: أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٥٥ .　　(٦) صبح الأعشى، ج٣ / ١٥٠ .

و إنا لنجد إشارات واضحة في تراثنا الإسلامي إلى هذا النقط الجزئي، من ذلك ما روي في حديث شريف أن رسول الله ﷺ كان يقول لكتّابه : "إذا اختلفتم في الياء والتاء فاكتبوها بالياء[١]."

كذلك ماورد عن عبيد بن أوس الغسّاني كاتب معاوية بن أبي سفيان من أنه قال : "كتبتُ بين يَدَيْ معاوية كتابا، فقال لي : ياعبيد، أرقش كتابك، فإني كتبتُ بيْن يدي رسول الله ﷺ فقال: يا معاوية، ارقش كتابك، قال عبيد : وما رقشه يا أمير المؤمنين ؟ قال : أعط كل حرف ما ينوبه من النقط.[٢]" ولا شك أن الأولى في رقش كاتب معاوية هو ما تشابه من الحروف إذ هي المعنية بدرجة أولى لخوف التباسها.

ويبدو أن عملية النقط هذه كانت متفاوتة بين الكتاب، تخضع لظروف معيّنة وأمزجة مختلفة، لعل أهمها يرجع إلى مدى وعي الكاتب نفسه بفن الكتابة، كذلك إلى المستوى الثقافي للذي يُبعث إليه بالكتاب، ونتيجة لذلك فإن النقط عندهم كان يتفاوت كثرة وقلة في الحروف.

ثانيا : الرسم العثماني

يعني به الخط الذي كتبت به المصاحف في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أي الرسم الذي كتب عليه زيد بن ثابت بمعية اللجنة المعينة لكتابة المصاحف العثمانية، ويسمّى الرسم السّلفي أيضا[٣].

إن الرسم العثماني خط متميّز يختلف عن الخط الإملائي الذي نعرفه اليوم، وهو رسم يختلف عما كان قبل ذلك مما كان الصحابة وغيرهم يتبعونه في كتاباتهم، ولكن اختلافه ـ فيما يبدو ـ عما كان قبل ذلك وعمّا كان سائدا آنئذ ليس اختلافا كبيرا يبلغ حدّ اختلافه مع الإملاء الحديث فليس بوسع كتاب المصاحف أن يتخلوا كلّيا عما ألفوه من هجاء لينحوا به نحواً آخر يختلف اختلافا كبيرا[٤].

---

(١) انظر: أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٥٦ عن :أسد الغابة لابن الأثير ١/١٩٣ .

(٢) أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٥٦ .   (٣) انظر: صبح الأعشى جـ٣/١٦٨ .

(٤) يرى الدكتور محمد بكر إسماعيل أن كتاب المصاحف العثمانية إنما كتبوا المصاحف على ما عرفوه من قواعد الخط مما كان شائعا في كتبهم.انظر:دراسات في علوم القرآن،ص ١٣٨ .

أ - خصائص الرسم العثماني :

إنّ تميّز الرسم العثماني عن غيره يكمن في أمرين مهمّيْن :

ـ **الأمر الأول** : خلوّه من النقط والشكل، وهو أمر طارئ -كما علمت - كان مقصوداً لاختلاف قراءات القرآن، فَجُرِّدَ الرسم من ذلك حتى يسع ما أمكن من تلك القراءات المتواترة والمشهورة؛ قال ابن الجزري : "وجرّدت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ماصح نقله وثبت تلاوته عن النبي ﷺ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرّد الخط[1]." وقال أيضا : "وجرّدوا المصاحف عن النقط والشكل لتحتمله ما بقي من صورة ما بقي من الأحرف السبعة كالإمالة والتفخيم والإدغام، والهمز والحركات وأضداد ذلك مما هو في باقي الأحرف السبعة غير لغة قريش، وكالغيب والجمع والتثنية، وغير ذلك من أضداده مما تحتمله العرضة الأخيرة.[2]"

ومن أمثلة ذلك أنّ كلمة ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥] جرّدت من النقط لتحتمل قراءة الياء[3]، وتحتمل أيضا قراءة التاء حيث قرئت "تُرجعون[4]" بصيغة البناء للمجهول في الاثنيْن[5].

ومنه أن كلمة " فتبيّنو[6]" جرّدت من النقط لتحتمل قراءة الباء والنون ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [النساء : ٩٤] وتحتمل كذلك قراءة الثاء والباء والتاء (فتثبتوا[7]) وكلّ منها قراءة صحيحة متواترة.

ومنه أيضا أن كلمة ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩] جرّدت منه لتحتمل قراءة

---

(١) النشر جـ١ /٧ .

(٢) منجد المقرئين ص ١١١، وانظر: المحكم في نقط المصاحف، ص ٣ . والنشر جـ١ /٣٣ .

(٣) قرئت :يُرجعون، وهي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي.

(٤) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم وابن عامر. (٥) انظر: السبعة في القراءات، ص٥٨٩ .

(٦) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم.

(٧) وهي قراءة حمزة والكسائي.

الزاي (ننشزها[1]) وقراءة الراء المهملة (ننشرها[2])، وكلاهما قراءتان متواترتان أيضا، لا سبيل إلى ردّ إحداهما.

ومما جرّد من الشكل - والنقط أيضا - كلمة ﴿يَفْصِلُ﴾ [الممتحنة : ٣] لتحتمل قراءة "يُفْصَلُ" بضم الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مع التخفيف[3]، بناءً للمجهول، وقراءة "يَفْصِلُ" بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد[4]، بناءً للمعلوم، وقراءة "يُفَصَّلُ" بضم الياء وفتح الفاء والصاد مع التضعيف[5]، وقراءة "يُفَصِّلُ" بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مع التضعيف[6]، وكلها قراءات صحيحة متواترة لا سبيل إلى احتوائها من خلال الصورة الخطية الواحدة إلا بتجريدها من الشكل.

فهذه أمثلة قليلة في تجريد الرسم من النقط والشكل ذكرناها هنا على سبيل التمثيل لا الحصر، فمعظم الخلاف في فرش الحروف المذكور في كتب القراءات السبع يحتمله رسم واحد اقتُصر عليه، وسوف ترد بقية الأمثلة مفصلة في الباب الثاني من هذا البحث إن شاء الله.

والذي لا بد من التنبيه عليه ههنا أن هذه الميزة في الرسم العثماني - وهي خلوه من النقط والشكل - قد استُغني عنها لاحقا عندما أُعجم المصحف وشُكّل حماية للقرآن من اللحن الذي انتشر على ألسنة الناس في الأمصار الإسلامية، غير أن هذا الاستغناء لم يمنع بقاء ذلك الرسم شائعا تحت نفس الاسم : الرسم العثماني أو الرسم المصحفي.

- **الأمر الثاني** : زيادة بعض الحروف، وحذف بعضها، وتغيير بعضها الآخر على غير قياس وخلافا للمنطق، إذ كان الأصل أن يكون كل مكتوب موافقا تمامًا للمنطوق به زيادة ونقصا وتغييراً، بيد أن هذا الأصل قد خولف في رسم المصحف العثماني[7].

---

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. (٢) وهي قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي.
(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. (٤) وهي قراءة عاصم.
(٥) وهي قراءة ابن عامر. (٦) وهي قراءة حمزة والكسائي.
(٥٧) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٢٨٩ .

والذي نميل إليه بهذا الخصوص أن كتّاب المصاحف العثمانية لم يخالفوا فيه ما كانوا عليه في الكتابة قبله، فقد كتبوا القرآن بحضرة رسول الله ﷺ على هذا الرسم، كما كتبوه في صحف أبي بكر رضي الله عنه بالرسم نفسه، فلم يخالفوا ما تعارفوا عليه من الرسم منذ البداية اللهم ما كان من أمر تجريد ذلك من النقط والشكل[1].

* **ومن أمثلة ما زيد في الرسم العثماني :**

١ - زيادة الألف :

أ - في أول الكلمة : كقوله تعالى : ﴿**لأاْذْبَحَنَّهُ**﴾ [النمل : ٢١] وقوله : ﴿**وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ**﴾ [التوبة : ٤٧].

ب - في وسط الكلمة : مثل قوله تعالى : ﴿**لا يايئس**﴾ [يوسف : ٨٧] وقوله: ﴿**أَفَلَمْ يَيْأَسِ**﴾ [الرعد : ٣١].

ج - في آخر الكلمة : مثل قوله تعالى : ﴿**يَرْجُوا**﴾ [الكهف: ١١٠، والأحزاب: ٢١، والزمر: ٩، والممتحنة: ٦] و﴿**يَدْعُوا**﴾ [البقرة: ٢٢١، يونس: ١٠، الحج: ١٢، ١٣، وفاطر: ٦، والزمر: ٨، والأحقاف: ٥، والانشقاق : ١١] وذلك عند إسناد الفعل للمفرد الغائب بشرط الا يتصل ضمير به[2].

قال الزركشي : إنما زيدت الألف في مثل هذه الأفعال مع الواو " تنبيهًا على ثقل الجملة[3]" اي جملة الفعل مع فاعله، إذ ما من فعل إلا ولزمه فاعله وليس كذلك الاسم، فالفعل أثقل لذلك - حسْب رأي الزركشي - من الاسم، ثم إن الواو أثقل حروف المد واللين - كما يرى - فكأن زيادة الألف هروب من ثقل ذلك كله لأن الألف من جنس الفتحة والفتحة أخَفُّ الحركات جميعًا.

---

(١) انظر: الجمع الصوتي، ص ٢٩٦ .
(٢) انظر: صبح الأعشى جـ٣ / ١٧٧ .
(٣) البرهان جـ١ / ٣٨٢ .

ومنه أيضا زيادة الألف في ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾ [النساء : ١٧٦] تنبيها على أنه كان ينبغي أن تكون صورة الهمزة ألفًا[١]. وزيدت للعلة نفسها في ﴿لا تَظْمَؤُاْ﴾ [طه : ١١٩] و ﴿مَا يَعْبَؤُاْ﴾ [الفرقان : ٧٧] و ﴿يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ﴾ [يونس : ٤/ ٣٤] و﴿بُرَءَآؤُاْ﴾ [الممتحنة : ٤] و ﴿الضُّعَفَـٰؤُاْ﴾ [إبراهيم : ٢١ ، وغافر: ٤٧] فهذه الألفات زيدت رسما وهي لاحظ لها في النطق[٢].

٢ - زيادة الواو :

وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٥] وقوله: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ [الأنبياء : ٣٧] وذلك في مصاحف أهل المدينة وأهل العراق[٣]. ومنه زيادتها في : "أولئك" و"أولي" و"أولو" و"أولات" و"أولاء" حيث وقع ذلك من القرآن. وقد علل القلقشندي لزيادتها في أسماء الإشارة هذه بأنها إنما زيدت في "أولئك" للفرق بينها وبين "إليك" حيث إن رسمهما واحد إذا جرّدتا من الهمزة ونقطتيْ الياء ـ كما هو حال الرسم الأول ـ فزيدت الواو في "أولئك" لذلك، وزيدت في "أولي" للفرق بينها وبين "إلى" وزيدت في "أولو" و"أولات" حملا على زيادتها في "أولي"[٤].

٣ - زيادة الياء :

زيدت الياء في تسعة مواضع من المصحف، هي[٥] :

في آل عمران (الآية ١٤٤) : ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾

وفي الأنعام (الآية ٣٤) : ﴿مِن نَّبَإِى الْمُرْسَلِينَ﴾

وفي يونس (الآية ١٥) : ﴿مِن تِلْقَاءِى نَفْسِي﴾

---

(١) انظر: صبح الأعشى جـ٣/ ١٧٨ .

(٢) انظر:أمثلة أخرى في زيادة الألف :البرهان جـ١/ ٣٨٣ وما بعدها، والمقنع ص ٥٧ .

(٣) انظر: المقنع، ص ٥٣ .

(٤) انظر: صبح الأعشي جـ٣/ ١٧٩ .

(٥) انظر:ذلك في :المقنع، ص ٤٧ .

وفي النحل (الآية ٩٠) : ﴿وَإِيتَاءِى ذِي الْقُرْبَىٰ﴾

وفي طه (الآية ١٣٠) : ﴿وَمِنْ آنَاءِى اللَّيْلِ﴾

وفي الأنبياء (الآية ٣٤) : ﴿أَفَإِيْن مِتَّ﴾

وفي الشورى (الآية ٥١) : ﴿أَوْ مِن وَرَاءِى حِجَابٍ﴾

وفي الذاريات (الآية ٤٧) : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾

وفي القلم (الآية ٦) : ﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾

وقد ظهر لنا أن الياء قد زيدت في هذه المواضع لأن لها حظّ من النطق في بعض القراءات عند من أبدل الهمزة السابقة عليها منها أو سهّل الهمزة فتكون الياء مدّا لها.

*** ومن أمثلة ما حُذف من هذا الرسم :**

١ ـ حذف الألف : وذلك في مواضع كثيرة من المصحف الشريف، من ذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ [البقرة : ٩] بحذف الألف بعد الخاء، وفي قوله ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ [البقرة : ٥١] بحذف الألف بعد الواو،وفي قوله: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة : ٨١] بحذف الألف بعد الهمزة، وفي قوله : ﴿تَظَهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ [البقرة: ٨٥] بحذف الألف بعد الظاء، وفي قوله : ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] بحذف الألف بعد السين.

ويمكن تفسير حذف الألف في هذه المواضع ونحوها على وجهين :

ـ الوجه الأول : أن الألف فتحة طويلة، وعليه فهي ملحقة بالشكل حُذفت كما حُذفت الفتحة القصيرة حينما جردوا المصاحف من النقط والشكل. ولعلهم يكونون قد تأثروا في ذلك بما كان سائدا عند الأنباط من حذف الألف في كتابتهم[١]. وهي عند أبي عمرو الداني إنما حذفت من الخط اختصاراً[٢]. ولعل كثرة

---

(١) انظر: أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٠١ . (٢) انظر: المقنع، ص ١٠ .

حذفها في المصاحف على هذا النحو-إذا ما قورن ذلك بحذف الواو والياء-إنما كان كذلك لأنها لا تكون إلا مدّا (صائتا) في حين تكون الواو أو الياء مدّا وتكون حرفا صحيحا (صامتا).

- **والوجه الثاني** : أنّ الألف حذفت في كثير من كلمات المصحف لأن تلك الكلمات ثبت فيها قراءتان : قراءة بالألف، وأخرى بغيرها كما هو الحال في قوله (ومايخدعون) فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بن العلاء ذلك بالألف، وقرأها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بغير ألف[1]. كذلك الأمر في قوله (وإذ واعدنا) التي قرأها أبو عمرو بغير ألف، وقرأها بقية السبعة بألف[2].

والأمر نفسه في قوله ﴿**وأحاطت به خطيئته**﴾ حيث قرأها نافع بالألف (خطيئاته) على أنها جمع مؤنث سالم، وقرأها بقية السبعة بغير ألف على أنّها مفرد[3].

وقد حذفت الألف أيضا في الرسم العثماني بعد "يا" التي للنداء خاصة إذا وليها همزة.

٢ - **حذف الواو** : وذلك اكتفاءً بالضمة، ومن أمثلة ذلك :

﴿**سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ**﴾ [العلق : ١٨] و﴿**وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ**﴾ [الشورى : ٢٤][4] و﴿**وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ**﴾ [الإسراء: ١١] و﴿**يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ**﴾ [القمر : ٦].

وقد فسّر الزركشي حذف الواو من الأفعال الأربعة في الآيات السابقة بأنه كان "تنبيهًا على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدّة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود.[5]"

---

(١) انظر: كتاب السبعة في القراءات، ص ١٤١ .

(٢) انظر: كتاب السبعة، ص ١٥٥، وانظر:حديثا مفصلا عن حذف الألف في كل من :أ-المقنع، ص١٠ – ٢٩، ب – البرهان في علوم القرآن ١ /٣٨٨-٣٩٧ .

(٣) انظر: كتاب السّبعة في القراءات، ص ١٦٢ .

(٤) والفعل "يمحُ" جملته مستأنفة وليس معطوفا على الفعل المجزوم "يختمْ" الذي قبله.

(٥) البرهان، جـ١ /٣٩٧ .

ومنه أيضا حذف هذه الواو من "داوُد" حيثما وقع ذلك من المصحف، ومن ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤].

٣ - حذف الياء: وذلك اكتفاء بالكسرة كما هو حال حذف الواو، وأمثلة ذلك كثيرة في المصحف[١]، منها في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وفي قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١] وفي قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] و﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ﴾ [الرحمن: ٢٤].

ويرى القلقشندي أن ياء المنقوص (في مثل: الداعي) وياء صيغة منتهى الجموع (في مثل: الجواري) إنما حذفت في الرسم القرآني لعلة التعريف التي لحقت أسماءها[٢]. والأرجح عندنا أنها حذفت اجتزاءً بكسر ما قبلها منها، كما حذفت الواو اجتزاءً بضم ما قبلها منها.

* **ومن أمثلة ما غُيّر رسمه**:

١ - كتابة الألف واواً على لفظ التفخيم، وذلك في "الصلواة" و"الزكواة" و"الحيواة" و"الرّبوا" حيثما وقع شيء من ذلك في المصحف الشريف.

وكذلك كتابتها واواً في ﴿بِالْغَدَوٰةِ﴾ [الأنعام: ٥٢، الكهف: ٢٨] و﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥] و﴿النَّجَوٰةِ﴾ [غافر: ٤١] ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ [النجم: ٢٠].

٢ - كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة، وهي لغة طيئ، من ذلك: "رحمة": مُدّت تاؤها في سبعة مواضع من القرآن، منها في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] وفي قوله: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢، الأعراف: ٥٦، هود: ٧٣، مريم: ٢، والروم: ٥٠].

---

(١) انظر: ذلك بشكل مفصّل في: المقنع ص ٣٠-٣٤، والبرهان ١/٣٩٨-٤٠٧.
(٢) انظر: صبح الأعشى جـ٣/١٧٢.

ومنه ورود كلمة " نعمة" بتاء مفتوحة في أحد عشر موضعا، منها في قوله : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١].

ويلاحظ أن كل ما ورد في المصحف الشريف من "نعمة" و"رحمة" بتاء مفتوحة قد أضيف إليه اسم الجلالة (الله) أو مرادفه (ربك).

ومن ذلك أيضا فتح تاء "امرأة" في سبعة مواضع : ﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران: ٣٥] و﴿امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص : ٩، والتحريم : ١١] و﴿امْرَأَتَ نُوحٍ﴾ [التحريم : ١٠] و﴿وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم : ١٠] و﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٣٠، ٥١]

ومنه فتح تاء "السُّنَّة" في خمسة مواضع منها في قوله : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣، والأنفال : ٣٨ ، وغافر: ٨٥].

٣ ـ كتابة نون التوكيد الخفيفة ألفا ؛ وذلك في موضعين :

في قوله تعالى : ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] وقوله : ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] .

٤ ـ وصل حروف بغيرها كتابة : ومنه وصل "أنّ" بـ"لا" إذا وقعت بعدها في المصحف ما عدا في عشرة مواضع، منها في ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ [هود : ٢] و﴿أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠]، كذلك وصلها بـ"ما" مطلقًا. و "إنّ" توصل بـ"ما" أيضا إلا في قوله تعالى : ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد : ٤٠]

كذلك وصل "مَنْ" بـ "ما" ماعدا في ثلاثة مواضع هي قوله تعالى ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ [النساء: ٢٥] وقوله ﴿مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ [الروم : ٢٨] وقوله ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ [المنافقون: ١٠] وهي توصل بـ " مَنْ" مطلقا، أما "عَنْ" فتوصل بـ "ما" إلا في قوله تعالى : ﴿عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

ومن ذلك أيضا وصل "بئس" بـ "ما"، ووصل "كلّ" بـ "ما" إلا في قوله تعالى ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩١] وقوله ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] (١).

هذه نماذج للرسم العثماني سقناها على سبيل التمثيل لا الحصر وذلك مخافة التطويل، إذ أن الحديث عن هذا الرسم في شتى صوره أكبر من أن يحاط به في مثل هذه العجالة. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه النماذج من الرسم العثماني لا خلاف فيها في جميع المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار الإسلامية.

ب - اختلاف مرسوم المصاحف

يلحق بالرسم العثماني الموحد المتميز بخصائصه المذكورة ـ يلحق بذلك ما اختلفت فيه تلك المصاحف الموجه بها إلى الأمصار من إثبات بعض الكلمات والحروف أو حذفها، وقد حصرها بعض الدارسين في تسعة وأربعين (٤٩) حرفا أو كلمة (٢)، وذكرها بعضهم فعدّ منها اثني عشر (١٢) حرفا اختلف فيها أهل المدينة وأهل العراق، وثمانية وثلاثين (٣٨) اختلف فيها أهل الشام وأهل العراق، وأربعة (٤) أحرف اختلف فيها أهل الكوفة وأهل البصرة (٣).

إن هذه الأحرف المختلف فيها بين مصاحف الأمصار هي مما لا يمكن أن يحتويه رسم واحد فقصد لذلك توزيعه على المصاحف لثبوت تواتره أو شهرته إذ أن اختلاف المصاحف العثمانية في الهجاء إنما كان ليسع "من القراءات ما يرسم بصور مختلفة إثباتا وحذفا وإبدالا، فكتبت في بعضها برواية، وفي بعضها برواية أخرى... فكما اقتصر على لغة واحدة في جميع المصاحف ـ كما يرى بعضهم ـ اقتصر على رسم رواية

---

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن، ص ١٦٤،١٦٥ . (٢) انظر: القراءات المتواترة، ص ٩٣ .

(٣) انظر: معجم القراءات ١/٤٥-٤٩، وكتاب :المصاحف، ص ٤٩-٥٨ . وورد في كتاب: مقدمتان في علوم القرآن (ص ١١٧ وما بعدها) أن مَصْحَفَيْ أهل المدينة وأهل العراق اختلفا في "١٢" حرفا، واختلف مصحفا أهل الشام والعراق في نحو أربعين حرفا، ومصحفا أهل الكوفة والبصرة في خمسة أحرف.

واحـــدة في كل مـــصـــحف، والمدار في القـــراءة على عـــدم الخـــروج عن رسم تلك المصاحف[١]." وإنما كتبت هذه في البعض بصورة، وفي آخر بأخرى لأنها لو كررت في كل مصحف لَتُوَهِّمَ نزولها كذلك، ولو كتبت بصورة في المتن وبأخرى في الحاشية لكان ذلك تحكما أو مفاضلة فيما لا مفاضلة فيه[٢]. ولكان "في رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لاخفاء به، ففرقها [عثمان] في المصاحف لذلك، فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها لكي تحفظها الأمة." [٣]

وفي عرض حروف اختلاف مصاحف الأمصار من الإطالة التي تجعل الحديث يمتدّ أكثر من اللازم فيما أصبح معروفا مشهورا عند الدارسين، فنحن نشير هنا إلى أمثلة قليلة من ذلك منها[٤] :

١ - في اختلاف أهل المدينة وأهل العراق :

قـرأ أهل المدينة في سـورة البـقـرة (آية ١٣٢) "وأوصى" وقـرأ أهل العـراق "ووصّى".

وقرأ أهل المدينة في سورة آل عمران (آية ١٣٣) : "سارعوا إلى مغفرة" وقرأ أهل العراق "وسارعوا" بالواو.

وقرأ أهل المدينة في سورة الكهف (آية ٣٦) "خير منهما منقلبا" وقرأ أهل العراق "خير منها".

وقرأ أهل المدينة في سورة غافر (آية ٢٦) "وأن يظهر في الأرض الفساد" وقرأ أهل العراق "أو أن يظهر".

---

(١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٠٠ .
(٢) انظر: معجم القراءات القرآنية ١ / ٥٠، وتاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٠٠ .
(٣) المقنع، ص ١١٥ .
(٤) انظر: مجموع المختلف فيه بين المصاحف في :معجم القراءات ١ /٤٥ ـ ٤٩، وكتاب: المصاحف ص ٤٩ – ٥٨ .

وقرأ أهل المدينة في سورة الشورى (آية ٣٠) "بما كسبت أيديكم" وقرأ أهل العراق "فبما كسبت".

وقرأ أهل المدينة في سورة الحديد (آية ٢٤) "فإن الله الغني الحميد" وقرأ أهل العراق "فإن الله هو الغني الحميد".

٢ - في اختلاف أهل الشام وأهل العراق :

قرأ أهل الشام في سورة البقرة (آية ١٥٩) "لم يتسنه" وقرأ أهل العراق "لم يتسنّ" بغير هاء.

وقرأ أهل الشام في سورة آل عمران (آية ١٣٣) "سارعوا" وقرأ أهل العراق "وسارعوا" بالواو.

وقرأ أهل الشام في سورة آل عمران (آية ١٨٤) "بالبيّنات وبالزبر" وقرأ أهل العراق "والزبر" بغير الباء.

وقرأ أهل الشام في سورة الأنعام (آية ٣٢) "ولدار الآخرة" وقرأ أهل العراق "وللدار" بلامين.

وقرأ أهل الشام في سورة البقرة (آية ٤٩) "وإذ أنجاكم" وقرأ أهل العراق "وإذ نجيناكم".

وقرأ أهل الشام في سورة يونس (آية ٣٣) "حقت كلمات ربك" وقرأ أهل العراق "كلمة" مفردا.

وقرأ أهل الشام في سورة غافر (آية ٢١) "كانوا هم أشد منكم" وقرأ أهل العراق "أشد منهم".

وقرأ أهل الشام في سورة الرحمن (آية ٧٨) "تبارك اسمُ ربك ذو الجلال" وقرأ أهل العراق "ذي الجلال".

٣ - في اختلاف أهل الكوفة وأهل البصرة :

قرأ أهل الكوفة في سورة الأنعام (آية ٦٣) " لئن أنجانا" وقرأ أهل البصرة "لئن أنجيتنا"

وقرأ أهل الكوفة في سورة الأنبياء (آية ٤) " قال ربي يعلم القول" وقرأ أهل البصرة "قل ربي" .

وقرأ أهل الكوفة في سورة الأحقاف (آية ١٥) "ووصّيْنا الإنسان بوالديه إحسانا" وقرأ أهل البصرة "حُسْنًا " .

ولا بد من التأكيد هنا على أن هذه الاختلافات مردها إلى ما قبل الجمع الكتابي للقرآن وكتابة المصاحف العثمانية، إذ القراءات جميعها مرجعها إلى فترة الوحي .

ج - عوامل تمسك المسلمين بالرسم العثماني :

كان للرسم العثماني عند المسلمين قيمة خاصة مما جعلهم يتمسكون به ولا يبغون التحوّل عنه، ولهم في ذلك حجج أهمها [١] :

١ - أن الرسم العثماني المصحفي أثر من آثار عهد النبوّة، به كتب كتّاب الوحي القرآن في حضرة رسول الله ﷺ .

٢ - أن كتابة القرآن بالرسم العثماني المعروف كان لأسرار لا تهتدي إليها العقول، خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية .

٣ - أن هذا الرسم قد أُجمع عليه، فبه كتب أبو بكر الصديق القرآن في صحفه بإشراك الصحابة ورضاهم، وتبعه عثمان - الذي نسب إليه هذا الرسم - فكتب به مصاحفه التي بثها في الآفاق على ملإٍ من الصحابة وبرضاهم أيضا .

٤ - أن الرسم العثماني متضمن لصور كثيرة من الأداء، فإذا ما هُدم بدعوى التيسير أو سهولة التناول للعموم هُدمت معه طرق أداء خاصة .

---

(١) انظر: بعض هذه العوامل بشكل مفصل في :الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٢٩٦ وما بعدها .

٥ – أن التمسك بالرسم العثماني هو من باب سدّ الذرائع ومنع استحسان كتابة القرآن بأي رسم آخر، لأنه إذا فتح هذا الباب فتح معه باب التغيير والتبديل في الكتاب.

٦ – أن الرسم العثماني – على الرغم مما قد يذكر له من عيوب – ليس هو بأسوأ من الرسم الإملائي الحديث الذي هو عرضة للتغيير والتبديل، ومخالفة للمنطوق من الكلام، وعدم مطابقته له في كثير من صوره في الكتابة العربية وفي غيرها من كتابات الأمم الحديثة مما يضيق المقال لذكره ههنا.

٧ – أن الاهتداء إلى قراءة القرآن قراءة صحيحة لابد فيها من المشافهة شأن كل علم نفيس يتحفّظ عليه، فلا يعوّل في ذلك على كتابة كيفما كانت درجة إتقانها، إذ أن في القرآن الكريم أشياء كثيرة لا تنضبط إلا من خلال الأداء السليم.

وما دام الأمر كذلك فإن المسلمين ليسوا في حاجة إلى تغيير كتابة المصحف التي ورثوها عن أسلافهم الأوائل والتي اكتسبت قدسية لديهم لارتباطها بأقدس كتاب سماوي.

كانت هذه عوامل تمسكهم بالرسم العثماني أوردناها بشكل مختصر، وهي عوامل دينية تاريخية في جوهرها، مضاف إليها عامل تمثيل هذا الرسم لقراءات تمثيلا صريحا أو رمزه إليها أحيانا سواء كان ذلك من قبيل الأصوات المختلفة فيما زيد أو حذف من الحروف أو كان من قبيل الأداء فيما غيّر رسمه.

د ـ أثر التحسينات التي أدخلت على الرسم العثماني :

إن التحسينات التي أدخلت على الرسم العثماني لاحقا منذ عهد الخليفة علي ابن أبي طالب، والتي عُهد بها إلى جملة من أئمة العربية أمثال أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)، ونصر بن عاصم الليثي (ت ٧٩ هـ)، ويحيى بن يعمر (ت ١٢٩هـ) والحسن البصري (ت ١١٠هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) ـ هذه

التحسينات قد عملت في مجملها على تقليص دائرة القراءات القرآنية، سواء كانت تحسينات من قبيل الشكل، أو النقط، أو إثبات الهمزات وعلامات المد والصلة والإدغام والإخفاء والإظهار مما هو من قبيل الأداء [١]، كل ذلك كانت له نتائج ذات حدين :

ـ أحدهما : هو تقليص دائرة القراءات، حيث كان غير ممكن مع هذه التحسينات والعلامات إلا التعبير عن بعض القراءات لا يتجاوز عددها في غالب الأحيان القراءة الواحدة، ولذلك وجدت المصاحف قد اختلفت منذ عصر أبي الأسود الدؤلي، وذلك بحسب القراءة المتواترة التي ينهج عليها صاحب المصحف، فثمة مصحف مرسوم بما يوافق قراءة أبي عمرو بن العلاء، وآخر مرسوم بما يوافق قراءة نافع وهكذا[٢]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن المصاحف المطبوعة المتداولة على أيامنا هذه أربعة هي : مصحف حفص، ومصحف قالون، ومصحف ورش، ومصحف الدوري[٣].

ـ والحد الثاني : هو حد إيجابي بحيث أمكن بإدخال هذه التحسينات لأن يَقْبِلَ على المصحف العامة والخاصة من المسلمين فيقرؤون فيه القرآن بعد أن ذُلِّلَ رسمه وقُرِّب فَهْمُهُ من خلال تلك التحسينات فصار في متناول عامة المسلمين بعد أن كان يمثل في كثير من صوره طلاسم يصعب على العامة فك رموزها . غير أن ذلك لا يعني أبداً أن المصحف أصبح مُغنيا عن التلقي الشفوي للقرآن من أهل الأداء العارفين لقراءاته المختلفة لأن القراءات هي الأصل والرسم تابع لها[٤]، إذ أن الاعتماد على المصحف في القراءة قد يؤدي إلى فهم خاطئ للمقروء من القرآن يبلغ في بعض الأحيان حد قلب الدلالة تماما ؛ ذلك ما يمكن حدوثه في قراءة " لأاذبحنّه » [النمل : ٢١] – على سبيل المثال ـ المرسومة بألف زائدة بعد الهمزة، فقد يؤدي ذلك إلى قراءتها بصورة النفي لا التوكيد، ومن ثم وجب التعويل على سماع المشايخ

---

(١) انظر: نماذج من وجوه القراءات المتواترة التي غابت عن الرسم ومن ثم القراءة في كتاب : القراءات المتواترة، ص ٩٩ ـ ١١٧ .

(٢) انظر: القراءات المتواترة، ص ٩٩ .　　(٣) انظر: المرجع نفسه، ص ١٠٤ .

(٤) انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٢٧ .

المجوّدين العارفين بأحكام القراءة الصحيحة، وليس التعويل على مرسوم المصاحف، ذلك هو السبيل الصحيح، فمن خالفه واعتمد على المصحف في رسمه القديم المحسن وغير المحسن لم يسلم من الخلط في القرآن، وقد يقرأ الجمع مفرداً والمفرد جمعًا، والإثبات نفيا والنفي إثباتا، وقد يخل بالمعنى إخلالا بيّنا[1]. فالاحتياط واجب قديما وحديثا، قبل التحسين وبعد التحسين مخافة الخروج عن القراءات المشهورة والمتواترة إلى ما سواها مما امتنعت القراءة به.

هـ الرسم العثماني والتصحيف

إن الاعتماد في القراءة على المصحف في رسمه القديم الخالي من الإعجام والشكل قد أدى إلى تصحيفات[2] كثيرة بسبب تشابه صور حروف كثيرة. وقديما قال أرسطوطاليس : "كل كتابة تتشابه صور حروفها تولد السهو والغلط والخطأ فيها، لأن ما في الخط دليل على ما في القول، وما في القول دليل على ما في الفكر، وما في الفكر دليل على ما في ذوات الأشياء[3]."

ومن أمثلة تصحيفاتهم التي رويت[4] :

(أ) أن عثمان بن أبي شيبة أحد شيوخ البخاري (ت ٢٣٩ هـ) قرأ في قوله تعالى ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [يوسف : ٧٠] "رجل" بالجيم بدل الحاء، وقرأ في قوله ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١] "صَبْحًا" بالصاد بدل الضاد، وقرأ في قوله ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة : ٣٤] "مرقوعة" بالقاف بدل الفاء، وقرأ في قوله ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ﴾ [الأعراف : ١٥٠] "يجزه" بالزاي بدل الراء.

---

(١) انظر:الفرقان لابن الخطيب، ص ٨٦ .

(٢) التصحيف :هو قراءة الشيء بخلاف ما أراد كاتبه، وأصل معناه :أخذ العلم من الصحف من غير مجالسة العلماء فيه. انظر: التنبيه على حدوث التصحيف، ص ٢٦ .

(٣) التنبيه على حدوث التصحيف، ص ٢٧ .

(٤) انظر ذلك في :التنبيه على حدوث التصحيف، ص ٤، وانظر: أمثلة أخرى، ص ١٥٤ وما بعدها.

(ب) وقرأ حماد الراوية في قوله تعالى ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح : ٩] "تعززوه" بالزاي بدل الراء[١]، وقرأ في قوله ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة : ٣٥] "غَلْيُها" بالغين بدل العين، وفي قوله ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] "لا نتبع" بالتاء ثم الباء ثم العين بدل الباء ثم التاء ثم الغين من بغى الشيء يبغيه بغاء إذا طلبه[٢].

(جـ) وأن حمزة بن حبيب الزيات - أحد القراء السّبعة - كان يتعلم القرآن من المصحف فقرأ يومًا وأبوه يسمع "الم، ذلك الكتاب لا زيت فيه" بالزاي المعجمة بدل ﴿لا رَيْبَ﴾ [البقرة: ٢] بالراء المهملة ، فقال له أبوه : دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال[٣].

(د) وحكى الكسائي - أحد السّبعة وتلميذ حمزة الزيات - قال : "كان الذي دعاني أن قرأت بالريّ أني مررت بمعلم صبيان يقرأ ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ﴾ [سبأ:١٦] بالتاء (في: أتل) بدلا من "أثل" فتجاوزته فإذا معلم آخر قد ذكرت له ذلك، فقال : أخطأ، الصواب : "وإبل" ! فدعاني أني أقرأت الصبيان[٤]"

فهذه الأمثلة وغيرها مما لم نذكره تؤكد أنه لابديل عن سماع أو مشافهة أهل الدراية بالقراءات قبل الاعتماد على مرسوم المصاحف، ومثل تلك التصحيفات هو الذي جعل علماء المسلمين لا يجيزون الاكتفاء بالأخذ من المصحف بدون موثّق[٥] وهو الذي دفعهم أيضا لأن يقولوا : لاتأخذوا القرآن من مَصْحَفِيّ ولا العلم من صُحُفِيّ[٦] خاصة إذا علم أن من القراءات ما لا يمكن إحكامه أبداً إلا بالتلقي الشفهي

---

(١) وقيل :هي قراءة آحاد لابن عباس

(٢) انظر: لسان العرب ١ / ٣٢١ مادة "بغا" .

(٣) انظر: ظاهرة الإعراب في النحو العربي، الدكتور :أحمد سليمان ياقوت ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٣، ص ٢١٧ .

(٤) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٠٦، و انظر:أمثلة أخرى، ص ١٠٤-١٠٦ .

(٥) انظر: الجمع الصوتي، ص ١٠٩ . (٦) انظر: ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ص ٢١٧ .

كالتفخيم و الترقيق، والمد والقصر، والإدغام والإظهار والإخفاء، والروم والإشمام، والفتح والإمالة، وتخفيف الهمز، وغير ذلك مما لايكفي المصحف المكتوب لتعليمه[1].

ولعل من حكم الرسم العثماني أنه وضع بذلك الشكل ـ الذي يبدو للعامة مضطربا ـ لتظل المشافهة هي الأساس في قراءة القرآن الكريم.

ثالثا: المستشرقون وتعدد القراءات

خاض المستشرقون في الدارسات القرآنية، وكان على رأس ذلك القراءات القرآنية، وقد كان هدفهم من وراء ذلك ـ عند كثير منهم ـ هو إثبات أنه لايوجد متن واحد للقرآن فقط، بل أكثر من ذلك، وهو أمر يبرر دعواهم ببشرية القرآن[2].

ويرى كثير من هؤلاء المستشرقين أن الرسم العثماني المصحفي هو السبب في تعدد القراءات القرآنية؛ قال بذلك "جولد تسيهر" في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي"، و"تيودور نولدكه" في كتابه "تاريخ القرآن"، و"آرثر جفري" في مقدمة تحقيقه لكتاب "المصاحف" لابن أبي داود السجستاني و"كارل بروكلمان" في كتابه "تاريخ الأدب العربي".

فهؤلاء الأربعة ومن سار في دربهم من أذنابهم أو التقى مع رأيهم صدفة ممن تقدمهم من الدارسين المسلمين، كلهم ينهجون النهج نفسه في نظرتهم إلى تعدد القراءات القرآنية فيفسرون ذلك في إطار طبيعة الرسم الذي كُتِب به القرآن في المصاحف العثمانية.

ولا يخرج عن ذلك الإطار في نظرهم إلا النزر القليل الذي استبعد في نسخ

---

(١) انظر: الجمع الصوتي، ص ١١١.

(٢) انظر: مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، مقال للدكتور عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة الـ ١٤، العدد ٣٨، سنة ١٩٩٩، ص ٧١.

المصاحف العثمانية من قراءة الآحاد و الذي نشأ "من إضافة زيادات تفسيرية[١]" أو ما تسومح في قراءته بالمرادف من طرف بعض الصحابة[٢] وقد علمت أن هذين النوعين لم يكن له حظ ضمن القراءات المتواترة والمشهورة، ولكن هؤلاء المستشرقين ومن نهج نهجهم يحفظونهما كنوعين من أنواع القراءات المتميزة التي لا دخل للرسم العثماني فيها، أما ماعداها من القراءات المتواترة والمشهورة المختلفة فإن الرسم العثماني هو السبب في نشأتها حسب رأيهم ؛ فهذا "جولد تسيهر" يقول : "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدّم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة[٣] تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط، بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية[٤] يدعو اختلاف الحركات - الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده - إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها. وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في المحصول الموحّد القالب من الحروف الصامتة كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطا أصلا أو لم تُتحرَّ الدّقة في نَقْطه أو تحريكه[٥]."

إن اختلاف القراءات في رأي "جولد تسيهر" - كما يبدو - متأخر عن عهد النبوّة وعهد الصحابة، حادث بإحداث النقط والشكل، أي أن القراءات هي نتيجة اجتهاد علماء العربية المسلمين في نقط النص القرآني وشكله، فعنده أنّ قراءة كلمة "بُشْرًا" من قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ [الأعراف : ٥٧] بالباء، و قراءتها "نَشْرًا" بالنون، إنما ذلك هو نتيجة اجتهاد "في تحلية الهيكل المرسوم بالنقط[٦]"

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ١٥، ١٦ . (٢) انظر:المرجع نفسه، ص ٢٦، ٢٧ .

(٣) مقادير صوتية مختلفة :إشارة منه إلى تشابه صور حروف كثيرة في العربية.

(٤) تساوي المقادير الصوتية :يعني بها اتفاق قراءات في قراءة الهيكل أو الرسم الواحد صوتا واحداً.

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨ ، ٩ . (٦) مذاهب التفسير الإسلامي، ص٩ .

كذلك كلمة "فتبينوا" من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء : ٩٤] التي قرئت أيضا "فَتَثَبَّتُوا"، والسبب في ذلك حسب زعمه إنما يعود لكون "الهيكل المرسوم يحتمل الوجهين[١]" فمثل هذين المثالين السبب في قراءته بأكثر من قراءة واحدة هو اختلافهم في نقط ما تشابه من الرسم حسب زعم "جولد تسيهر".

ومثال ماكان نتيجة اختلافهم في الحركات قراءتهم ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر : ٨] بنونين؛ الأولى مضمومة و الثانية مفتوحة ثم زاي مكسورة مضعّفة، على اعتبار أن الفعل مبني للمعلوم، و"الملائكة" مفعول به[٢]. و قراءة ذلك: "ما تَنَزَّلُ الملائكةُ" بتاء مفتوحة ثم نون فزاي مضعّفة مفتوحة[٣] على اعتبار أن الفعل مبنيّ للمعلوم حذفت تاؤه الثانية لتوالي الأمثال (أصله : تتنزّل) و"الملائكة» فاعل، وقراءتها أيضا "تُنَزّل" بضم التاء[٤]، على اعتبار أن الفعل مبني للمجهول، و"الملائكة" نائب عن الفاعل، فاختلاف حركات ذلك يعود حسب رأيه لجواز احتمال الكلمة لتلك الأوجه وليس لأمر آخر.

إن رأي "جولد تسيهر" هذا لايختلف عمّا كان "تيودور نولدكه" قد قرره من قبل في كتابه "تاريخ القرآن" وهو الكتاب الذي وصفه "جولد تسيهر" بالكتاب الأصيل البكر، ووصف صاحبه بالزعيم الكبير[٥].

وهو رأي يتطابق أيضا مع ماذهب إليه « آرثر جفري » من أن القارئ كان « يتولى بنفسه نقط النص القرآني وضبطه بالشكل على مقتضى ما يفهمه هو من معاني الآيات[٦] » فعنده على سبيل المثال أن كلمة « يعلمه » كان الواحد يقرؤها

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ١٠ .
(٢) وهي قراءة حمزة و الكسائي وحفص عن عاصم.
(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر.
(٤) وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر.
(٥) انظر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص٧ .
(٦) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١١١ .

«يُعَلِّمُهُ» و الآخر « نُعَلِّمُهُ » والثالث "تَعْلَمُهُ" والرابع "يَعْلَمُهُ" ... إلخ[1]، فالقراءات - حسب رأيه - هي "من عند الناس وبحسب تأويلاتهم وبحسب مايختارون من علامات الشكل فضلا عما يختارون من حروف[2]".

ولا يخرج عن هذا المنحى ماكان "كارل بروكمان" قد ذهب إليه هو الآخر في شأن اختلاف القراءات القرآنية حيث يقول : "فتحت الكتابة التي لم تكن قد وصلت بَعْدُ إلى درجة الكمال مجالا لبعض الاختلافات في القراءة، لاسيما إذا كانت غير كاملة النقط و لامشتملة على رسوم الحركات فاشتغل القراء – على هذا الأساس – بتصحيح القراءات و اختلافاتها[3]".

ولا يخرج عن ذلك أيضا ما كان المستشرق « ولتش » قد قرره عند تحريره لمادة "قرآن" في موسوعة الإسلام، حيث ادعى - عند حديثه عن القراءات - أن هناك قراءات جديدة استحدثت في عصر بني أمية[4] من طرف المسلمين اختيارا منهم حسْب زعمه.

فهذه نماذج من المسْتشرقين تلتقي حول منحى واحد هو أن معظم القراءات –إن لم تكن كلها– مرجعه إلى اجتهاد المسلمين أنفسهم بسبب كون الخط الذي دوّن به القرآن خطا منقوصا حسْب زعمهم، وهي دعوى باطلة تصب في منحى عام عند هؤلاء هو التحامل على الإسلام وأهله بل ذهب بعضهم إلى القول ببشرية القرآن وهو مانجده عند كبيرهم « نولدكه » من أن رسول الله ﷺ كان يلجأ إلى التغيير والتبديل في القرآن مجاراة للسجع حملا على ما كان عند الشعراء في مجاراتهم للقوافي[5].

---

(١) انظر: مقدمة كتاب: المصاحف لابن أبي داود ، تحقيق : آرثر جفري ص٧، والجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١١١ .

(٢) مقدمة كتاب المصاحف (آثر جفري) ص٧ .

(٣) تاريخ الأدب العربي،كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار،الطبعة الثانية،جـ١ / ١٣٤ .

(٤) انظر: مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن (مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية) ص٧٣ .

(٥) انظر: المرجع نفسه، ص٧٠ .

وقد وجد لآراء هؤلاء المسْتشرقين في اختلاف القراءات صدى لدى بعض الدارسين العرب فتأثروا بها ونهجوا على نهجها، يأتي على رأس هؤلاء "جواد علي" الذي يرى أن اختلاف القراءات يرجع إلى أسباب أهمها "مسائل ظهرت بعد نزول الوحي من خاصية القلم الذي دوّن به القرآن الكريم ؛ فرسم أكثر حروف هذا القلم متشابه، و المُمَيِّزُ فيها هو النقط، وقد ظهر النقط بعد نزول الوحي بأمد، ثم إن هذا القلم كان خاليا في بادئ أمره من الحركات، وخلوّ الكلم من الحركات يحدث مشكلات عديدة في الضبط من حيث إخراج الكلمة، أي كيفية النطق بها، ومن حيث مواقع الكلام في الإعراب(١)."

وللتدليل على صحة مايراه "جواد علي" – حسب زعمه – نجده يحيل إلى الشواهد التي أوردها "جولد تسيهر" وهي التي أشرنا إليها قبل قليل.

ومن هؤلاء أيضا "ابن الخطيب" في كتابه "الفرقان" الذي لم يثبت تأثره بآراء المستشرقين في أمر القراءات، ولكنه يلتقي معهم ويرى رأيهم فعنده أن ما "حدا ببعض القراء إلى قراءة ما يقرؤونه هو اختلاف رسم المصحف.(٢)"

ولئن صُنِّفتْ آراء المستشرقين في أمر اختلاف القراءات القرآنية في خانة معاداة الإسلام والتحامل على أهله فإنه قد ثبت وجود من رأى رأيهم من المسلمين أنفسهم خلال مراحل متقدمة ربما كان ذلك منطلقا لهؤلاء المسْتشرقين أو سندا لهم في تماديهم؛ فقد روّج لهذا الرأي في القرن الرابع الهجري ابن مقسم العطار (ت ٣٥٤ هـ)، قيل إنه جعل القراءة تابعة للرسم دون الاعتماد الكامل على السند، من ذلك أنه كان يقرأ كلمة "نجى" من قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف : ٨٠] "نُجَبَاء"(٣)، وقيل : إن له كثيرا من هذا الجنس من تصحيف الكلمة،

---

(١) لهجة القرآن الكريم، بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث، الجزء الثاني ١٩٧٩، وانظر: الجمع الصوتي الأول، ص ١٥٩ .

(٢) الفرقان، ص ١٢٢ .

(٣) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٢٣٤،ومقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٩ .

واستخراج وجه بعيد لها مع كونها لم يقرأ بها أحد[١]. وكذلك كان ابن شنبوذ (ت ٣٢٨ هـ) قبله يرى أن "ماوافق خط المصحف العثماني صحت القراءة به متى صح وجهه في العربية بقطع النظر عن الرواية[٢]."

وكان الزمخشري في الكشاف "يذهب إلى إنكار قراءة ابن عامر بجر "شركائهم" من قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام : ١٣٧] على إضافة "القتل" إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف، فكان يقول : "والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبا بالياء[٣]"، وهو ما يفهم منه أن ابن عامر إنما قرأ كذلك - بالجر - رأيا منه واجتهادا في ضوء مرسوم المصحف. والحقيقة أن ذلك ظن من الزمخشري إذ أن الذي قرأ به ابن عامر، وهو الجر، مشهور في الأثر مسموع قبل أن يفرد له رسم في مصحف الشاميين.

وقبل هذا نجد من علماء المسلمين أنفسهم من ذهب إلى حد المفاضلة بين القراءات القرآنية وتقسيمها إلى درجات فمنها ماهو أصل، ومنها ماهو أحسن، ومنها ما هو أفصح، ومنها ماهو أغرب وهكذا.. .إلخ[٤].

رابعا : الرد على رأي المستشرقين

إن رأي جولد تسيهر وبقية المستشرقين الذين ذهبوا مذهبه بيّن الفساد لا يحتاج إلى إعمال فكر للرد عليه، إذ أن الأدلة على اختلاف القراءات لأسباب موضوعية تقوم بمناقضته وضحده سواء أكانت أدلة تاريخية نقلية أم كانت أدلة منطقية عقلية، ويمكن توضيح ذلك كما يلي :

---

(١) انظر: مقدمة كتاب السّبعة في القراءات، ص ١٩ .
(٢) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ٢٤، ومذاهب التفسير الإسلامي ص٨ بالهامش.
(٣) الكشاف جـ٢ / ٧٠، وانظر: القراءات القرآنية في بلاد الشام. د.حسين عطوان، ص ٣٤٥ .
(٤) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٤٧، ١٤٩ .

١ - إنه يبعد - منطقيا - أن يترك أمر القرآن إلى البشر سواء أكانوا من الصحابة أم غيرهم من المسلمين يقرؤونه بالاجتهاد لا بالتلقي لأن ذلك يؤدي إلى تعرض نصوصه للاختلاف والتحريف، ولو حصل ذلك - لا قدر الله - لأصبح بعض القرآن من كلامهم لامن كلام الله، ولأدى ذلك إلى إبطال صفة الإعجاز في القرآن، وهي صفة يؤمن بها المسلمون جميعا.

إن رسول الله ﷺ لا يملك هو نفسه أن يبدل من القرآن شيْئاً فكيف يخوّل المسلم لنفسه أن يجتهد في ذلك بشيء كثير أو قليل وهو مما يؤدي إلى تبديل في القرآن ؟ فإن حصل، فإن ذلك أمر لا يرغب فيه إلا معادٍ للإسلام.

إنه لا سبيل إلى الاجتهاد في هذا الأمر، ولذلك وجدت أباعمرو بن العلاء - أحد القراء السّبعة - يقول : "لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا كذا[١]" وكانت إجابته تصب في هذا المنحى حينما سأله الأصمعي عن قوله تعالى ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ [الصافات: ١٠٨] وقوله ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ [الصافات: ١١٣] المتماثلتين في الخط : "كيف يعرف نطقهما والفرق بينهما وهما في مصحف عثمان بهيئة واحدة ؟ فأجابه : ما يعرف ذلك إلا أن يُسمع من المشايخ الأولين[٢]" أي أنه غير مباح الاجتهاد في قراءة ذلك، فالسماع هو الحكم الفيصل، وكذلك كان بقية أئمة القراءة لا يخرجون على الأثر[٣].

٢ - ومن ملزوم رأي القائلين بأن اختلاف القراءات هو وليد النقط والشكل الذي تمّ بعد أمد من كتابة المصاحف العثمانية - أن يكون القرآن قد ظل طوال عهد النبي ﷺ، ثم طوال عهود الصحابة والتابعين غير محفوظ ولا مقطوع بكيفيات النطق به، حتى إذا جاء النقط والشكل بدأ الناس يقرأون القرآن على وِفْقِ ما يؤديه النقط والشكل إلى أفهامهم.

---

(١) معرفة القراء الكبار جـ١ / ١٠٢ .   (٢) مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٢ .
(٣) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن ص ١٧٠، ١٧١ .

ولا شك أن هذا الرأي و ملزومه واضحا البطلان، وهما أضعف من أن يواجها الفهم المستقيم والحقيقة غير القابلة للنقض فضلا عَمّا تهدي إليه بديهة العقل[١].

٣ ـ إن خط المصحف ـ حتى بعد النقط والشكل ـ قد لا يطابق أحيانا القراءات، وقد وضح ذلك من خلال عرضنا لنماذج من هذا الخط من قبل، وهاهي أمثلة أخرى تؤيد ذلك :

أ ـ رسم الهمزة المتطرفة على الواو، من ذلك :

أَبْنَاؤُا (أبناء) [سورة المائدة، الآية ١٨] .

جَزَاؤُا (جزاء) [سورة المائدة ، الآية ٣٣] .

شُرَكَاؤُا (شركاء) [سورة الأنعام، الآية ٩٤].

مَانَشَاؤُا (مانشاءُ) [سورة هود، الآية ٨٧] .

نَبَؤُا (نبأ) [سورة إبراهيم، الآية ٩] .

الضُّعَفَاؤا (الضعفاء) [سورة إبراهيم، الآية ٢١] .

ب ـ وقد علمت أن هناك كلماتٍ كثيرةً في الرسم العثماني غير مطابقة للرسم الإملائي ومخالفة للقراءات، من ذلك "أن القراء السبعة أجمعوا في سورة قريش على قراءة ﴿إِيلافِهِمْ﴾ [الآية ٢] بالياء ـ بعد الهمزة ـ مع كتابتها في المصاحف العثمانية بلا ياء[٢]."

وقد علمت أيضا أن كلمات كثيرة قد زيدت فيها حروف لا مقابل لها في القراءة منها كلمة ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُ﴾ [النمل : ٢١] وكلمة ﴿شَاىْءٍ﴾ [الكهف : ٢٣] (شيء) وكلمة ﴿جِاىءَ﴾ [الفجر: ٢٣] (جيء) أي بزيادة الف في الكلمات الثلاث[٣].

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٧٠ . (٢) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٦٨ .
(٣) انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٢٦، ١٢٧ .

جـ ـ ومنه أن كلمة "لؤلؤ" في قوله تعالى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣] وردت في بعض المصاحف بغير ألف ومع ذلك قرأها بعضهم "لؤلؤًا » بالنصب على أنها مفعول به، وأن الكلمة نفسها (لؤلؤ) في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] وردت في جميع المصاحف بالألف ومع ذلك قرأها بعضهم بالخفض (لؤلؤٍ) على أنها معطوفة على ذهب[١].

د ـ ومنه أن كلمة "جبريل" قد قرئت بعدة أوجه :

- **أحدها** : بكسر الجيم أو بفتحها (جِبْريل)

- **وثانيها** : بفتح الجيم والراء، وبعد الراء همزة مكسورة ممدودة (جَبْرَئِيل).

- **وثالثها** : بفتح الجيم والراء ثم همزة مكسورة غير ممدودة (جَبْرَءِل)

وكذلك حال كلمة "ميكال"، فإنها قد قرئت :

"مِيكَال" بلا همزة، و"مِيكَائِيل" بهمزة مكسورة ممدودة، و"مِيكَاءِل" بهمزة مكسورة غير ممدودة[٢].

٤ ـ إن ثمة قراءات كثيرة يحتملها الرسم واللغة ولكن لم يقرأ بها أبدًا "لأنه لم يكن لها سند صحيح يعتد به مِنْ نقل أو رواية[٣] "، من ذلك :

ـ كلمة ﴿مُكْثٍ﴾ [الإسراء : ١٠٦] لم تقرأ إلا بضم الميم مع أن اللغة تجيز فيها الضم والفتح والكسر[٤].

---

(١) انظر: كتاب السبعة في القراءات، ص٤٣٥، ٥٣٤، ٥٣٥ .

(٢) انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٢٦ .

(٣) رسم المصحف العثماني وأوهام المسْتشرقين في قراءات القرآن الكريم، دوافعها ودفعها د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، طبعة ثانية ١٩٨٣، ص ٣٣ .

(٤) انظر: لسان العرب مادة "مكث" والجمع الصوتي، ص ١٦٩ .

- كذلك كلمة ﴿الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣ ، والنساء: ٢٣] : لم تقرأ إلا بفتح الراء مع أنه يجوز فيها الكسر لغة[١].

- وكلمة "مالك" في قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] رسمت بدون ألف، ومع ذلك لم تُقرأ إلا بفتح الميم مع المد، وأن الكلمة نفسها في قوله تعالى ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢] رسمت كذلك بغير الألف ولم تُقرأ إلا بغير المد. والكلمة نفسها في قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] مرسومة كذلك بغير ألف إلا أنها قرئت بالمدّ و بغيره، لا لشيء إلا لأنها سُمعت كذلك من في رسول الله ﷺ. فلو كان الرسم - كما زعم الرهط من المستشرقين ومن التقى معهم في ذلك - سببا في قراءة ماقُرئ به لاختلف رسم كلمة "ملك"، ولكن القراءة تبنى على الأثر السّمعي لا الرَّسمي، وكثير من الكلمات القرآنية التي يجوز احتمال قراءتها بأكثر من شكل لم يرد في قراءتها إلا شكل واحد[٢].

٥ - إن ذلك الرأي قد أغفل حقيقة تاريخية هامة هي أن المسلمين لم يعتمدوا في نقل القرآن - بقراءاته المختلفة - على خط المصاحف، وإنما اعتمدوا على حفظ الصدور والقلوب، وهي خاصية تميز بها أهل القرآن في حفظ كتابهم المقدس. وقد عرضنا لذلك في الفصل الثاني من هذا البحث حيث اعتبرنا أن حفظ القرآن في الصدور عن ظهر قلب أهم وسيلة في توثيق نصه، وذلك بخلاف أهل الإنجيل الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤونه كلّه إلا منها، ومن ثم فإن أمثلة القراءات الصحيحة المختلفة التي استشهد بها "جولد تسيهر" وغيره بدعوى أنها تابعة للخط وناشئة عنه هي في الحقيقة مبنية على تواتر الرواية والتلقي الشفوي.

وقد علمت أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يختلفون في قراءة القرآن ثم

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة "رضع".
(٢) انظر: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، ص ٣٣ .

يحتكمون إلى رسول الله ﷺ فيقرّ كلاً منهم على قراءته، ومعنى ذلك أن هذا الاختلاف في القراءات ثابت منذ البدء وليس مستحدثا مع الرسم العثماني[١].

وقد عُلم ـ لاحقا ـ أن القراء ماكانوا ليُعَوِّلوا على مصحف في معرفة القراءات وإتقانها، بل كانوا يشرّقون ويغربون في بلاد الإسلام بحثا عن من هم أهل للمشافهة والسماع[٢]، فكنت تسمع أو تقرأ أن فلانا قَدْ مَهَرَ في القراءة وأن آخر قد أجيز فيها... إلخ

إن الاستقراء التاريخي الموضوعي يثبت أنه لم ينقل عبر القرون كتاب سماوي أو غير سماوي بالتواتر القطعي والإسناد الصحيح عن الثقاة والعدول الضابطين طبقة بعد طبقة مثلما وقع للقرآن ؛ فقد تلقاه الصحابة رضي الله عنهم من النبي ﷺ نفسه حرفا حرفا، لم يهملوا منه حركة ولاسكونا ولا إثباتا ولا نفيا[٣]."

٦ ـ إن القراءات ليست نتيجة لخلو الخط من النقط والشكل بدليل أن المسلمين كانوا يختلفون في بعض مواضع القرآن على ياء أو تاء، ثم هم في مواضع أخرى مماثلة يتفقون على أحد هذين الحرفين و لايختلفون.

ومن أمثلة ما اتفقوا فيه على حرف واحد من الحرفين قوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٤٥] .

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة يونس، الآية ٥٦] .

﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص، الآية ٨٨].

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة يس، الآية ٢٢].

---

(١) انظر: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، ص٢٣ .

(٢) انظر: الجمع الصوتي للأول للقرآن، ص ١٦٤ .

(٣) النشر جـ١ / ٦، وانظر: الجمع الصوتي، ص ١٦٤، وتاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص١٢٣ .

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية ٤٤].

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة فصلت، الآية ٢١].

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية ٨٥] .

فكلمة "تُرجعون" من هذه الآيات المذكورة متفق على أنها قرئت بالتاء في أولها فقط، ولم تقرأ بالياء.

ومما اتفق على أنه قرئ بالياء فقط قوله تعالى :

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٣٦].

﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [سورة مريم، الآية ٤٠].

ومما اختلف فيه بين التاء والياء قوله تعالى :

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٥٧].

قرأها شعبة عن عاصم بالياء (يُرجعون)، قرأها بقية السّبعة وحفص عن عاصم بالتاء[١]

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الروم، الآية ١١] .

قرأها أبو عمرو بن العلاء وشعبة عن عاصم بالياء، وقرأها بقية السّبعة وحفص عن عاصم بالتاء[٢]

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٨٣].

قرأها حفص عن عاصم ويعقوب ـ أحد العشرة ـ بالياء وغيرهما بالتاء (ترجعون)[٣]

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة ، الآية ٧٤] .

---

(١) انظر: كتاب السبعة في القراءات، ص ٥٠٢ .　(٢) انظر: المرجع نفسه ص ٥٠٦ .

(٣) انظر: نفسه، ص ٢١٤ .

قرأها ابن كثير بالياء (يَعْلَمُون) وغيره بالتاء[١].

﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفتح: ٩].

قرأها ابن كثير وأبو عمرو بالياء في الأفعال الأربعة، وقرأها غيرهما بالتاء[٢].

فهذه أمثلة كان خلو الخط من النقط يبيح قراءتها بأكثر من شكل : بالتاء والياء وبغيرهما كالنون مثلا، إلا أنها لم تقرأ إلا بما قرئت به وهو مانقله الثقاة المحققون "كما علموه" عن الرسول ﷺ، ولذلك لم تُعتمد قراءة "تستكثرون" بالثاء المثلثة من قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٨] والتي استشهد بها "جولد تسيهر" فيما ذهب إليه[٣]، فهي قراءة - بالثاء - "منكرة ولا يعرف على وجه التحديد من قرأ بذلك[٤]" كذلك لم تعتمد قراءة حماد الراوية "أباه" بالباء بدل الياء من قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ [التوبة: ١١٤] لأنها "قراءة منكرة بالاتفاق فليست من السبعة ولا الأربع عشرة، ولو كان مجرد الخط كافيا لاعتمدت[٥]."

فها أنت تلاحظ أن ربط القراءات بالرسم الخالي من النقط مجافٍ للحقيقة إذ أنه "لو كانت القراءات ترجع إلى ماذهب إليه - جولد تسيهر - لراعتنا هذه الكثرة الهائلة من القراءات التي يحتملها الرسم، والتي لم تثبت أو لم تُرو عن النبي ﷺ، ذلك لأن الرسم تحتمل الكلمة فيه - وبخاصة إذا لم تكن منقوطة أو مجردة من الحركات - وجوهاً عدة من القراءات. والقراءات التي بين أيدينا والتي صنّفها العلماء ودققوا في عرضها

---

(١) انظر: كتاب السبعة فى القراءات، ص ١٦٠، ١٦٢ .

(٢) انظر: نفسه، ص ٦٠٣ . و انظر: كل ما قرئ من ذلك بالخطاب و الغيبة :وجوه الإسناد والإعراب في القراءات، د. محمد أحمد خاطر، مطبعة الأمانة، القاهرة ١٩٩٠، ص ٢٩-٣٣ .

(٣) انظر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص٩ .

(٤) تعليق د. عبد الحليم النجار، مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٩ بالهامش

(٥) د. عبد الحليم النجار، مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٩ بالهامش.

وتثبتوا من سندها قراءات معروفة محدودة، وكلّها ترجع إلى الرواية والنقل، لا إلى الكتابة والرسم[١]" .

٧ ـ إن معاقبة ابن شنبوذ وابن مقسم المشار إليها من قبل معاقبة ثابتة في التاريخ لمجاهرتهما بجواز القراءة بالشاذ من القراءات وجعلهما القراءة تابعة للخط، ويبدو أن "جولد تسيهر" ومن سار في فلكه من المستشرقين قد اتخذوا من شذوذ هذين العربيّين مدخلا مناسبا فتحوا من خلاله حملتهم بالطعن في القرآن والقراءات مع علمهم بأن كلا من الرجلين قد عقدت له محاكمة وأدّب واستتيب، ولذلك مجال آخر من الحديث في الفصل الموالي بإذن الله .

نخلص في نهاية هذا الرد إلى نتيجة وهي أن أصحاب هذه الدعوى الذين ينظرون إلى قضية اختلاف القراءات القرآنية وتعددها في ضوء طبيعة الرسم العثماني لم يستطيعوا فقه لغة القرآن ولم يستوعبوا حقائق الإسلام[٢]، ومما يدل على جهل "جولد تسيهر" وبعض المستشرقين الآخرين لمعاني العربية أنه فسر كلمة "التعزيز" بالتفخيم والتعظيم ـ كما هو معناها في العبرية ـ وفسّر كلمة "التعزير" بالتقوية، والحقيقة أن معناهما على خلاف ذلك في العربية؛ فالتعزير ـ بالراء المهملة ـ معناه التفخيم والتعظيم، والتعزيز ـ بالزاي المعجمة ـ هو التقوية المتضمنة لمعنى النصر، قال تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤] أي قوّينا به الاثنين المرسلين إلى أهل القرية[٣] . ومثل هذا الفهم الخاطئ هو الذي جعل بعض الدارسين العرب المسلمين ينكر على مثل هؤلاء المستشرقين "الخوض في الأبحاث الدينية الإسلامية لأنها غير مبنية على التصورات العقلية والتخيّلات الفكرية، بل إنها مبنية على قول الله تبارك وتعالى وعلى سنّة نبينا العربي الكريم محمد ﷺ، وهم لا يؤمنون بكتاب الله، ولا يقرون

---

(١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص٢٣ .
(٢) انظر:الجمع الصوتي، ص ١٧١ .
(٣) انظر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص ١١ بالهامش.

برسالة نبيّنا؛ ولايعرفون من اللغة العربية ودقائقها مايعرفه أهلها، فمن الإنصاف والعدل أن يرجعوا إلى كبار علمائنا الأعلام فيما يشكل عليهم من الأمور إذا ما أرادوا الوصول إلى الحقيقة[١]."

وبعد، فقد ثبت أن القراءة هي الأصل، وأنها سابقة على الرسم، وأنه تابع لها وليس العكس. هذه هي الحقيقة التي أراد المستشرقون قلبها والقول بالنقيض. وكانت تلك الحقيقة قد ترسّخت لدى المسلمين منذ الرعيل الأول منهم الذين حفظوا القرآن في صدورهم بمختلف قراءاته المأثورة الصحيحة، وتناقل عنهم الخلف ذلك جيلا بعد جيل، فألفيت من يؤلف كتابا أو كتبا في "تأثير القراءات في الرسم القرآني[٢]" و"تأثيرها في الأحكام الشرعية[٣]" لاتأثير الرسم أو الأحكام في القراءات.

ولعله يحق لنا الآن ـ بعد هذه الجولة حول الرسم وعلاقته بالقراءات ـ الانتقال إلى حلقة أخرى من حلقات هذا البحث ذات أهمية فيه وهي قضية مستويات القراءات أو ما صح منها وما لم يصح والعلل التي اختلفت لأجلها مستويات تلك القراءات.

---

(١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ١٢٢ .

(٢) من ذلك كتاب : القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية الدكتور : محمد الحبش.

(٣) من ذلك كتاب :أثر القراءات في الفقه الإسلامي، الدكتور :صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي مطبعة أضواء السلف، الرياض، طبعة أولى ١٩٩٧ .

الفصل الخامس
الصحيح والشاذ من القراءات

المبحث الأول : القراءات الصحيحة

أولا : توطئة :

لم تكن القراءات القرآنية في الصدر الأول على عهد النبي ﷺ تعرف أقساما لها، إذ كان كل ماعرف منها على درجة واحدة مقياسه الوحيد هو السماع عن رسول الله ﷺ أو إقراره هو بصحة ما قرأ به الصحابة رضوان الله عليهم وحسب "ما علموه".

وقد كانت هذه القراءات في عهد الرسول ﷺ وعهد أبي بكر من بعده نبعا ثرا يلبي حاجة ماسّة عند القبائل ويقع من نفوس أهلها مواقع حسنة، ويقفهم جميعا على أساليب القرآن ولغته[1].

وقد علمت - فيما سبق - أن جمع عثمان رضي الله عنه للقرآن وتوحيده للمصاحف كان بسبب الخلاف الذي كثر حول الاختلاف في القراءات التي يبدو أنها كثرت بشكل ملفت، وهو أمر أخذ يسير بها في منحى يناقض مسوّغ وجودها، ويثير من المخاوف ما لا يمكن درؤه إلا بإجراء اجتهادي يحفظ للقرآن قُدْسِيَّتَهُ، فكان أن حصل ذلك من عثمان رضي الله عنه فوحّد المصاحف "وجعلها على رسم واحد وترك خارج مصحفه ما لم يجمع عليه من القراءات[2]".

وقد كان ذلك الإجراء خطوة عملاقة، نتج عنه مقياس مهم وأساسي في الفرق بين نوعين من القراءات؛ فما وافق الرسم العثماني منها عُدّ - من الناحية المبدئية -

---

(١) انظر : القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص٣١ . (٢) المرجع نفسه، ص ٣١

مقبولا، وما خالفه منها استبعد فلم يكن له حظ من القبول والرضى، حتى لو كان بعضه قد اشتهر قبل ذلك مما أشرنا إليه سابقا، فقد اقتضت عوامل موضوعية على ترك ذلك[1]، والتشبت بما انعقد عليه الإجماع مما وافق الرسم العثماني.

ولاشك أن إجماع القراء من الصحابة والتابعين ـ في عهد الخلفاء الراشدين، وهم كلهم متقنون مجيدون[2]، على عمل الخليفة عثمان في المصاحف قد وصد الباب أمام بروز خلافات أخرى في أمر القراءات مما جعل المسلمين جميعا ينظرون إليها نظرة واحدة لا تمايز فيها مادامت هي خاضعة لمقياس الرسم الذي حصل بخصوصه اتفاق، ولم يشذ عن ذلك من أهل القرن الأول الهجري إلا النزر القليل من التابعين الذين استمروا في القراءة بحروف تخالف الرسم العثماني أمثال: عبيد بن عمير الليثي (ت ٧٤هـ) والأسود بن يزيد النخعي (ت ٧٥هـ) و سعيد بن جبير الأسدي (ت ٩٥هـ)[3].

لكن الحال اختلفت بعد هذا الجيل الأول من القراء حيث كثر عدد القراء وكثر معهم التباس الصحيح من القراءات مع غيره، وهو أمر راع انتباه العلماء المجيدين وأفزعهم، فنبذوا أنفسهم خدمة لذلك؛ قال ابن الجزري: "ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين ـ ممن أخذ عن الصحابة الذين أخذوا عن الرسول ﷺ ـ كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقلّ الضّبط واتّسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحقّ، فقام جهابدة علماء الأمة وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد وبيّنوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميّزوا بين المشهور والشاذ والصحيح والفاذّ بأصول أصلوها وأركان فصلوها[4]".

---

(١) من تلك العوامل الموضوعية أن كثيرا مما استبعد في جمع عثمان كان إما مما عرف قبل العرضة الأخيرة أو من القراءة بالمرادف أو المعنى أو كان عبارة عن تفسير زيد مع النص القرآني.

(٢) انظر أسماء هؤلاء القراء، النشر جـ١ /٨، ٩ . (٣) انظر: القراءات الشاذة، ص ٣٧، ٣٨

(٤) النشر، جـ١ / ٩ .

وقد وصف أحد الدارسين هذه الجهود في بداية أمرها بأنها "لم تكن متناسقة بل فردية ذاتية يلفّها التعدد والاختلاف[1]" وهو أمر طبيعي يتماشى مع منطق الأشياء حيث تولد صغيرة ثم تأخذ في النمو أو الاتساع شيئا فشيئا حتى تكتسب صفة ظاهرة محددة الأبعاد. ويبدو أن ذلك قد تطلب ما تعلق منه بأمر القراءات وقتا طويلا استمر حتى القرن الرابع الهجري، حاله في ذلك حال كثير من العلوم الإسلامية مثل الفقه والتفسير والحديث.

ثانيا : أركان القراءة الصحيحة وآراء العلماء فيها

ظل أئمة القراءات ورواتهم أو الحملة عنهم يتكاثرون خلال القرون الثلاثة الأولى، وقد سجلت كتب القراءات خلال هذه الفترة اختلافات القراء في الحروف كما عرفت عنهم، وقد تم ذلك دون الحكم عليها أو تصنيفها في أغلب الأحيان.

ومع مطلع القرن الرابع الهجري تفطّن ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى التميمي البغدادي (٢٤٥ - ٣٢٤هـ) مسبّع القراءات إلى أن هناك "من القراء الحاذق العالم بوجوه الإعراب والقراءات واللغات وأسانيد الروايات، وذلك هو الإمام المتقن، مفزع الحفّاظ ومهوى أفئدتهم، وبجانبه من يَعرِب ولكن لا علم له باختلاف القراء، فربما سمع قراءة وظنّها خطأ، مثله مثل الراوية الذي ليس له بصر بالعربية فربما نسي بعض حفظه فدخل الخطأ على لسانه، وأدهى منهما من يحسن العربية ومعرفة النحو واللغات ولكن لا علم له بالقراءات فربما أدته معرفته بالعربية إلى أن يقرأ بحرف لم يقرأ به أحد في الماضين فيكون بذلك مبتدعا[2]".

ولقد كان ابن مجاهد سبّاقا إلى تسجيل هذه الملاحظات المهمة حول صفات القراء المتفاوتة، والتي كانت هي علّته التي تعلل بها في وضع أركان للقراءة الصحيحة

---

(١) القراءات الشاذة، ص ٣١ .

(٢) مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٥، و انظر ص ٤٥، ٤٦ .

وتمييزها عن غيرها إذ أعلن أن القراءة الصحيحة هي التي توفرت فيها شروط ثلاثة لم يتخلف منها شرط واحد وهي :

١ ـ صحة سندها.

٢ ـ موافقتها لأحد المصاحف ولو احتمالا.

٣ ـ موافقتها لوجه من وجوه العربية.

وقد سجلت له كتب اللاحقين فضل السبق في ذلك، وهو ما نص عليه ابن الجزري في النص السابق بخصوص المبالغة في الاجتهاد وتبيين الحق المراد، وجمع الحروف والقراءات وعزوّها إلى أصحابها، والتمييز بين المشهور والشاذ بوضع أركان لذلك(١).

لقد دعا ابن مجاهد إلى شرط موافقة القراءة لوجه من وجوه العربية، وذلك من خلال إصراره على ضرورة تمكن القارئ من علوم العربية، ولعل اختياره لاثنين ـ ضمن القراء السّبعة ـ ممن شُهد لهم بالتفرد في علوم العربية هما أبوعمرو بن العلاء والكسائي دليل واضح على أهمية معرفة القارئ باللغة والإعراب والمعاني(٢)، وهو شرط لازم لغير القراء أيضا ممن يريد التعاطي مع النص القرآني من الفقهاء والمفسرين وغيرهم من علماء المسلمين وغير المسلمين على السواء. ومما ردّه لكونه لا وجه له في العربية مارواه أبو بكر الأخفش الدمشقي (ت ٣٦٠هـ) بإسناد عن ابن عامر أنه قرأ ﴿أَنْبِئْهُم﴾ [البقرة: ٣٣] بكسر الهاء مع الهمز، قال ابن مجاهد : " وهو خطأ في العربية، إنما يجوز الكسر إذا ترك الهمزة، فيكون مثل : عليهم وإليهم(٣). ومنه تخطئته لابن عامر أيضا في قراءته : ﴿اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] بكسر الدال وإشمام الهاء الكسر، قال : "وهذا غلطٌ لأن هذه الهاء هاء وقف، لا تُعرب في حال من الأحوال، وإنما تدخل لتَبين بها حركةُ ماقبلها(٤)".

---

(١) انظر :النشر جـ١ / ٩ .　　(٢) انظر : القراءات الشاذة، ص٦٢ .

(٣) كتاب السبعة في القراءات، ص ١٥٤ .

(٤) كتاب السبعة في القراءات، ص ٢٦٢، وانظر أمثلة أخرى : ص ١١٥، ١٩٥، ٢١٠، ٤٥٤، ٤٨٣ .

وقد ألح ابن مجاهد أيضا على موافقة القراءة الصحيحة للرسم العثماني، وهو ما نستنتجه من موقفه من ابن شنبوذ الذي كان يقرأ بما يخالف الرسم، فقد رفع ابن مجاهد أمره إلى الوزير بن مقلة، فعُوقب وضرب حتى أعلن توبته واعترف بأن "مصحف عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافه ولا أن يقرأ بغير ما فيه[1]".

وقد أكد أيضا على شرط الرواية والسند في القراءة، وهو ما نستنتجه من موقفه من ابن مقسم العطار الذي "زعم أن كل ما صح له وجه في العربية لحرف من حروف القرآن المدوّنة في المصحف العثماني تجوز قراءته بها في الصلاة وغيرها، وأداه ذلك إلى أن يقرأ بحروف تخالف إجماع القراء والرواة مستخرجا لها وجوها من اللغة.[2]" وقد رفع أمره إلى الوزير ابن مقلة أيضا كما فعل مع صاحبه ابن شنبوذ، وعُقد له مجلس وأُذْعِنَ بالتوبة من بدعته التي ابتدع.

يقول الدكتور شوقي ضيف : "وبهذين الموقفين لابن مجاهد من ابن مقسم العطار وابن شنبوذ يكون قد وضع أصلين أساسيين في قبول القراءات؛ الأصل الأول : أن تكون مطابقة لخط المصحف العثماني، والأصل الثاني : أن تكون صحيحة السند، حملها رواة مُوَثَّقون حتى زمن القارئ[3]."

وقد ورّث ابن مجاهد من جاءوا بعده من علماء القراءات والدارسين هذه الأركان فلم يتخلف عند المجيدين منهم أي واحد منها. وممن تابعه في ذلك ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) الذي اشترط هو الآخر "مطابقة اللفظ للمصحف، وصحة الوجه في الإعراب، و أن يكون الوجه قد توارثته الأمة[4]".

كما تابعه أيضا مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) الذي طرح فكرة مقاييس ما صح من القراءات طرحا أكثر تجريدا، مؤكدا على ما يلزم من الشروط لذلك فقال : "وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا أن ما صح سنده واستقام وجهه في

---

(١) مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٨ . (٢) مقدمة كتاب السّبعة، ص ١٩ .
(٣) نفسه، ص ١٩ . (٤) القراءات الشاذة، ص ٦٨، ٦٩ .

العربية ووافق لفظه خط المصحف فهو من السبعة المنصوص عليها[١]، ولو رواه سبعون ألفا متفرقين أو مجتمعين، فهذا هو الأصل الذي يبنى عليه من قبول القراءات عن سبعة أو سبعة آلاف، فاعرفه وابن عليه[٢]." وتلاحظ أن مكي القيسي قد جرد القراءات الصحيحة فلم يشترط أن تكون منسوبة إلى أحد السبعة الذين نص ابن مجاهد على صحة قراءاتهم إلا النادر منها، ولم ينسبها أيضا إلى العشرة أو الأربعة عشر الذين نص عليهم كثير من اللاحقين، إنما شرطه من الناحية النظرية أن تكون القراءة مبنية على الأركان الثلاثة المذكورة مستندة عليها دون سواها.

غير أن مكي من الناحية التطبيقية لم يضف شيئا، فقد وضع كتابيْ "التبصرة" و"الكشف" وكلاهما يدور في فلك القراءات السبع التي حددها ابن مجاهد[٣].

وقد توالت اجتهادات علماء القراءات بعد مكي القيسي مرورا بالقرون الثلاثة : السادس والسابع والثامن[٤] حتى مجيء ابن الجزري في القرن التاسع الهجري "الذي قلب هذا الفنّ على جوانبه وأشبعه دراسة وتحقيقا مستعينا بمحفوظه الغزير المتصل بالرجال والكتب[٥]" وانتهى إلى أن مَنْ سبقوه في هذا الفن أمثال أبي عمرو الداني والقاسم بن فيرة الشاطبي وغيرهما. مع اجتهادهم المشهود به لهم - قد قصّروا بقَصْرِهم القراءات الصحيحة على سبعة من القراء دون سواهم اقتداء بابن مجاهد فَتُنُوسيت قراءات صحيحة كثيرة، قال : "وإني لما رأيت الهمم قد قَصُرَت ومعالمَ هذا العلم

(١) يريد : الأحرف السبعة التي في الحديث الشريف لا القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب، تحقيق : محيى الدين رمضان، دار المأمون للتراث دمشق ١٩٧٩، ص٦٦ .

(٣) انظر : القراءات الشاذة، ص ٧١

(٤) من أشهر من ظهر في هذه الفترة عبد الرحمن أبو القاسم المقدسي الدمشقي المشهور بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ) صاحب كتاب المرشد الوجيز في القراءات. انظر آراءه في "منجد المقرئين ص ٢٣٩ ومابعدها.

(٥) القراءات الشاذة ص ٧١،٧٢، وانظر أسانيد ابن الجزري في أخذه للقراءات العشر. النشر جـ١ /٥٨ وما بعدها

الشريف قد دثرت، وخلت من أئمته الآفاق، وأقْوَتْ[١] مِنْ مُوقِفٍ على صحيح الاختلاف والاتفاق وتُرك لذلك أكثر القراءات المشهورة، ونسي غالب الروايات الصحيحة المذكورة، حتى كاد الناس لم يثبتوا قرآنا إلا ما في الشاطبية[٢] والتيسير[٣]، ولم يعلموا قراءات سوى ما فيهما من النزر اليسير، وكان من الواجب عليّ التعريف بصحيح القراءات، والتوقيف على المقبول من منقول مشهور الروايات، فعمدتُ إلى إثبات ما وصل إليّ من قراءاتهم، وأوثّق مَاصَحّ لدي من رواياتهم، من الأئمة العشرة قراء الأمصار، والمقتدى بهم في سالف الأعصار.[٤]"

ونتيجة لكثرة تقليب ابن الجزري لهذا الفن وكثرة تمحيصه له فقد تمّ اختياره لهؤلاء العشرة: السبعة الذين خصهم ابن مجاهد في كتابه وتابعه غيره في ذلك وثلاثة آخرون هم : أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت ١٣٠ هـ)، ويعقوب ابن إسحاق الحضرمي البصري (ت٢٠٥ هـ)، وخلف بن هشام البزار البغدادي (ت٢٢٩هـ)، فهؤلاء العشرة هم الذين تتوفر قراءاتهم ـ كما يرى ابن الجزري ـ على شروط الصحة إلا ما شذّ عندهم من حروف قليلة.

وقد أعاد ابن الجزري التأكيد على شروط السابقين في صحة القراءة موافقا لهم في ذلك فقال : "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها...[٥]"

فأما موافقة العربية ولو بوجه فإن ابن الجزري حدّد ذلك بقوله : "سواء أكان أفصح أم فصيحًا، مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه اختلافا لا يضرّ مثله[٦]." وقوله:

---

(١) أقوت : خلت، أقوت الدار : خلت وأقفرت، انظر : لسان العرب ٥/ ٣٧٩٠ مادة "قوا".

(٢) الشاطبية : منظومة لامية في القراءات السبع اشتهرت، عرفت أيضا باسم "حرز الأماني ووجه التهاني" سميت بالشاطبية نسبة لصاحبها أبو القاسم ابن فيرة الشاطبي الأندلسي نزيل مصر.

(٣) التيسير : كتاب آخر في القراءات السبع لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) نسبة إلى دانية بالأندلس.

(٤) النشر، جـ١/ ٥٤ . (٥) النشر، جـ١/ ٩ . (٦) النشر، جـ ١/ ١٠ .

اختلافا لا يضر مثله : يعني اختلافا لا يضر غيره من الركنين الآخرين، وبدرجة أخص الركن الثالث، أي السند "إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم[١]." وهو إذ يشترط عدم تعارض وجه الإعراب أو العربية مع الأثر المسند، إنما يفعل ذلك ليرد على بعض النحاة الذين أنكروا قراءات مشهورة كقراءة ابن عامر ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] بنصب نون "يكون"، وقراءة أبي عمرو بن العلاء ﴿بَارِئْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] بإسكان الهمزة، وغير ذلك، وقد استند في ذلك إلى قول أبي عمرو الداني : "وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية[٢]."

وأما موافقة القراءة الصحيحة للرسم، فيبدو أن ابن الجزري كان أكثر تحديدا لذلك وأكثر تدقيقا فيه حيث قال شارحا : "ونعني به ما يوافق الرسم ولو تقديراً إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقا وهي الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديراً وهي الموافقة احتمالا[٣]." فمما وافق المصحف تقديرا قراءة عاصم ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] بألف بعد لام « ملك ».

وأما الموافقة الصريحة فهي التي توافق رسم مصحف دون مصحف آخر من المصاحف العثمانية الموزعة على الأمصار مما ثبت اختلاف رسمه تمثيلا لقراءات صحيحة لم يحتوها رسم واحد كقراءة ابن كثير ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠] بزيادة "من" فإن ذلك ثابت في المصحف المكي[٤]" وقراءة السبعة غير نافع وابن عامر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد : ٢٤] بزيادة "هو" التي أثبتت في مصاحف مكة والعراق[٥]، وغير ذلك من مواضع ثبت اختلاف المصاحف فيها ووردت قراءة الأئمة موافقة لها[٦].

---

(١) النشر، جـ١ / ١٠ .
(٢) النشر، جـ١ / ١٠، ١١ .
(٣) النشر جـ١ / ١١ .
(٤) انظر : كتاب السبعة، ص ٣١٧ .
(٥) انظر : كتاب السبعة، ص ٦٢٧ .
(٦) انظر : النشر جـ١ / ١١ .

وأما صحة السند، فهو يقوم عنده على « أن يرويَ تلك القراءة العدل الضابط عن مثله حتى تنتهي، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذّ بها بعضهم[١]."

وتلاحظ أن في عبارة ابن الجزري "حتى تنتهي" إطلاق وتعميم ولكنه مقصود كذلك، إذ لم يرد ابن الجزري التصريح ببلوغ السند إلى النبي ﷺ كما هو حال المسند من الحديث الشريف الذي يشترط فيه أن ينتهي إسناده إلى النبي ﷺ على عكس المرسل أو المنقطع[٢] وإن كان بعض الدارسين لا يرى معنى لسند القراءة غير بلوغه إلى النبي ﷺ[٣].

والذي يظهر أن موقف ابن الجزري بخصوص هذا الركن موقف مضطرب، ليس في أمر اشتراطه من عدمه، إذ أن اشتراطه لاخلاف فيه، فلا حديث عن قراءة صحيحة إلا به فهو يعني الرواية أو الأثر وهي خاصية أساسية في القراءات، ولكن ذلك الاضطراب كان يخص بلوغ السّند حدّ التواتر وعدم بلوغه ذلك الحدّ.

ثالثا : القراءات الصحيحة بين التواتر وصحة السند

من المعلوم أن القرآن نُقل إلينا بالتواتر كما سبقت الإشارة إلى ذلك[٤]. ولكن هل يشترط التواتر في كل حرف من حروفه لصحة القراءة به، أم يكفي أنه اشتهر بين القراء سلفًا وخلفًا فتقوم الشهرة أو صحة السند مقام التواتر ؟

قال ابن الجزري عند حديثه عن الركن الثالث (صحة السند) : "وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ولم يكتف فيه بصحة السند، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن، وهذا مما لا يخفى

---

(١) النشر جـ١ / ١٣ .
(٢) انظر، كتاب : التعريفات للجرجاني، ص ٢٤١ ولسان العرب ٣ / ٢٤٣ مادة "سند"
(٣) انظر : القبس الجامع لقراءة نافع، ص ٢٤ .
(٤) انظر : تعريف القرآن، الفصل الأول. ص٧ .

ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الآخرين[1] من الرسم وغيره إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبي ﷺ وجب قبوله وقُطع بكونه قرآنًا سواء وافق الرسم أم خالفه. وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم، ولقد كنتُ قبلُ أجنح إلى هذا القول[2]، ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف[3]."

ومعلوم أن الخبر المتواتر هو ما حدّث به واحد عن واحد، وأصل التواتر في اللغة من الوتر وهو الفرد، أي أن تجعل كل واحد بعد صاحبه فردًا فردًا بشرط أن لا يكون ذلك متداركا إذ لا بد فيه من فواصل زمنية[4].

والمتواتر من القراءات ما رواه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، واتفقت الطرق على نقلها حتى تنتهي[5].

ويبدو ـ مع هذا ـ أن التواتر مختلف فيه عند علماء القراءات، فقد ذهب بعضهم إلى تعيين عدد النَّقَلَة، وذهب آخرون إلى عدم التّعْيين، قال ابن الجزري: " ونعني بالتواتر ما رواه جماعةٌ عن جماعةٍ كذا إلى منتهاه، يفيد العلم من [غير[6]] تعيين عدد، هذا هو الصحيح، وقيل بالتعيين، واختلفوا فيه، فقيل: ستّة، وقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرون، وقيل: أربعون، وقيل: سبعون[7]."

هذا أمر مختلف فيه، وهو عدد المنقول عنهم إلى منتهى المرويّ، وقد اشترط علماء الأصول تساوي العدد في الروايات[8].

---

(١) في الأصل: الأخيرين، والصحيح ما أثبتناه.

(٢) سجل ابن الجزري هذا الراي في "منجد المقرئين" (ص٩١) حيث جعل الشرط الثالث في صحة القراءة هو تواترها لا صحة سندها.

(٣) النشر جـ١/١٣.

(٤) انظر: لسان العرب "مادة" "وتر".

(٥) انظر: منجد المقرئين ص ٩٣، والقبس الجامع لقراءة نافع، ص ٢١، والتعريفات ص ٧٦.

(٦) في الأصل: "من تعيين" بإسقاط "غير" والصحيح ما أثبتناه، يدل على ذلك ما ذكر بعده (وذهب آخرون إلى عدم التعيين).

(٧) منجد المقرئين، ص ٩٣.

(٨) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٣٣.

وهناك أمر ثان هو اتّفاق الطرق واختلافها، إذ هناك من اشترط اتفاق الطرق جميعا عند كل النقلة كأبي شامة الدمشقي، وهناك من لم يشترط ذلك، ولا يعني اختلاف النقل عندهم بالضرورة أنَ القراءة غير متواترة، وإنما يعني أن فريقا من القراء لم تبلغه القراءة على درجة واحدة[1].

وقد ذهب بعضهم إلى حدّ اشتراط أن يكون عدد رواة المتواتر من القراءات موزعين في البلدان الإسلامية، بحيث لوْ أراد أحد أن يغيّر أو يحرّف منعوه[2].

وهناك أمر ثالث مختلف فيه أيضا، وهو بلوغ تواتر القراءات الصحيحة إلى الرسول ﷺ من عدمه، فبعضهم يشترط ذلك، وبعضهم يكتفي باشتراط تواترها عمن نسبت إليهم من القراء ؛ قال الإمام الزركشي : "والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر[3]."

على كل حال، لقد احتاط ابن الجزري وغيره في اشتراط التواتر كيفما كان ـ متفق فيه أو مختلف حول عدد نقلته وطرقهم ـ وذلك لوجود قراءات صحيحة كثيرة لا يبدو شرط التواتر متحققا فيها، ومع ذلك فإنه لا يشك هو وغيره ممن كان له طول تأمل ومعايشة للقراءات من العلماء المجيدين في صحتها على الرغم من انفراد بعض الرواة بنقل ذلك ولكنه "استفاض نقله وتلقاه الأئمة بالقبول[4]." فيما بعد، لأن المنفرد بنقله عدل ضابط يحصل العلم بمَرْوِيِّه[5]. وهذا محمول عند ابن الجزري وغيره على راوي الحديث المشهور، ولعلهم قاسوه أيضا على ثبوت قرآنية ماجاء به خزيمة الأنصاري أثناء الجمع البكري، ومعنى ذلك أن هذا النوع في الأصل من الآحاد، لعدم تعدد رواته، لكنه صار "كالمتواتر بعد القرن الأول".[6] أي أنه استفاض واشتهر؛ قال ابن الجزري : "وإنما المقروء به عن القراء العشرة على قسمين : متواتر، وصحيح

---

(١) انظر : القراءات الشاذة، ص ٧٣ .

(٢) انظر : الجمع الصوتي، ص ١٧٢ .

(٣) البرهان في علوم القرآن جـ١ / ٣١٩ .

(٤) منجد المقرئين، ص ٩٤ .

(٥) انظر : منجد المقرئين، ص ١٠٤ .

(٦) التعريفات، ص ٢٤٤ .

مسْتفاض متلقى بالقبول، والقطع حاصل بهما[1]." غير أن ابن الجزري عَدَل عن هذا فأقر بالتواتر شرطا من شروط صحة القراءة[2]، وهو ما كان يميل إليه في البداية.

والذي يمكن استخلاصهُ بخصوص أمر صحة القراءة أن العلماء قد نظروا إليه في ضوء نظرة علماء الحديث إلى الصحيح منه فقسموه إلى قسمين: متواتر ومشهور، وكذلك فعل علماء القراءات فقسموها إلى قسمين:

١ ـ **قراءات متواترة**: وهي التي رواها جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب[3]. وقد اختيرت سبع قراءات من هذا النوع هي التي كان لابن مجاهد فضل السّبق في اختيارها، وأصحابها هم: نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبو عمرو ابن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم وحمزة والكسائي الكوفيون.

٢ ـ **قراءات مشهورة**: وهي ما صح سندها بنقل العدل الضابط عن مثله، ووافقت العربية والرسم العثماني فتُلقيت بالقبول. وقد اختير من هذا النوع ثلاث قراءات، وأصحابها هم:

أبو جعفر المدني، ويعقوب الحضرمي البصري، وخلف البزّار البغدادي[4].

رابعا: علل تسبيع القراءات الصحيحة

مما لا شك فيه أن وراء أي تصنيف من التصانيف في أي علم من العلوم أو فَنٍّ من الفنون غاية أو سبب محدد لم يفت أهل تلك التصانيف أن ينبهوا عليه منذ البداية، وهو الأمر الذي لم يغفله ابن مجاهد فأحال عليه في مقدمة كتاب "السبعة في القراءات"، ذلك أن أمر القراءات قد بلغ على عهده مرحلة دقيقة وخطيرة ببلوغ عدد القراء حدّاً لا يكاد يحصى، اختلط فيه جيّدهم بمن هو دون ذلك، كما كثر مع ذلك اختلافهم، والتبست القراءات الصحيحة مع غيرها مما لم يصح. وقد تفطن

---

(١) منجد المقرئين، ص ١٠٦.　　(٢) انظر القراءات الشاذة، ص ٧٣.

(٣) انظر: القبس الجامع لقراءة نافع، ص ٢١، والجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٣٢.

(٤) انظر: الجمع الصوتي، ص ١٣٢، ١٣٣.

ابن مجاهد لذلك ورأى أن "من حملة القرآن المُعْرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعاني الكلمات، البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار... ومنهم من يعرب ويلحن ولا علم له بغير ذلك... ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده إلا الأداء لما تعلّم... وقد ينسى الحافظ فيضيع السّماع وتشتبه عليه الحروف... ومنهم من يعرب قراءته ويبصر المعاني ويعرف اللغات ولا علم له بالقراءات (أي : كسُنّة يجب اتباعها) واختلاف الناس والآثار...[1]".

وقد أشرنا إلى مضمون هذا النص في مطلع حديثنا عن القراءات الصحيحة، وأن ذلك كان وراء اجتهاد ابن مجاهد في وضع أركان للقراءة الصحيحة تمييزاً لها عن غيرها مما لم يصح، وهو الأمر الذي نبّه إليه كثير من علماء القراءات الذين جاءوا بعد ابن مجاهد، منهم ابن الجزري الذي وقفنا عند نص سابق له بخصوص هذا الأمر.

يقول الدكتور شوقي ضيف ـ محقق كتاب : السبعة في القراءات ـ بعد ذكره لسيل القراءات والقراء الذي ظل يتزايد خلال القرن الثالث الهجري وتتزايد معه الطرق وتختلف درجات القراء ـ يقول : "وكل ذلك جعل من الضروري أن يتجرد عالم من علماء القراءات أو طائفة من جهابذتها ليقابلوا بين القراءات الكثيرة التي شاعت في العالم الإسلامي ويستخلصوا منها للناس قراءات يحملونهم عليها حتى لا يتفاقم ويلتبس الباطل بالحق، وتصبح قراءة القرآن فوضى، لكل أن يقرأ حسب معرفته، بدون بصر تام بوجوه القراءات، وبدون تمييز بين المتواتر المشهور منها وغير المتواتر. ولم يلبث ابن مجاهد أن نهض بهذا العبء الرائع الذي تنوء به جماعات العلماء من القراء الأفذاذ، فاختار بعد البحث والفحص الطويل سبعة من أئمة القراءات حمل عليهم المسلمون[2] في جميع أقطارهم وأمصارهم، وبذلك لَمَّ الشّعث، وأدرك الأمَّةَ قبل أن يتّسع بينها الخلافُ في قراءات كتابها السّماوي العظيم[3]."

---

(١) كتاب السبعة في القراءات، ص ٤٥، ٤٦ .

(٢) في الأصل "المسلمين" بالياء. والصحيح ما أثبتناه – بالواو – لأنه فاعل.

(٣) مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٥ .

ويمكن في ضوء ما ذكرنا أن نلخص علل تسْبيع القراءات فيما يلي :

١ ـ أنّ هؤلاء القراء السّبعة الذين اكتفى بهم ابن مجاهد اشتهروا أكثر من غيرهم، واجتمعت فيهم صفات حميدة موضوعية أهلتهم للحظوة بالتقدم والتفرد عن أترابهم، وذلك ما ضمنه مكي بن أبي طالب القيسي قوله : "والسبب في اشتهار هؤلاء السبعة دون غيرهم أن عثمان رضي الله عنه لما كتب المصاحف ووجهها إلى الأمصار، وكان القراء في العصر الثاني والثالث كثيري العدد فأراد الناس أن يقتصروا في العصر الرابع على ما وافق المصحف، فنظروا إلى إمام مشهور بالفقه والأمانة في النقل، وحسن الدين وكمال العلم، قد طال عمره واشتهر أمره، وأجمع أهل مصره على عدالته، فأفردوا من كل مصر وجّه إليه عثمان مصحفًا إمامًا[١] هذه صفة قراءته على مصحف ذلك المصر، فكان أبو عمرو من أهل البصرة، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها، والكسائي من العراق[٢]، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهل المدينة، كلّهم ممن اشتهرت إمامتهم، وطال عمرهم في الإقراء، وارتحل الناس إليهم من البلدان[٣]."

٢ ـ أن ما ضمنه ابن مجاهد كتابه من قراءات هؤلاء السّبعة هو المتواتر منها الذي جمع شروط الصحة. وقد وجد أن ذلك كان غالبًا عندهم دون غيرهم، وهو ما نستخلصه من قول ابن الجزري : "غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجتمع عليه في قراءاتهم تركن النفس إلى ما نُقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم[٤]." وقد حرص ابن مجاهد على ألا يضمّن "كتاب السبعة" ما نقل

---

(١) إماما : مفعول الفعل أفرد وليس صفة للمصحف، أي إمامًا من أئمة القراءات.

(٢) هو من أهل الكوفة أيضا، معدود من قرائها ونحاتها (انظر : معرفة القراء الكبار جـ١ / ١٢٠) ولد بها سنة ١١٩ هـ (انظر المدارس النحوية، د.شوقي ضيف، ص ١٧٢). ولعله نسب إلى العراق لأنه كثير الترحال طلبا للعلم وقد يكون ولد في غير الكوفة، قال الزبيدي : "ودخل الكوفة وهو غلام" (طبقات النحويين واللغويين، ص ١٢٧).

(٣) البرهان جـ١ / ٣٢٩، ٣٣٠، و انظر : الإتقان جـ١ / ١٠٦، ١٠٧ .

(٤) النشر جـ١ / ١٠ وانظر : الإتقان جـ١ / ١٠٠ .

عنهم من روايات شاذة[١]، حيث عاد بعد إنهاء ذلك الكتاب الخاص بالقراءات الصحيحة إلى تأليف كتاب آخر في ما شذ منها[٢].

٣ ـ أنه كان واجبا على علماء الأمة المتخصصين ـ بعد أن وصلت القراءات إلى مرحلة اختلط فيها الصحيح بالغلط ـ التصدي والحيلولة دون انتشار ما خالف الإجماع من تلك القراءات، وذلك اقتداء بفعل الصحابة رضي الله عنهم في جمعهم للقرآن وتوحيدهم للمصاحف، فكان أن قام بذلك ابن مجاهد اقتداء بفعل عثمان في المصحف متأثرا به، إذ أن كل عمل من العملين إنما كان هدفه درء الخلاف، والعمل على إجماع الأمة وتوحيد كلمتها، وسدّ الطريق أمام كل ما كان سببا في الفرقة والاختلاف أو تشويه النص القرآني بما لم يصح من القراءات والروايات.

٤ ـ أن ابن مجاهد ـ مع تأثره بعثمان في اختياره لما صح من القراءات واشتهر واقتصاره على ذلك ـ قد راعى أن تكون اختياراته ممثلة للأمصار الإسلامية "التي خرج منها علم النبوّة من القرآن وتفسيره والحديث والفقه في الأعمال الباطنة والظاهرة وسائر العلوم الدينية[٣]."، وهي تلك الأمصار التي حظي كل واحد منها بنسخة من المصحف العثماني المجمع عليه وبقارئ نابه من الجيل الأول جيل الأعلام الذين صاحبوا رسول الله ﷺ وتعلموا منه، فاختيار ابن مجاهد لم يكن اعتباطيا بل إنه قد "بالغ في اجتهاده حتى استصفى سبعة من أئمة القراء في أمصار خمسة هي أهم الأمصار التي حملت عنها القراءات في العالم الإسلامي، وهي المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام[٤]."

ومعلوم أن كلاًّ من "البحرين" و"اليمن" ورد في الأثر أن عثمان بعث إليهما

---

(١) انظر: القراءات الشاذة ص ٦٢.
(٢) انظر: مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٥.
(٣) مقدمة كتاب: إبراز المعاني من حرز الأماني، ص ٢٢.
(٤) مقدمة كتاب: السبعة في القراءات، ص ٢٠.

أيضا بنسختين من المصحف الإمام، ولكن ذلك لم يشتهر كما لم يشتهر من أهل البلدين من القراء اشتهار هؤلاء السبعة، يقول مكي بن أبي طالب في معرض حديثه عن عدد المصاحف العثمانية المنسوخة : " .. لكن لما لم يُسمع لهذين المصحفين خبر[1]، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف استبدلوا من مصحف البحرين واليمن قارئين كمل بهما العدد[2]. "

٥ ـ أن الاكتفاء بسبعة من القراء الأئمة ـ كاختيار ـ كان ضمن موجة عمّت جميع العلوم الإسلامية، إذ وصلت هذه العلوم بشتى فروعها إلى مرحلة كان لا بد فيها من وضع حدود ومقاييس لكل واحد منها بعد أن قطعت أشواطا بعيدة خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى.

وقد كان طبيعيا أن يكون الاهتمام في المراحل الأولى يتوجه إلى جمع متفرق تلك العلوم ؛ فوجدت المهتمين بالحديث يسعون في جمع ما تفرق من الأحاديث النبوية الشريفة وما يتصل بسيرته ﷺ قبل أن تقسم تلك الأحاديث في مرحلة لاحقة إلى أنواع : صحيح وحسن وضعيف ومسند ومرسل، ووجدت الفقهاء يسلكون السبيل نفسها في جمع ما تفرق من الآراء المستخلصة حول الأحكام قبل أن ينتج عن ذلك مذاهب فقهية عرفت واشتهرت، وبالمثل كان علماء اللغة يهتمون بجمع ما تفرق من مادة لغوية أفضت في النهاية إلى وضع القواعد اللغوية والنحوية ضمن منهج معياري كان لعلماء البصرة اليد الطولى فيه.

وقد كان لعلماء القراءات في النهاية ـ كغيرهم ـ معيارهم ومقياسهم المفضل المختار وهو الذي توصل إليه ابن مجاهد بعد بحث طويل نتج عنه استخلاص سبعة قراء اشتملت قراءاتهم على مقاييس القراءة النموذجية الصحيحة المشهورة، وقد أثار تسبيع القراءات النموذجي هذا انتباه المستشرق "جولد تسيهر" فنصّ عليه بقوله :

---

(١) في الأصل : "خبراً" بالنصب، والصحيح ما أثبتناه لأنه نائب فاعل، و "يُسمع" بضم الياء.
(٢) الإتقان جـ١ /١٠٧ .

"وكان القصد بهذا ـ الاختيار ـ أخيرا إلى الوقوف على أرض ثابتة تجاه التصرف الاختياري الآخذ في النموّ وما كان يُخْشَى من عدم التقيد بحائط ولا ضابط[١]."

٦ ـ أن هؤلاء السّبعة ـ كما أنهم ممثلون للأمصار الإسلامية المهمة ـ هم ممثلون لأكثر قرّاء المسلمين، فنحن إذا أمعنا النظر في السبعة الذين أُلحقوا بسبعة ابن مجاهد "وجدنا أولهم أبا جعفر يزيد بن القعقاع مقرئ المدينة كان أستاذا لنافع، وكان ابن مجاهد اكتفى بالتلميذ عن الأستاذ لأن قراءته كانت أكثر شيوعًا على ألسنة القراء بمصره، وبالمثل اكتفى بأبي عمرو بن العلاء عن تلميذَيْه يعقوب الحضرمي، أحد القراء العشرة، واليزيدي أحد الأربعة عشر، ولعله ترك قراءة خلف بن هشام أحد العشرة لما ذكره ابن الجزري في كتابه (النشر) من أن قراءته لا تخرج عن قراءة الكوفيين[٢]، وأيضا لعله ترك الأعمش أستاذ حمزة للسبب نفسه، وقلْ ذلك أيضا في الحسن البصري بالقياس إلى أبي عمرو بن العلاء إمام القراء البصريين. وقد ذكر ابن مجاهد نفسه في حديثه عن ابن كثير في فواتح كتابه[٣] أن أهل مكة لم يجمعوا على قراءة ابن محيصن تتمة القراء الأربعة عشر بينما أجمعوا على قراءة ابن كثير[٤]."

وفوق تمثيل هؤلاء السبعة لأكثر القراء فإنهم جميعا أو بعضهم يمثلون مدارس أو مذاهب متميزة في القراءة؛ يقول "جولد تسيهر" : "فكما حصل الاعتراف في التشريع بأئمة المذاهب الأربعة[٥]، حصل الاعتراف في دائرة القراءة القرآنية على مضيّ الوقت بسبع مدارس تمثل كل منها اتجاها في القراءة[٦]." وهو ما استخلصه الدكتور شوقي ضيف أيضا من أن ابن مجاهد رأى "لكل قارئ من قراء الكوفة الثلاثة (عاصم وحمزة والكسائي) مذهبا متميِّزا في القراءة ينفرد به عن زميليْه حمله عنه جِلّةُ القراء في العالم الإسلامي فرأي (يعني : ابن مجاهد) أن يستبقيَهم جميعًا[٧]."

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٥٩ .
(٢) انظر : النشر جـ١ / ٤٥ .
(٣) انظر : كتاب السبعة في القراءات، ص ٦٥ .
(٤) مقدمة كتاب السبعة، ص ٢٢، ٢٣ .
(٥) هي المذاهب الفقهية المشهورة : المالكي، والشافعي، والحنفي، والحنبلي.
(٦) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٥٦ .
(٧) مقدمة كتاب السبعة، ص ٢٠ .

٧ ـ أن اختيار ابن مجاهد لسبعة من القراء يمثلون بقية القراء في العالم الإسلامي يتماشى ومذهب البغداديّين الانتخابي الذي عاش ابن مجاهد في أحضانه وتعايش معه. ومعلوم أن المنافسة في شتى المعارف والعلوم الإسلامية في بلاد العراق كانت البصرة والكوفة مسرحًا لها، وأن بغداد متأخرّة عنهما في ذلك مغترفة من علومهما بشكل يتماشى والمذهب الانتخابي العام الذي ارتضاه البغداديّون لأنفسهم. ولعل ابن مجاهد كان إلى مذهب الكوفيين أمْيَلَ لعلتين:

أ ـ **الأولى** : أن مذهب الكوفيين إلى السماع والرواية أميل، والقراءات تعتمد بالأساس على ذلك، بل إنها السماع والسماع هي، إذ لا سبيل إلى القياس فيها لأنها علم نقل ورواية لا علم عقل ودراية.

ب ـ **الثانية** : أن ابن مجاهد فيما يبدو كان له اهتمام بمذهب الكوفيين اللغوي النحوي حيث "أقبل على أساتذة النحو الكوفيين يأخذ ما عندهم، وفي كتابه (السبعة في القراءات) بعض اصطلاحات النحو الكوفي[١]."

إن في اختياره ثلاثة أئمة من قراء أهل الكوفة هم: عاصم وحمزة والكسائي، واكتفائه بواحد فقط عن كل مصر من الأمصار الأخرى، مايدل على ميله ذلك، بل إن اختياره للكسائي وإثباته في موضع يعقوب الحضرمي البصري ـ كما يقول بعضهم[٢] ـ لدليل على ذلك.

وقد ذهب بعض أئمة القراءة إلى القول : "لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة (الكوفي) لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة وإمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين[٣]."

على كل حال، إن اختيار ابن مجاهد لثلاثة كوفيين ضمن سبعته يدل على ميله إلى الرواية والأثر، وذلك ألصق بالقراءة، ولكن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أن

---

(١) مقدمة كتاب السبعة، ص ١٦ .
(٢) انظر : النشر جـ١ / ٣٧ .
(٣) النشر جـ١ / ٣٩ .

القراء غير الكوفيين ضمن الأئمة السبعة هم أقل اهتماما بالأثر والرواية، بل إن محفوظ كل إمام من حروف القراءة كما أثرت عن السلف الصالح هو الأساس في إجازة أي قارئ واعتماد قراءته سواء كان من السّبعة أم من غيرهم.

٨ - لقد شاع أن تسبيع ابن مجاهد للقراءات إنما كان بغرض مطابقة سبعة حديث الأحرف التي نزل بها القرآن بدرجة أولى[١]، ومطابقة ذلك أيضا بدرجة أقل لعدد المصاحف التي بثها عثمان رضي الله عنه في الآفاق[٢].

إننا لا نزعم أبداً أن ابن مجاهد لم يكن يقصد إلى ذلك خاصة أن الرقم "سبعة" له جاذبية وسحر في أذهان الناس[٣] بصفة عامة والعرب والمسلمين منهم على وجه الخصوص، ولك أن تذكر ما شئت من ذلك مما جاء في القرآن الكريم[٤] والأحاديث النبوية الشريفة، وما ورد من ذلك أيضا في الأقوال المأثورة و ما نجد من ذلك في عاداتنا العربية والإسلامية.

ولعل جاذبية هذا الرقم وسحره هي التي جعلت بعض المصنفين من الكُتّاب لايتعدونه في ذكرهم لطائفة من العلماء، وهو ما فعله الإمام شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ) في كتابة "معرفة القراء الكبار" حيث اكتفى بذكر سبعة من الصحابة القراء دون سواهم معللا ذلك بقوله : "فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ وأخذ عنهم عرضا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة[٥] .

---

(١) انظر النشر : جـ١ / ٣٩ وهو رأي ابن تيمية.

(٢) انظر : الإتقان جـ ١ /١٠٧ وهو رأي مكي بن أبي طالب القيسي.

(٣) انظر : القراءات الشاذة، ص ٦٥ .

(٤) ورد في القرآن مسبعا كلا من (أ) السموات السبع : البقرة ٢٩، فصلت ١٢، الطلاق ١٢، الملك ٣، نوح ١٥، الإسراء ٤٤، المؤمنون ١٧، ٨٦، النبأ ١٢ (ب) الأرضين السبع : الطلاق ١٢ (جـ) السنين السبع : يوسف ٤٧، ٤٨ - (د) الأيام السبع : البقرة ١٩٦ (هـ) الليالي السبع: الحاقة ٧ (و) البقرات السبع : يوسف ٤٣، ٤٦ - (ز) السنابل السبع : يوسف ٤٣، ٤٦ - (ح) المثاني السبع : الحجر ٨٧ (ط) أبواب جهنم السبعة : الحجر ٤٤ - (ي) أهل الكهف السبعة : الكهف ٢٢ .

(٥) معرفة القراء الكبار جـ١ / ٤٢ .

"وما نظنه إلا مسترشدا هو الآخر بما ورد من الآثار مسَبَّعًا كالأحرف السبعة والمصاحف السبعة وجماع القرآن السبعة على عهد النبي ﷺ(١)، بل لا نستبعد أن يكون الذهبي مقتفيا في ذلك لأثر ابن مجاهد في تسبيعه للقراءات، والله أعلم".

وبعد، فقد شفعت لابن مجاهد هذه العلل مجتمعة في أن يحظى عمله بالقبول لدى عامة العلماء المهتمين بأمر القراءات القرآنية، ولعلهم رأوا فيه ما رآه الصحابة والتابعون في توحيد عثمان للمصاحف، خاصة أن هؤلاء الأئمة السبعة قد جمعوا خصائص ميّزتهم وجعلتهم على رأس أئمة القراءة، وهي : شهرتهم بالثقة، والأمانة في النقل، وحسن الدراية، وكمال العلم بطول عمرهم في مجالس القراءة والإقراء، وإجماع أهل أمصارهم على عدالتهم، والتزامهم بأمر موافقة خط المصحف وسند القراءة.(٢)

ولا يفوتنا أن نذكر أنه كان وراء احتضان العلماء لعمل ابن مجاهد أيضا ما كان يتميز به من شخصية قوية وعلم غزير؛ فابن النديم يصفه بأنه "كان واحد عصره غير مدافع(٣)." وأبو عمرو الداني يقول فيه : "فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظاره من أهل صناعته، مع اتساع علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وظهور نسكه(٤)" وقال فيه علي بن عمر الدارقطني البغدادي(٥) (ت ٣٥٨هـ) : "كان ابن مجاهد له في حلقته أربعة و ثمانون خليفة.(٦)" ووصفه ثعلب بقوله : "مابقي في عصرنا هذا أعلم بكتاب الله من أبي بكر بن مجاهد(٧)." .. فعالم تجتمع فيه هذه الخصال مع حرصه الشديد على الإجماع ووقوفه بحزم في وجه من خالف ذلك لا بد أن يكون تأثيره كبيرا في من جاء بعده من أهل صناعته حتى "أصبحت قراءاته منبعًا ثرًّا ينهل

---

(١) وهو ما ذهب إليه ابن النديم في "الفهرست" ص ١٣٨، ١٣٩ .

(٢) انظر : معجم القراءات القرآنية جـ١ / ٧٤ . (٣) الفهرست ص ١٥٣، ١٥٤ .

(٤) معرفة القراء الكبار ١ / ٢٧٠ (٥) ترجمته في : معرفة القراء الكبار ١ / ٣٥٠ .

(٦) معرفة القراء الكبار ١ / ٢٧١ (٧) مقدمة كتاب السبعة ص ١٧ .

منه العلماء الوجوه الصحيحة ويلتفون حوله دارسين[١]." فما أكثر المؤلفات التي اعتمدت "كتاب السبعة" مصدرها الوحيد أو الأساسي والتي نهج أصحابها فيها نهج ابن مجاهد فلم يخرجوا عن سبعته فيما حوته من حروف، لم يريدوا أن يزيدوا عليه فيها قيد أنملة، فحفّوا مؤلفه بالشروح الكثيرة، وحاكوه في تصانيفهم، من ذلك ما قام به تلميذه أبو علي الفارسي الذي ألف كتاب "الحجّة في علل القراءات السبع" وأبو عمرو الداني صاحب" التيسير في القراءات السبع" وابن خالويه صاحب "الحجة في القراءات السبع" وغير هؤلاء كثير ممن كان له اهتمام بسبعة ابن مجاهد ومجاراتها؛ وأكثر من هذا نجد بعض الدارسين ينص على أن ابن مقسم العطار الذي أذاه ابن مجاهد فعقد له مجلس أدبه واستتابه يضع شرحا مطوّلا حول السبعة سماه "كتاب السبعة بعللها الكبير"[٢].

خامسا : علل المعترضين على تسبيع القراءات

مع اتباع ابن مجاهد لمنهج السلف من الصحابة الكرام في الذود على كتاب الله، واجتهاده الكبير في استخراج مقاييس القراءة الصحيحة مدعوما في ذلك بعلماء الأمة وساستها ـ كما وضح ذلك في الفقرات السابقة ـ فإننا نجد بعض العلماء، ممن اعترفوا باجتهاده النادر، قد اعترضوا على تسبيعه للقراءات لعلتين اثنتين على الأقل هما :

أولا : ما أدت إليه عملية التّسبيع هذه عند العامة من التباس لسبعة الحديث الشريف بقراءات هؤلاء القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد ؛ قال ابن الجزري :

---

(١) القراءات الشاذة ص ٦٧ .

(٢) انظر القراءات الشاذة، ص ٦٥، وانظر : المدارس النحوية ص ٢٣٨، و الفهرست، ص ١٦١ . وقد ذكر ابن النديم له ذلك، ونحن نشك في صحة نسبة هذا الكتاب لابن مقسم العطار غريم ابن مجاهد. والأرجح أن مؤلفه الحقيقي هو النقاش أبو بكر محمد بن الحسن الأنصاري (ت ٣٥١هـ) الذي نسب له ابن النديم كتبا نسبها لابن مقسم أيضا (انظر : ص ١٦٣). ولا شك أن سبب ذلك هو تشابه اسميهما، فابن مقسم اسمه أيضا : أبو بكر محمد ابن الحسن.

"و إنما أوقع هؤلاء [العوامّ] في الشبهة كونهم سمعوا : "أنزل القرآن على سبعة أحرف" وسمعوا: قراءات السبعة، فظنوا أن هذه السبعة هي تلك المشار إليها، ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدّمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء و خطّأوه في ذلك، وقالوا : إلا اقتصر على دون هذا العدد أو زاده، أو بين مراده ليُخَلّصَ من لا يعلم من هذه الشُّبْهَةِ[1]" ومن هؤلاء المتقدّمين الذين قصدهم ابن الجزري في عبارته أحمد ابن عمّار المهدوي التونسي (ت بعد ٤٣٠ هـ) الذي عاتب ابن مجاهد على فعله ذلك فقال: "ولقد فعل مسبّع السّبْعة ما لا ينبغي له أن يفعله، وأشكل على العامة حتى جهلوا مالم يسعْهم جَهْلهُ، وأوهم كل مَنْ قلّ نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي لاغير[2]." ومنهم مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) الذي نبّه إلى أنّ "مَنْ ظنّ أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطًا عظيما[3]." ومنهم أيضا الإمام ابن تيمية الذي حاول تصحيح ذلك الوهم الذي علق في أذهان كثير من العامة فقال : "لانزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي ﷺ أن القرآن أنزل عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده واعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السّبع هي الحروف السّبعة، أو أن هؤلاء السّبعة المعنيين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم[4].

ونتيجة لحدوث هذه الشبهة في سبعة ابن مجاهد، والتي برّأه منها الدكتور شوقي ضيف[5]، وجَدْتُ بعض العلماء ممن جاءوا بعد ابن مجاهد يزيدون في اختياراتهم للقراءات عن هذا العدد وينقصون هروبًا من تلك المطابقة[6]، قال أبو الفضل الرازي : "إن الناس إنما ثمّنوا القراءات وعشّروها وزادوا على السبعة الذين

---

(١) النشر جـ١ / ٣٦ .
(٢) نفسه جـ١ / ٣٦ .
(٣) الإتقان جـ١ / ١٠٦ .
(٤) النشر جـ١ / ٣٩ .
(٥) انظر : مقدمة كتاب السبعة، ص ٢٢ .
(٦) انظر : القراءات الشاذة، ص ٦٤ .

اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة،[١]" أي لسببها. وقال الزركشي : "ومنهم من زاد ثلاثة [على السبعة] وسماه كتاب العشرة[٢]" .

وهؤلاء بعض من جاوزوا في اختيارهم العدد سبعة هروبا من تلك الشبهة :

١ ـ أبوبكر الداجوني (ت٣٢٤هـ) معاصر ابن مجاهد وأحد شيوخه، ألف كتابا في القراءات "الثمانية" هي قراءات السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد وأدخل معهم أبا جعفر المدني[٣].

٢ ـ أبو الحسن بن غلبون (ت٣٩٩هـ) له كتاب "التذكرة في القراءات الثمان"[٤] هم السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد وأضاف إليهم يعقوب البصري.

٣ ـ أبو الفتح الحمصي (ت٤٤١هـ) له كتاب "المنشا في القراءات الثمان"[٥].

٤ ـ أبو معشر الطبري المكي (ت٤٧٨هـ) له كتاب "التلخيص في القراءات الثمان"[٦].

٥ ـ أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) له كتاب "معاني القراءات"[٧] التسع، هي قراءات السبعة مضافا إليهم قراءة يعقوب وقراءة أبي جعفر وأصحاب هذه القراءات التسعة هم الذين اختارهم الإمام أبو محمد البغوي[٨].

٦ ـ أبو بكر بن مهران(ت ٣٨١ هـ) له كتاب "الشامل" وكتاب "الغاية" في القراءات العشر[٩].

---

(١) النشر جـ١ / ٤٣ .　(٢) البرهان جـ١ / ٣٢٩ .　(٣) انظر النشر جـ١ / ٣٤

(٤) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور عبد الفتاح بحيري إبراهيم، مطبعة الزهراء للإعلام العربي القاهرة، طبعة ثانية ١٩٩١

(٥) انظر : معرفة القراء الكبار جـ١ / ٣٧٩　(٦) انظر : النشر جـ١ / ٣٥ و ٧٧

(٧) طبع بتحقيق الدكتور عيد مصطفي درويش والدكتور عوض بن حمد القوزى، دار المعارف مصر طبعة أولى ١٩٩١

(٨) انظر: النشر جـ١ / ٣٨　(٩) انظر: النشر جـ١ / ٣٤

٧ ـ أبو الخير محمد بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) له كتاب "النشر في القراءات العشر" وهو كتاب مشهور غطى على غيره مما ألف في العشر وغيرها قبله وبعده، وكانت معارضة ابن الجزري فيه لفكرة التسبيع واضحة، وقد دلل فيه على صحة قراءة كل من أبي جعفر ويعقوب وخلف تتمة العشرة بعد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد.

٨ ـ أبو على الحسن البغدادي المالكي نزيل مصر (ت٤٣٨ هـ) له كتاب "الروضة" في القراءات الإحدى عشرة[١].

٩ ـ أبو الحسن الخياط البغدادي (ت ٤٥٠هـ) له كتاب "الجامع" جمع فيه قراءات أحد عشر إماما هم العشرة الذين اقتصر عليهم ابن الجزري وغيره مضافا إليهم الأعمش شيخ حمزة الكوفي (ت ١٤٨ هـ)[٢].

١٠ ـ سبط الخياط البغدادي (ت ٥٤١هـ) ألف "المبهج" في القراءات الاثنتي عشرة هم: السبعة مضافا إليهم كلا من ابن محيصن (ت ١٢٣هـ) والأعمش ويعقوب وخلف واليزيدي (ت ٢٠٢هـ)[٣].

١١ ـ أبو عمر الأندرابي النيسابوري (ت بعد ٥٠٠هـ) له كتاب "قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين[٤]" جمع فيه ثلاثة عشر إماما هم العشرة المشهورون وابن محيصن وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم سهل بن محمد من أهل البصرة، وتبدو معارضة الأندرابي لابن مجاهد ـ في هذا الكتاب ـ واضحة، فقد جعل أبا جعفر رأس القراء جميعا وابن محيصن رابعهم ويعقوب عاشرهم.

---

(١) انظر: النشر جـ١ / ٧٤ (٢) انظر: مقدمة كتاب السبعة ص ٢١

(٣) انظر: قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين، الأندرابي، مؤسسة الرسالة القاهرة، الطبعة الثالثة، تحقيق ذ. أحمد نصيف الجنابي، ص ٣٤ .

(٤) وهو الكتاب المذكور للتو (هامش رقم ٣).

١٢ ـ أبو بكر عبد الله المعروف بابن الجندي (ت ٧٦٩هـ) أحد أساتذة ابن الجزري، له كتاب "البستان في القراءات الثلاث عشرة"(١).

١٣ ـ أبو عبد الله بن القباقبي الحلبي (ت ٨٤٩هـ)، له كتاب " إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربع عشرة(٢)" وهم العشرة المشهورون مضافا إليهم كلا من : ابن محيصن والحسن البصري (ت١١٠هـ) والأعمش واليزيدي.

فهؤلاء وغيرهم كثير ممن لم نذكرهم قد زادوا على العدد سبعة مخالفة لابن مجاهد.

وممن اقتصر على مادون السبعة هروبا من ذلك أيضا :

١٤ ـ سبط الخياط البغدادي المذكور قبل قليل (رقم ١٠) إذ ألف "الكفاية" في القراءات الست(٣).

١٥ ـ أحمد بن جبير الكوفي الأنطاكي (ت ٢٥٨) كان قد جمع ـ قبل ابن مجاهد ـ كتابا في القراءات الخمس من كل مصر واحد، بناه على عدد المصاحف الموزعة على الأمصار(٤).

ثانيا : أن ابن مجاهد قد أخرج من اختياره ـ في السبعة ـ أئمة ثبتت صحة قراءتهم، بل إن بعضهم اعتبروا في منزلة أعلى من هؤلاء السبعة من حيث كانوا جامعين لشروط الإمام المتقن التي نصّ عليها ابن مجاهد نفسه، ثم هم عند أهل مصرهم مقدّمون مُبَجّلون خاصة منهم : أبو جعفر المدني ويعقوب الحضرمي البصري إماما القراءة في مصريهما على عهديهما بلا منازع ؛ نقل الزركشي عن أبي محمد الهروي قوله : "فإن قال قائل : فلما أدخلتم قراءة أبي حفص المدني(٥) ويعقوب

---

(١) انظر : قراءات القراء المعروفين، ص ٣٤ .
(٢) حققه الأستاذ : فرحات عياش، ونال بذلك شهادة الدكتوراه من جامعة الجزائر سنة ١٩٩٠ .
(٣) ـ انظر : النشر جـ١ / ٨٥، و : معرفة القراء الكبار جـ١ / ٤٩٤ .
(٤) ـ انظر : النشر جـ١ / ٣٤، و : الإتقان جـ١ / ١٠٧ .
(٥) ـ هو أبو جعفر المدني.

الحضرمي في جملتهم وهم خارجون عن السبعة المتفق عليهم ؟ قلنا : إنما اتبعنا قراءتهما كما اتبعنا قراءة السبعة لأنّا وجدنا قراءتهما على الشرط الذي وجدناه في قراءة غيرهما ممن بعدهما في العلم و الثقة بهما واتصال إسنادهما، وانتفاء الطعن عن روايتهما، ثم إن التمسّك بقراءة سبعة فقط ليس له أثر ولا سنّة، وإنّما السنّة أن تُؤخذ القراءة إذا اتصلت روايتها نقلاً وقراءة ولفظاً ولم يوجد طعن على أحد من رواتها، ولهذا المعنى قدّمنا السّبعة على غيرهم، وكذلك نقدّم أبا جعفر ويعقوب على غيرهما[١]" .

وقال الإمام أبو بكر العربي فيما نقله ابن الجزري عنه : "وليست هذه الروايات بأصل للتعيين، بل ربما خرج عنها ما هو مثلها أو فوقها كحروف أبي جعفر المدني وغيره[٢]." وأشار ابن تيمية إلى أن بعض العلماء "يختارون قراءة أبي جعفر ابن القعقاع وشيبة بن نصاح المدنيّيْن وقراءة البصريّين كشيوخ يعقوب وغيرهم على قراءة حمزة والكسائي[٣]." ونسب ابن الجزري للقاضي عياض أنه قال : "القراءات الثابتة عن الأئمة القراء كالأعمش ويعقوب وخلف وأبي جعفر وشيبة ونحوهم هي بمنزلة القراءات الثابتة عن هؤلاء السّبعة عند من يثبت ذلك عنده[٤]" .

وفوق هذا ذهب الإمام مكي بن أبي طالب إلى حدّ اتهام ابن مجاهد بحذف يعقوب البصري وإثبات الكسائي مكانه[٥] مذكّرا أن الناس قد ذكروا في كتبهم أكثر من سبعين ممن هم أعلى رتبة وأجلّ قدراً من هؤلاء السبعة، وأن بعض العلماء قد طرح بعض هؤلاء السّبعة من مؤلفاتهم مثل ما فعله أبو حاتم السّجستاني وغيره فلم يذكروا حمزة والكسائي وابن عامر[٦].

وهذا الرأي الأخير مع ما فيه من تحامل على ابن مجاهد لا يعني بأي حال من

---

(١) البرهان جـ١ / ٣٣٠

(٢) النشر جـ١ / ٣٩ .

(٣) انظر : الإتقان جـ١ / ١٠٦ .

(٤) البرهان جـ١ / ٣٣٠ .

(٥) النشر جـ ١ / ٣٨ و انظر أيضا : الإتقان جـ١ / ١٠٦

(٦) النشر جـ١ / ٤٠ .

الأحوال الطعن في أي واحد من السّبعة الذين نصّ الإمام مكي نفسه بجمعهم لشروط الإمام المتقن وأنهم "كلّهم ممن اشتهرت إمامتهم وطال عمرهم في الإقراء وارتحل الناس إليهم من البلدان[١]".

إن بعض العلماء قد آخذ ابن مجاهد على اقتصاره أيضا على راويّين اثنين فقط لكل قارئ من الأئمة السبعة دون الرواة الآخرين لهم وهم سواء في النقل، وعند هؤلاء العلماء أن إغفاله لبقية الرواة يعني إغفال قراءات كثيرة[٢]. ولقد أدى ذلك الاقتصار إلى أن فهمته العامة أنه فرض، وهو ما نص عليه معاصر ابن مجاهد الإمام المهدوي في قوله : "ثم اقتصر من قلّتْ عنايته ـ بعد ابن مجاهد ـ على راوِيَّيْن لكل إمام منهم فصار إذا سُمع قراءة راوٍ عنه غيرهما أبطلها، وربما كانت أشهر[٣]."

وبعد، فهذه اعتراضات في حق مسبّع السّبعة، لا تخلو من حقائق ذات قيمة تاريخية و علمية تنير سبيل الداخل إلى عالم هذا الفن المترامي الأطراف، ولكنها مع أهميتها لا تقلل أبداً من جهد ابن مجاهد المشهود به لهُ؛ فعمله كبير و إنجازه نادر، وقد كان على المعترضين أن يربطوا هذا الاجتهاد بالعصر الذي تمّ فيه، وبالأسباب الداعية إليه، فقد مضى أن العصر كان مشوباً باضطراب الفنّ، وأن ابن مجاهد بذل النفس والنفيس كي ينتشله وينعطف به منعطف التيسير والضبط. وقد كان من الطبيعي أن تنتشر في جنباته بعض الملحوظات التي تنبثق من معطيات أخرى. ومع ذلك فقد ظل تأثيره في تاريخ القراءات راسخا[٤].

ومع اشتهار القراءات العشر بعد ذلك والتي أرسى دعائمهما ابن الجزري في كتابه "النشر" فقد ظلت النفوس تهفو إلى السبعة لما قدّمناه من علل موضوعية لذلك، ولأنها هي الأصل الذي بُني عليه ما جاء بعدها.

---

(١) انظر : النشر جـ١ / ٣٧ .
(٢) انظر رأي أبي حيان الأندلسي في ذلك، النشر جـ١ / ٤١ ، ٤٢ .
(٣) النشر جـ١ / ٣٦ وانظر : قراءات القراء المعروفين، ص ٣١ .
(٤) انظر : القراءات الشاذة، ص ٦٦، ٦٧ .

المبحث الثاني : القراءات الشاذة

وضح أن القراءات الصحيحة هي التي جمعت شروطا ثلاثة هي : صحّة السند أو التواتر، وموافقة أحد المصاحف العثمانية وموافقة وجه من وجوه العربية.

وقد وضُح أيضا أن الدارسين مع وجوب توافر هذه الشروط الثلاثة مجتمعة يقسمون هذا النوع في ضوء الشرط الأول إلى قسمين : قراءات متواترة، وأخرى مشهورة.

ومن البداهة أن يعلم أن ماخرج عن هذه المقاييس أو الشروط أو الأركان هو النوع الذي عنيناه هنا وسميناه "القراءات الشاذة".

ويبدو للوهلة الأولى أن هذا النوع الأخير إنما سمي كذلك (شاذا) لعلة خروجه عن مقاييس القراءات الصحيحة فاختل فيه بعضها. فما الذي نقص من تلك المقاييس فأخرج هذا النوع من زمرة القراءات الصحيحة و أُنزل منزلة دونها، فنَظر إليه المسلمون بعين مريبة ؟ ذلك هو مدار حديثنا في الصفحات التالية من هذا الفصل.

أولا : توطئة

كان المنهج الذي اتبع في جمع القرآن منذ البدء غرضه هو ألا يُجمع منه إلا ما ثبت صحته وسماعه من رسول الله ﷺ الموحى به إليه، ولذلك وجدت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول لعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما : "اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه." وقد علمت أن الآيتين الأخيرتين من سورة التوبة (رقم ١٢٨ و١٢٩) انفرد بنقلهما خزيمة الأنصاري، ولم يُقبل منه ذلك إلا بعد أن عُلم أن النبي ﷺ قد جعل شهادته تعادل شهادتين، في حين رُدّت آية الرجم (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة

نكالا من الله والله عزيز حكيم) وكان قد انفرد بنقلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم ترد توصية من رسول الله ﷺ في أمر شهادته مثل ماحصل مع خزيمة فاستبعدت تلك الآية وعدت غير صحيحة. وقد كان ذلك هو أول استثناء مما لم تثبت صحته.

وقد عُلم أيضا من الجمع الكتابي الثاني أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ما كان ليوحّد المصاحف لولا الشطط في القراءة الذي ميّزه اختلاف حروف كثيرة كان بعض الصحابة يقرؤون بها، وكادت أن تؤدي بالأمة إلى الخلاف والفرقة، وهو الأمر الذي وجد فيه الحاقدون على هذه الأمة الثغرة المناسبة للطعن في كتابها المقدس. وقد استبعدت معظم تلك الحروف التي كانت موضع خلاف في كتابة المصاحف العثمانية بإجماع الصحابة. وقد أشرنا من قبل إلى بعض تلك الحروف، سواء منها ما كان بزيادة كلمة أو أكثر كقراءة ابن مسعود ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ [فقال يا قوم] إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [هود: ٢٥] بزيادة "فقال ياقوم"، وقراءة ابن عباس ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ [في مواسم الحج] ﴾ [البقرة: ١٩٨] بزيادة "في مواسم الحج"، أو بالنقصان كقراءة ابن عباس : "ياحسرة العباد" بدلا من ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ [يس: ٣٠]، أو باختلاف اللفظ كقراءة أنس بن مالك : «ولا تقربوا النساء في المحيض و اعتزلوهن حتى يطهُرن»، بدلا من ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقراءة ابن مسعود : «إن كانت إلا زقية واحدة» بدلامن ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [يس: ٥٣]، أو باختلاف حرف واحد فقط كقراءة أبيّ بن كعب : "فشربوا منه إلا قليلٌ" برفع "قليل" بدلا من ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [البقرة: ٢٤٩] بنصبها.

ومعلوم أن معظم هذه الحروف قد أثبتها بعض الصحابة، خاصة منهم ابن مسعود وأبيّ بن كعب(١)، في مصاحفهم إما لأنهم لم يشهدوا العرضة الأخيرة،

---

(١) كثيرا ما اقتصر الدارسون على هذين الصحابيين إذا ماكان الموضع موضع حديث عن القراءات الشاذة. انظر مثلا : الظواهر النحوية والصرفية في القراءات القرآنية الشاذة (دكتوراه)، فريد أحمد البسطويسي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم ١٩٩٩ .

أو لأن ذلك كان على سبيل الإيضاح والتفسير، ومن ثم فإن استبعادها في كتابة المصاحف العثمانية كان ضروريا بل واجبا لعدم قرآنيتها . وعدم صحة القراءة بها إذ لم يستفض نقلها عن النبي ﷺ، فكان حريًّا أن يُعلن بطلان العمل بها بعد أن كان الصحابة الذين انفردوا بنقلها متمسكين بها في قراءتهم.

وقد أُشيع منذ ذلك الحين أن كل ما خالف رسم المصحف العثماني لا تصح القراءة به ولا تجوز، ولذلك قلّ الآخذون به من التابعين شيئا فشيئا، وبدت مناوءة الرسم له شديدة على مرّ الأعوام حتى إذا حلّ القرن الرابع وجدنا أثر هذا الرسم يترسخ في أذهان الناس وانجلى الخلاف عن نصر حاسم له، ولم يعد هناك من يهتم بتلك الحروف إلا بعض شواذ الأمة[1].

إنّ هذه الحروف المخالفة للرسم العثماني تمثل القسم الأكبر من صور شواذ القراءات، ثم هناك قسم آخر يمثل ماقام به بعض شواذ الأمة فجاوزوا التمسك بالأثر واجتهدوا في استخراج قراءات من اللغة والمعنى ما كانت لتصح بعد أن أغفل أصحابها شرط السماع أو السند، ولكن هؤلاء ـ لحسن الحظ ـ كانوا قلة قليلة، وقد حُوصرت آراؤهم ونبذهم الناس.

ثانيا : أقسام القراءات الشاذة

ينظر كثير من علماء الأصول والفقه إلى القراءات القرآنية نظرتهم إلى الحديث النبوي الشريف، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، أو قلْ إنهم ينظرون إلى الاثنيْن (القراءات والحديث) في إطار منهج واحد؛ فكما أنهم قسمّوا القراءات الصحيحة إلى متواترة ومشهورة، فقد قسموا النوع الثاني منها إلى أربعة أقسام وجعلوا مصطلح "الشاذ" دالا على قسم واحد منها فقط، وهي :

---

(١) انظر : القراءات الشاذة، ص ٣٩ .

١ ـ **الآحاد** : وهي التي صح سندها، وخالفت الرسم العثماني أو العربية أو لم تشتهر. وأغلب حروف هذا القسم مما نسب إلى بعض الصحابة، وقد مثل لها ابن الجزري بقراءة عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء[١] "والذكر والأنثى" بدلا من ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل : ٣] أي بحذف "ماخلق"، ومثّل لها غيره[٢]. بقراءة ابن محيصن "متكئين على رفارف خضر وعَباقِريّ حسان" بدلا من ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] أي بزيادة الألف في "رفرف" و"عبقري". فمثل هذه الحروف، على الرغم من ثبوت نقلها عن الصحابة ـ وهم ثقة ـ إلا أنها لم يثبت تواترها عن النبي ﷺ، إذهي منسوخة بالعرضة الأخيرة، ومن ثم فقد امتنعت القراءة بها.

٢ ـ **الشاذة** : وهي عندهم القراءة التي لم يصح سندها[٣] كقراءة "مَلَكَ يومَ الدين" بصيغة الفعل الماضي في "ملك" ونصب "يوم"، وقراءة ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يس: ٩٢] بالحاء المهملة (ننحيك)[٤] وقراءة ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس : ٩٢] بفتح لام "خلفك"، وغير ذلك مما نقله غير ثقة فكان إسناده ضعيفا[٥].

٣ ـ **الموضوعة** : وهي القراءة المكذوبة التي لا أصل لها مثل قراءات الخزاعي التي جمعها ونسبها إلى أبي حنيفة كذبا، ومنها "إنما يخشى الله من عباده العلماء" برفع هاء اسم الجلالة ونصب الهمزة من "العلماء"[٦]. ويسمى بعضهم هذا القسم بـ "المردود"[٧] لثبوت فساد معناه.

٤ ـ **المدرجة** : وهي فرع من الآحاد زيدت على وجه التفسير كقراءة سعيد بن أبي

---

(١) انظر : النشر جـ١ / ١٤، ١٥ .
(٢) انظر : القبس الجامع لقراءة نافع، ص ٢٢ .
(٣) انظر : الإتقان جـ١ / ١٠٢ .
(٤) وهي قراءة منسوبة لابن السّميفع اليماني وأبي السّمال البصري وغيرهما.
(٥) انظر : النشر جـ١ / ١٦ .
(٦) انظر : الإتقان جـ١ / ١٠٢ والنشر جـ١ / ١٦، والقراءة الصحيحة بنصب الهاء ورفع الهمزة.
(٧) انظر : الإتقان جـ١ / ١٠١ .

وقاص ﴿ وله أخ أو أخت [من أم] ﴾ [البقرة : ١٢] بزيادة "من أم" . وهذا النوع ذكره السيوطي وشبهه بالمدرج من الحديث[١] .

ثالثا : مفهوم الشاذ عند اللغويين والقراء

أ ـ عند اللغويين : الشذوذ في اللغة معناه التّفرّق والتّفرّد والندرة والخروج على القاعدة والقياس والأصول[٢] . في لسان العرب "شَذّ عنه، يَشُذُّ شُذوذًا : انفرد عن الجمهور وندر، فهو شاذٌّ . . .وشذّاذ الناس : متفرّقوهم[٣]" . وروى الجوهري أن الشاذ عن القياس هو ما شذّ عن الأصول[٤] . وذهب ابن جني إلى أن الشاذ في اللغة هو ضد المطّرد ؛ إذ المطرد من الكلام هو المستمرّ المتتابع في الإعراب وغيره، و الشاذ منه هو ما فارق بابه وانفرد عنه[٥] .

ومعلوم أن اللغويّين، والنحاة منهم بوجه خاص، قد أخضعوا القراءات في كثير من الأحيان إلى مقياسهم الذي استخلصوه في باب المطرد والشاذ من كلام العرب، أي أنهم أخضعوا القراءات إلى قواعدهم التي وضعوها، وهو ما يعني قفزهم على مبدإ السند حيثُ أدى ذلك أحيانا إلى تضعيفهم لبعض القراءات الصحيحة، أو تخطئتهم لبعضها واعتبارهم إياها شاذة . ولعل جهلهم بوجوه كثيرة من هذه القراءات في بادئ الأمر واعتمادهم ـ في وضع قواعدهم على ما سمع من كلام العرب شعره ونثره هو السبب في تشذيذهم لبعض القراءات[٦]، من ذلك تخطئة بعضهم لقراءة ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [طه : ٦٣] بتضعيف نون "إنّ" ورفع اسم الإشارة بدعوى أن ذلك يتناقض مع القاعدة النحوية التي تنصّ على أن "إنّ" حرف مشبّه بالفعل ينصب الاسم

---

(١) انظر : الإتقان جـ١ / ١٠٢ .
(٢) انظر : القراءات الشاذة، ص٧٩ .
(٣) لسان العرب ٤ / ٢٢١٩ مادة "شذذ" .
(٤) انظر : تاج اللغة وصحاح العربية، مادة : "شذذ"
(٥) انظر : الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، طبعة ثانية، جـ١ /٩٧ .
(٦) انظر : القراءات الشاذة، ص ٨٦ .

ويرفع الخبر، واعتل لذلك بعضهم بأنها لغة بلحارث بن كعب[١] الذين يحتفظون بصورة واحدة للمثنى رفعاً و نصبا وجراً[٢]، ومن ثمّ فإن هذه القراءة الصحيحة[٣] قد شُذّذت كما شُذّذت لغة بلحارث بن كعب عندهم ففارقت اللغات الأخرى[٤] .

ومن أمثلة النحاة التي تصب في هذا السياق أن سيبويه إنتصر لقراءة ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨] و﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [النور: ٢] بالنصب في ذلك جميعا[٥] على قراءة الرفع، وهي القراءة المشهورة التي لم يروغيرها في الصحاح، يقول في أمر القراءة بالنصب : "وهو في العربية على ما ذكرتُ لك من القوّة، ولكن أبتْ العامّة إلا القراءة بالرفع، وإنما كان الوجه في الأمر والنهي النّصبَ لأن حدّ الكلام تقديم الفعل وهو فيه أوجب[٦]." فهو ـ كما ترى ـ اختار النصب على الرفع لأن ذلك يتماشى مع مقياسه النحوي حتى وإنْ كان ذلك يتعارض مع المسموع المشهور.

وعنده أنّ قراءة النصب في "سواء[٧]" من قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية : ٢١] هي قراءة "رديئة" بدليل "أنّ ماكان في النكرة رفعاً غير صفة فإنه رفع في المعرفة[٨]" أي خبر للمبتدأ، فهو عنده شبيه بقولك : مررت بعبد الله خيرٌ منه أبوه، إذ لو قلت في ذلك : "خيراً" لكان قولك رديئا[٩].

---

(١) ويضيف إليها الرواة قبيلة خثعم وزبيد وكنانة وبعض القبائل الأخرى، انظر : قضايا قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية د.عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، القاهرة طبعة أولى ١٩٨٨، ص ٤٢ .

(٢) انظر : أثر القراءات القرآنية في تطوّر الدرس النحوي، ص ٢٣ .

(٣) هي قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي.

(٤) انظر استشكالهم لقراءات أخرى في : أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، ص ٢٤ـ٢٥ .

(٥) وهي قراءة عيسى بن عمر الثقفي وآخرين.

(٦) الكتاب جـ١ / ١٤٤ .

(٧) وهي قراءة حمزة و الكسائي وحفص عن عاصم.

(٨) الكتاب جـ٢ / ٣٣ .

(٩) انظر : الكتاب جـ٢ / ٣٤ .

وذهب أيضًا إلى "تقبيح" قراءة النصب في "أطهرَ"(1) على الحال من قوله تعالى ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] لالشيء إلا لأن ذلك يتعارض مع القاعدة النحوية التي تنصّ على أن الضمير "هو" وأخواته لايجوز عنده جعلها فصلا مع المعرفة وإنزالها منزلة الحرف الزائد؛ فعنده أن "هن" مبتدأ خبره "أطهر(2)".

فهذا قليل من كثير يوضّح أن الشاذ أو الرديء أو القبيح، عند سيبوية، من القراءات هو ما خالف قاعدة نحوية سنّها هو وأصحابه.

ويذهب الفراء الكوفي إلى وصف بعض القراءات بالشاذة لقلة من قرأ بها حتى وإن كانت من السّبع أو العشر، من ذلك وصفه لقراءة "نُتَّخَذُ" بضم النون وفتح الخاء(3) من قوله تعالى ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الفرقان: ١٨] بالشذوذ وقلة من قرأ بذلك مفضلا قراءتها بفتح النون وكسر الخاء لأنها قراءة الجماعة(4)، إذ هي قراءة العشرة عدا أبي جعفر.

وقد يرفض قراءة لمجرد أنها لم ترقه فهو لا يريدها كما فعل مع قراءة "سُرِّق" بالبناء للمجهول من قوله تعالى ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: ٨١]؛ قال: "ولا أشتهيها لأنها شاذة(5)."

وقد يشذذ بعض القراءات لمخالفتها الرسم العثماني كما هو حاله مع قراءة "شركاؤكم" بالرفع(6) من قوله تعالى ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، قال عن رفع ذلك: "ولست أشتهيه لخلافه للكتاب(7)."

ولا شك أن هذا الرأي الأخير يتماشى مع الاتجاه العام لمدرسة الكوفة النحوية

---

(1) وهي قراءة سعيد بن جبير ومحمد بن مروان المدني وعيسى بن عمرو بن أبي إسحاق الحضرمي.

(2) انظر: الكتاب جـ٢/ ٣٩٦، ٣٩٧.

(3) وهي قراءة أبي جعفر المدني أحد العشرة.

(4) انظر: معاني القرآن جـ٢/ ٢٦٤.

(5) معاني القرآن جـ٢/ ٥٣.

(6) وهي قراءة الحسن البصري أحد الأربعة عشر.

(7) معاني القرآن جـ١/ ٤٧٣.

التي تعوّل على السّماع والأثر وتتوسع في القياس، وقد كان للفراء اليد الطولى في إرساء أسسها، كما كان لكتابه "معاني القرآن" الحظوة، فهو في النحو الكوفي كـ "كتاب سيبويه" في النحو البصري.

ولم يخرج ابن جني عن الإطار العام الذي رسمه أسلافه من النحاة واللغويين البصريين لمعنى شذوذ القراءة، فقد ألف كتاب "المحتسب في تَبْيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" بغرض الاحتجاج لما شُذذ من قراءات فيما عدا السّبع مع كون كثير منها موافقة لقواعد العربية وأصولها؛ قال في مقدمة كتابه : "اعلم أن جميع ما شذّ عن قراءة القرّاء السبعة ضربان : ضرب شذّ عن القراءة عاريا من الصّنعة، ليس فيه إلاّ ما يتناوله الظاهر مما هذه سبيله، فلا وجه للتشاغل به... وضرب ثان وهو هذا الذي نحن على سمته، أعني ما شذّ عن السّبعة وغمض عن ظاهر الصنعة، وهو المعتمدُ المُعَول عليه، المولى جهة الاشتغال به[١]."

وهو إذ يُعوّل على ضرب مما شذّ عن السبعة إنّما يفعل ذلك لأن هذا الصّنف يتماشى وأساليب العربية، ثم هو ـ عنده ـ مع خروجه عن السّبعة "نازعٌ بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه[٢]." أو هو عنده "ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذٌ من سمت العربية مهلة ميدانه[٣]." وما دام الأمر كذلك فلا معنى لشذوذ هذا الصّنف عنده لأنه "إنْ قَصُر شيء منه عن بلوغه إلى رسول الله ﷺ فلن يقْصُر عن وجه من الإعراب...[٤]"

إذن، إنّ الذي شذّ من القراءات عند ابن جني ليس هو ما فارق السّبع، إنما هو مافارق وجوه العربية الفصيحة، ومن ثم وجدته يفاضل بين مجموعة من القراءات

---

(١) المحتسب، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين جـ١/ ٣٥.

(٢) نفسه ١/ ٣٢. (٣) نفسه ١/ ٣٢، ٣٣. (٤) نفسه ١/ ٣٣.

معتمداً في ذلك على المقياس اللغوي والنحوي ؛ من ذلك تفضيله لقراءة العامة "عِنْدَ" من قوله تعالى ﴿ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩] على قراءة ابن مسعود "وكان عَبْداً لله وجيهاً"، لأن قراءة العامة يُفهم منها معنى وجاهة موسى عند الله، وقراءة ابن مسعود يُفهم منها معنى وجاهته عند الناس لا عند الله(١).

ومنها تضعيفه لقراءة سعيد بن جبير ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٤](٢) بتخفيف نون "إن" ونصب "عباد" و"أمثالكم" وذلك لعلة أن "إنّ هذه لم تختص بنفي الحاضر(٣) اختصاص "ما" به فتجرى مجرى ليس في العمل(٤)."

كذلك تضعيفه لقراءة أبي جعفر ﴿ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا ﴾ [الأعراف: ١١] بإسقاط همزة "اسجدوا" وإلقاء حركتها على تاء "الملائكة" التي قبلها، إنما كان ذلك منه لأن التاء متحركة بكسر، ولا يجوز حسب القاعدة اللغوية المتعارف عليها نقل حركة إلا إلى ساكن، ثم إن همزة "اسجدوا" هي همزة وصل، أي مخففة، وعندهم أنه لا سبيل إلى حذف المخفف وإلقاء حركته على ماقبله(٥).

ويمكن القول أن مفهوم الشاذ من القراءات عند ابن جني - كما هو عند كثير من اللغويين والنحويين - لا يخرج عن كونه ما فارق قواعد اللغة فلم يكن له وجه فصيح فيها. ويمكن فهم ذلك من خلال منهج ابن جني نفسه في كتابه "المحتسب"، وهو منهج يقوم على ذكر القراءة أولا ثم ذكر من قرأ بها، ثم إن ابن جني يبحث لها عن شاهد في اللغة أو نظير يقيسها عليه، أو لهجة أو تأويل، فإذا أعوزه ذلك فلم يجد شيئا من ذلك يستند إليه لم يتحرّج في رد القراءة وتشذيذها أو تضعيفها.

---

(١) انظر: المحتسب جـ٢ / ١٨٥ .

(٢) قراءة العامة بتضعيف نون "إنّ" ورفع "عباد" و "أمثالكم".

(٣) ذهب ابن هشام إلى أن "إن" تنفي الحاضر أيضا واستشهد بقوله تعالى ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا ﴾ (النساء ١١٧) وقوله ﴿ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (الكهف ٥) انظر: مغنى اللبيب ١ / ٣٠ .

(٤) المحتسب جـ١ / ٢٧٠ . (٥) انظر: المحتسب جـ١ / ٢٤٠ .

ذلك هو مقياس ابن جني في تشذيذ القراءة، ولذلك وجدته يرفض وصف ما ضمّنه كتابَه بالشاذ فهو عنده "مساوٍ للمجمَع عليه" بل إن بعضه يراه أقوى من بعض ما في السبعة[١].

ونحسب أن ابن جني لولا خوفُه على نفسه، فيُعامل كما عومل ابن شنبوذ وابن مقسم، وخوفه على اختلاف الأمة أيضا لفضّل كثيرا مما سمّاه غيرُه شاذًّا على ما في السبعة، وإنا لنلمس ذلك في إشارته هو نفسه لما وقع لابن شنبوذ وابن مقسم جرّاء مخالفتهما للمجمع عليه من القراءات، كما نلمسه أيضا في وصفه لما جمعه ابن مجاهد بـ "ما أقرّته الثقاة[٢]." وما أقرّه الثقاة وأُجْمِع عليه خيف مخالفته حتى إن لم يكن وجهه في العربية أفصح كالقراءة المنسوبة لابن كثير "ضئاء" بهمزتين بينهما ألف، من قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ [يونس : ٥] وقراءة ابن عامر ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧] بضم زاي "زيّن" ورفع "قتل" ونصب "أولادهم" وجر "شركائهم"، فإن هذا وأمثلته مأخوذ به مع ثبوت ضعف وجهه في العربية[٣].

ويمكن القول بصفة عامة أن مفهوم اللغويين والنحاة للشاذ من القراءات مرتبط في الأغلب الأعم بما وضعوه من قواعد، فما وافقها هو عند عامتهم صحيح مأخوذ به، وما خالفها هو عندهم شاذ مردود.

ب ـ عند القراء : سبق توضيح شروط القراءات الصحيحة، وهي شروط وضعها علماء القراءات، وبناء عليه يمكن القول منذ البداية أن مالم تتوفر فيه تلك الشروط مجتمعة هو قراءة شاذة عندهم، فالاتفاق حاصل عندهم على أن القراءة الشاذة هي التي فقدت أحد شروط القراءة الصحيحة ؛ قال أبو شامة الدمشقي في تعيينه للصحيح والشاذ من القراءات : «لا ينبغي أن يُغترّ بكل قراءة تُعزى إلى

(١) انظر : المحتسب جـ١ / ٣٣ . (٢) المحتسب جـ١ / ٣٢ .
(٣) انظر : المحتسب جـ١ / ٣٣ .

أحد السّبعة، ويُطلق عليها لفظ الصحة، وأنها أنزلت هكذا إلا إذا أدخلت في ذلك الضابط ـ الذي على ضوئه قسمت القراءات إلى صحيحة وشاذة ـ وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنّف عن غيره، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف[1] لا على من تُنْسَبُ إليه».[2]

فهذا حكم موضوعي عام حول ما صح من القراءات وما شذّ منها، لم يرض فيه أبو شامة أن يخصّ الشاذ منها بصفة معيّنة مناقضة لإحدى صفات القراءة الصحيحة، وإنا لنجد عدم خصّ الشاذ بصفة معيّنة يميل إليه كثير من علماء القراءات منهم الكواشي الذي نقل عنه : أن كل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق خط المصحف الإمام فهو من السبعة المخصوصة، ومتى فَقَدَ شرطا من الثلاثة فهو من الشاذ[3]. وهذا مذهب ابن الجزري أيضا حيث قال : "ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أو عمن هو أكبر منهم[4]." وهو رأي عامة علماء القراءات حفظه الخلف عن السّلف الذين نصوا عليه في أكثر من موضع كما قال ابن الجزري[5].

وهذا بيان برأي بعض هؤلاء السلف :

١ ـ رأي الطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) : القراءة الشاذة عند الطبري "هي الحروف المخالفة لرسم عثمان، والقراءات التي تخالف الإجماع، والقراءات الأحادية[6]." أي أن الشاذ عنده ما اتصف بإحدى هذه الصفات الثلاث :

أ ـ مخالفة الرسم العثماني : وهي القراءة المروية عن النبي ﷺ أو أحد أصحابه رواية آحاد، وخالفت في رسمها المصاحف العثمانية، وقد أشرنا إلى بعض ذلك فيما سبق.

---

(١) يريد أوصاف القراءة الصحيحة وهي أركانها الثلاث : السند وموافقة الرسم والعربية.
(٢) الإتقان جـ١ / ٩٩، ١٠٠، وانظر : النشر جـ١ / ٩ـ١٠ .
(٣) انظر : الإتقان جـ١ / ١٠٠ .
(٤) النشر جـ١ / ٩ .
(٥) انظر : النشر جـ١ / ٩ .
(٦) القراءات الشاذة، ص ٩٠ .

ب ـ مخالفة الإجماع : وهي كل قراءة انفرد بنقلها قراء بعض الأمصار ولم يكن في الرسم دليل عليها، من ذلك قراءة بعض الكوفيين ﴿إلاَّ أن تَكُونَ تِجَارَةً﴾ [البقرة: ٢٨٢] بنصب "تجارة"، فمع كون القارئ بها هو عاصم أحد السبعة المشهورين إلا أنها عُدّت شاذة عند الطبري لإجماع القراء الآخرين المشهورين على الرفع، فهي مع جمعها لشروط القراءة الصحيحة الثلاث إلا أنها عنده شاذة لـ "تفرّد" قارئ بها دون القراء الآخرين.

ومن ذلك أيضا قراءة ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] بكسر همزة "إنّ" قرأبها كل من : ابن كثير وابن عامر وأبي عمرو وخلف، وهي مع ذلك كما يرى "شاذة خارجة عما عليه قرأة الأمصار[١]".

ولعل الطبري يكون قد تأثر في ذلك بمذهب النحاة في مفهومه للشاذ من القراءات.

جـ ـ أن تكون من الآحاد : وهي صفة لا تخرج عن مخالفة الإجماع، إذ المقصود بذلك ما انفرد بنقله قارئ واحد أو اثنان، أو كانت مروية عن بعضهم دون بعض مثل قراءة الحسن البصري "أو جاؤوكم حصرةً صدورهم" بدل ﴿حَصِرَتْ﴾ [النساء: ٩٠]، وقراءة بعضهم ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ﴾ [البقرة: ١٤٨] بإضافة وجهة إلى "كل" بدل رفعها على الابتداء. فمثل هذه الحروف تعدّ شاذة عند الطبري لكونها رويت آحاداً ولم تشتهر.

٢ ـ رأي مكي بن أبي طالب (ت ٣٣٧ هـ) : القراءات الشاذة عند مكي قسمان :

أ ـ القسم الأول: هو " ما صحّ نقله عن الآحاد وصح وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف، فهذا ـ عنده ـ يقبل ولا يقرأ به لعلتين :

---

(١) القراءات الشاذة، ص ٩١ .

- إحداهما : أنه لم يؤخذ بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

- والعلة الثانية : أنه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على مغيبه وصحته، وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به ولا يكفّر من جحده...[١]".

ب - والقسم الثاني : هو "ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإنْ وافق خط المصحف[٢]."

وتلاحظ أن مكي قد جمع في العلة الثانية بين شرطين اثنين : عدم ثبوت السند أو الرواية، وعدم موافقة العربية، وأنه خص العلة الأولى لعدم موافقة خط المصحف المجمع عليه، فكان بذلك صريحا في نصّه على الشروط الثلاثة التي يكفي وجود أحدها لتشذيذ أي قراءة.

٣ - رأي أبي جعفر النحّاس (ت ٣٣٨ هـ) : القراءات الشاذة عنده "هي كل قراءة خرجت على إجماع الحجة أو العامة، وكان فيها مطعن[٣]." والمطعن عنده هو من إحدى هذه الجهات :

أ - أن يقع في إسناد القراءة اضطراب باختلاف طرق روايتها، فتكون بذلك موضع ظن؛ قال في وصف إحدى القراءات : "هذه القراءةُ التي عليها حجّة الجماعة، وما يروى من غيرها يقع فيه الاضطراب[٤]."

ب - أن تكون القراءة مروية رواية آحاد، ليست موطن ظن إذ هي من الصحاح ولكنها لم تتواتر ولم تشتهر لذلك؛ قال بعد ذكره للمضطرب من القراءة : "وكذا أكثر

---

(١) النشر جـ١ / ١٤، وانظر : الإتقان جـ١ / ١٠١، وكذا : التخريجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش، الدكتور : سمير أحمد عبد الجواد، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة طبعة أولى ١٩٩١، ص٢٤ .

(٢) النشر جـ١ / ١٤ .

(٣) القراءات الشاذة، ص ٩٤ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ،طبعة العاني، بغداد ١٩٨٠ جـ٣ / ٤٩٠ .

القراءات الخارجة عن الجماعة وإن وقعت في الأسانيد الصحاح إلا أنها من جهة الآحاد[1]." ومثال ذلك قراءة يحيى بن يعمر البصري ﴿فَنَقَّبُوا﴾ [ق : ٣٦] بصيغة الأمر بدل الماضي كما هي قراءة العامة، أي بكسر القاف بدل فتحها.

جـ - أن يكون المعنى والتفسير يدلان على غيرها فيكون بذلك وجهها بعيدا في العربية غير مستقيم، كقراءة ابن عباس وغيره "ولم تجدوا كتاباً" بدل ﴿كَاتِبًا﴾ [البقرة: ٢٨٣]؛ قال : "لأن نسق الكلام يدل على كاتب[2]."

د - أن تكون القراءة حرفا يخالف مصاحف المسلمين، وأمثلة ذلك كثيرة، منها قراءة أبيّ بن كعب "وإذا الموءودة سألت" بصيغة البناء للمعلوم بدل ﴿سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨] بصيغة المبني للمجهول كما قرأ عامة القراء ؛ قال في قراءة أبي تلك : هي "قراءة شاذة مخالفة للمصحف، لا تجوز القراءة بها، بل ليس مثلها بقراءة[3]."

وبعد، فهؤلاء ثلاثة من علماء القراءات في القرن الرابع الهجري الذين كانوا مصدر الخلف في الفصل بين ما صح من القراءات وما شذ منها، وقد وضح أنهم كلهم ينصّون على أن الشاذ من القراءات ما فقد شرطا من شروط القراءة الصحيحة الثلاثة، ولكن كل واحد منهم شرح ذلك بطريقته الخاصة التي لا تخرج عن الإطار العام الذي فَهِمَ فيه جمهور علماء القراءات الشاذ منها.

وربما لجأ بعض العلماء إلى تحديد شرط واحد دون الشرطين الآخرين في أمر تشذيذ القراءة، فلم يكتف بأن يقول إن الشاذ ما فقد شرطا من الثلاثة؛ ذلك ما نجد السيوطي يصرح به قائلا : "الشاذ هو مالم يصح سنده[4]" مثل ﴿مَالِكِ يَوْمِ

---

(١) إعراب القرآن ٣ / ٤٩٠ .   (٢) إعراب القرآن جـ١ / ٣٠٢ .
(٣) إعراب القرآن جـ٢ / ١٨٧ .
(٤) الإتقان جـ١ / ١٠٢، و يصنف بعضهم هذا النوع ضمن القراءات "الموضوعة"

الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] بصيغة الماضي في "ملك" ونصب "يوم[١]"، و الشاذ بهذا المعنى هو ما نص عليه علماء الأصول والفقه كما سبقت الإشارة إليه.

ويرى أبو عمرو بن الصلاح (من أئمة القرن السّابع) أن "القراءة الشاذة ما نُقل قرآنا من غير تواتر واستفاضة متلقاة بالقبول من الأئمة، كما اشتمل عليه المحتسب لابن جني وغيره[٢]". وهو ما يفهم كذلك من قول ابن الجزري في أحد آرائه من أن القراءة الشاذة هي "مما كان أُذن في قراءته ولم يتحقق إنزاله، وأن الناس كانوا مخيّرين فيها في الصدر الأول ثم اجتمعت الأمة على تركها للمصلحة.[٣]"

وإنا لنجد ابن الجزري نفسه يصرح - في قول آخر - أن الشاذّ هو الذي خالف رسم المصحف؛ قال بعد ذكره لجملة من قراءات الصحابة التي لم تطابق رسم المصحف المجمع عليه: "فهذه القراءات تسمى اليوم شاذة لكونها شذّت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحا فلا تجوز القراءة بها لا في صلاة ولا في غيرها[٤]."

والذي نميل إليه عدم تحديد شرط دون الشرطين الآخرين؛ فالقراءة التي لم يصح سندها فلم تتواتر ولم تشتهر فلم يتحقق من إنزالها، كذلك القراءة التي خالفت الرسم المجمع عليه، وأيضا التي خالفت العربية، لا غرابة في وصف ذلك كله بالشذوذ، ولكن أنْ تَخص القراءة التي اتصفت بإحدىٰ هذه الصفات دون غيرها هو الذي يبدو غريبا بعض الشيء، ولكن هذه الغرابة تزول إذا أدركنا أن معظم ما يوقف عنده في باب الشاذ من القراءة هو مما خالف رسم المصحف المجمع عليه من حروف الصحابة والتابعين، وهو جامع لتلك الصفات معا في جزء منه، ومتصف بإحداها فقط في جزء آخر منه. والذي يظهر من خلال استقراء لأمثلته أن الغالب فيه هو ما خالف الرسم

---

(١) انظر: القبس الجامع لقراءة نافع، ص٢٣.
(٢) منجد المقرئين، ص٩٩.
(٣) نفسه، ص ١١٥.
(٤) منجد المقرئين، ص ٩٦ وانظر: النشر جـ١ / ١١، والإتقان جـ١ / ١٠٠.

وصح سنده ووافق العربية، وهو الذي عرف في تقسيم علماء الأصول والفقه بـ"الآحاد"، وهو الذي يميل كثير من الدارسين المحدثين إلى تشذيذه[١].

وهناك مقياس آخر يلجأ إليه بعض علماء القراءات والدارسين المحدثين للفرق بين الصحيح و الشّاذ منها، ذلك هو المقياس "العددي"، فابن مجاهد - وإن لم يصرّح بالشاذّ من القراءات - لايبعد أن يكون مشذذا لما وراء اختياره، وهم السّبعة؛ وقد أحال على ذلك الدكتور شوقي ضيف فقال : "إن ابن مجاهد حين اختار السبعة لم يسقط رواية مَنْ سواهم، بل دعاها شاذة.[٢]" ويصرح غيره بأن القراءة الشاذة عنده لا تعدو أن تكون تلك التي خرجت على مايرويه أحد الراويّيْن اللذين ذكرهما لكل قارئ إمام[٣].

ومعلوم أن ابن مجاهد كان قد ألف كتابا آخر بعد فراغه من كتاب "السبّعة" خصصه لما شذ من القراءة، وكان المصدر الأول الذي اعتمده ابن جني في كتابة "المحتسب"[٤]، وقراءاته تنسب إلى غير السّبعة.

وذكر السيوطي فيما نقله عن الشيخ تقي الدين السبكي (من علماء القرن الثامن) أنه "تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ولاتجوز بالشاذ[٥]" وهو ما يوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذ[٦]

أما ابنه أبو نصر فيرى أن ما وراء العشرة هو الشاذ ؛ قال ابن الجزري : "وقال شيخنا قاضي القضاة أبو نصر عبد الوهاب بن السبكي في كتابه (جمع الجوامع في الأصول) : ولاتجوز القراءة بالشاذ، والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ[٧]..."

---

(١) من ذلك ما نجده عند الدكتور عبده الراجحي. انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص٨٧ و٩١.

(٢) مقدمة كتاب السبعة، ص ٢٢.

(٣) انظر : القراءات الشاذة، ص٩٣.

(٤) نص ابن جني على ذلك صراحة، انظر : المحتسب جـ١ / ٣٥.

(٥) أنظر : الإتقان جـ١ / ١٠٧.

(٦) انظر : الإتقان جـ١ / ١٠٧.

(٧) منجد المقرئين، ص٩٥.

ويميل كثير من الدارسين المحدثين والمتهمين بالقراءات بصورة عامة إلى مقياس ابن السبكي وخلفه ابن الجزري فيحكمون على أن مازاد على العشرة شاذ.(١)

ويلحق بالقراءة الشاذة في عرف علماء القراءات "القراءة بالمعنى" أو المرادف، فهي عند بعضهم ليست مما خالف رسم المصحف فحسب بل قد تعدّت ذلك بكثير؛ فهذا أبو عمرو بن الصلاح يرى أنها قد جاوزت القراءات الشاذة درجة(٢)، وهو رأي ابن الحاجب كذلك حيث قال: "وأما تبديل آتنا بأعطنا، وسوّلت بزيّنت، ونحو ذلك، فليس هذا من الشواذ، وهو أشد تحريما، والتأديب عليه أبلغ، والمنع منه أوجب(٣)."

ومن أمثلتها غير ما ذكر ابن الحاجب قراءة أبيّ بن كعب "أمهلونا" و"أخرونا" و"أرقبونا" بدل "انظرونا" من قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣] وقراءته كذلك "مروا فيه" و"سعوا فيه" بدل ﴿مَّشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠]

كذلك "القراءة المدرجة" التي زيدت عند بعض الصحابة على وجه التوضيح، كقراءة ابن عباس ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ [في موسم الحج]﴾ [البقرة: ١٩٨] بزيادة عبارة "في مواسم الحج"، وقراءة سعد بن أبي وقاص ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ [من أم]﴾ [النساء: ١٢] بزيادة عبارة "من أم".

وأكثر بعدا من هذين النوعين "القراءة الموضوعة" التي لا يُعرف لها قائل حقيقي، كقراءات الخزافي التي نسبها لأبي حنيفة، وقد وصف ابن الجزري هذا النوع

---

(١) انظر مثلا:

أ- عبد الفتاح القاضي، في كتاب: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب - دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة أولى ١٩٨١، ص٦.

ب- خالد عبد الرحمن العك، في كتاب: تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص١٠٥-١٠٨

جـ- ابن الخطيب، في كتاب: الفرقان، ص ١١٣.

(٢) انظر: منجد المقرئين، ص ٩٩. (٣) منجد المقرئين، ص ١٠٠.

بالمكذوب فقال : "وأما ما وافق المعنى والرسم أو أحدهما من غير نقل فلا تسمى شاذة، بل مكذوبة يُكفّر معتمدها[١]."

وهذه القراءة الموضوعة المكذوبة هي و"القراءة بالرأي" أو "القراءة بالقياس المطلق" في درجة واحدة لكون هذا النوع الأخير، أي القراءة بالرأي، ليس له أصل في القراءة يُرجع إليه، ولاركن في الأداء يُعتمد عليه[٢]، حاله حال الموضوعة فهي لا أصل لها[٣]، إن هذه الأنواع الأربعة قد فارقت نص القرآن المتواتر والصحيح المشهور المجمع عليه، وكذا المسند المختلف فيه، ومع ذلك عد المتمسكون والمذيعون لها من أهل الشواذ.

والذي نراه أن القراءة إذا جاوزت حد التواتر والشهرة فالأحسن عدم تسميتها قراءة، فإن هي جاوزت حد السند وموافقة الرسم فأولى لها أن تطمس وألا يشار إليها في موضوع القراءات بتاتا. وقد وجدنا بعض العلماء والدارسين يؤكدون على ذلك، منهم أبو جعفر النحاس الذي وصف قراءة أبي بن كعب " وإذا الموءودة سألت " بصيغة البناء للمعلوم بأنها ليست قراءة[٤].

كذلك ابن الجزري الذي يرى في القراءة بالقياس أنّ ذلك "رَدُّهُ أحق ومنعه أشد ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر[٥]".

ويرى آخر "أن القراءة التي لاتقبل لعدم تواترها لايطلق عليها لفظ قراءة[٦]".

رابعاً : ممن اشتهر بالشواذ

١ ـ ابن شَنَبُوذ : محمد بن أحمد بن أيوب، أبو الحسن البغدادي (ت٣٢٨هـ). هو أشهر مَنْ عرف مِنْ أهل الشواذ. قيل إنه تخيّر لنفسه حروفا من شواذ القراءات

---

(١) منجد المقرئين، ص ٩٧ (٢) انظر : منجد المقرئين، ص ٩٧، والنشر ١ /١٧ .
(٣) انظر : أثر القراءات في الفقه الإسلامي، ص٨٩ . (٤) انظر : إعراب القرآن ج٢ / ١٨٧ .
(٥) النشر جـ١ /١٧ وانظر : الإتقان جـ١ /١٠١ .
(٦) أثر القراءات في الفقه الإسلامي، ص٧٧ .

التي تخالف رسم المصحف رواها عن مصحف أبيّ بن كعب ومصحف ابن مسعود وغيرهما[1]، وكان يقرأ بها في المحراب مخالفا بذلك جمهور القراء، وهذه الحروف هي :

١- "إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله" بدلاً من ﴿فَاسْعَوْا﴾ [الجمعة: ٩].

٢- ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ [صالحة] غَصْبًا﴾ [الكهف : ٧٩] بزيادة "صالحة".

٣- "كالصوف المنفوش" بدلا من ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة : ٥].

٤- ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ [وقد] وَتَبَّ﴾ [المسد : ١] بزيادة "وقد".

٥- "فاليوم ننجيك بِيَدَيْك لتكون لمن خلفك آية" بدلاً من ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس : ٩٢]

٦- "وتجعلون شكركم أنكم تكذبون" بدلا من ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الواقعة:٨٢].

٧- "والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى" بحذف ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ [الليل: ٣].

٨- "إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض و فساد عريض" بدلا من ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال : ٧٣].

٩- "فقد كذّب الكافرون فسوف يكون لزاما" بدلا من ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧].

١٠- "فلمّا خرّ تَيَقّنت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب مالبثواحَوْلاً في العذاب المهين" بدلا من ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ٤].

---

(١) انظر : معرفة القراء الكبار جـ١ / ٢٧٧

وهذه الحروف منسوبة لابن مسعود، ما عدا رقم(٦) و(٩) فهما لابن عباس، ورقم (٨) لأبيّ بن كعب[١].

وإذا تأملت هذه الحروف الشاذة وجدت أن : الأول والثالث والثامن قراءة بالمعنى أو المرادف، مخالفة لرسم المصحف العثماني المجمع عليه، وأن الثاني والرابع قراءة مدرجة، مخالفة لرسم المصحف العثماني أيضا، وأن الخامس والسادس قراءة بالرأي، أولاهما موافقة للرسم والأخرى مخالفة له، وأن السابع والتاسع والعاشر قراءة مخالفة للرسم دالة على معنى القراءة الصحيحة المشهورة.

وقد استُتيب ابن شنبوذ بسبب قراءته بهذه الحروف الشاذة، وأذعن بالرجوع والتوبة فلم يفعل إلا بعد أن جُرّد من ثيابه وضُرب على قفاه ضربًا شديدا[٢].

٢ ـ ابن مِقْسَم العَطّار: محمد بن الحسن، أبو بكر البغدادي المقرئ النحوي (ت ٣٥٤هـ[٣])، ما ذكر ابن شنبوذ في أمر القراءة الشاذة إلا وذكر ردفا له ؛ قال أبو عمرو الداني : "وكان قد سلك مذهب ابن شنبوذ الذي أُنكر عليه فحمل[٤] الناس عليه لذلك[٥]."

نسب إليه أنه زعم "أن كل من صحّ عنده وجه في العربية لحرف من القرآن يوافق خط المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها.[٦]" وقيل فيه لذلك : إنه كان "يتخيّر القراءات من جهة والبحث والاستخراج بالآراء دون الاعتصام والتمسك بالأثر[٧]".

---

(١) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص ٨٧ .
(٢) انظر: الجمع الصوتي ص٢٢٩ .
(٣) اختلف في سنة وفاته، من ذلك أن ابن النديم ذكر أن وفاته كانت سنة٣٣٢هـ، والأرجح ما أثبتناه (٣٥٤هـ)، انظر: معرفة القراء الكبار ١ /٣٠٩ .
(٤) حمل الناس عليه : خانوه ولم يطيعوه. انظر: لسان العرب ٢ /١٠٠١ مادة "حمل".
(٥) معرفة القراء الكبار ١ /٣٠٧ . (٦) معرفة القراء الكبار١ /٣٠٨، وانظر : النشر ١ /١٧ .
(٧) معرفة القراء الكبار ١ /٣٠٨

ومن الأمثلة التي تروى أنه قرأ بها كلمة "نجَيًّا[١]" من قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ [يوسف : ٨٠] قرأها "نُجُبًا"[٢]، وقد قيل : إنّ له كثيراً من هذا الجنس من تصحيف الكلمة واستخراج وجه بعيد لها مع كونها لم يقرأ بها أحدٌ[٣].

ولئن كان ابن شنبوذ يعتمد على السند ويعتد به في معظم حروفه التي قرأ بها، وإن خالف المصحف كما ظهر ذلك، فإن ابن مقسم كان ينحو منحى مخالفا له فيعتمد على المصحف ويخالف النقل أوالأثر[٤]، ولذلك عُقد له مجلس فأذعن بالتوبة في حضرة الفقهاء والقراء كما أذعن ابن شنبوذ[٥].

٣ ـ ابن محيصن : محمد بن عبد الرحمن[٦] المكي (ت ١٢٣هـ).

قال الذهبي : "قارئ أهل مكة مع ابن كثير وحميد الأعرج [بن قيس[٧]]" وقال إن له رواية شاذة في كتاب "المبهّج" وغيره، و المبهج كتاب لسبط الخياط في القراءات السبع[٨].

وقيل : إن له اختيار على مذهب العربية خرج به عن إجماع أهل بلده فيه ماينكر، وإن سنده غريب[٩]. ولعله لا يختلف مذهبه هذا كثيرا عن مذهب ابن مقسم في اجتهاده وأخذه بالقياس المطلق في استخراج قراءات لا أثر لها، من ذلك قراءته في قوله تعالى ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس : ١٠]

---

(١) نجيّا : حال، من المناجاة، "خلصوا نجيًّا" اي خلا بعضهم إلى بعض يتناجون لا يختلط بهم غيرهم.
(٢) النّجب : جمع النجيب، وهو الكريم الحسيب. انظر : لسان العرب ٦ /٤٣٤٢ مادة "نجب".
(٣) انظر : مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٩ .
(٤) انظر القراءات و اللهجات، ص ٥٧ .
(٥) انظر : معرفة القراء الكبار ١ /٣٠٨، والنشر ١ /١٧ .
(٦) اختلف في اسمه، والأرجح ما ذكرناه، انظر : معرفة القراء الكبار ١ /٩٨، ٩٩ .
(٧) معرفة القراء الكبار ١ /٩٨ .
(٨) انظر : معرفة القراء الكبار ١ /٩٩ .
(٩) انظر : الجمع الصوتي ص٢٢٦، والقراءات واللهجات ص ٥٧ .

بهمزة واحدة في "أأنذرتهم" التي حملها ابن مجاهد على الخبر وتعقبه فيها ابن جني بأنه "حذف همزة تخفيفا وهو يريدها،[١]" أي أنه حذف همزة الاستفهام مع إرادته لها، ومن ذلك أيضا ذهابه إلى تضعيف نون "أنّ" ونصب "الحمد" من قوله تعالى ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [يونس : ١٠] وقراءة العامة بتخفيف نون "أن" ورفع "الحمد". وقراءته ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ﴾ [الصافات : ٥٤ ، ٥٥] بالتخفيف في "مطلعون" أي بإسكان الطاء، ونسبة "فاطلع" إلى المتكلم المفرد : بهمزة قطع وكسر اللام و ضم العين، وقراءة العامة بنسبة الفعل إلى المفرد الغائب : بهمزة وصل وفتح اللام والعين.

٤ - **عيسى بن عمر الثقفي** : النحوي البصري (ت ١٤٩ هـ). وصفه أبو عبيد القاسم ابن سلام بقوله : "وكان عالـمًا بالنحو غير أنه كان له اختيار في القراءة على مذاهب العربية يفارق قراءة عامة القراء، و يستنكره الناس، وكان الغالب عليه حُبُّ النصب إذا وجد لذلك سبيلا.[٢]" ومما روي له في ذلك :

﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد : ٤] بنصب "حمالة" على الذم.

﴿الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي﴾ [النور: ٢] بالنصب مفعولا به لفعل محذوف.

﴿وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ﴾ [المائدة : ٣٨] بالنصب مفعولا به لفعل محذوف أيضا.

﴿هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ﴾ [هود : ٧٨] بنصب "أطهر حالا مفصولة بـ "هن"[٣].

﴿سُورَةً أَنزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١] بنصب "سورة" مفعولا به لفعل محذوف تقديره: أنزلنا أو أتل أو تأمل، ونحو ذلك[٤].

---

(١) المحتسب ٢/٢٠٥ .
(٢) القراءات واللهجات ص ٥٨ .
(٣) انظر : المحتسب ٢/٩٩ .
(٤) انظر : المحتسب ٢/٣٠٧ .

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة : ٣] بالنصب في الاثنين حالا، وقراءة العامة بالرفع خبرا لمبتدأ محذوف تقديره "هي" يعود على "الواقعة"[١].

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزِّينَةِ﴾ [طه : ٥٩] بنصب "يومَ" على الظرف، وقراءة العامة بالرفع[٢].

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ، سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ بنصب "سلام" على الحال، وقراءة العامة ﴿سَلامٌ قَوْلاً﴾ [يس : ١] برفع "سلام" خبراً لمبتدأ محذوف تقديره "هي"[٣] يعود على الجنة.

ومنه أيضا :

﴿يسَ﴾ [يس: ١] و ﴿صادَ﴾ [ص : ١] و﴿قافَ﴾ [ق : ١] كله مفتوح الآخر إما هروبا من التقاء الساكنين[٤] أو هو نصب كما ذهب إلى ذلك الزمخشري[٥] ولا توجد قراءة نصب من هذه المذكورة ضمن السبع ما عدا الحرف الأول منها (حَمَّالَةَ) فقد قرأ فيه بالنصب عاصم وحده، وقرأ بقية السّبعة بالرفع[٦].

وقد وجدنا الثقفي يناقض مذهبه العام أحيانا فيقرأ بالرفع مخالفا العامة التي قرأت بالنصب، من ذلك قراءته : ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةٌ﴾ [الكهف : ٥] برفع "كلمة" على الفاعلية، وقراءة العامة بالنصب ـ الذي يميل إليه هو ـ على التمييز[٧].

﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ﴾ [النساء : ١٦٢] قرأها "و المقيمون" بالرفع عطفا على مرفوع قبلها مخالفًا بذلك العامة في قراءتها ذلك بالنصب مجاراة لرسم المصحف المتفق عليه، أي : يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمن الصلاة[٨].

---

(١) انظر : المحتسب ٢/٣٠٧ .
(٢) انظر : المحتسب ٢/٥٣ .
(٣) انظر : المحتسب ٢/٢١٥ .
(٤) وهو قول ابن جني، انظر: المحسّب : ٢/٢٠٣، ٢٣٠، ٢٨١ . وانظر : الكشاف ٤/٣، ٧٠ .
(٥) انظر : الكشاف ٤/ ٣ و ٧٠ .
(٦) انظر : كتاب السبعة في القراءات ص ٧٠٠ .
(٧) انظر : المحتسب ٢/٢٤ .
(٨) انظر : المحتسب ١/٢٠٤ .

وقد أورد ابن النديم في "الفهرست" أسماء كثيرة لقراء الشواذ في الأمصار الإسلامية، وعنده أن الشاذ من القراءات هو ماعدا السبع بدليل أنه عدّ تتمة العشرة ضمن أهل الشواذ، وهم : أبو جعفر المدني، ويعقوب الحضرمي البصري، وخلف البزار البغدادي كما ذكر ضمنهم من تتمة الأربعة عشر : ابن محيصن المكي والأعمش الكوفي[1].

وبعد، فإننا ندعي بعد بلوغنا هذا الحد أننا قد أحطنا بالقراءات القرآنية في جانبها العام - والكمال لله - فكشفنا عن كثير من الأسرار فيها، وأجبنا على كثير من الأسئلة التي هي روافد لسؤال كبير طرح حول سبب تعدد القراءات القرآنية وإننا نطمع أن يكون ما قدّمناه من جهد حول العلل العامة للقراءات شافعا لنا بأن ننتقل الآن مطمئنين للبحث في عللها اللغوية الصوتية الخاصة، وهو الباب الثاني من هذا البحث.

---

(١) انظر: الفهرست ص ١٥٠-١٦٢ .



الباب الثاني

العلل الصوتية

الفصل الأول : الهمز بين التحقيق والتخفيف.

توطئة :

١ – مخرج الهمزة وصفاتها.

٢ – ما اختلف في قراءته من الهمز.

المبحث الأول : تحقيق الهمز .

أولاً : التحقيق هو اختيار للأفصح الغالب.

ثانيًا : علل أخرى.

المبحث الثاني : تخفيف الهمز .

أولاً : التسهيل.

ثانيًا: القلب.

ثالثًا : النقل والحذف.

الفصل الثاني : الإدغام والإظهار والحذف.

المبحث الأول : الإدغام .

أولاً : تعريفه وأقسامه.

ثانيًا: ما يدغم وما يدغم فيه من الأصوات.

ثالثًا : المختلف في إدغامه بين القراء.

المبحث الثاني : الإظهار والحذف :

أولاً : الإظهار .

ثانيًا : الحذف .

الفصل الثالث : الإمالة والفتح .

المبحث الأول : الإمالة .

أولاً : تعريفها وأنواعها وأصحابها .

ثانيًا : المختلف في إمالته بين القراء .

ثالثًا : علل الإمالة .

المبحث الثاني : الإمالة الصغرى والفتح .

أولاً : الإمالة الصغرى .

ثانيًا : الفتح .

الفصل الرابع : لغات بين التحريك والإسكان .

المبحث الأول : بين الفتح والضم .

أولاً : المختلف فيه بين الفتح والضم .

ثانيًا : علل المختلف فيه بين الفتح والضم .

المبحث الثاني : بين الفتح والكسر .

أولاً : المختلف فيه بين الفتح والكسر .

ثانيًا : علل المختلف فيه بين الفتح والكسر .

المبحث الثالث : بين الضم والكسر .

أولاً : المختلف فيه بين الضم والكسر .

ثانيًا : علل المختلف فيه بين الضم والكسر .

المبحث الرابع : بين الفتح والإسكان والكسر والإسكان .

أولاً : بين الفتح والإسكان .

ثانيًا : بين الكسر والإسكان .

المبحث الخامس : بين الضم والإسكان .

أولاً : المختلف فيه بين الضم والإسكان .

ثانيًا : علل المختلف فيه بين الضم والإسكان .

الفصل الخامس : ظواهر صوتية أخرى .

المبحث الأول : المد والقصر .

١ - تعريف المد والقصر .

٢ - أشهر أنواع المد .

٣ - مذاهب القراء في المد .

٤ - المختلف فيه بين المد والقصر .

المبحث الثاني : الإبدال .

١ - تعريف الإبدال وفيم يكون .

٢ - ا ختلافهم في تبادل السّين والصاد ، وعلة ذلك .

المبحث الثالث : الوصل والوقف .

أولاً : ياء المتكلم.

ثانيًا : ياء المنقوص والناقص.

ثالثًا : الألف من «أنا» و«حاشا» و«لكنا».

رابعًا : هاء السّكت .

المبحث الرابع : هاء الضمير.

أولاً : أصلها في الوصل والمختلف فيه منها .

ثانيًا : علل المختلف فيه من هاء الضمير.

المبحث الخامس : قضايا أخرى.

أولاً : حروف بين التشديد والتخفيف .

ثانيًا : حروف بيْن الإثبات والحذف.

ثالثًا : الأسماء الأعجمية.

الفصل الأول
الهمز بين التحقيق والتخفيف

توطئة

١ - مخرج الهمزة وصفاتها :

الهمزة هي أحد حروف العربية الصحيحة، مخرجها الحنجرة بأقصى الحلق عند المزمار[١]، فهي لذلك أبعد حروف العربية مخرجا على الإطلاق، ثم تليها الهاء.

كان سيبويه يذهب إلى أن الهمزة هي أحد أحرف ثلاثة تخرج من أقصى الحلق هي: الهمزة والهاء والألف[٢]، وقد نص على ذلك ابن جني في سر صناعة الإعراب وذكر أن أبا الحسن الأخفش (سعيد بن مسعدة) كان يذهب إلى أن الهمزة أبعد ثم تليها الهاء مع الألف[٣]، وعند ابن الجزري أن الحلق تشمل ثلاثة مخارج لسبعة أحرف، فمن أقصاها الهمزة والألف والهاء، ومن وسطها العين والحاء، ومن أدناها الغين والخاء[٤] . وعنده في موضع آخر أن أقصى الحلق للهمزة والهاء «قيل على مرتبة واحدة وقيل الهمزة أول»[٥].

إن الهمزة صوت مجهور شديد عند علماء العربية القدماء وعند علماء القراءات كذلك[٦] . غير أن الدارسين المحدثين يميلون إلى أنها صوت مهموس على عكس ما ذهب إليه القدماء، ذلك أن همس صوت الهمزة إنّما هو متأتٍّ «من أن إقفال الأوتار

---

(١) راجع ذلك في: أ - مشكلة الهمزة العربية. د/رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٦، ص٩١ . ب - النشر في القراءات العشر: ١/١٩٩ - ج - الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٥، ص٩١ .

(٢) الكتاب لسيبويه: ٤/٤٣٣ .

(٣) سر صناعة الإعراب، ابن جني - المكتبة التوفيقية، القاهرة: ١/٥٥ .

(٤) التمهيد في علم التجويد، ص١١٣ .

(٥) النشر في القراءات العشر: ١/١٩٩ .

(٦) راجع: النشر: ١/٢٠٢، وسر صناعة الإعراب: ١/٦٧، والكتاب: ٤/٤٣٤ .

الصوتية معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق»[1] . وذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن الهمزة «صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس»[2].

ويذكر الدكتور تمام حسان أنه قد لأيكون إقفال الأوتار الصوتية في نطقها تامّا، وذلك في حالة تسهيل النطق بها، حيث يكون إقفال الأوتار الصوتية تقريبا فيؤدي ذلك إلى الجهر بصوت الهمزة[3].

إن ما يمكن أن نستخلصه من هذا الاختلاف في الرأي ثلاثة أشياء:

أ - أنّ الهمزة كحرف هي همزات في النطق.

ب - أن حكم العلماء القدماء من اللغويين والقراء على أن الهمزة صوت مجهور قد استندوا فيه إلى نطق بعض العرب خاصة من الحجازيين أو القرشيين الذين كانوا يميلون إلى تخفيف الهمز.

جـ - أن قول الدارسين إن الهمزة صوت مهموس حكم يخص الهمزة المحققة على اعتبار أن التحقيق عندهم هو الأصل.

إن كون صوت الهمزة أبعد الحروف مخرجًا، وكذا انحباس الهواء عند نطقه انحباسا تاما يتلوه انفجار فجائي، كل ذلك جعله أشق الحروف وأصحبها، وهي قضية عرض لها علماء العربية والقراء قديما، والدارسون المحدثون على السواء، من ذلك ما نسب إلى سيبويه من أنّ الهمزة «نبرة في الصدر تخرج باجتهاد»[4]. وقال مكى ابن أبى طالب القيسى: إن الهمزة صوت «صعب على اللافظ به بخلاف سائر الحروف»[5].

لقد أدى الجهد المبذول في النطق بالهمزة محققة إلى أن سلك العرب في نطقها مذاهب شتى. وهذا جدول - بما ورد في قراءات السبعة للهمز من النصف الأول من القرآن الكريم - يوضح مجمل هذه المذاهب وكلها لغات، وسوف يتلوه بسط لعلل ذلك.

---

(١) مناهج البحث في اللغة. د/تمام حسان - دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ص١٢٥ .

(٢) الأصوات اللغوية، ص٩١ .

(٣) انظر: مناهج البحث في اللغة. ص١٢٥ .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ١ /٧٢ .

(٥) مشكلة الهمزة العربية. ص٢٤ .

٢ - ما اختلف في قراءته من الهمز :

جدول رقم (١)

الرقم التسلسلي للحرف المختلف فيه	القـــراءة		السورة	الآية
	كيفيتها	مَنْ قرأ بها من السبعة		
٠١	يؤمنون ← بتحقيق الهمزة	نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي	البقرة	٠٣
	يومنون ← بإبدال الهمزة واوا	أبو عمرو بن العلاء		
٠٢	أ أنذرتهم ← بتحقيق الهمزتين	عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر	البقرة	٠٦
	ءاآنذرتهم ← بمد الأولى وتسهيل الثانية	نافع وابن كثير وأبو عمرو		
٠٣	مستهزئون ← بتحقيق الهمزة	نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي	البقرة	١٤
	مستهزيون ← بتسهيل الهمزة	حمزة		
٠٤	شيءٍ ← بتحقيق الهمزة	نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي	البقرة	٢٠
	شيْءٍ ← بتحقيق الهمزة مع سكتة على الياء	حمزة		
٠٥	أنبئْهُم ← بتحقيق الهمزتين	نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي	البقرة	٣٣
	أنبيهِم ← بإبدال الثانية ياء	ابن عامر (في رواية)[١]		
٠٦	بارِئِكم ← بتحقيق الهمزة مكسورة	نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي	البقرة	٥٤
	بارِئْكم ← بتحقيق الهمزة ساكنة	أبو عمرو		

(١) ذكر ابن مجاهد فيما نقله بسند عن أحمد بن محمد بن بكر أن ابن عامر قرأ هذا الحرف كذلك (بالياء). وذكر أيضا في رواية أخرى عن الأخفش الدمشقى أن ابن عامر قرأ هذا الحرف بتحقيق الهمزتين وكسر الهاء هكذا : أنبئْهِم.

الرقم	الكلمة	القراء	السورة	الآية
٠٧	النّبيئين ← بتحقيق الهمزة	نافع	البقرة	٥٤
	النبيّين ← بإبدال الهمزة ياء	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي	البقرة	٦١
٠٨	الصابئين + الصابئون ← بتحقيق الهمزة	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي	البقرة المائدة	٦٢ ٦٩
	الصابين + الصابون ← بحذف الهمزة	نافع		
٠٩	هُزُؤًا ← بتحقيق الهمزة	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي ونافع	البقرة	٦٧
	هزُوًا ← بإبدال الهمزة واوًا	حمزة (في الواقف)[1] وعاصم (في رواية حفص)		
١٠	جبرائيل وميكائيل ← بهمزة محققة بعدها ياء في الأولى والثانية	حمزة والكسائي	البقرة	٩٨
	جبرئل ومكائيل ← بالهمزة لكن من غير ياء في الأولى وبالياء في الثانية	عاصم		
	جَبْريلَ وميكائيل ← الأولى بحذف الهمزة وفتح الجيم والثانية بهمزة بعدها ياء	ابن كثير		
	جبْريل وميكائِل ← الأولى بحذف الهمزة والثانية بهمزة من غير ياء	نافع		
	جبريل وميكال ← الأولى بحذف الهمزة والثانية بحذف الهمزة والياء	أبو عمر		
	جبريل وميكائيل ← الأولى بحذف الهمزة وكسر الجيم والثانية بهمزة بعدها ياء	ابن عامر		
١١	ننساها ← بتحقيق الهمزة وفتح النون الأولى	ابن كثير وأبو عمرو	البقرة	١٠٦
	نُنسِهَا ← بحذف الهمزة وضم النون الأولى وكسر السين	نافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن عامر		

(١) قال ابن مجاهد: «وقرأ حمزة... بالهمز... فإذا وقف قال: هُزُوًا: بلا همز وأسكن الزاي». السّبعة ص١٥٩ .

١٢	لئلاً ← بتحقيق الهمزة	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي	البقرة	١٥٠
	لِيَلاّ ← بإبدال الهمزة ياء	نافع		
١٣	الذي اؤْتُمِنَ ← بتحقيق الهمزة ساكنة	ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر والكسائي	البقرة	٢٨٣
	الذي اوْتُمِنَ ← بإشمام الهمزة الضم	عاصم وحمزة		
١٤	هاأنتم ← بمد الهاء وتحقيق الهمزة	عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي		
	هأنتم ← بقصر الهاء وتحقيق الهمزة	ابن كثير	آل عمران	٦٦
	هاآنتم ← بمد الهاء وتسهيل الهمزة	نافع وأبو عمرو		
١٥	واسألوا الله ← بتحقيق الهمزة	نافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة	النساء	٣٢
	وسلوا الله ← بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى السين	ابن كثير والكسائي		
١٦	أرأيتكم ، أرأيتم ، أرأيتَ : بتحقيق الهمزة	ابن كثير وأبو عمرو وعاصم	الأنعام	٤٠
	أرايْتَكم ، أرايتم ، أرايْت : بإبدال الهمزة ألفا	نافع		٤٦
	أريْتَكم ، أريْتُم ، أريْتَ : بحذف الهمزة	الكسائي	الكهف	٦٣
١٧	معائش ← بهمزة محققة	نافع	الأعراف	١٠
	معايِش ← بالياء	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي		
١٨	أرجئهُ ← بتحقيق الهمزة وضم الهاء	ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (في رواية أبي بكر)		
	أرجئه ← بتحقيق الهمزة وكسر الهاء	ابن عامر	الأعراف	١١١
	أرجِه[١] ← بحذف الهمزة	نافع وحمزة والكسائي وعاصم (في رواية حفص)		

---

(١) اختلفوا في الهاء، فأسكنها حمزة وعاصم، وكسرها نافع والكسائي، فأما الكسائي فلم يختلف عنه أنه قرأها بوصل الهاء بالياء (أرجهي) (البقرة ٢٨٩)، وأما نافع فاختلف عنه، =

١٩	بَئِيسٍ ← بهمزة محققة بعدها ياء مد	ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ونافع (في رواية أبي قُرّة)[١] وعاصم (في رواية حفص)	الأعراف	١٦٥
	بَيْئَسٍ ← بهمزة محققة قبلها ياء ساكنة	عاصم (في رواية أبي بكر)		
	بِئْسٍ ← بهمزة ساكنة محققة من غير ياء	ابن عامر		
	بَيْسٍ ← بياء ساكنة من غير همزة	نافع (في رواية خارجة)[٢]		
	بِيسٍ ← بياء مد من غير همز	نافع (في رواية أخرى)[٣]		
٢٠	أئمة ← بهمزتين محققتين	عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي	التوبة	١٢
	أيِمّة ← بقلب الهمزة الثانية ياء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو		
٢١	يُضاهئون ← بتحقيق الهمزة	عاصم	التوبة	٣٠
	يضاهون ← بحذف الهمزة	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي		
٢٢	النَّسيءُ ← بتحقيق الهمزة	نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي	التوبة	٣٧
	النَّسِيُّ ← بقلب الهمزة ياء	ابن كثير[٤]		
٢٣	ضِئَاءً ← بهمزتين محققتين	ابن كثير	يونس	٠٥
	ضِيَاءً ← بقلب الهمزة الأولى ياء	نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي		
٢٤	آلآن ← بهمزتين ممدودتين محققتين	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي	يونس	٥١
	آلان ← بحذف الهمزة الثانية	نافع		
٢٥	تبوّءا ← بتحقيق الهمزة في الوقف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر	يونس	٨٧

= فرواية المسيّبي وقالون بكسر الهاء دون وصلها بالياء، ورواية غيرهما بوصل الهاء بالياء (السّبعة : ٢٨٧).

(١) انظر السبعة في القراءات، ص٢٩٦ .

(٢) انظر السبعة في القراءات، ص٢٩٦ .

(٣) انظر السبعة في القراءات، ص٢٩٦ .

(٤) ذكر الأزهري أن ابن كثير قرأ هذا الحرف النسأ. انظر معاني القراءات ١ / ٤٥٢ .

	تبوّءا ← بتسهيل الهمزة في الوقف تبوّيّا ← بقلب الهمزة ياء في الوقف	حمزة عاصم (في رواية حفص)		
٢٦	الذِّئْبُ ← بتحقيق الهمزة	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة	يوسف	١٤
	الذِّيبُ ← بقلب الهمزة ياء	الكسائي		
٢٧	شُركائِي ← بتحقيق الهمزة	السّبعة	النحل	٢٧
	شُركَايَ ← بحذف الهمزة	ابن كثير (في رواية البزّي)		
٢٨	أئذا .. أئنّا ← بتحقيق الهمزتين في الأولى والثانية	عاصم وحمزة	الإسراء	٤٩
	ائذا .. إنّا ← بحذف الهمزة الأولى من الثانية	الكسائي		
	إذا .. ائنّا ← بحذف الهمزة الأولى من الأولى	ابن عامر		
	أيذا .. أينّا ← بقلب الهمزة، الثانية ياء في الأولى والثانية	ابن كثير		
	أيذا .. إنّا ← بقلب الهمز الثانية ياء في الأولى وحذف الثانية في الثانية	نافع		
	آيذا .. آينّا ← بحذف الهمزة الأولى في الكلمتين وقلب الثانية فيهما ياء	أبو عمرو		
٢٩	يأجوجَ ومأجوجَ ← بهمزتين محققتين	عاصم	الكهف	٩٤
	ياجوجَ وماجوجَ ← غير مهموزتين	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي		

المبحث الأول : تحقيق الهمزة

أولا : التحقيق هو اختيار للأفصح الغالب

إن التحقيق مصدر من حقق تحقيقا، إذا أتى بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه[١].

وتحقيق الهمزة يكون بنطقها منبورة دون تخفيف، كيفما كانت درجة التخفيف. وذلك ما نجده ثابتا مؤكدا في جميع الأحرف التسعة والعشرين المشار إليها في الجدول (رقم١) سابقا، وهو ما يعني أن ذلك هو الأصل في الهمزة، وأن مَنْ قرأ بالتحقيق قد اختار الأفصح من لغات العرب. والظاهر أن تحقيق الهمز ظاهرة عامة، لها حضور في مختلف البيئات العربية شرقيّها وغربيّها، ذلك أن بعض العرب في مختلف البيئات كان يميل إلى تحقيق الهمز، وكان بعضهم الآخر، في البيئات نفسها، يميل إلى ترك التحقيق. نعم قد يكون التميميون وأهل نجد عامة أكثر تحقيقا للهمز، وهو ما يشير إليه كثير من الدارسين بناء على ما توفر من معلومات في ذلك[٢]، ولكن ذلك لا يعني أبداً أن بعض الحجازيين لا يحقق الهمز، وذلك نتيجة شيوع التحقيق وانتشاره بين العرب عامة، حيث أصبحت «العربية الفصحى لغة الشعر ومواقف الجدّ من القول تحقق الهمزة متأثرة في ذلك بلهجة بني تميم[٣]، وهو ما يعني أن «النطق الفصيح استعار التزام الهمز في الكلام من لهجة تميم»[٤]. وهو أمر يؤكد عليه بعض

---

(١) انظر: التمهيد في علم التجويد، ص٥٩، ٦٠ .

(٢) انظر في ذلك مثلا: مشكلة الهمزة العربية. رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي. القاهرة ١٩٩٦ . ص٤١ .

(٣) المرجع نفسه، ص١٤ .

(٤) المرجع نفسه. ص١٥ .

الدارسين بالقـول: «حين شعـر الحـجـازيون بميـزة هذا التـحـقـيق وأثره على رقي اللغـة وفصاحتها استعاروه من تميم فامتصته لهجتهم»[1].

إن تحقيق الهمزة غالب على تخفيفها في قراءة القرآن والنظرة الفاحصة المدققة في الجدول السابق تبيّن لنا بجلاء أن معظم القراء يميلون إلى التحقيق، والجدول الآتي بالأحرف السابقة يوضح بدقة مَنْ كان يميل للتحقيق من القراء السّبعة ممن كان يخفف. وقد جعلنا هذه العلامة (X) دليلا على التحقيق الكلي في الحرف، وأشرنا بهذه العلامة (\ ) إما إلى التحقيق الجزئي، ونعني به تحقيق همزة وتخفيف أخرى إذا كانتا تنتميان إلى حرف واحد، في الموضع الواحد كما هو الحال بالنسبة للحرفين الحاملين للرقمين: ١٠ و٢٨، وإما أن تلك العلامة (\ ) دليل على أن إحدى الروايتين المشهورتين عن القارئ قد وردت بالتحقيق والأخرى بالتخفيف، وقد تركنا ماعدا التحقيق، أي جميع صور التخفيف بدون الإشارة إليه برمز معيّن.

---

(١) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمرو بن العلاء) – عبد الصبور شاهين – مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٨ . ص٧١ .

جدول رقم (٢)

رقم الحرف	ابن كثير	نافع	أبو عمرو	عاصم	ابن عامر	حمزة	الكسائي
١	X	X		X	X	X	X
٢				X	X	X	X
٣	X	X	X	X	X		X
٤	X	\	X	X	X	X	X
٥	X	X	X	X		X	X
٦[١]	X	X	X	X	X	X	X
٧		X					
٨	X		X	X	X	X	X
٩	X	X	X	\	X		X
١٠	\	\		X	\	X	X
١١	X		X				
١٢	X		X	X	X	X	X
١٣	X	X	X		X		X
١٤	X		X	X	X	X	X
١٥		X	X	X	X	X	
١٦	X		X	X	X	X	
١٧		X					
١٨	X		X	\	X		
١٩	X		X	X	X	X	X
٢٠				X	X	X	X
٢١				X			
٢٢		X	X	X	X	X	X
٢٣	X						
٢٤	X		X	X	X	X	X
٢٥	X	X	X	\	X		X
٢٦	X	X	X	X	X	X	
٢٧	\	X	X	X	X	X	X
٢٨				X	\	X	\
٢٩				X			
مجموع نقاط التحقيق	١٩	١٤	١٨	٢٢٫٥	٢١	١٨	١٨٫٥

(١) انحصر الخلاف في هذا الحرف بين كسر الهمزة وإسكانها.

إن أهم ما نخرج به من قراءة في هذا الجدول (رقم٢) يتمثل في ما يلي :

١ – بلغت أصوات أو نقاط التحقيق والتخفيف معا عند كل القراء السبعة ثلاث ومائتيْ (٢٠٣) نقطة، وهو مجموع نقاط التحقيق والتخفيف للهمز مما اختلف فيه في النصف الأول من القرآن الكريم، أي في التسعة والعشرين (٢٩) حرفا المشار إليها في الجدول (رقم١).

٢ – بلغ عدد نقاط التحقيق إحدى وثلاثين ومائة (١٣١) نقطة، وهو ما نِسْبَتُهُ ٦٤,٥٣٢٪ . وبلغ عدد نقاط التخفيف اثنتيْن وسبعين (٧٢) نقطة، وهو ما نسبته ٣٥,٤٦٧٪ . وهذا يعني أن نسبة التحقيق إلى نسبة التخفيف قد شارفت على الضعف تقريبا في مجموع الأحرف المذكورة.

٣ – نسبة التحقيق عند كل قارئ من السبعة هي أعلى من نسبة التخفيف عنده، عدا الإمام "نافع" فإن نسبة التحقيق عنده أقل بقليل من نسبة التخفيف، إذ نجده قد حقق ١٤ همزة من مجموع ٢٩ همزة. وحقق ابن كثير ١٩ همزة من المجموع نفسه، وحقق أبو عمرو ١٨، وعاصم ٢٢,٥، وابن عامر ٢١، وحمزة ١٨، والكسائي ١٨,٥ .

٤ – نسبة التحقيق عند عبد الله بن كثير، إمام أهل مكة، حاضرة الحجازيين القرشيّين – وهم الذين ينسب إليهم التخفيف[1] – أعلى من نسبة التخفيف عنده، حيث بلغت ٦٥,٥١٧٪، ولم يجاوزها سوى نسبة تحقيق "عاصم" (٧٧,٥٨٦٪)، و"ابن عامر" (٧٢,٤١٣٪). وهذا يعني أن تحقيق الهمزة في قراءة القرآن غير مرتبط بلهجة عربية معينة، بقدر ما هو مرتبط بالأثر المسموع المختار أولا، وبالأصل الأفصح ثانيا.

إنّ نسبة تحقيق الهمز في قراءة "نافع" إمام أهل المدينة – على الرغم من كونها

---

(١) انظر: مشكلة الهمزة العربية. ص١٢ .

أقل من نسبة التخفيف عنده (٤٨,٢٧٥٪) - لم تبلغ حدّا كبيرا من التدنّي ذا بال يجعل نافعا متميّزا عن بقية القراء.

٥ - نسبة تحقيق الهمز عند أبي عمرو بن العلاء لم تكن أعلى من نسب التحقيق عند القراء الآخرين عدا "نافع"، وذلك على الرغم من أنه يُنسب إلى قبيلة تميم التي يُنْسب إليها تحقيق الهمز، والتي يقال إنه كان لها «أثر عميق في ثقافة أبي عمرو واتجاهه في قراءته»[١]، فقد بلغت نسبة تحقيقه للهمز في الأحرف المذكورة ٦٢,٠٦٨٪، وهي نسبة مساوية لنسبة تحقيقه الإمام "حمزة"، وهي أدنى من نسبة التحقيق عند كل من "عاصم" (٧٧,٥٨٦٪)، و"ابن عامر" (٧٢,٤١٣٪) و"ابن كثير" (٦٥,٥١٧٪). وهذا يعني أن معظم القراء كانوا أكثر تحقيقا للهمز منه، إذ لم يكن أقل تحقيق منه غير نافع (٤٨,٢٧٥٪).

هذه ملاحظات هامة حول تحقيق الهمز في الأحرف المذكورة، وهي إن دلت على شيء، إنما تدل على أن هذا التحقيق لم يكن ميزة خاصة عند بعض القراء دون البعض الآخر منهم. وهو إن غلب عند معظمهم على التخفيف، إنما كان ذلك لاعتبارات موضوعية.

ثانيا : علل أخرى

أ - **كون تحقيق الهمز هو الأصل**، وهو بالتالي أولى من التخفيف متى لم يكن ذلك مؤديا إلى حدوث خلل صوتي أو عيب لغوي آخر مما يجعل التخفيف أولى منه، يستوي في ذلك الهمز المفرد مثل الحرف رقم ٧، فإن «النبيئين» بتحقيق الهمزة من أنبأ عن الله عز وجل[٢]، أو الهمزتان المتجاورتان في بداية الكلمة، الأولى منهما للاستفهام، والثانية دخلت لمعنى آخر، كما هو الحال بالنسبة للحرف رقم ٢، (أأنذرتهم) إذ أن قراءة الكوفيين (عاصم وحمزة والكسائي) وابن عامر

---

(١) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي. ص٦٩ .

(٢) انظر: إصلاح المنطق. ابن السكيت (ت٢٤٤ هـ). شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر. وعبد السلام هارون. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٨٧ . ص١٥٨ .

إنما كانت لأجل أن كل همزة دخلت لمعنى[1] ، فالأولى همزة استفهام وهي كلمة قائمة بذاتها، والثانية همزة "أفعل" .

ب - وإن حرص القراء بصفة خاصة، والعرب بصفة عامة، على تحقيق الهمز لابد فيه من المبالغة في الحفاظ على خاصية من خصائص هذا اللسان العربي وتميّزه، وهو ما نفهمه من عبارة ابن الجزري بأن التحقيق بصفة عامة يكون لاعتبارات، منها أنه رياضة للألسن، وإقامة للقراءة، وإعطاء لكل حرف حقه، وأنه يُؤْمَنُ معه تحريك ساكن واختلاس حركة[2] .

جـ - وإن الحرص كذلك على القراءة بالتحقيق والنبر فيه مبالغة مشروعة في إيصال المعنى في أحسن صورة، ومن ثم التأثير في السامع، والهمزة المحققة أنسب الأصوات للقيام بذلك لما فيها من نبر.

د - وإن من أسباب غلبة تحقيق الهمز عند القراء وتفضيلهم له على التخفيف أننا نجد الواو والياء يقلبان همزة في اللسان العربي الفصيح بشكل مطرد فيقال مثلا: سماء في سماو، وبناء في بناي، وقائل في قاول، وبائع في بايع، وعجائز في عجاوز، ومدائح في مدايح، وأوائل في أواول، ونيائف في نيايف.. فالهمزة في ذلك كله - كما ترى - أصلها واو أو ياء. وإذا كان الحال كذلك، حيث استخف العرب تحقيق الهمزة وهو ليس أصلا، فإن استخفافه فيما كان فيه أصلا أولى، ذلك هو مذهب كثير من علماء العربية، فهذا أبو علي الفارسي يقول: « فإذا جاز إبدال الهمزة من الواو.. واجتلابها، وإن لم تكن من الكلمة، فالهمزة التي هي أصل في الكلمة أولى بالتقرير وألا يُبدل منها الواو »[3] . وعنده أن مَنْ قرأ على سبيل المثال الحرف رقم١ (يؤمنون) بتحقيق الهمزة « فلأنه إنما تَرَكَ الهمزةَ في « أومن » لاجتماع الهمزتين، كما تَرَكها في "آمن" كذلك، فلما زال

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع. ص٦٦ .

(٢) انظر: التمهيد في علم التجويد. ص٦١ .

(٣) الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١/ ١٨٠ .

اجتماعهما مع سائر حروف المضارعة سوى الهمزة رَدَّ الكلمة إلى الأصل فَهَمَزَ لأن الهمزة من الأمن والأمنة فاءُ الفعل..»[١].

هـ- وفي "إصلاح المنطق" لابن السكّيت ما يوحي بأن إبدال الهمزة - عند بعض العرب - من حروف أخرى هو نوع من تحقيق الذات حتى وإن كانت الحروف غير حروف العلة أو اللين، من ذلك أنه «يُقال: المئشار، بالهمز، وجمعه مآشير، وقد أشرت الخشبة فهي مأشورة وأنا آشر»[٢]. فقد أبدلت الهمزة من النون وهي ليست من حروف العلة. ومما كانت الهمزة فيه أصلها حرف علة قول بعضهم: آصدت الباب، في أوصدته، وأُقّتَ من الوقت، في وُقّتَ، وإسَادة، في وسادة، والأرقان في اليرقان، وثوبٌ أديٌ في يَديٌ إذا كان واسعًا[٣]، وكل ذلك مما كان أوله في الأصل بالواو أو الياء وقد استخفت فيه الهمزة المحققة فأُخذ به وترك الأصل وهو خفيف.

و- ويلاحظ أن تحقيق بعض الهمزات إنما فضله بعض القراء من باب الاقتداء والتقليد للرسول ﷺ، وإن كانت القراءات المشهورة خاضعة له منقادة إليه، ذلك مانجده متحققا في الحرف رقم ١٠، إذ أن قراءة حمزة والكسائي (جبرائيل وميكائيل) بالهمز بعد المد في الأولى والثانية، أو قراءة عاصم (جبرئل وميكائيل) بدون مد في الأولى إنما اعتمد فيها على ماورد عن النبيّ ﷺ من أنه كان يقرأ الكلمتين بالهمزة[٤]. وذكر ابن مجاهد أن علة ابن كثير في همز "ميكائيل" دون "جَبْريل" هي أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام يقرأ ذلك فقال: «لا أقرأها أنا إلا كذلك»[٥].

ز- وأما قراءة نافع وحده الحرف رقم ١٧ بهمزة محققة بعد ألف[٦]، فإن ذلك قد

---

(١) الحجة في علل القراءت السبع، أبو علي الفارسي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١/١٧٩.
(٢) إصلاح المنطق. ص١٤٥.
(٣) انظر: إصلاح المنطق. ص١٥٩-١٦١.
(٤) انظر: المصاحف. ص١٠٦.
(٥) السبعة في القراءات. ص١٦٦.
(٦) نسب الزمخشري في الكشاف (٢/٨٩) هذه القراءة لابن عامر، والصحيح أنها لنافع، رواها عنه خارجة بن مصعب، انظر: السبعة. ص٢٧٨ ومعاني القراءات: ١/٤٠٠.

سمع فيما كان على وزن "مفاعل" وشبهه مما كان ثالث مفرده واوا أو ياء للمدغير زائدة كمنائر من منارة حيث قلبت الألف المنقلبة عن واو (أصل المفرد: مَنْوَرة) همزة، وكمصائب من مصيبة، قلبت فيها الياء همزة وهي أصلية. وكذلك حال "معائش" فإن الهمزة فيها منقلبة عن ياء مدّ أصلية، إذ أن المفرد هو معيشة، من الفعل عاش الذي أصله "عَيَشَ، فمثل هذا القلب سماعي محمول على قلب الواو والياء الزائدتين اللتين للمد الواقعتين ثالثا في المفرد حيث تقلبان بصورة مطردة في القياس همزة في جمع مفاعل وشبهه، مثل: عجائز، جمع عجوز، ومدائح جمع مديح.

وقد حمل الزمخشري هذه القراءة على التشبيه بـ "صحائف"[1] وهو ما ذهب إليه أبو حيان أيضا، حيث قال: «وقرأها خارجة عن نافع "معائش" بالهمزة، شبهها بصحائف من حيث عدد الحروف والحركات والسكون»[2].

وقد اعتبر بعض اللغويين النحويين أن همز "معائش" لحن لا يجوز؛ قال أبو منصور الأزهري: «الهمز في "معايش" لحن لأن الياء أصلية...»[3]، وقال أبو زكريا الفراء: «لا تهمز لأنها (يعني: معيشة) مَفْعَلَةٌ، الياء من الفعل...»[4] أي أن الياء أصلية لا يجوز قلبها همزة في الجمع، غير أن الفراء يعود ويستدرك بأن ذلك محمول على ما كانت الياء فيه غير أصلية بدليل أن العرب قد فعلت ذلك في غير هذه الكلمة؛ يقول: «وربما همزت العرب هذا وشبهه، يتوهمون أنها "فَعيلَة" لشبهها بوزنها في اللفظ وعدد الحروف... وقد همزت العرب مصائب وواحدتها مصيبة، شُبّهت بفَعِيلَة لكثرتها في الكلام»[5].

---

(١) الكشاف. ٢/٨٩.

(٢) النهر الماد من البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عمر الأسعد دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥، ٢/٥١٩.

(٣) معاني القراءات: ١/٤٠١.

(٤) معاني القرآن: ١/٣٧٣.

(٥) نفسه: ١/٣٧٣، ٣٧٤.

المبحث الثاني : تخفيف الهمز

وهو اختيار فصيح

فضلنا هنا أن نقابل تحقيق الهمز بـ "تخفيفه" حتى وإن بلغ هذا التخفيف حدّ حذف الهمزة نحو: مَسْلَة في مسألة. فالتخفيف في الهمزة درجات: يكون بتسهيلها بين بين، ويكون بقلبها، ويكون بحذفها مع نقل حركتها، أو حذفها من غير نقل، كل ذلك بغرض الحد من مؤونة النطق بالهمزة محققة، وهو ما فعله بعض العرب خاصة من الحجازيين.

أولا : التسهيل

التسهيل هو جعل الهمزة المتحركة بين الهمزة المحققة والحرف الذي منه حركتها؛ فتجعل بين الهمزة والألف إن كانت مفتوحة، وتجعل بين الهمزة والواو إن كانت مضمومة، وتجعل بين الهمزة والياء إن كانت مكسورة.

يشيع تسمية هذه الهمزة عند علماء العربية القدماء "همزة بين بين"، وربما سماها بعضهم بـ "الهمزة اللينة"(١)، وسماها ابن جني "الهمزة المخففة"(٢).

ومخرجها - عند ابن الجزري - هو دون الهمزة المحققة وأبعد من مخرج الهاء(٣). هذه الهمزة لا تقع في أول الكلمة لقربها من الساكن في طبعه، وهو لا يبدأ به كلام في العربية.

---

(١) لسان العرب. ١/٢١، (حرف الهمزة).

(٢) سر صناعة الإعراب، ابن جني. تحقيق: أحمد فريد أحمد. المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١/٥٧.

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر: ١/٢٠١.

وكما هو معلوم، فإن رمز الهمزة المحققة فيه إشكال كبير، فما بالك وهي مخففة بين بين. ولعله يصلح أن يرمز للهمزة المسهلة المفتوحة في الأصل، بألف فوقها فتحة (أَ) وهو ما يرمز إليه في الرسم المصحفي المحسن بألف فوقها نقطة مدوّرة مسدودة (اۨ) وأن يرمز للمسهلة المكسورة في الأصل، بنبرة تحتها كسرة (ـِـ)، وأن يرمز للمسهلة المضمومة في الأصل بواو فوقها همزة وبينهما ضمة (ؤُ). قد يكون ذلك صالحا إلى حد ما، وهو مع ذلك سوف يبقى موضع إشكال.

من جهة أخرى، فإن نطق الهمزة المسهلة قد صعب تمثله لدى الدارسين حتى وَصَفَ حالتها بعضُهم بـ "الحالة الغامضة لنطق الهمزة"[١] وذلك لكون صوتها ليس من اليسير الجزم بوصفه وصفا علميًّا مؤكداً[٢] . فهي عند كثير من الدارسين «عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام تاركة حركة وراءها، فالذي نسمعه عندئذ لا يُمتّ إلى الهمزة بصلة، بل هو صوت لين يسمى عادة حركة الهمزة من فتحة أو ضمة أو كسرة. ويترتب على هذا النطق التقاء صوتيْ لين قصيريْن»[٣].

هذا الرأي تبناه الدكتور إبراهيم أنيس، واعتمد فيه على أمرين اثنين:

أ – **الأول**: كون الهمزة المسهلة في الأصل لا تكون إلا متحركة بحركة ما؛ فتحة أو ضمة أو كسرة، إذ لا يصح تسهيل الهمزة الساكنة.

ب – **الثاني**: نطق بعض القراء لتلك الهمزة المسهلة أو لحركتها التي تركتها هاءً أو كالهاء، فهو يرى أن مَنْ سَهّل الهمزة الثانية من ﴿أَأَعْجَمِيٌّ﴾ [فصلت : ٤٤] نطقها كأنما هي: "أهعجمي" أي بقلب الهمزة الثانية هاء أو قريبا من ذلك[٤].

ولعل ذلك يصدق إلى حد كبير على قراءة كل من ورش عن نافع، وقنبل عن ابن كثير في حالة اجتماع همزتين منفتحتين من كلمتين متجاورتين كما هو حال

(١) الأصوات اللغوية،إبراهيم أنيس (دكتور) –مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ١٩٩٥ . ص٩٢ .
(٢) نفسه. ص٩٢ .   (٣) نفسه. ص٩٢ .
(٤) انظر: الأصوات اللغوية. ص٩٢ .

﴿ جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ [الأعراف : ٣٤ ، يونس : ٤٩، النحل : ٦١ ، فاطر : ٤٥] و﴿ شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ [عبس : ٢٢] وهو ما أشار إليه ابن مجاهد صراحة[١]، وقال أبو عمرو الداني: إنهما «يجعلان الثانية كالمدة»[٢] . إذ أن ذلك ليس قلبا صريحا، تحس معه أنك تنطق بهاء غير صريحة أيضا.

وإذا عدنا إلى الأحرف المذكورة سابقا وجدنا أن نسبة تسهيل الهمزة ضئيلة جدا، إذ لم يكن لذلك حظ سوى في أربعة أحرف، وهي الأحرف التي تحمل الأرقام: ٢ و٣ و١٤ و٢٥ .

فأما الحرف رقم ٢ المتمثل في (أأنذرتهم) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦] وهو حرف اجتمعت فيه همزة الاستفهام مع همزة منفتحة في أول كلمة. فقد اختار فيه كل من نافع وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء تسهيل الهمزة الثانية، ويبدو أن ذلك هو اختيارهم المفضل في كل ما شابه ذلك، أي عند اجتماع همزة الاستفهام مع همزة أخرى منفتحة، حتى أن أبا عمرو الداني جعل ذلك قياسًا. ولا شك أن غير التسهيل جائز أيضا، إلا أن اختياره هنا هو اختيار للأوسط، قد يكون الدّاني جعله قياسًا بناء على قاعدة "خير الأمور أوسطها".

ولئن كان هؤلاء القراء الثلاثة قد اتفقوا على أن الوصول إلى ذلك التسهيل يكون بواسطة مدّ همزة الاستفهام، فإنهم اختلفوا في درجة ذلك المد حيث كان مد أبي عمرو بن العلاء أطول من مد نظيريه نافع وابن كثير[٣].

ويرى ابن خالويه أن علة تسهيل هؤلاء للهمزة هنا وماشابهه هي من باب كراهة «الجمع بين همزتين متواليتين فخففت الثانية وعُوّض منها مَدَّة»[٤].

---

(١) انظر: السبعة في القراءات. ص١٣٨-١٤٠ .

(٢) التسيير في القراءات السبع. أبو عمرو الداني. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦ . ص٣٧ .

(٣) انظر: السبعة في القراءات. ص١٣٦ .

(٤) الحجة في القراءات السبع. ص٦٦ .

وأما الحرف رقم ٣ المتمثل في (مستهزئون) من قوله تعالى ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤] فقد انفرد حمزة بتسهيل همزته؛ قال ابن مجاهد إنه كان يقرأه «بغير همزة، وكأنه يريد الهمزة»[١].

ويبدو أنه كان يفضل تسهيل كل همزة مضمومة، أو مكسورة مسبوقة بكسر، فيجعل المسبوقة بضم بين الهمزة والواو، والمسبوقة بكسر بين الهمزة والياء، وهو ما يؤكده ابن مجاهد في قوله: «وكذلك كان يفعل بقوله ﴿لِّيُوَاطِئُوا﴾ [التوبة: ٣٧] و﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾ [يونس: ٥٣] و﴿مُتَّكِئُونَ﴾ [يس: ٥٦] و﴿فَمَالِئُونَ﴾ [الصافات: ٦٦] و﴿الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٧] و﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ [المائدة: ٦٩] و﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٢، والحج: ١٧]»[٢].

على كل حال فإن ذلك اختيار مشروع، يدعمه الواقع اللغوي العربي، وللعلم فإن تسهيل الهمزة في "مستهزئون" أو "يستهزئون" وما شابهه هو مذهب سيبوية والخليل[٣].

وأما الحرف رقم ١٤ المتمثل في «هَا أَنْتُمْ» من قوله تعالي: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾.[آل عمران: ٦٦] فقد ذهب نافع وأبو عمرو إلى تسهيل همزته المفتوحة فجعلاها بين الهمزة والألف، وذلك بعد المد الذي في "ها" التنبيه[٤]، وهو اختيار لأجل التخفيف في النطق[٥]، إذ الهاء أخت الهمزة، بَعُدَ مخرجها فسهلت الهمزة لأجل ذلك. وهو أمر يشبه إلى حد كبير التسهيل الذي في الحرف رقم "٢". فقد سهلت الهمزة الثانية بعد مد الهمزة الأولى فقيل "ءاآنذرتهم" و"ها أنتم".

---

(١) السبعة في القراءات. ص١٤٤. (٢) السبعة في القراءات. ص١٤٤.

(٣) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ١/٢٦٦ (طبعة الهيئة).

(٤) عند الفارسي أن الهاء مبدلة من همزة الاستفهام، أصلها: أأنتم. انظر: الحجة: ١/٢٦٦.

(٥) انظر: السبعة في القراءات. ص١٤٤.

أما الحرف رقم ٢٥ المتمثل في (تَبَوَّءَا) من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾. [يونس: ٨٧] فقد انفرد فيه حمزة – كما انفرد من قبل في الحرف رقم "٣" – بتسهيل الهمزة فجعلها بين المحققة والألف، وهو تسهيل لا نظير له عند حمزة – أو غيره – إذ المشهور عنده تسهيل المضموم والمكسور، وإن كان القياس يجيز تسهيل همزة "تبوءا" لتحركها. ويذكر ابن مجاهد أن حمزة إنما كان يقف على مثل هذا بالتسهيل ولا يفعل ذلك في الوصل. وقد أقر ذلك أبو عمرو الداني أيضا[١]. وللعلم فإن كل ما قرأ به حمزة بتسهيل همزاته قد راعى فيه موافقة خط المصحف العثماني.

ثانيا: القلب

القلب درجة ثانية من درجات التخفيف في الهمزة، ونعني به جعل الهمزة حرفا من حروف اللين؛ حيث تصير في النطق ألفا إن كان ما قبلها متحركا بفتح، نحو: راس في رأس، أو تصير ياء إن كان ما قبلها متحركا بكسر، نحو: بيس في بئس، أو تصير واوًا إن كان ما قبلها متحركا بضم، نحو: أومن في أؤمن.

هذا هو المشهور في قلب الهمزة، وذُكر جواز إبدالها عينا في لغة تميم، وإبدالها هاء في لغة طيئ[٢].

ولئن كان قلب الهمزة المفردة إلى أحد أحرف اللين طلبا للتخفيف، فإن قلبها عند اجتماعها مع همزة أخرى للعلة نفسها هو أولى، سواء كان ذلك في الكلمة الواحدة أو كان في كلمتين متجاورتين.

إن قلب الهمزة يأتي في المرتبة الأولى من حيث تخفيف الهمز، فقد مسّ اثني عشر (١٢) حرفا ضمن الأحرف التي اختلف في همزها من النصف الأول من القرآن

---

(١) انظر: السبعة في القراءات، ص٣٢٩، والتسيير في القراءات السبع، ص٣٩.

(٢) انظر: مشكلة الهمزة العربية: ص٤١ و٤٦.

الكريم، والتي تضمنها الجدول رقم "١" . وهو ما يعني أن نسبة القلب قد زادت بقليل عن نسبة حذف الهمز الذي مس أحد عشر (١١) حرفا من مجموع الأحرف المذكورة . وهذا توضيح بأسباب أو علل القلب في تلك الأحرف .

أ - **الهمزة الساكنة** : وهي أولى بالقلب من المتحركة لأنها لا تكون في أول الكلام مطلقا . وتقع فاء أو عينا أو لاما، ويسهل قلبها إلى حرف لين من جنس الحركة السابقة عليها . واستُثْنِيَ من ذلك ما كان السكون فيها علامة جزم في المضارع أو علامة بناء في الأمر، أو ما كان قلبها مؤديا إلى التباس، كما قيل في ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد : ٢٠ ، الهمزة : ٨] فإن قراءتها بقلب الهمزة واواً يؤدي إلى التباسها بـ "الوصد" وهي ليست منه[١] . كذلك الا يكون ترك الهمزة إلى القلب أثقل، نحو كلمة "تُؤْوِيه" إذا ترك همزها كان ذلك أثقل .

أول ما يصادفنا من هذا النوع ضمن الأحرف المذكورة، ما ورد في الحرف رقم ١ المتمثل في (يؤمنون) من قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ [البقرة : ٣] حيث قرأ ذلك أبو عمرو بن العلاء بقلب الهمزة واوا (يومنون)، ويبدو أنه كان يفعل ذلك في الهمزة الساكنة سواء كانت فاء أو عينا أو لاما فيعمد إلى قلبها إلى حرف لين كلما وصل قراءته، وهو ما نص عليه ابن مجاهد صراحة في قوله : «وأما أبو عمرو فكان إذا أدرج القراءة أو قرأ في الصلاة لم يهمز كل همزة ساكنة مثل : (يومنون) و﴿يُؤْمِنُ﴾ [البقرة : ٢٣٢] و﴿يَأْخُذُونَ﴾ [الأعراف : ١٦٩] وما أشبه ذلك»[٢] .

ومعنى ذلك أنه كان يشعر عند القراءة السريعة، في الصلاة أو خارجها، أو عند التزام الإدغام بثقل الهمزة الساكنة، فاختار لها أحكاما تنزع إلى تخفيفها إشاعة

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع، ص٣٩ .

(٢) السبعة في القراءات، ص١٣٣ . وانظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص١٠٩ .

للانسجام في قراءته، فيقلبها إلى حرف علة[١] . غير أنه لم يكن يفعل ذلك في حروف يسيرة[٢] .

وقد اشتهر في رواية ورش عن نافع قلب الهمزة الساكنة حرف علة، وهي القراءة المعروفة في شمال إفريقيا. مع ذلك فإننا نجد ابن مجاهد يجعل نافعًا على رأس من قرأوا بتحقيق همزة "يؤمنون" في الوصل، مشيرا إلى أنه كان يختار القلب في حالة الوقف لا الوصل[٣] . والأرجح أنه كان، في الوصل، يجيز الاثنين، مختاراً لأحدهما حينا وللآخر حينا أيضا.

أما ثاني حرف من الأحرف التي مسّها القلب ضمن الأحرف التي سكنت همزتها فهو الحرف رقم ٢٦ المتمثل في (الذئب) من قوله تعالى ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [يوسف : ١٤] حيث قَرأهُ الكسائي بقلب الهمزة ياء لكونها وردت عينا للكلمة ساكنة فقلبها حرفا من جنس الحركة التي قبلها، وهي الكسرة، وتلك لغة فصيحة يُلجأ إليها بغرض التخفيف[٤] .

وفي رواية ورش أن نافعًا لم يهمز هذا الحرف[٥] . وكذلك كان أبو عمرو يقرؤه بلا همز في إحدى الروايات[٦] . ولكن ابن مجاهد ذكرهما ضمن مَنْ حقق همزته[٧] .

وأما ثالث حرف مما مس القلب همزته الساكنة فهو الحرف الذي يحمل رقم ٥[٨] المتمثل في (أنبئهم) من قوله تعالى ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣] حيث انفرد ابن عامر – في رواية – بقراءته بقلب الهمزة ياء وكسر الهاء

(١) انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص١٠٩ .
(٢) انظر: السبعة في القراءات، ص١٣٣ . (٣) انظر: السبعة في القراءات، ص١٣٢ .
(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص١٩٤ . (٥) انظر: السبعة في القراءات، ص٣٤٦ .
(٦) نفسه، ص٣٤٦ . (٧) نفسه، ص٣٤٦ .
(٨) أخرنا هذا الحرف عن الحرف رقم ٢٦، لكون همزته وردت لاما للكلمة، ووردت همزة "الذئب" عينا، والعين قبل اللام.

(أنبيهم)، قال ابن مجاهد: «وينبغي أن تكون غير مهموزة لأنه لا يجوز كسر الهاء مع الهمز»[1]. ومن ثم يكون قلب الهمزة ياء في هذا الحرف من أجل كسر الهاء بعدها. والتمس أبوعلي الفارسي لقراءة ابن عامر هذه عذرا حيث ذهب إلى أن الهمزة خففت فقلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فشابهت الكلمة - بعد القلب - كلمة تكون ياؤها أصلية غير منقلبة فكسرت الهاء بعدها كما كسرت بعد الياء في يرميهم ويهديهم[2].

ب - الهمزة المتحركة: وقد مس القلب نسبة كبيرة منها، فكانت له حصة الأسد ضمن مجموع الأحرف المذكورة التي لحقها قلب، حيث شمل منها تسعة (٩) أحرف من بين الاثنيْ عشر (١٢) المشار إليها (وهو ما نسبته ٧٥٪)، فقد قُلبت الهمزة ياء في الأحرف ذوات الأرقام: ٧، ١٢، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٨، وهو ما يعني أن قلب الهمزة المتحركة إلى الياء في الأحرف المذكورة (السبعة) قد بلغت نسبة ٧٧,٧٧٪.

فأما الحرف رقم ٧ المتمثل في (النبيّين) من قوله تعالى ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] أي بقلب الهمزة ياء على رأي مَنْ ذهب إلى أن النبي من "النبأ" الذي هو الخبر، وليس من النباوة التي هي الرِّفْعة[3]. والسبب في القلب هذا عند اللغويين أنه صار لازمًا لكون ما قبل الهمزة ياء ساكنة (أصل الكلمة: النّبيئين) وانكسار ما قبل الياء ثم انكسار الهمزة وكون ما بعدها ياء ساكنة، كل ذلك أوجب قلب الهمزة ياء وإدغام الياء الساكنة التي قبلها فيها[4]. فقد اجتمعت أسباب - كما ترى - كان النطق بالهمزة معها ثقيلا فخففت لأجل ذلك عن طريق إبدالها ياء.

ولعل ما نُسب للرسول ﷺ من أنه يكره همز اسمه، فكان يقول: «لست بنبيء

---

(١) السبعة في القراءات، ص١٥٤. (٢) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٩.
(٣) انظر: الحجة في علل القراءات السبع، ٢/ ٧٣، وانظر: إصلاح المنطق: ص١٥٨.
(٤) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٧٤.

الله ولكني نبيّ الله»(١) أحد الأسباب التي جعلت العامة من القراء تختار عدم الهمز، وكذلك كان الرسول ﷺ يؤثر قراءة التخفيف، أو ربما كان يؤثر أن يكون اسمه من النَّبَوَةَ أو النباوة بمعنى الارتفاع لا من النبأ لأن رتبته ﷺ ارتفعت عن رتب سائر الخلق(٢). وإذا كان عليه السلام قد أقرّ ذلك فإن المسلمين بعامة والقراء بخاصة معنيّون باتباعه والأخذ به، ولذلك وجدت قراءة العامة هي التخفيف.

وأما قراءة نافع خلافا للسّبعة (النبيئين) بتحقيق الهمزة وكذلك همزة "الأنبئاء" و"النبيء" و"النبوءة" أين وقع ذلك من القرآن الكريم، فلا يبعد أن يكون اختاره لاعتقاده أن الهمز هو الأصل، أو لأنه يفضل أن يكون ذلك من "البنأ".

وأما الحرف رقم ١٢ المتمثل في "لئلا" من قوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠] فقد انفرد فيه نافع باختيار قراءة التخفيف عن طريق قلب الهمزة ياء، وهو الاختيار الغالب عند الحجازيين، وهو أولى لانكسار اللام التي قبل الهمزة. قال ابن خالويه: «والحجة لمن خفف أن العرب تستثقل الهمز... فلما قارن الهمزة لامٌ مكسورة، واجتمع في الكلمة كسر اللام وزيادتها ثَقُلَ الهمز، لَيَّنَها تخفيفا، وقلبها ياءً للكسرة التي قبلها»(٣).

وأما الحرف رقم ٢٠ المتمثل في "أئمة" من قوله تعالى ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢] فقد اختار فيه ابن كثير ونافع وأبو عمرو قلب الهمزة ياء لعلتين اثنتين: الأولى اجتماع همزتين وهو مكروه عند العرب. والثانية انكسار الهمزة الأولى فاستحسن قلب الثانية ياء حتى يسهل النطق بالكلمة(٤).

---

(١) انظر: هذا الحديث في: الحجة في علل القراءات السّبع: ٢/٧٥، والحجة في القراءات السبع، ص٨٠.

(٢) انظر: إملاء مامَنّ به الرحمن: ١/٤٠.

(٣) الحجة في القراءات السبع، ص٩٠.

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص١٧٣ وإملاء ما مَنّ به الرحمن: ٢/١٢.

وأما الحرف رقم ٢٢ المتمثل في "النّسيء"[١] من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[التوبة : ٣٧] فقد اختار فيه ابن كثير إمام أهل مكة قلب الهمزة ياء وإدغام الياء الساكنة التي قلبها فيها، وذلك بغرض التخفيف لانكسار السين وثقل الهمزة، و"النسيّ" من "النسيء" كالنبيّ من النبيء. ضف إلى ذلك أن هذا هو الغالب في لغة قريش وأهل الحجاز عامة[٢].

وأما الحرف رقم ٢٣ المتمثل في "ضياء" من قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس : ٥] فقد انفرد الإمام ابن كثير بقراءته بهمزتين (ضئاء) وقرأه بقية السبعة بياء وهمزة بينهما ألف (ضياء)، وفي ذلك إشكال يعنينا منه هنا قراءة العامة (ضياء)، فالياء فيها إما:

١ - أنها منقلبة عن واو لانكسار الضاد قبلها، إذ أصل الكلمة ضواء قلبت الواو ياء كما هو حال قيام من قوام وسياط من سواط، فهذا مطرد في القياس لانكسار الفاء من "فِعَال" وكون العين واوا. وعليه تكون "ضياء" لا قلب فيها الهمزة إلى ياء.

٢ - أن "ضياء" حصل فيها قلب مكاني فأخرت الياء المنقلبة عن واو مكان الهمزة - المعلة بالقلب هي الأخرى - وقُدّمت الهمزة مكان الياء فقلبت الهمزة ياء لانكسار ما قبلها وقُلبت الياء لتطرفها بعد ألف زائدة. وعلى هذا الوجه الثاني تكون "ضياء" تخفيف عن طريق القلب لما قرأ به ابن كثير (ضئاء) حيث اجتمعت فيه همزتان فقلبت الأولى ياء بغرض التخفيف لانكسار ما قبلها واجتماعها مع أختها[٣]. وذهب ابن خالويه إلى أن قراءة "ضياء" هي على الجمع، أي جمع ضوء، كما تقول بحر وبحار[٤].

---

(١) النسأ والنسيء في اللغة: التأخير (انظر: لسان العرب: ٦/٤٤٠٣، مادة: نسأ) و"النسيء" في الآية: تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر. (انظر: الكشاف. ١/ ٢٧٠).

(٢) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص١٧٥، وإملاء ما من به الرحمن، ٢/ ١٥ .

(٣) انظر: إملاء مامن به الرحمن: ٢/ ٢٤ . (٤) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٨٠ .

وأما الحرف رقم ٢٥ المتمثل في "تَبوّءَا"(١) من قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس : ٨٧] فورد عن عاصم في رواية حفص أنه قرأ ذلك بقلب الهمزة ياء (تبوّيَا)، والأصل فيها أن تُقلب ألفًا لانفتاح الواو التي قبلها، إلا أنه لما كانت الهمزة متحركة بفتح قلبت ياء، لأن الياء تقبل الحركة، ولا تكون الألف إلا مدًّا؛ قال ابن خالويه: «والحجة لمن قلبها ياءً أنه ليّنها فصارت ألفًا، والألف لا تقبل الحركة فقلبها ياءً لأن الياء أخت الألف في المد واللين إلا أنها تفضلها بقبول الحركة»(٢).

ولا شك أن قراءة القلب هنا فيها مبالغة، قد لا يستسيغها السامع، وهو ما جعل بعضهم يشك فيها، وجعل بعضهم يردها فلا يقبلها(٣). ولكننا نقول إنه ما دام أن تواترها ثابت ووجهها في العربية مقبول مرتضى فلا سبيل للتشكيك فيها.

أما الحرف رقم ٢٨ المتمثل في «أئذا .. أئنا» من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء : ٤٩] فقد اختار ابن كثير فيه قلب الهمزة الثانية في الكلمتين ياء واختار ذلك أبو عمرو أيضا إلا أنه مدّ الهمزة الأولى (همزة الاستفهام) في الكلمتين، وقلب نافع الهمزة الثانية من الكلمة الأولى ياء وحذفها في الكلمة الثانية. وكل ذلك جائز لاجتماع همزتين وانكسار الهمزة الثانية.

أما قلب الهمزة المتحركة واوًا أو ألفًا فقد كانت نسبته ضعيفة، حيث قدّرت بأقل من ٣٣٪ من نسبة قلب الهمزة في الأحرف المذكورة التي حصل فيها قلب همزة متحركة (ومجموع ذلك تسع همزات).

قلبت الهمزة واوًا مرة واحدة، وهو ما اختاره حمزة وقفا في الحرف رقم ٩

---

(١) تبوّأ: اتخذ مباءة، وهو المكان الذي يُرجع إليه للعبادة والصلاة.

(٢) الحجة في القراءات السبع: ص١٨٥ . (٣) انظر: التيسير في القراءات السبع، ص١٠٠ .

المتمثل في «هُزُؤًا» من قوله تعالى على لسان قوم موسى ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، [البقرة:٦٧] وروى حفص عن عاصم أنه قرأ ذلك بقلب الهمزة واوًا، غير أن حمزة أضاف إلى تخفيف الهمزة بالقلب تخفيف الزاي معها فأسكنها ﴿هُزْوًا﴾[١]. وقد ذهب ابن خالويه إلى أن علة قراءة ذلك بالواو إنّما هي اتباع الخط، حيث وردت في المصحف العثماني بالواو ومن غير همز[٢].

وقلبت الهمزة ألفا مرّة واحدة أيضا، وهو ما اختاره نافع في الحرف رقم ١٦ المتمثل في «أرأيتكم» من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ [الأنعام:٤٠] وكذلك ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦] و﴿أَرَأَيْتَ﴾ [الكهف: ٦٣] حيث قَلَبَ الهمزة الثانية ألفا جعلها مداً لحرف الراء جامعًا بين ساكنين، الألف والياء بعدها (أرايْتكم)، وعلة ذلك اجتماع همزتين بفاصل، خفف الثانية فجمع بين ساكنين أولهما حرف علة، وذلك جائز في العربية. قال ابن مجاهد: إن نافعا كان يقرأ ذلك «من غير همز، والألف على مقدار ذوق الهمز»[٣] وهو ما يعني أنه كان يُطيل مد الراء وصولا للساكن الذي بعدها. وذهب بعضهم اعتماداً على عبارة ابن مجاهد هذه إلى أن نافعًا كان يسهل الهمزة الثانية ولا يقلبها[٤].

ثالثا : النقل والحذف

وهما درجتان من درجات تخفيف الهمز.

فأما النقل فنعني به حذف الهمزة المتحركة ونقل حركتها إلى الحرف الصحيح الساكن قبلها. وهو عند اللغويين يختص بنقل الحركة من عين الكلمة إلى فائها، نحو: يقُول في يقْوُل، ويبيع في يبْيِع، غير أنه عند القراء غير مقيّد بفاء الكلمة.

هذا النوع من التخفيف اختاره ابن كثير والكسائي في الحرف رقم ١٥ المتمثل

---

(١) انظر: السبعة في القراءات، ص١٥٩ . (٢) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص٨١ .

(٣) السبعة في القراءات، ص٢٥٧ .

(٤) انظر: معاني القراءات: ١/٣٥٣، والحجة في القراءات السبع، ص١٣٩ .

في «اسألوا» من قوله تعالى ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢] وقوله ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء : ١٠١] وقوله ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس:٩٤] وكل ما كان من "سأل" بصيغة الأمر مسبوقا بالواو أو الفاء(١). كل ذلك بغرض التخفيف، وقد كثر لأجله استعمال هذا الفعل بلا همز في كلام العرب.

والواقع أن هذا النوع من التخفيف لم يكن يأخذ به أغلب القراء فهو نادر عندهم، عدا نافع، فقد اشتهر عنده النقل في رواية ورش، من ذلك أنه قرأ الحرف رقم ٢٤ المتمثل في "الآن" من قوله تعالى: ﴿آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس : ٥١] بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام، قال ابن مجاهد: «ليس بعد اللام همزة»(٢).

والظاهر أن لام التعريف كانت موضع نقل لحركة الهمزة في مواقع كثيرة عند نافع، كما هو الحال في قراءته لمثل: الأرض، والآخرة، والأسماء.. فإنه كان يقرأ ذلك بلا همزة، هكذا: اَلرْضَ، اَلاَخرة، اَلسْماء(٣).

وكذلك كان يفعل إذا كان الساكن آخر كلمة، والهمزة تالية له أول كلمة أخرى، مثل ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] و﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [القصص:٧١].. كان يقرأ ذلك هكذا: «قَدِ فْلَحَ»، «مَنِ لَهٌ»(٤).

وكان نافع كذلك ينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، الناتج عن تنوين، نحو ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ﴾ [الأعراف: ٩٤] و﴿كُفُواً أَحَدٌ﴾،[الإخلاص: ٤] فإنه كان يقرأ ذلك هكذا: «نَبِيِّنِ لاَّ» و«كُفُوَنَ حَدٌ»(٥).

كل ذلك، كان نافع يفعله بغرض التخفيف في النطق والهروب من تحقيق الهمزة لبعدها وثقلها على اللسان.

---

(١) انظر: السبعة في القراءات، ص٢٣٢ .
(٢) السبعة في القراءات، ص٣٢٧ .
(٣) انظر: السبعة في القراءات، ص١٤٨ .
(٤) انظر: السبعة في القراءات، ص١٤٨ .
(٥) انظر: التيسير في القراءات السبع، ص٣٨ .

واستثنى نافع نقل حركة الهمزة إذا كان الساكن الذي قبلها هو واوُ مدّ، مثل ﴿قَالُوا أَنصِتُوا﴾ [الأحقاف: ٢٩] أو ياءُ مدّ، مثل ﴿فِي أَنفُسِكُمْ﴾، [البقرة:٢٣٥] أو هاءُ سكت، مثل ﴿كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ﴾، [الحاقة: ١٩، ٢٠] كل ذلك كان يحقق الهمزة معه لاعتبار أن النقل فيه منقصة في هذه المواضع مع حروف المد، ثم هي في كثير من الأحيان يؤتى بها من أجل الوصول إلى الهمز وتحقيقه، وهو لا ينقل حركة الهمزة إلى هاء السكت، لأن هذه الهاء ساكنة أصلا، جيء بها كذلك من أجل الوقف فلا تحرك.

ولا شك أن تخفيف الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها بواسطة النقل أمر يفرضه الذوق اللغوي العربي السليم، إذ لا يصح تخفيف هذه الهمزة بغير النقل. وهو ما جعل بعض علماء العربية منهم الفارسي يعتبر نقل حركة هذه الهمزة أمرا قياسيا، حيث لا يجوز فيها التسهيل أو القلب لأنهما يؤديان إلى الجمع بين ساكنين، وذلك لا يقبله اللسان العربي(١).

وأما الحذف، فنعني به حذف الهمزة الساكنة أو المتحركة مع حركتها وهو أقصى درجات التخفيف، تصبح الكلمة معه هي المعنية بالتخفيف لا الهمز.

وقد كانت نسبة هذا النوع من التخفيف في الحروف المذكورة دون نسبة القلب بقليل، فقد بلغ عدد الأحرف التي مسّها الحذف ثمانية (٨) أحرف هي الحاملة للأرقام الآتية: ٨، ١٠، ١١، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٧، ٢٨.

فأما الحرف رقم ٨ المتمثل في «الصابئين» من قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٦٢] فقد اختار نافع قراءته من غير همزة (الصابين) وكذلك فعل في (الصابئون) فحذف الهمزة.

---

(١) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ١/ ٢٩٧.

وفي حذف الهمزة هنا إشكال، حيث احتمل ذلك أن يكون لإحدى علتين:

أ – إما لأن أصل الكلمة هو "صَبَأ" بمعنى: خرج من دين إلى دين[1]، بل خرج من دين التوحيد إلى عبادة النجوم[2]. فتكون الهمزة حذفت في الجمع بغرض التخفيف.

ب – وإما لأن "الصابئين" مأخوذة من «صبا يصبو إذا مال إلى هواه»[3].

نحن نرجح أن تكون قراءة نافع على التخفيف لاحتمال العلة الأولى، ولأجل ما اشتُهر عن نافع من ميل إلى التخفيف في الهمز كلما وجد إلى ذلك سبيلا، ضف إلى ذلك ما ذكره بعضهم من أن همزة "الصابئين" قد قلبت ياء تخفيفا ثم حذفت لاجتماعها مع ياء جمع المذكر السالم[4]. ويرى الزمخشري أن "الصابين" من صبا يصبو دون سواه «لأنهم صَبَوْا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم، ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع»[5].

أما الحرف رقم ١٠ المتمثل في «جبرائيل وميكائيل» من قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨] فقد لوحظ اختلافهم الواضح في قراءة ذلك، إذ لم يحصل اتفاق على قراءته بصورة معينة سوى ما كان بين حمزة والكسائي حيث قرآ ذلك كما هو مثبت سابقا (جبرائيل وميكائيل)، أما بقية السبعة فقد انفرد كل واحد منهم بقراءة تختلف عن بقية القراءات الأخرى،[6] ويعنينا هنا أن نشير إلى قراءة حذف الهمزة، فقد حذفها ابن كثير ونافع وابن عامر من الكلمة الأولى (جبريل)، وحذفها أبو عمرو من الكلمتين فقرأ «جبريل وميكال».

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص٨١ .
(٢) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٧٧ .
(٣) معاني القراءات: ١/١٥٥ .
(٤) إملاء مامَنّ به الرحمن ١/٤٠ .
(٥) الكشاف: ١/٦٦٢ .
(٦) راجع هذا الحرف في الجدول رقم١ .

وفي أمر علة هذه القراءة أو تلك نشير إلى أن هذين الاسمين أعجميين غير عربيّين، والعرب لا تعرف أصل اشتقاقهما، فهي تتصرف لذلك فيهما وفي غيرهما من الأسماء الأعجمية تصرفات شتى كلها تهدف إلى تخفيف وتقريب تلك الألفاظ من اللسان العربي، وقد أحصى بعض الدارسين لغات العرب في هذين الاسمين فذكر أن للعرب في «جبرائيل» خمس عشرة (١٥) لغة، وأن لها في «ميكائيل» تسع (٩) لغات[١]. وسوف يكون ذكر لهذين الاسمين مرة أخرى في موضع آخر من هذا البحث مع ألفاظ أخرى أخت لهما في العجمة.

أما الحرف رقم ١١ المتمثل في «ننسأها» من قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] فقراه بتحقيق الهمزة كما هو مثبت كل من ابن كثير وأبي عمرو. وأما غيرهما فقرأوا ذلك بحذف الهمزة هكذا: «نُنْسها» بضم النون الأولى وإسْكان الثانية وكسر السين.

النَّسْءُ: هو التأخير، يكون في العمر والدَّيْن[٢]. وقال الزمخشري في نسء الآية: «ونَسْؤُها: تأخيرها وإذهابها لا إلى بدل»[٣]. وذلك على خلاف النسخ الذي يكون لبدل. فالنَّسْءُ إذًا نظير النسخ إلا أن النسخ يكون لتغيّر حكم ويكون النسء لذهاب الحكم. وهذا المعنى هو الذي نميل إليه في الآية المذكورة.

أما القراءة المشهورة بلا همز (نُنْسها) فنحن نرجح أن تكون تخفيفا لقراءة الهمز. وإن القول بأنها من «نَسِيَ» لا يبعدها عن احتمال كونها تخفيفا لقراءة الهمز، ذلك أن الفعل «نسي» يمكن حمله على معنى «النسيان» كمَا يمكن حمله على معنى التّرك والتأخير بدليل أنه ورد منه بهذا المعنى الأخير قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي: تركوا طاعة الله فترك رحمتهم أو تخليصهم[٤]. ويدعم هذا

---

(١) انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، ص٣٩٢.

(٢) انظر: لسان العرب: ٦/٤٤٠٣، مادة: نسأ. (٣) الكشاف: ١/١٧٦.

(٤) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢/١٤٧، ومعاني القراءات: ١/٦٤.

الرأي ما ذهب إليه العكبري من أن هذا الحرف «يُقرأ بغير همز على إبدال الهمزة ألفا (أي: نَنْسَهَا، وحذفت الألف علامة للجزم).. ونُنْسها بضم النون وكسر السين، وكلاهما من نسي: إذا تُرك، ويجوز أن يكون من نسأ إذا أخّر إلا أنه أبدل الهمزة ألفا»[1]. ومعنى ذلك، أن «نُنْسها» فيها ياء منقلبة عن همزة (ننسيها) حذفت علامة للجزم، فالأصل فيها – على رأي العكبري – أن يقال «نُنْسِئْهَا» فقلبت الهمزة ياء تخفيفا ثم حذفت علامة للجزم.

أما الحرف رقم ١٦ . المتمثل في «أرأيْتَكُم» من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤٧] وكذلك ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦] و﴿أَرَأَيْتَ﴾ [الكهف: ٦٣] وكل ما كان من «أرأيت» متصلا بالتاء مفتوحة، فقد اختار فيه الكسائي حذف الهمزة وعلة ذلك التخفيف كغيرها مما خفف من الهمز، بالإضافة إلى ماذكره الفراء من أن في «أرأيت» معنيَيْن: الأول، هو الرؤية البصرية، وهي لا تكون إلا مهموزة، والثاني هو الرؤية التي تكون بمعنى الاستخبار (أي: أخبروني) وهذه هي التي يجوز همزها وترك همزها[2]. ويدعم ذلك ما ذهب إليه الأزهري من «أن العرب إذا أرادت بمعنى «أرأيت» الاستخبار تركوا التاء مفتوحة في الواحد والجمع والمؤنث، وإذا أرادوا رؤية العين ثنّوا وجمعوا وأنّثوا فقالوا للرجلين: أرَأَيْتُمَاكُما، وللجماعة: أرَأَيْتُمُوكم، وللنساء: أرأيتُنّكنّ، وللمرأة: أرَأَيْتِك، بكسر التاء».[3] وقد ذهب ابن خالويه إلى أن حذف الهمزة من «أرأيت» وقراءتها: «أرَيْت» مقيس على حذفها في صيغة المضارع منه[4]. فكأن همزة الاستفهام لما دخلت على صيغة الماضي شابهت همزة المضارعة في «أرى» وكذا بقية حروف المضارعة التي تحذف معها همزة الفعل «رأى» فهذا الرأي حسن ولكن ما ذهب إليه الفراء أرجح.

---

(١) إملاء ما مَنّ به الرحمن: ١/٥٧ .

(٢) انظر: معاني القرآن ١/٣٣٣ .

(٣) معاني القراءات: ١/٣٥٣ .

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص١٣٩ .

أما الحرف رقم ١٨ المتمثل في «أرجئه» من قوله تعالى في أمر موسى عليه السّلام ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١] فقد اختار نافع وحمزة والكسائي وعاصم – فيما رواه عنه حفص – قراءة ذلك من غير همزة، وهي لغة فصيحة في «أرجأ»[١]. وفي لسان العرب: «أرجى الأمر: أخّره، لغة في أرجأ.. [و] أرجأت الأمر وأرجيته، إذا أخّرته، يُهمز ولا يُهمز»[٢].

ونحن نرى أن حذف الهمزة هنا كحذفها في «ننسها»، إذ لا يبعد أن تكون همزة «أرجئه» أبدلت ياء لانكسار ما قبلها ثم حذفت علامة للجزم.

وأما الحرف رقم ٢١ المتمثل في «يُضاهئون» من قوله تعالى في حق اليهود والنصارى ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾. [التوبة: ٣٠] فقد اختار عامة السبعة – عدا عاصم – قراءة ذلك من غير همزة (يضاهون)، وهي لغة فصيحة غالبة على لغة الهمز، وإن كانت هذه القراءة عند بعض علماء العربية فرع على قراءة الهمز، وتخفيف لها.[٣] وذهب بعضهم إلى أن الهمز هو الفرع؛ يفهم ذلك من عبارة اللسان: «المضاهات: مشاكلة الشيء بالشيء، وربما همزوا فيه»[٤]. والثابت أن الكلمة فيها لغتان، إذ المضاهاة أصلها: «المضاهأة» أو «المضاهيَة» على وزن «المفاعَلَة» سواء قلبت فيها الهمزة ألفا أو قلبت الياء ألفا. والثابت أيضا أن «يضاهون» أصلها «يضاهئون»، حذفت فيها الهمزة تخفيفا[٥]، أو أصلها «يضاهيون» حذفت فيها الياء لتحركها بالضم.

أما الحرف رقم ٢٧ المتمثل في «شركائي» من قوله تعالى مخاطبا الكافرين: ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧] فقد اختار فيه

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص١٥٩. (٢) لسان العرب: ٣/١٦٠٤، مادة: رجا.

(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص١٧٤، ١٧٥.

(٤) لسان العرب: ٤/٢٦٧. مادة: ضها

(٥) وبناء على ذلك يجوز إلحاق هذا الحرف بما خفف بواسطة النقل لنقل ضمة الهمزة إلى الهاء بعد حذف حركتها وهي الكسرة.

ابن كثير - كما روى عنه البزي - حذف الهمزة فقرأ ذلك «شُرَكَايَ»، وهي قراءة حُملت على قصر الممدود فحالها حال هداي وبشراي[1]، هذا الذي عليه كثير من علماء العربية وعلماء القراءات. والذي نراه أن القراءة في هذا الحرف بغير الهمزة ربما تكون لقلب الهمزة ياء (شركايِيَ) فلما اجتمع ياءان الأولى مكسورة والثانية مفتوحة استُثْقل ذلك فحُذفت إحداهما مع الكسر وأبقي على الأخرى، والفتح ليشير به إلى ياء المتكلم.

أما الحرف رقم ٢٨ المتمثل في «أئذا.. أئنا» من قوله تعالى على لسان الكافرين ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الإسراء: ٤٩] فقد اختار فيه نافع والكسائي حذف الهمزة الأولى من «أئنا» وهي همزة استفهام، واختار ابن عامر حذف الهمزة الأولى من «أئذا» وهي همزة استفهام كذلك، وذلك أسلوب جار عند العرب في حالة اجتماع همزتين للاستفهام مع همزة «إن» و«إذا» فإن بعضهم يكتفي في إشارته إلى الاستفهام بهمزة واحدة مع «إذا» كما قرأ الكسائي في هذا الحرف، أو مع «إنا» كما قرأ ابن عامر في هذا الحرف أيضا، وقد شاع ذلك بتلك الصورة عندهما حتى أصبح أصلا من أصولهما. وقد وافق نافع الكسائي في أمثلة من ذلك[2].

نحن نعتقد أن الذي أدى إلى حذفهم لمثل هذه الهمزات هو إرادة التخفيف، ذلك أن الهمزة المفردة ثقيلة على اللسان، فإذا جاورتها همزة أخرى فإن ذلك لامحال سوف يضاعف ذلك الثقل، وعليه، فقد كان الحذف في الهمز المزدوج أولى.

وقد فسر بعض علماء العربية قراءة من قرأ بهمزة واحدة بأن ذلك على الإخبار لا على الاستفهام.[3] أي أن تلك القراءة بهذا المفهوم لا حذف فيها.

نشير هنا إلى أن القراء لهم مذاهب كثيرة مختلفة في أمر ما اجتمع من الهمز

---

(١) انظر: إعراب القراءات، ابن خالويه، ١/ ٣٥١، ومعاني القراءات: ٢/ ٧٨ .

(٢) انظر: السبعة في القراءات، ص٢٨٥، ٢٨٦ .

(٣) انظر: الكشاف: ٢/ ١٣٩، والحجة في القراءات السبع، ص١٦١ .

سواء ما كان في أول الكلمة الواحدة: الأولى للاستفهام والثانية زائدة لمعنى أو فاء للكلمة، أو ما كان من كلمتين: الأولى آخر كلمة، والثانية أول كلمة أخرى متفقتي الحركة أو مختلفتيها.

ونحن نؤكد هنا على أنّ تلك المذاهب على اختلافها تهدف إلى تحقيق غاية واحدة هي التخفيف من مؤونة النطق لمن اختار درجة من درجات تخفيف الهمز، وهي الحفاظ على خاصية من خصائص العربية التي تشترك فيها مع أخواتها الساميات لمن اختار تحقيق الهمز. تلك هي علة العلل في هذا الفصل، ومازاد على ذلك كان عللا تابعة لهذا الأصل قد أتينا على تفصيل القول فيه حرفا حرفا.

* * *

الفصل الثاني
الإدغام والإظهار والحذف

المبحث الأول : الإدغام

أولا : تعريفه وأقسامه

١ - تعريفه :

الإدغام في الاصطلاح هو إدخال الحرف في الحرف من غير فصل بحركة أو وقف، فيصير الحرفان لأجل ذلك كالحرف الواحد وينطقان دفعة واحدة.

وهذا المعنى الاصطلاحي مأخوذ من المعنى اللغوي للإدغام، وهو إدخال اللجام في أفواه الدواب[١].

يرى ابن جني أن الإدغام «هو تقريب صوت من صوت»[٢]. والواقع أن فعل تقريب الصوت من الصوت يؤدي إلى الإدغام، وليس الإدغام عينه.

إن الإدغام عند علماء اللغة المحدثين هو أقصى درجات تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ضمن ما يعرف في التطور اللغوي بالمماثلة (L'Assimilation)[٣]. وهو يكون، في الأصل، نتيجة تأثر رجعي (Regressive)، وقد يكون نتيجة تأثر تقدمي (Progressive) في صيغة افتعل كما هو الحال في كلمة «اذّكر» وكلمة «ادّعى» فأصل الكلمة الأولى: إذتكر، قلبت التاء دالا وأدغمت في الذال قبلها، وأصل الكلمة الثانية: إدتعى، قلبت التاء دالا وأدغمت في الدال قبلها.

---

(١) لسان العرب ٢/١٣٩١، مادة: دغم.

(٢) الخصائص: ٢/١٣٩.

(٣) الأصوات اللغوية، ص١٨٣.

٢ - أقسامه :

قسم علماء العربية الإدغام إلى نوعين، هما: الإدغام الصغير، والإدغام الكبير. أما الصغير فإنهم يعنون به إدغام الساكن في المتحرك، وهو الأصل، وذلك مثل إدغام المتماثلين الطاء والطاء في «قطّع» والكاف والكاف في «سكّر». وأما الكبير فإنهم يعنون به إدغام المتحرك، بعد حذف حركته، في المتحرك، وذلك مثل إدغام المتماثلين الدال والدال في «شَدَّ» واللام واللام في «مُقِلٌّ».

وهناك تقسيم آخر للإدغام يشيع عند القراء، فهم يقسمونه إلى ثلاثة أقسام، هي:

أ - **إدغام المثلين** : وذلك عندما يلتقي صوتان متماثلان ساكنًا كان أولهما أو متحركا، فيرتفع بهما اللسان ارتفاعة واحدة، كإدغام تاء «الشَّوْكَة» في تاء «تكون» من قوله تعالى: ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧] وإدغام دال «قد» في دال «دخلوا» من قوله تعالى: ﴿ وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ﴾ [المائدة: ٦١] وإدغام سين «الشمس» في سين «السراج» من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾. [نوح: ١٦]

ب - **إدغام المتجانسَيْن** : وذلك في حالة اتحاد صوتين في المخرج واختلافهما في الصفة، فيقلب الأول ليماثل الثاني ويدغم فيه، ساكنا كان أو متحركا، وذلك كإدغام تاء «بيّت» في طاء «طائفة» من قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾، [النساء: ٨١] وإدغام التاء في الطاء كذلك في قراءة من قرأ ﴿ فَمَا اسْطَّاعُوا ﴾ [الكهف: ٩٧] بتشديد الطاء.

جـ - **إدغام المتقاربَيْن** : وذلك في حالة اختلاف الصوتين مخرجا واتحادهما في بعض الصفات. كإدغام الثاء في الشين من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ

﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨] فقد اختلف مخرجاهما فكانت الثاء أسنانية وكانت الشين غارية، ولكنهما اتحدا في صفتيْ الهمس والرخاوة، وكإدغام الجيم في التاء من قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ١ - ٤] حيث اختلف مخرجاهما فكانت الجيم غارية وكانت التاء لثوية ولكنهما اتحدا في الشدة أو الانفجار.

وقد يجمع بعضهم بين نوع من أقسام اللغويين ونوع من أقسام القراء فيسمي بعض الإدغام بإدغام المثلين الصغير، وبعضه بإدغام المثلين الكبير، وبعضه بإدغام المتجانسين الصغير أو الكبير، وبعضه بإدغام المتقاربين الصغير أو الكبير[١]. وسوف نعتمد هذا التقسيم لاحقا في تحديد المختلف في إدغامه بين القراء.

ثانيا: ما يُدغم وما يدغم فيه من الأصوات

لعله يكون مفيدا هنا ونحن ندرس ظاهرة الإدغام أن نذكر ما يدغم من أصوات العربية وما يدغم فيه من تلك الأصوات، وذلك من خلال ما ثبت لدى اللغويين ولدى القراء في استقراءاتهم لأصوات اللغة العربية[٢]. وقد أردنا أن يكون ذلك بشكل مختصر فوضحناه من خلال جدول، هو الآتي:

---

(١) انظر: نيل الخيرات في القراءات العشر المتواترة، ص٣٢ وما بعدها.

(٢) راجع هذا الموضوع في كتب القراءات والدراسات اللغوية حول ظاهرة الإدغام، من ذلك: نيل الخيرات، ص٣٨ وما بعدها، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص١٩٢-١٩٤.

جدول رقم (٣) : الأصوات العربية والإدغام

الصوت	عند علماء العربية		عند القراء	
	يدغم في	يدغم فيه	يدغم في	يدغم فيه
ء	–	–	–	–
هـ	ح	–	–	–
ع	ح	–	–	ح
ح	–	هـ ، ع	ع	–
غ	خ	خ	–	–
خ	غ	غ	–	–
ق	ك	ك	ك	ك
ك	ق	ق	ق	ق
ج	ش ، ت	ط ، د ، ت ، ظ ، ذ، ث	ش ، ت	ت ، د ، ذ
ش	–	ج ، ل ، ط ، د ، ت، ظ ، ذ ، ث	س	ت ، ج ، ض
ي	–	و ، ت	–	ن
ض	–	ط ، و ، ت ، ظ ، ذ، ث ، ل	ش	ت ، ل ، د ، ث
ل	ص ، ز ، س ، ط ، د، ت ، ظ ، ذ ، ث، ش ، ر ، ن	ن	ر ، ت ، ز ، س ، ض ، ط ، ن ، ظ ، ذ، ث	ر ، ن
ر	ل	ل ، ن	ل	ل ، ن
ن	ي، ر، م، ل، و	–	ي ، ر ، م ، ل ، و	ل
ط	د ، ت ، ص ، ز ، س ، ض ، ش ، ج ، ظ ، ذ ، ث	د ، ت ، ل ، ظ ، ذ، ث	ت	ت ، ل
د	ط ، ت ، ص ، ز ، س ، ض ، ش ، ج ، ظ ، ذ ، ث	ط ، ت ، ل ، ظ ، ذ، ث	ت ، ز ، س ، ص ، ض ، ش ، ج ، ظ ، ذ ، ث	ذ

تابع للجدول رقم (٣) : الأصوات العربية والإدغام

الصوت	عند علماء العربية		عند القراء	
	يدغم في	يدغم فيه	يدغم في	يدغم فيه
ت	د ، ط ، ص ، ز ، س، ض ، ش ، ج ، ظ ، ذ ، ث	د ، ط، ل ، ظ ، ذ ، ث	ط ، ص ، ز ، ص ، ض ، ش ، ج ، ظ ، ذ ، ث	د ، ل ، ج ، ذ ، ث
ص	ز ، س	ط، د ، ن ، ل ، ز ، س ، ظ ، ذ ، ث	–	د ، ن ، ذ
ز	ص ، س	ط ، د ، ن ، ل، س، ص ، ظ، ذ، ث	–	ت ، د ، س ، ل ، ذ
س	ش ، ص ، ز	ط،د،ت،ل،ص ، ز، ظ ، ذ ، ث	ز ، ش	د ، ن ، ش ، ل ، ذ ، ث
ظ	ط ، د ، ت ، ص ، س ، ز ، ش ، ج ، ض ، ذ ، ث	ط ، د ، ت ، ل ، ذ، ث	ت	ت ، د ، ل
ذ	ط ، د ، ت ، ص ، س ، ز ، ش ، ج ، ض ، ظ ، ث	ط ، د ، ت ، ل ، ظ، ث	س ، ص ، ت ، د ، ز ، ج	د ، ت ، ث
ث	ط ، د ، ت ، ص ، س ، ز ، ش ، ج ، ض ، ظ ، ذ	ط ، د ، ث ، ل ، ظ، ذ	ت ، س ، ش ، ض، ذ	ت ، د ، ل
ف	–	ب	ب	ب
ب	ف ، م	ف	ف ، م	م
م	ب (إخفاء)	ب ، ن	ب (إخفاء)	ب ، ن
و	–	ن	–	ن

وأهم ما يمكن استخلاصه من هذا الجدول:

أ - أن أصوات الحلق (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء) هي أقلّ الأصوات قابلية للإدغام، وأن الهمزة منها لا تقبل أن تدغم ولا تقبل أن يدغم فيها. وتأتي الأصوات اللينة (الواو والياء) في المرتبة الثانية من حيث عدم قابليتها للإدغام، ثم الأصوات الشفوية (الفاء والباء والميم).

ب - أن أكثر الأصوات قابلية للإدغام هي الأصوات اللثوية (الطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين) والأصوات الأسنانية (الظاء والذال والثاء)، وهو ما جعل بعض الدارسين يصنفها ضمن مجموعة واحدة متقاربة المخارج[1].

جـ - أن هناك اتفاقا كبيرا بين علماء العربية والقراء في أمر إدغام أصوات العربية. أما اختلافهم أحيانا كعدم إجازة القراء إدغام الصاد في غيرها، وكذلك الزاي، وعدم إجازة علماء العربية إدغام الضاد والشين في غيرهما، فإن ذلك مرده - بلاشك - إلى ما عوّل عليه كل فريق من مصادر البحث خاصة ما تعلق بذلك من أمر اتفاق صفات الأصوات واختلافها لدى علماء العربية، وأمر الرواية لدى القراء.

ولا بد أن نذكر هنا أن علماء العربية والقراء، مع إقرارهم بعملية الإدغام، وتحديدهم لما يدغم وما يدغم فيه من الأصوات، فإنهم قد أحاطوا ذلك بمجموعة من الشروط استخلصوها من استقراءاتهم، أهمها[2]:

١ - ألا يفصل بين المُدْغمين بصوت آخر حتى لو كان الفاصل حرف علة مثل الألف من «أنا» في قوله: ﴿أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [العنكبوت: ٥٠، وص: ٧٠، والملك: ٢٦] والألف كذلك من «جاءنا» في قوله: ﴿قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾،[الملك: ٩] وذلك لأن الفاصل يَحُول دون النطق بالصوتين من موضع واحد في وقت واحد.

٢ - ألا يكون المدغم فيه طرفا، إذ لا بد له من ردف يتلوه إن كان الإدغام إدغام غير المثلين من كلمة واحدة كما هو حال ﴿خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١، والنساء: ١،

---

(١) راجع الأصوات اللغوية، ص٤٦ .

(٢) راجع ذلك في: النشر في القراءات العشر: ١/٢٧٨، ٢٧٩ .

والأنعام: ٢، والأعراف: ١٨٩] و﴿ نَرْزُقُكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١] فإن إدغام القاف في الكاف – وهما متحدان في صفتي الهمس والشدة ومختلفان في المخرج (متقاربان) – جائز لمجيء الميم بعد الكاف. أما ﴿ خَلَقَكَ ﴾ [الكهف: ٣٧] فلا يجوز فيها إدغام القاف في الكاف لأن الكاف وردت طرفا في كلمتها.

٣ – ألا يكون المدغم هو تاء المتكلم أو المخاطب أو المخاطبة، نحو: ﴿ كُنتُ تُرَابًا ﴾ [النبأ: ٤٠] و﴿ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١] و﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٧] وألا يكون مشدداً مثل ﴿ رَبِّ بِمَا ﴾ [الحجر: ٣٩، والقصص: ١٧] لأن المشدّد عبارة عن مدغم ومدغم فيه، والذي أدغم فيه مرة لا يُدغم فيه ثانية. وألا يكون مُنَوَّنًا، مثل ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٣٧] و﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾ [الزمر: ٦] و﴿ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود: ٧٨] وذلك لأن التنوين في النطق هو نون، وهي بمثابة فاصل.

وقد اختلفوا في آليات أخرى، منها إن كان المدغم ساكنا سكون جزم مثل ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا ﴾ [آل عمران: ٨٥] و﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ [يوسف: ٩] و﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ ﴾ [الإسراء: ٢٦] فإن هذه الأفعال وماشابهها قد رُوي عن السوسي عن أبي عمرو بن العلاء أنه أجاز فيها الإدغام لعدم الاعتداد بالمحذوف وهو ياء الفعل الناقص، وأجاز الإظهار أخذاً بالأصل الذي كانت عليه هذه الأفعال قبل الحذف.[1] بالإضافة إلى مسائل أخرى مَحَلُّ خلاف[2].

ثالثا: المختلف في إدغامه من النصف الأول من القرآن الكريم

إذا عدنا إلى قراءات القرآن المتواترة وجدنا أن القراء السبعة قد اختلفوا في إدغام سبعة أصوات مُوَزَّعَةٍ على ثمانيةَ عشرَ حرفا (١٨) أو موضعا في النصف الأول من القرآن الكريم، وهذا جدول يوضح ذلك، ويبيّن أيضا مَنْ قرأ بالإدغام من القراء، ويشير كذلك إلى نوع الإدغام في كل حرف. أما مَنْ قرأ بغير الإدغام فقد أهملنا ذكره هنا، وسوف نخصه بالحديث في المبحث الثاني من هذا الفصل.

---

(١) انظر: نيل الخيرات في القراءات العشر المتواترة، ص٣٤ .

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر: ١/٢٧٩ .

جدول رقم : (٤)

الرقم التسلسلي	حروف الإدغام	السورة ورقم الآية	الصوت المدغم	الصوت المدغم فيه	القــــارئ	نوع الإدغام
١	اتختّم	البقرة ٥١	ذ	ت	نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي	صغير لمتقاربين
٢	تظّاهرون	البقرة ٨٥	ت	ظ	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر	كبير لمتقاربين
٣	لبتّ	البقرة ٢٥٩	ث	ت	أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي	صغير لمتقاربين
٤	تصدّقوا	البقرة ٢٨٠	ت	ص	السبعة عدا عاصم	كبير لمتقاربين
٥	الميّت	آل عمران٢٧	ي	ي[1]	نافع وحمزة والكسائي	صغير لمتقاربين
٦	تسّاءلون	النساء ١	ت	س	ابن كثير ونافع وابن عامر	كبير لمتقاربين
٧	بيّت طائفة	النساء ٨١	ت	ط	أبو عمرو وحمزة	كبير لمتجانسين
٨	يرتدّ	المائدة ٥٤	د	د	ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي	كبير لمتماثلين
٩	أتحاجّونّي	الأنعام ٨٠	ن	ن	ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي	كبير لمتماثلين
١٠	ميّتا	الأنعام ١٢٢	ي	ي[1]	نافع	صغير لمتماثلين
١١	ضيّقا	الأنعام ١٢٥	ي	ي	السبعة عدا ابن كثير	صغير لمتماثلين
١٢	تذّكّرون	الأنعام ١٥٢	ت	ذ	السبعة عدا عاصم في رواية حفص	كبير لمتقاربين
١٣	أورتّموها	الاعراف ٤٣	ث	ت	أبو عمرو وحمزة والكسائي	صغير لمتقاربين
١٤	حيّ	الأنفال ٤٢	ي	ي	السبعة[2] عدا نافع	كبير لمتماثلين
١٥	بورقكّم	الكهف ٩٥	ق	ك	أبو عمرو[3]	كبير لمتقاربين
١٦	لَدُنّي	الكهف	ن	ن	السبعة[4] عدا نافع	صغير لمتماثلين
١٧	مَكّنّي	الكهف ٩٥	ن	ن	السبعة عدا ابن كثير	كبير لمتماثلين
١٨	فما اسطّاعوا	الكهف ٩٧	ت	ط	حمزة	كبير لمتجانسين

(١) بعد قلبها، لأن أصلها واو (مَيْوِتٌ).

(٢) قراءة ابن كثير بالإدغام في هذا الحرف رواها عنه قنبل، وقراءة عاصم رواها عنه حفص.

(٣) وهي قراءة رواها ابن مجاهد عن روح عن أحمد بن موسى عن أبي عمرو بن العلاء. انظر: السبعة: ص٣٨٩ .

(٤) قراءة عاصم بالإدغام في هذا الحرف رواها عنه حفص.

إن أهم ما يمكن استنتاجه من هذا الجدول (رقم : ٤) يتماشى مع ما أقرّه العلماء القدماء، اللغويون والقراء على السواء من أن الأصوات اللثوية هي الأكثر إدغاما من غيرها؛ فقد أُدّغمت التاء في غيرها ستّ مرات، وأدغمت الياء أربع مرات في مثلها، وأدغمت النون ثلاث مرات في مثلها أيضا، وأدغمت الثاء - من الأصوات الأسنانية - في مقاربها التاء مرتين، وكان حظ الأصوات الأخرى من الإدغام مرة واحدة لكل صوت، وهذا بسط لذلك مع علله.

١ - إدغام التاء :

أُدغمت التاء في الأحرف ذوات الأرقام: ٢، ٤، ٦، ٧، ١٢، ١٨، وذلك في الجدول السابق (رقم : ٤).

فأما الحرف رقم ٢ المتمثل في « تظّاهرون » من قوله تعالى ﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [البقرة: ٨٥] فاختار فيه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر إدغام التاء في مقاربها الظاء إدغاما كبيرا، وذلك هروبا من توالي الأمثال إذ الأصل « تتظاهرون » بتاءين، فاكتفي بتاء وأدخلت التاء الثانية في مقاربها تخفيفا، قال أبو علي الفارسي: علة الإدغام « اجتماع الأمثال والمقاربة »[١].

ولعل القارئ يسأل: ما الذي جمع بين التاء والظاء من الصفات حتى أدغمت هذه في تلك؟ والذي يظهر أن التاء أُبدلت طاء وهي مجانسة لها في الشدة وأخت للظاء في الإطباق أو التفخيم، ثم إن الطاء أدغمت في الظاء، وذلك كما هو حال إدغام تاء الافتعال في الظاء من « اظّلم » فأصل ذلك « اظتلم » قلبت التاء طاء، ثمّ قلبت الطاء ظاء وأدغمت في ظاء الكلمة نتيجة تأثر تقدمي (Progressive) .

وأما الحرف رقم ٤ المتمثل في « تصّدّقوا » من قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فأدغم فيه التاء في مقاربها الصاد إدغامًا كبيراً

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع: ٢ / ١٠٩ .

كلٌّ من ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر كما أدغموها في الظاء في الحرف السابق، ووافقهم في ذلك حمزة والكسائي. وأصل الفعل «تتصدقون» بتاءين، وهو ما يعني أن عامة القراء قد فضلوا لغة الإدغام على غيرها لأنها لغة تجمع بين التخفيف والأصل إذ أن التاء لم تسلب منها قيمتها المعنوية بإدغامها في الصاد، وإن كان قد فُقد من قيمتها الصوتية شيء بإدغامها وهي أخت الصاد في الهمس.

وأما الحرف رقم ٦ المتمثل في «تسّاءلون» من قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] فيتضمن إدغام التاء في مقابلها السّين إدغامًا كبيراً، قرأ بذلك ابن كثير ونافع وابن عامر هروبا من توالي الأمثال ومقاربة التاء للسين التي تلتقي معها في صفتي الهمس والشّدة.

وأما الحرف رقم ٧ المتمثل في «بيّت طّائفةٌ» من قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾[1] [النساء: ٨١] فقد اختار فيه كل من أبي عمرو وحمزة إدغام التاء - مع ظهورها في الخط - في مجانسها[2] الطاء إدغاما كبيرا. وذهب بعضهم إلى أن ذلك من باب الإدغام الصغير، حملوه على أنه من قولهم: بَيّاه وتَبَيّاه: إذا تَعَمّدَهُ، فتكون التاء المدغمة تاء تأنيث وليست التاء المثبتة في الخط، أي أن أصل ذلك هو: بَيّتَتْ طائفة[3]. فإن حملنا الإدغام على هذا المعنى فإن علته علتان: التقاء الأمثال والمجانسة وإن حملناه على أنّ المدغم هو التاء المثبتة في الخط كانت العلة المُجَانَسَةَ وحدها وكان الإدغام كبيرا.

وقد اختار حمزة وحده إدغام التاء في الطاء أيضا في الحرف رقم ١٨ المتمثل في «اسطّاعوا» من قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧] وأصل «اسطّاعوا»: استطاعوا بالتاء كأختها التي بعدها في الآية،

---

(١) ومعنى «بيّت الأمر»: عمله ليلا أو دبّره ليلا (اللسان: مادة «بيت»).

(٢) في «معاني القراءات: ١/٣١٣» أن علة إدغام التاء في الطاء: قرب مخرجيهما.

(٣) النشر: ١/٢٨٩.

أدغمت التاء في مجانسها الطاء إدغاما كبيرا على سبيل التخفيف. غير أن هذه القراءة طعن فيها بعض اللغويين لأنها – في رأيهم – قد جمعت بين ساكنين (السين والتاء المدغمة) صحيحين في اللفظ؛ قال الأزهري: «فأما من قرأ: فما اسطّاعوا، بإدغام التاء في الطاء فهو لاحن مخطئ قاله الخليل ويونس [بن حبيب] وسيبويه، وجميع من قال بقولهم، وحجتهم في ذلك أن السين ساكنة، فإذا أدغمت التاء صارت طاء ساكنة، ولا يُجْمَعُ بين ساكنين».[1] وقد التمس بعضهم الآخر لقراءة حمزة هذه علة فقاسوها على ما رُوِيَ من بعض القراءات التي شابهتها؛ قال ابن خالويه: «وليس في ذلك عليه عيب لأن القراء قد قرأوا بالتّشديد قولَه [تعالى]: ﴿لا تَعْدُّوا فِي السَّبْتِ﴾[النساء: ١٥٤] ﴿أَمَّن لاَّ يَهِدِّي﴾،[يونس: ٣٥] ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾. [النساء: ٥٨]»[2].

والذي يظهر لنا أنّ قراءة حمزة كانت بنقل حركة التاء – وهي الفتحة – إلى السين الساكنة قبلها وحذف همزة الوصل، هكذا: «فما سَطّاعوا» فبدل أن يحذف التاء بعد نقل حركتها أدغمها ليجمع بين التخفيف والأصل.

وقال بعضهم: إنّما حَسُن هذا الإدغام لأنه بمثابة إبدال التاء طاء، والطاء أقوى من التاء، ولذلك لم يُرَدَّ مع ما فيه من اجتماع الساكنين[3].

وأما الحرف رقم ١٢ المتمثل في «تذّكّرون» من قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢] فقد اختار فيه السبعة إدغام التاء في مقاربها الذال إدغامًا كبيرًا إلا ما رواه حفص عن عاصم فإنه بحذف التاء. وقراءة الإدغام أخف من قراءة الإظهار لاجتماع التاء مع التاء، وذلك ثقيل على اللسان العربي، ولأجله مال عامة القراء لقراءة الإدغام لما فيها من جمع بين التخفيف والإشارة إلى الأصل. والتاء أخت الذال في الانفتاح والاستفال.

---

(١) معاني القراءات: ١/٣١٣، وانظر: إملاء مامنّ به الرحمن: ٢/١٠٩، والكشاف: ٢/٧٤٨ .
(٢) الحجة في القراءات السبع: ص٢٣٢، ٢٣٣ .
(٣) الكشف عن وجوه القراءات: ٢/٨٠ .

هذا كل ما تعلق بإدغام «التاء» من الأحرف المختلف فيها في النصف الأول من القرآن الكريم، وكله إدغام كبير ليس بين أمثلته إدغام صغير، والغالب فيه هو من باب إدغام المتقاربين، حيث أدغمت التاء أربع مرات في أصوات مقاربة لها في المخرج، صوتان يخرجان من طرف اللسان واللثة هما الصاد والسين، وآخران يخرجان من طرف اللسان وأطراف الثنايا هما الظاء والذال، وكل ذلك قريب من مخرج التاء موال له من مجرى الزفير، وأدغمت التاء مرتين في مجانسها الطاء التي تخرج من مخرجها هي، من بين طرف اللسان وأصول الثنايا. وقد عمل التقارب والتجانس كلاهما على إدغام التاء تخفيفا في اللفظ واقتصاداً في الجهد العضلي.

٢ - إدغام الياء :

كل ما ورد من إدغام الياء في الأحرف المختلف فيها في النصف الأول من القرآن الكريم هو من باب إدغام المثلين، وهو أمر يتوافق مع ما أقرّه علماء العربية والقراء على حد سواء وذلك ما نلاحظه في الأحرف ذوات الأرقام: ٥، ١٠، ١١، ١٤، من جدول الحروف المختلف فيها (جدول رقم : ٤).

فأما الحرف رقم ٥ المتمثل في «الميّت» من قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، [آل عمران: ٢٧] وكذلك الحرف رقم ١٠ المتمثل في «مَيّتًا» من قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] فقد اختار في الأول منهما الإدغامَ كل من نافع وحمزة والكسائي، وانفرد نافع في ثانيهما باختيار الإدغام، إلا أنه إدغام بعد قلب، إذ الأصل في «ميت» عند سيبويه «مَيْوِت» وعند الفرّاء «مَوْيِتٌ» فقد اجتمعت الواو والياء بدون فاصل بيْنهما، وكان أولهما ساكنًا سكونا أصلية فقُلبت لأجل ذلك الواو ياء - تبعا لقواعد الإعلال - وأُدغمت فيها، فالتأثير تقدّمي على رأي سيبويه ومن ذهب مذهبَهُ كأبي علي الفارسي[1]، فوزن «ميت»

---

(١) راجع: الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٣٥١ .

فَيْعِلٌ على رأي سيبويه(١). أو فَعْيِلٌ على رأي الفراء الذي يرى أن التأثير كان رجعيًا(٢).

ويبدو أن كل صفة جاءت من الفعل الذي وزنه «فَعَل» بفتح العين وإعلالها بالقلب، فإن الغالب فيها عند العرب أن تُجْعل على «فَيْعِل» ثم تقلب العين ياء إن كانت واواً ثم تُدغمها في الياء، كما هو حال: هيّن (من الهوان) وسيّد (من السؤدد). وكذلك تفعل فيما كانت عينه ياءً، مثل ليّن (من الليونة)(٣). فهذا مما يطرد فيه الإدغام عند العرب لمجيء الواو مكسورة بعد ياء ساكنة في «مَيْوِت» أو مجيئها ساكنة قبل الياء المكسورة في «مَوْيِت» أو لاجتماع الياء مع الياء في مثل «ليّن».

وأما الحرف رقم ١١ المتمثل في «ضَيِّقًا» من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فقد اختار فيه السبعة عدا ابن كثير لغة الإدغام التي اعتبرها بعضهم أصلا؛ قال الأزهري: «الضَّيْقُ والضَّيِّقُ واحدٌ، والأصل التّشديدُ»(٤) واعتبر بعضهم الإدغام تأكيدا، وهو ما ذهب إليه ابن خالويه، حيث قال: «فالحجة لمن شدّد أنه أكد الضيق».(٥) والذي نراه أن معنى التأكيد يكون في مزيد ضاق بتضعيف العين، أما «ضيقا» – في الآية – فهي صفة مشبهة من «ضاق» وزنها «فَعْيِلٌ» ولا تأكيد فيها، فحالها حال ميّت وليّن وهيّن وسيّد وغير ذلك، كله مشدد ولا يفيد التأكيد، وكلّه مبني بناء واحداً من الفعل الثلاثي المجرد اللازم الأجوف.

وأما الحرف رقم ١٤ المتمثل في «حَيَّ» من قوله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] فقد اختار فيه عامة السبعة الإدغام عدا

---

(١) راجع: الحجة في القراءات السبع: ص١٠٧.
(٢) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٧.
(٣) راجع: معاني القراءات: ١/٢٤٨.
(٤) معاني القراءات: ١/٣٨٤.
(٥) الحجة في القراءات السبع: ص١٤٩.

نافع، وأصل ذلك «حَيِيَ» بياءين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة، فالإدغام كبير، وذلك أصل عند بعض اللغويين؛ قال أبو البقاء العكبري: «يُقرأ بتشديد الياء وهو الأصل لأن الحرفين متماثلان متحركان، فهو مثل شَدَّ ومَدَّ»[١].

وذهب الفراء إلى أنّ الإدغام في هذا الحرف فرع على الإظهار أو الفك، فعنده أنه «إنّما أدغموا الياء مع الياء، وكان ينبغي لهم ألا يفعلوا، لأن الياء الآخرة لزمها النصب (أي: الفتح) في فَعَلَ، فأدغموا لما التقى حرفان متحركان من جنس واحد، ويجوز الإدغام في الاثنين للحركة اللازمة للياء الآخرة»[٢]. ومعنى ذلك أن الإدغام في هذا الحرف إنما جاز للزوم الماضي الثلاثي للفتح، وهو مذهب الخليل وسيبويه[٣]. أما في المضارع فإن حركته تصبح عارضة غير لازمة، وعليه فإنه يجب عدم الإدغام فيه، فإما أن يكون ذلك بالإظهار مثل: يَحْيَى، ويُحْيِي، ولن يَحْيَ ولن يُحْيِيَ، وإما أن يكون بالحذف، مثل: لن يَحْيُوا ولم يَحْيُوا. وعبارة «وكان ينبغي لهم ألا يفعلوا» تدل دلالة صريحة على أن الفراء كان يفضل القراءة بفك الإدغام.

وعلى كل حال، فإن إدغام الياء فيما جمعناه من حروف الخلاف كان كلّه من باب إدغام المثلين، أي إدغام الياء في الياء، فاجتماع الأمثال كان هو السّبب الأول الذي أدى إلى حدوث هذا الإدغام، وأما الأسباب الأخرى ففرع عليه لاحقة به لعل أهمها تحرك الياءين، وهو ما نص عليه علماء العربية.

٣ - إدغام النون :

اختار أغلبُ القرّاء إدغام النون في مِثْلها فيما ورد من أحرف الخلاف المذكورة في النصف الأول من القرآن الكريم، ومجموعها ثلاثة أحرف هي الحاملة للأرقام: ٩، ١٦، ١٧ في الجدول (رقم : ٤).

---

(١) إملاء ما مَنّ به الرحمن: ٢/٧ . (٢) معاني القرآن: ١/٤١١ .
(٣) راجع: معاني القراءات: ١/٤٤٠ ، ٤٤١ .

فأما الحرف رقم ٩ المتمثل في «أَتُحَاجُّونِي» من قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: ٨٠] فقد اختار فيه الإدغام ابن كثير وأبوعمرو وعاصم وحمزة والكسائي، وذلك لاجتماع المثلين، وفي الإدغام إشارة إلى الأصل بنونين: الأولى نون جمع والثانية نون وقاية، والإدغام كبير لأن الأصل هو «أتحاجونَني» بفتح نون الجمع وكسر نون الوقاية.

وأما الحرف رقم ١٦ المتمثل في «لَدُنِّي» من قوله تعالى على لسان موسى مخاطبا صاحبه الخضر ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦] فقد اختار فيه السبعةُ عدا نافع إدغام نون «لدن» في نون الوقاية، وهو إدغام صغير، وذلك أجْوَدُ اللغات عند الأزهري «لأن لدن نونها في الأصل ساكنة، فإذا أضفتها إلى نفسك قُلْتَ: لَدُنِّي، كما تقول: عَنْ زَيْدٍ، بسكون النون، فإذا أضفتها إليك قُلْتَ: عَنِّي، فَثَقَّلْتَ النون، وإنّما زادوا النون في الإضافة لِيَسْلَمَ سُكُونُ النون الأوّلى»[(١)]. وتلك عِلّةٌ أجمع عليها كثير من اللغويين[(٢)].

أما الحرف رقم ١٧ المتمثل في «مَكَّنِي» من قوله تعالى على لسان ذي القرنين ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥] فاختار فيه السبعةُ عدا ابن كثير الإدغام لتوالي النونين أيضا، وفي ذلك تخفيف واختصار، وفيه إشارة إلى الأصل بنونين.

ويلاحظ أن النون الثانية المدغم فيها في جميع هذه الأحرف الثلاثة السابقة هي نون وقاية، وقد كثر في أساليب العرب إدغام مثلها فيها.

٤ - إدغام الأصوات الأخرى :

أ - إدغام الثاء : حصل إدغامها مرتين ضمن ما اختلف فيه من الأحرف المذكورة، حيث أدغمت إدغاما صغيرا في الحرفين الحاملين للرقمين: ٣، ١٣ .

---

(١) معاني القراءات: ٢/١١٦، وفي «لدن» لغاتٌ نذكرها حينما نتحدث عما كان بين التحريك والإسكان من اللغات.

(٢) راجع: الحجة في القراءات السبع، ص٢٢٨ وكذلك: الكشف عن وجوه القراءات: ٢/٦٩ .

فأما الحرف رقم ٣ المتمثل في «لَبِثْتَ» من قوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وكذلك «لَبِثْتُمْ» من قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩] فإنّ أباعمرو وابن عامر وحمزة والكسائي قد اختاروا في ذلك إدغام الثاء في التاء (لَبِتَّ، ولَبِتُّمْ) وهو إدغام صغير لمتقاربين فهما مُختلفان في المخرج ومتحدان في الهمس والانفتاح والاستفال[(١)]. فقد كان تقارب المخرجين هو علة الإدغام، وذلك مقيس عند أبي علي الفارسي على إدغام المثلين وفرع عليه[(٢)].

وأما الحرف رقم ١٣ المتمثل في «أُورِثتُّموها» من قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] فاختار فيه إدغام الثاء في مقاربها التاء أيضا كلّ من أبي عمرو وحمزة والكسائي للعلة نفسها، أي قرب مخرجيهما واتحادهما في بعض الصفات،[(٣)] هي المذكورة في الحرف السابق. والتأثير في الحرفين تأثير رجعي.

ب – إدغام الدال: وقد اختلف في إدغامها في موضع واحد هو الحرف الحامل لرقم ٨ المتمثل في «يَرتَدَّ» من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] فقد أدغم فيه الدال في مثلها كلٌّ من ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي إدغامًا كبيرا، فأصل الفعل: يَرْتَدِدْ، بكسر الدال الأولى وإسكان الثانية علامة للجزم، فالإدغام كبير. وعند ابن خالويه أن الإدغام في الفعل المضارع من العلامات التي يفرقون بها بين الاسم والفعل، وقد جِيء بالفتحة مع الإدغام لأنها أخفّ الحركات[(٤)]، وإلى ذلك ذهب

(١) راجع: الحجة في القراءات السبع، ص١٠٠ .
(٢) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٢٧٨ (طبعة الهيئة).
(٣) راجع: معاني القراءات: ١/ ٤٠٦، والحجة في القراءات السبع: ص١٥٦ .
(٤) راجع: الحجة في القراءات السبع، ص١٣٢ .

الأزهري أيضا فقال: «ومَنْ قرأ يَرْتَدَّ بالنصب فلأن المضاعف إذا أُدغم في موضع الجزم أُعْطِيَ أخفَّ الحركات وهو النصب (يريد: الفتح) كقولك: حُلَّ واحْلُلْ، وغُضَّ واغْضُضْ»[١].

وقد وجب التحريك في هذا الحرف لا لتقاء ساكنين في حالة الإدغام فاختير له أخف الحركات، وهي لغة تُنسب لأسد وغيرهم من تميم[٢]. وقد وافقت قراءة الإدغام هذه مصاحف أهل البصرة والكوفة ومكة[٣].

جـ - **إدغام الذال**: وقد اختلف في إدغامها وعدمه في الحرف رقم ١ المتمثل في «اتَّخَذتم» من قوله تعالى في حق بني إسرائيل: ﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [البقرة: ٥١] وكذلك «أخذتم» من قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي**﴾ [آل عمران: ٨١] وأيضا «لَتَّخَذت» من قوله تعالى ﴿**قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ [الكهف: ٧٧] حيث اختار كل من نافع وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي قراءة ذلك بالإدغام لتقارب مخرجي الذال والتاء واتحادهما في الهمس وغيره[٤].

د - **إدغام القاف**: اختلف في إدغامها مرة واحدة في مقاربها الكاف، وذلك في الحرف رقم ١٥ المتمثل في «بورقكم» من قوله تعالى: ﴿**قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ**﴾ [الكهف: ١٩] فقد انفرد أبوعمرو بن العلاء في رواية[٥]، بإدغام القاف في الكاف إدغاما كبيرا لقرب مخرجيهما واتحادهما في الشدة والانفتاح، وقيل: «كان يشمّها شيئًا من التثقيل»[٦]. وهو ما يعني أنه كان يخلط

---

(١) معاني القراءات: ١/ ٣٣٤ .
(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية. ص١٤١ .
(٣) راجع: طلائع البشر في القراءات العشر، ص٧٦ .
(٤) راجع: الحجة في القراءات السبع، ص٧٧ .
(٥) راجع: السبعة في القراءات، ص٣٨٩ .
(٦) السبعة في القراءات، ص٣٨٩ .

الراء بشيء من التحريك، فلا تكون سكونها صريحة بيّنة. وذلك على تضمين الإشمام هنا معنى الروم لأنه إليه أقرب ولأن «التثقيل» في هذا الحرف إنما يكون بخلط سكون الراء بشيء من الكسر لا الضم، ثم إن بعضهم ليسمي الإشمام روما، وهو ما تشير إليه عبارة «اللسان»، ففيه: «والإشمام روم الحرف الساكن بحركة خفيّة لا يُعتدّ بها ولاتَكْسِرُ وزنا... ويجوز ذلك في الكسر والفتح أيضا»(١).

ويبدو أن الجيل الأول من علماء القراءات كان يميل إلى تسمية ما اختلطت السكون فيه بالحركة سكونًا، ثم حملته الأجيال اللاحقة منهم على أنه سكون بالفعل ليس إلا، وهو الأمر الذي جعل بعضهم يطعن في قراءة أبي عمرو هذه، وجعل كثيرا منهم أيضا يغض الطرف فلا يشير إلى هذه القراءة ضمن أحرف الخلاف.

ومعلوم أن القراء واللغويين قد أقروا بأن القاف لا تُدْغم إلا في الكاف(٢)، واشترطوا أن يكون ذلك في الكلمة الواحدة على ألا يكون ما قبل القاف ساكنا وأن يَكُونَ بعد الكاف ميم جمع(٣)، ولكن تسميّتهم لخلط السكون بالكسر سكونا في الحرف المذكور (بورقكم) جعلهم يحْكُمون على تلك القراءة بعدم الجواز.

وابن جني له رأي في هذا الحرف صريح، يذهب فيه إلى أن تلك القراءة المنسوبة لأبي عمرو هي على «الإخفاء» لا على الإدغام؛ قال معلقا على ذلك: «هذا ونحوه عند أصحابنا مُخْفى غير مدغم، لكنه أخفى كسرة القاف، فظنها القراء مدغمة، ومعاذ الله لو كانت مدغمة لوجب نقل حركة القاف إلى الراء كقولهم: يردّ ويفرّ ويصبّ .ألا ترى أن الأصل: يَرْدُدُ، ويَفْرِرُ، ويَصْبُبُ، ولما أسكن الأول ليدغمه نقل حركته إلى الساكن قبله؟.

وللقراء في نحو هذا عادة: أنْ يُعبّروا عن المخفى بالمدغم، وذلك للطف ذلك عليهم...»(٤). حتى يقول: «وإنما هي «بِورِقْكُمْ»، بإخفاء كسرة القاف كأنه يريد الإدغام تخفيفا ولا يبلغه»(٥).

---

(١) لسان العرب: ٤/٢٣٣٣، مادة: شمم.
(٢) انظر: الجدول رقم ٤.
(٣) انظر: النشر في القراءات العشر: ١/٢٨٦.
(٤) المحتسب: ٢/٢٤.
(٥) المحتسب: ٢/٢٥.

فكما ترى، فقد حملها ابن جني على إخفاء حركة القاف، وهي الكسرة لاعلى إشمام سكون الراء كسراً.

وإخفاء الحركة مقيس على إخفاء الحرف، فرع عليه، إذ المشهور من الإخفاء هو للنون الساكنة والميم الساكنة أيضا[1]. ومعناه: أن ينطق بالحرف بين الإظهار والإدغام خال من التشديد[2]. وهو في هذا الحرف إسرار بكسرة القاف فلا يكاد يحس بها إلا اللافظ بها.

وبعد، فلا يخفي بعد هذا العرض ما للإدغام من قيمة خاصة في الذوق اللغوي العربي، وهو إلى جانب كونه لغة فصيحة تعدل لغة الإظهار، فإنه يتفوّق عليه في مواضع معينة حتى ليبدو هو الأفصح كما هو الحال عند التقاء مثلين من كلمتين الأول منهما ساكن والثاني متحرك، فإن الإدغام حينئذ لا ينازعه غيره، ولا يصح الكلام إلا به[3]، ضف إلى ذلك أن الإدغام من الناحية الاقتصادية له قيمته أيضا، وذلك مع عدم الإخلال بصيغة الملفوظ به.

من جهة أخرى، لا بد أن نشير هنا إلى أن قلة الأحرف المختلف فيها في باب الإدغام لا يعني أبدا أن القراء كانوا مقلين في الإدغام، ذلك أن الأحرف التي حصل إجماع عندهم على قراءتها بصورة ما - والتي لم تكن موضع بحثنا - منها أحرف كثيرة جداً قُرئت عندهم جميعا بالإدغام كما هو حال المثلين من كلمتين إذا سكن أولهما وتحرك الثاني، بل إن أباعمرو بن العلاء كان يدغم الأول في الثاني ولا يبالي أكان ما قبل الأول ساكنا أم متحركا[4]. لقد كان رائد القراء في الإدغام، وبه اقترن، ولعل انتسابه لتميم الذين ينسب إليهم الإدغام هو الذي ميّزه فكان أكثر إدغاما، وكان عاصم على النقيض من ذلك «لا يُدغم ولا يرى الإدغام إلا فيما لا يجوز إظهاره»[5].

---

(١) راجع: النشر في القراءات العشر ١/٢٢٢ وعلم التجويد: ص٤٨ - ٥١ .

(٢) علم التجويد: ص٤٨ ، ٤٩ .

(٣) راجع: السبعة في القراءات، ص١٢٥ .

(٤) السبعة في القراءات، ص١١٧ .

(٥) السبعة في القراءات، ص١١٦ .

المبحث الثاني : الإظهار والحذف

جمعنا بَيْنَ الإظهار والحذف هنا لأنهما يقابلان الإدغام؛ فالحرف الذي لم يُقرأ بالإدغام قُرِئَ بأحدهما، إما بالإظهار أو بالحذف.

أولا : الإظهار

الإظهار ضد الإدغام، أي النطق بالحرفين المتجاورين محقّقَيْن، سواء أكانا متماثلين أم متقاربين أم متجانسيْن، وذلك هو الأصل. والإدغام وغيره فرع عليه.

إن من اختار الإظهار في الأحرف السابقة المشار إليها (جدول رقم: ٤) أو في غيرها مما اجتمع فيه مثلان أو متقاربان أو متجانسان يكون قد اختار الأصل الذي قسم للفظ. وذلك ما حصل في ثمانية (٨) أحرف من الأحرف الثمانية عشر (١٨) المذكورة، وهي الحاملة للأرقام: ١، ٣، ٧، ٨، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧ .

- **فالحرف رقم ١** المتمثل في «اتّخَذْتُم» اختار إظهار «الذال» فيه ابن كثير وعاصم.

- **والحرف رقم ٣** المتمثل في «لَبِثْتَ» اختار إظهار «الثاء» فيه ابن كثير ونافع وعاصم.

- **والحرف رقم ٧** المتمثل في «بَيَّتَ طَائفة» اختار إظهار «التاء» فيه ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر والكسائي.

- **والحرف رقم ٨** المتمثل في «يَرْتَدِدْ» اختار إظهار «الدال الأولى» منه نافع وابن عامر.

- **والحرف رقم ١٣** المتمثل في «أُورِثْتُموها» اختار إظهار «الثاء» فيه ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر.

- والحرف رقم ١٤ المتمثل في «حَيِيَ» اختار إظهار «الياءين» فيه نافع وعاصم[١] وابن كثير[٢].

- والحرف رقم ١٥ المتمثل في «بورِقِكُمْ» اختار إظهار «القاف» فيه السّبْعَةُ عدا أبي عمرو في رواية عن أحمد بن موسى عنه أنه قرأ بإدغام القاف في الكاف.

- والحرف رقم ١٧ المتمثل في «مَكّنَني» اختار إظهار النونين فيه ابن كثير وحده.

ويلاحظ أن ابن كثير ونافع إماما أهل الحرمين مكة والمدينة أكثر القراء إظهاراً في الأحرف المذكورة حيث قرأ كل واحد منهما ستة أحرف من ثمانية بالإظهار وهو ما نسبته ٧٥٪، وهو أمر يتوافق مع ما عرف عن أهل الحجاز الذين «كانوا يلتزمون الإظهار ويحترزون من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض... بحيث يُظْهِرُون كل صوت ويعطونه حقّه من جهر وهمس أو شدّة ورخاوة»[٣].

و يلاحظ من جهة أخرى أن ائمة أهل العراق أباعمرو وحمزة والكسائي هم أقل القراء السبعة إظهاراً في الأحرف المذكورة، حيث قرأ الكسائي حرفين من ثمانية بالإظهار وهو ما نسبته ٢٥٪، وقرأ حمزة حرفا واحدا بالإظهار، وهو ما نسبته ١٢,٥٪، أما أبوعمرو فلم يقرأ شيئا من ذلك بالإظهار إلا ما استثني في رواية بخصوص الحرف رقم ١٥ (بورقكم)[٤].

لقد كان هؤلاء القراء الثلاثة يميلون إلى الإدغام، وهو ما اتضح في المبحث السابق حيث أدغم كل من أبي عمرو وحمزة في أربعة عشر (١٤) حرفا من ثمانية عشر (١٨) حرفا. وأدغم الكسائي في أحد عشر (١١) حرفا. وهذا يعني أن هؤلاء الثلاثة كانوا يميلون إلى لغة التميميّين الذين كانوا يؤثرون الإدغام وكانوا يجاورون

---

(١) قراءة عاصم بالإظهار هي رواية شعبة عنه.

(٢) قراءة ابن كثير بالإظهار هي رواية البزي عنه.

(٣) في اللهجات العربية، ص٧٥.

(٤) راجع: السبعة في القراءات، ص٣٨٩.

العراق في شرق الجزيرة العربية إلى الشمال، بل إن البيئة العراقية قد نزح إليها قبائل بدوية كثيرة من التميميين(١).

أما عاصم الكوفي وابن عامر الشامي فإنهما كانا مُوَزَّعَيْنِ في اختياريَهْما بين الإظهار وغيره.

ولا شك أنّ مَنْ كان يُظهر من السبعة وغيرهم في قراءته إنما كان يحرص على إعطاء الصوت اللغوي حقّه من التحقيق والتجويد في النطق جهراً وهمساً، وشدة ورخاوةً(٢). وذلك لأن اعتماد الإظهار وتفكيك الحروف بإخراج بعضها من بعض بتأنٍّ وحُسْنِ أداء هو أهم الأسس في قراءة التحقيق تجويداً وترتيلا(٣).

هذا، وإن بعض الأحرف المذكورة تنفرد بعلل كل على حدة لخصوصيات معينة، من ذلك.

أ - أن بعضهم يذهب إلى أن «بَيَّتَ طَائِفَةٌ» إنما اختير فيه الإظهار لأن التاء والطاء من كلمتيْن مختلفتين(٤).

ب - وأن «أُورِثْتُمُوها»، «الحجة لمن أظهر - فيه - أن الثاء والتاء مهموسان، فإذا أدغما خَفِيَا فَضَعُفَا، فلذلك حَسُن الإظهار فيهما»(٥).

جـ - وأن الإظهار في «حَيِيَ» إنما كان للأسباب الثلاثة الآتية(٦):

١ - أنه محمول على المضارع وهو «يَحْيَا»، فكما لم يُدغم فيه لم يُدغم كذلك في الماضي.

٢ - أن حركة الياءين مختلفة؛ فالياء الأولى مكسورة والثانية مفتوحة، والأوْلى في الإدغام أن يكون الأول ساكنًا، أو تكون حركة الأول والثاني فتحة، مثل: شَدَّ ومَدَّ.

---

(١) انظر: في اللهجات العربية، ص٧١ .
(٢) انظر: في اللهجات العربية، ص٧١ و٨٥ .
(٣) راجع: النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٠٥ .
(٤) انظر: معاني القراءات: ١/ ٣١٣ .
(٥) الحجة في القراءات السبع، ص١٥٦ .
(٦) راجع: إملاء ما من به الرحمن: ٢/ ٧، وطلائع البشر: ص١٠٦ ، ١٠٧ .

٣ – أن حركة الياء الثانية عارضة غير أصلية لأنها قد تتغير بالسكون إذا اتصل بها ضمير الرفع، فتقول: حَيَيْتُ وحَيَيْتَ، فتسكن الياء الثانية، وإذا سكنت بَطُلَ الإدغام.

د – وأن حرف «بورقكم» إنما كان الاختيار فيه الإظهار لسكون الراء، ولأن القاف والكاف غير متجانسين[١].

هـ – وأنّ اختيار ابن كثير إمام مكة للإظهار في «مَكَّنَنِيَ» إنما كان لثلاثة أسباب أيضا، هي:

١ – لأن النونين متحرّكتيْن بحركتين مختلفتين، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، وإنما يَحْسُن إدغام المثليْن المتحركين إذا كانت حركتهما الفتحة.

٢ – لأن النون الثانية زائدة غير أصلية وغير لازمة، فَحَسُنَ الإظهار كما حَسُنَ في «اقْتَتَلُوا» لزيادة التاء الثانية[٢].

٣ – لأن «مكنني» وردت مكتوبة في مصاحف أهل مكة بنونين كما ثبت في الأثر[٣]. وعليه تكون قراءة الإظهار اتباع للخط.

و – إننا لا نلاحظ اختلافا ذا أهمية من الناحية الصوتية بين الإظهار والإدغام في بعض الأحرف المذكورة كما هو الحال على سبيل المثال في «يَرْتَدِدْ» و«يَرْتَدَّ» إذ أن كون «يرتدد» فعلا مجزوما، علامة جزمه السكون يجعله خفيفا مساوياً لـ«يَرْتَدَّ» في خفته، إذ أن كلا منهما مؤلف من ثلاثة مقاطع صوتية اثنان منها طويلان مغلقان والثالث مقطع قصير، ويمكن تمثيل ذلك كما يلي:

* يَرْتَدِدْ = [ص + ح + ص] + [ص + ح] + [ص + ح + ص][٤].
* يَرْتَدَّ = [ص + ح + ص] + [ص + ح + ص] + [ص + ح].

---

(١) انظر: إعراب القراءات: ١/٣٨٩.
(٢) انظر: الكشف عن وجوه القراءات: ٢/٧٨، والحجة في القراءات السبع، ص٢٣٢.
(٣) انظر: السبعة في القراءات، ص٤٠٠، والكشف: ٢/٧٨.
(٤) ص = صامت، وح = حركة.

فعدد المقاطع الصوتية وأنواعها هو هو وإن اختلف ترتيبها حيث فصل المقطع القصير في قراءة الإظهار بين المقطعين الطويلين، وجاء المقطعان الطويلان في قراءة الإدغام متتابعين وبعدهما المقطع القصير.

والقراءتان بالإظهار والإدغام تمثل كل منها عروضيا سببا ووتدا، وإن كان الوتد في الأولى مقرونا (/ ٠ / / ٠) وفي الثانية مفروقا (/ ٠ / ٠ /). وإن هذا ليؤكد تساوي الإدغام والإظهار خفّةً في هذا الحرف.

ثانيا : الحذف

الحذف هو أحد ثلاثة اختيارات في الأحرف السّابقة وما شابهها، والاختيارات الآخران هما الإدغام والإظهار، وقد سبق بسط علليهما.

ولئن كان الإظهار هو الأصل والإدغام فرع له، فإن الحذف هو ثاني فرع للإظهار.

ولئن كان الإدغام يُلجأ إليه بغاية التخفيف في اللفظ، وهو يشبه في ذلك تسهيل الهمزة، فإن الحذف يُلجأ إليه للغاية نفسها، وهو يشبه في ذلك إسقاط الهمزة.

إن الحذف الذي اختاره بعض القراء في الأحرف السابقة هو عبارة عن حرف ساكن مع حركة قصيرة، وهو ما يمثل مقطعًا صوتيا قصيراً (ص + ح). وقد لحق هذا الحذف عشرة (١٠) أحرف هي الحاملة للأرقام: ٢، ٤، ٥، ٦، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٦، ١٨.

فأما الحرف رقم ٢ المتمثل في « تظاهرون » فقد اختار الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي قراءته بتاء واحدة ودون تشديد الظاء، وأصل الفعل « تتظاهرون » بتاءين حُذفت التاء الثانية لتوالي المثلين، وهي العلة نفسها التي حصل الحذف لأجلها في جميع الأحرف التي مسّها الحذف عدا الحرف الأخير (رقم ١٨) وهذا بيان بذلك:

- **الحرف رقم ٤** المتمثل في « تصدقوا » قرأه عاصم وحده بتاء واحدة ومن غير تشديد الصاد، وأصل الفعل « تتصدقوا » بتاءين، حذفت التاء الثانية.

- **الحرف رقم ٥** المتمثل في «الميت» قرأه ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر وعاصم[١] بحذف الياء الثانية المنقلبة عن واو فأصل الكلمة «الميْوِتُ».

- **الحرف رقم ٦** المتمثل في «تساءلون» قرأه الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي بتاء واحدة دون تشديد السين، وأصله «تتساءلون» بتاءين والمحذوفة هي التاء الثانية.

- **الحرف رقم ٩** المتمثل في «أتحاجوني» قرأه نافع وابن عامر بنون واحدة غير مشددة، وأصله بنونين (أتحاجونَني) الأولى نون الجمع، والثانية نون الوقاية، والأولى هي المحذوفة على مذهب سيبويه ومن تبعه، والثانية هي المحذوفة على مذهب الأخفش ومن تبعه[٢].

- **الحرف رقم ١٠** المتمثل في «ميتا» قرأه السبعة عدا نافع بياء ساكنة. كما هو حال من قرأ بالحذف في الحرف رقم ٥ .

- **الحرف رقم ١١** المتمثل في «ضيقا» اختار ابن كثير وحده قراءته بياء ساكنة غير مشددة، وأصله بياءين (ضَيْيِقًا) الأولى ساكنة والثانية مكسورة.

- **الحرف رقم ١٢** المتمثل في «تذكّرون» قرأه عاصم وحده في رواية حفص بتاء واحدة ومن غير تشديد الذال، وأصله «تَتَذكَّرون» بتاءين، والتاء المحذوفة الثانية.

- **الحرف رقم ١٦** المتمثل في «لدني» قرأه نافع وعاصم بنون واحدة غير مشددة إلا أن نافعًا ضَمّ الدال، وأسكنها عاصم، وأصله بنونين الأولى نون «لدن» والثانية نون الوقاية.

كل هذه الأحرف سبب الحذف فيها يرجع لاجتماع الأمثال.

- **أما الحرف الأخير رقم ١٨** المتمثل في «فما اسطاعوا» فقد قرأه السبعة عدا حمزة بسين ساكنة بعدها طاء مفتوحة غير مشددة، وذلك على اعتبار أن أصله

---

(١) قراءة عاصم في هذا الحرف بالحذف هي رواية شعبة عنه.

(٢) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٤٥ ومعاني القراءات: ١ / ٣٦٧ .

«استطاعوا» بتاء بين السين والطاء، وعليه فإن علة الحذف هنا غير علة الحذف في الأحرف السابقة، فقد حُذفت التاء لاجتماعها مع الطاء، وهما متجانسان وغير متماثلَيْن، وقد أشار كثير من علماء العربية إلى هذه العلة، من ذلك ما نقله الأزهري عن الزّجّاج حيث قال: «فما اسطاعوا بغيرتاء، أصلها: استطاعوا بالتاء، ولكن التاء والطاء من مخرج واحد، فحذفت التاء لاجتماعهما، وليَخِفّ اللفظ»[١].

أما مكي بن أبي طالب القيسي فيرى أن تاء «اسطاعوا» حذفت لثلاث علل[٢]:

١ – للتخفيف، بعد عدم جواز إدغامها في الطاء لسكون ما قبلها.

٢ – لزيادة التاء، فهي ليست أصلية في الكلمة، إنما دخلت لمعنى.

٣ – لموافقة رسم المصاحف العثمانية، إذ لم يرد في أي من هذه المصاحف أنها مثبتة.

إنّ الأحرف التي قرئت بحذف لاجتماع الأمثال قد يكون لبعضها علة أخرى خاصة، غير تلك العلة المشتركة العامة، من ذلك:

١ – أنّ «تظاهرون» و«تصدقوا» و«تساءلون» و«تذكرون»، حذفت التاء الثانية منها لاجتماع المثلين، وكذلك لكون هذه التاء المحذوفة عارضة غير لازمة، دخلت لمعنى، فهي في «تتظاهرون» و«تتساءلون» دخلت لإفادة معنى «التّفاعل»، وهو في الفعل الأول الادّعاء بالاتصاف بالفعل مع انتفائه عنه، وفي الفعل الثاني التكثير أو المشاركة[٣]. وهي في «تتصدقوا» و«تتذكّرون» دخلت لإفادة معنى «التّفعّل» وهو المطاوعة في الفعل الأول والتكلّف في الفعل الثاني. وإنما استغني عن التاء في هذه الأفعال مجتمعة فحذفت لدلالة حرف المضارعة على ذلك الحذف.

---

(١) معاني القراءات: ٢/١٢٦. (٢) راجع: الكشف عن وجوه القراءات: ٢/٧٤٨.

(٣) ذهب الزمخشري إلى أن «تساءلون» يجوز حملها على «تفاعلون» التي تفيد المشاركة، ويجوز حملها على «تسألون» (تفعلون) فلا مشاركة فيها. انظر: الكشاف: ١/٤٦٢.

٢ - أن «الميت» و«ميتا» و«ضيقا» متفق على أنها بالإدغام، أي تشديد الياء، أو أنها بالتخفيف أي حذف إحدى الياءين، فلم يرد فيها الإظهار أبداً، وعليه فإن الذين اختاروا الحذف فيها إنما فعلوا ذلك لأنهم اعتبروا التشديد في هذه الياءات ثقيلا، فحذفوا لأجل ذلك[١] . ضف إلى ذلك أن الكلمات ذوات حروف العلة تختلف في بنائها عن الكلمات السالمة، ومن ثم وجدت اختزال العرب أو حذفهم لحرف مما اجتمع من حروف العلة بشرط أن «لا يخل بلفظ الاسم ولا يحيل معناه»[٢].

وقد ذهب أبو علي الفارسي إلى أن «ميت» لما جاز القلب فيها فقلبت واو «مَيْوِت» ياء جاز إعلالها بالحذف أيضا فحذفت تلك الياء المنقلبة عن الواو[٣].

ويحلو لبعضهم أن يفسّر إسكان ياءات الكلمات السابقة في قراءة التخفيف أن ذلك لغة في تلك الكلمات، فهي أصل فيها وليست فرعًا على لغة التثقيل، وهو ما يفهم من عبارة لسان العرب: «ضاق الشيء يَضيقُ ضِيقًا وضَيْقًا.. والضَّيْقُ الشيءُ الضيّق»[٤].

هذا ما اجتمع لدينا من علل تفسر ظاهرة الإدغام وضده الإظهار وكذلك الحذف، أتينا على الإحاطة بها في أحرف الخلاف المذكورة في النصف الأول من القرآن الكريم. وقد يكون شيء منها نرتضيه فاتنا ولم ننبه عليه، وقد يكون شيء منها يراه غيرنا صالحا لتفسير تلك الظاهرة.

وإن تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض ليؤدي دائما إلى إنتاج ظواهر كالتي كنا نتحدث عنها وكالظاهرة الآتية وهي «الإمالة والفتح» التي كان لها قيمتها في قراءة القرآن، وهي موضوع بحثنا في الفصل الآتي.

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٠٧ .
(٢) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٧ .
(٣) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٣٥١ .
(٤) لسان العرب ٤/٢٦٢٧، مادة: ضيق.

الفصل الثالث

الإمالة والفتح

المبحث الأول : الإمالة

أولا : تعريفها وأنواعها وأصحابها

١ - تعريفها :

قدّمنا الإمالة هنا على الفتح للأهمية التي حظيت بها في بابها عند القراء على الرغم من أن الفتح أصل في الكلام، وهي فرع عليه.

والإمالة في اللغة مصدر أَمَلْتَهُ إمالة، والميل الانحراف عن القَصْد، ومالت الشمس زالت عن كبد السماء.

والإمالة في الاصطلاح تعني أن تنحو بالألف نحو الياء السّاكنة من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه[1]. كما أن الفتحة تُمال أيضا إلى الكسرة في حالتين اثنتين:

أ - **قبل الراء المكسورة المتطرفة** : إذا كانت مباشرة للراء بشرط أن لا تكون فتحة للياء، نحو: من الكبَر، أو تكون مفصولة عنها بحرف مكسور أو ساكن غير الياء، نحو إمالة فتحة الهمزة من «أَشِرٍ»[2] وفتحة العين من «عَمْرٍو».

ب - **قبل هاء التأنيث الموقوف عليها** : وذلك في مثل: رحمَهْ، ونعمَهْ وجاءت فاطمَهْ، فهذا ونحوه جائز فيه إمالة فتحة الميم إلى الكسر في حالة الوقف فقط،

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني. ص١٥٢ .

(٢) الأشِرُ بكسر الشين: المرِحُ، والأشَرُ - بفتحها -: المرَحُ انظر: لسان العرب، مادة : أشر.

فإذا وصلتَ وجب الفتح فقلتَ: رحـمَةُ الله، ونعَمةُ الله، وجاءت فاطمةُ إلى البيت... كل ذلك بغير إمالة.

فالإمالة - كما ترى - لا تكون إلا في الفتح طويله وقصيره نحو الكسر طويله وقصيره كذلك. هذا هو المشهور المأخوذ به عند الدارسين. والغالب فيه يكون لإمالة الألف نحو الياء.

وقد أجاز بعضهم القول بإمالة الفتحة نحو الضم والألف نحو الواو[١]. وذهب بعضهم الآخر إلى أن الإمالة غير محصورة في إمالة الفتح نحو الكسر والألف نحو الياء، فعندهم أن الضمة والواو إذا سبقتا الراء المكسورة جاز إمالتهما إلى الكسر[٢].

والذي يظهر أن الذين أجازوا القول بإمالة الفتح نحو الضم، وإمالة الضم نحو الكسر إنما حملوا ذلك على المعنى اللغوي للإمالة. وقد سمّى بعضهم الأول «الفتح المشوب بالضم»[٣] وسمّى بعضهم الثاني الضم المشوب بالكسر، كما أن الكسرة يمكن أن تكون مشوبة بالضم[٤].

وقد ذهب بعض العلماء القدماء إلى تسمية كل خلط لحركتين أو لحركة وسكون عدا خلط الفتح بالكسر «إشماما»[٥]، وذلك كإشمام الكسر الضم في مثل: قيل، وبيع، وغيض، وسيق، وحيل، وجيء في قراءة الكسائي وبعض القراء الآخرين[٦]، يُشيرون بذلك إلى أصل الثلاثي المبني للمجهول، أي ضم أوله وكسر

---

(١) في اللهجات العربية، ص ٦٥، ٦٦.

(٢) محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١/١٠٤.

(٣) عبد الفتاح إسماعيل شلبي: الإمالة في القراءات واللهجات العربية، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٢٤، ٢٥.

(٤) راجع: سر صناعة الإعراب: ١/٦١.

(٥) الإشمام في اصطلاح كثير من العلماء: ضم الشفتين بعد سكون الحرف، أي أنه يقتصر على خلط السكون بالضم، غير أن بعضهم يطلقه على خلط الحركة بالحركة والحرف بالحرف. انظر: التمهيد في علم التجويد: ص٧٣.

(٦) انظر: السبعة في القراءات: ص١٤٣.

ثانيه (فُعِل)، وكقلب الكسائي ضمة الباء من «البيوت»[1] كسرة لتلائم الياء ثم إشمامها الضم إشارة إلى الأصل، كذلك إشمام نافع كسرة الهاء من «يُؤَدِّه»[2] فتحًا، وكإسكان أبي عمرو الراء من ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ [البقرة: ١٢٨] إشارة إلى أصلها ﴿ أَرْئِنَا ﴾ وإشمامها الكسر إشارة إلى الحركة المنقولة إليها بعد حذف الهمزة الثانية.

وكما سموا خلط الحركتين وخلط الحركة والسكون إشمامًا فإنهم سموا كذلك خلط الصوامت إشمامًا، كما هو حال قراءة حمزة ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ ﴾؛ [الفاتحة : ٦] قال ابن مجاهد : «حمزة كان يُشِمُّ الصاد، فيلفظ بها بين الصاد والزاي»[3].

٢ - أنواعها :

ذكرنا من قبل أن الغالب المشهور من الإمالة هو إمالة الألف نحو الياء لأنه لا حديث عن أنواع الإمالة أو درجاتها من الناحية العملية إلا إذا تعلق الأمر بذلك، أي بإمالة الألف نحو الياء. وقد قسمها علماء القراءات إلى نوعين اثنين.

أ - **الإمالة الكبرى** : وهي التي يُعبِّرون عنها بالإمالة الشديدة وذلك بأن تنحو بالألف إلى حَدٍّ لَوْ زاد صار ياءً[4]. وعرّفها ابن الجزري بقوله: «حدّها أن ينطق بالألف مركّبة على فتحة تُصْرف إلى الكسر كثيراً»[5].

هذا النوع من الإمالة معروف عند علماء القراءات بأسماء أخرى إذْ يُقال له الإضجاع، ويقال له البطح، وربما قيل له الكسر أيضا[6].

فأما تسميتها بالإضجاع فمن أضْجَعْتَ فلانًا إذا وضعتَ جنبَه بالأرض أو من ضجع يضجع إذا وضع جنبه بالأرض[7].

---

(١) من قوله تعالى: ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩].
(٢) من قوله تعالى: : ﴿ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران: ؟٧٥] .
(٣) السبعة في القراءات: ص١٠٦ .
(٤) الإمالة في القراءات واللهجات العربية، ص١٩ .
(٥) التمهيد في علم التجويد، ص٧٢ .
(٦) راجع: النشر في القراءات العشر: ٢ / ٣٠، والتمهيد في علم التجويد : ص٧٢ .
(٧) انظر: لسان العرب: ٤ / ٢٥٥٤، مادة: ضجع.

وأما تسميتها بالبطح فمن بطحت فلانا على وجهه إذا ألقيته على وجهه فانبطح، أي بسطته على وجه الأرض فانبسط[1].

وأما تسميتها بالكسر فمبالغة في إمالة هذا النوع وهو غير بالغه، وهو ما سوف نوضحه أكثر في المبحث الثاني من هذا الفصل حينما نتحدث عن الإمالة الصغرى بشكل مفصل.

ب - الإمالة الصغرى : هي التي عبّر عنها بعضهم بعبارة بين بين وعبّر عنها آخرون بعبارة بين اللفظيْن. والعبارتان بمعنى: بين الفتح والإمالة الكبرى.

وقد سمى بعض الدارسين ما كان من الإمالة بين الكبرى والصغرى إمالة أقرب إلى الكبرى، وسمى ما كان منها بين الصغرى والفتح إمالة أقرب إلى الفتح[2]، إلا أن ذلك غير معتمد عند علماء القراءات واللغويين اعتماد الإمالة الكبرى والإمالة الصغرى.

٣ - أصحاب الإمالة :

لا خلاف بين العلماء والدارسين من أن الإمالة لغة أهل نَجْدٍ من تميم وأسد وقيس[3]. ولا خلاف بين هذا وما ذكره بعض الدارسين من أنّ «القبائل المميلة هي: تميم، أسد، قيس، هوازن، سعد بن بكر، بكر بن وائل»[4] فهوازن بطن من قيس، وسعد بن بكر ينتسبون إلى هوازن، وبكر بن وائل مجاورون لتلك القبائل جنوبي العراق[5] وزاد بعضهم قبيلتي طيئ وتغلب؛ قال الدكتور إبراهيم أنيس: إن الإمالة تنسب «إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقيها، وأشهرها: تميم وأسد وطيئ وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب»[6].

---

(١) لسان العرب: ١/ ٢٩٩، مادة، بطح. (٢) الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص٢٣ .
(٣) انظر: النشر: ٢/ ٣٠، والإتقان في علوم القرآن: ١/ ١١٤، وإبراز المعاني: ص١٥٢ .
(٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص١٥٠ . (٥) انظر: المرجع السابق، ص١٥٠ .
(٦) في اللهجات العربية، ص٦٠ .

على كل حال يمكننا القول بصفة عامة أن الإمالة لغة سكان وسط الجزيرة العربية وامتدادا إلى شمالها وشرقيها وشمال شرقيها حتى العراق. فهذا مقرر مشهور، ولكنه لا يمنع من أن تكون الإمالة قد تحدث بها بعض من سكن المناطق أو الأمصار الأخرى من بلاد العرب.

ويعنينا هنا بصفة أكبر أن نعلم أن البيئة العراقية، - والبصرة والكوفة على وجه التحديد - قد تأثرت بتلك القبائل العربية التي كانت تجاورها إلى الجنوب بشمال شرق شبه الجزيرة العربية، وهو ما نص عليه بعض الدارسين منهم الدكتور إبراهيم أنيس الذي قال: «وقد حدثنا تاريخ الهجرات القبلية، رغم غموضه، بأن أشهر القبائل التي أثرت في بيئة الكوفة والبصرة هي قبائل وسط الجزيرة وشرقها، فعن معظمهم أخذ علماء الكوفة والبصرة، وبهم اقتدوا»[1]. فهل يتفق هذا مع ما أُثِرَ من القراءات الصحيحة بخصوص الإمالة؟ ذلك ما سوف يتضح من خلال الجدول الآتي (رقم ٥) الخاص بما اختلف في إمالته بين القراء من النصف الأول من القرآن الكريم.

ثانيا - المختلف في إمالته بين القراء

هذا بيان المختلف فيه من ذلك في النصف الأول من القرآن الكريم موَزّع بين قراءة الفتح وبين بين والإمالة.

(١) في اللهجات العربية: ص٦٠.

جدول رقم (٥)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	السورة ورقم الآية	بالفتح / بين بين / بالإمالة	القــارئ
١	فزادهم	البقرة ١٠	بالفتح بعد الزاي	ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي
			بين بين	نافع
			بالإمالجة بين الزاي	حمزة وابن عامر
٢	في طغيانهم	البقرة ١٥	بالفتح بعد الياء	السبعة عدا الكسائي
			بالإمالة بعد الياء	الكسائي
٣	بالهدى	البقرة ١٦	بالفتح بعد الدال	ابن كثير وعاصم وابن عامر وأبو عمرو
			بين بين	نافع
			بالإمالة بعد الدال	حمزة والكسائي
٤	في آذانهم	البقرة ١٩	بالفتح بعد الذال	السبعة عدا الكسائي
			بالإمالة بعد الذال	الكسائي
			بالفتح بعد الياء	ابن كثير وعاصم وابن عامر
٥	فأحياكم	البقرة ٢٨	بين بين	نافع والكسائي وأبو عمرو (عندرؤوس الآي)
			بالإمالة بعد الياء	حمزة (يُميل مشتقات حيي بعد الواو)
			بالفتح بعد الراء	ابن كثير وعاصم وابن عامر
٦	أسَارى	البقرة ٨٥	بين بين	نافع
			بالإمالة بعد الراء	أبو عمرو وحمزة والكسائي
٧	اشتراه	البقرة ١٠٢	بالفتح بعد الراء	السبعة عدا عاصم
			بالإمالة بعد الراء	عاصم
٨	مرضات	البقرة ٢٠٧	بالفتح بعد الضاد	عاصم
			بالإمالة بعد الضاد	السبعة عدا الكسائي
			بالفتح بعد الراء	ابن كثير وعاصم وابن عامر
٩	التوراة	آل عمران ٣	بين بين	نافع وحمزة
			بالإمالة بعد الراء	أبو عمرو والكسائي
١٠	تقاة	آل عمران٢٨	بالفتح بعد القاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر
			بالإمالة بعد القاف	حمزة والكسائي

١١	للأبرار	آل عمران١٩٨	بالفتح بعد الراء الأولى	ابن كثير وعاصم
			بين بين	نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي
١٢	ضِعَافًا خَافُوا	النساء ٩	بالفتح بعد العين والخاء	السبعة عدا حمزة
			بالإمالة بعد العين والخاء	حمزة
			بفتح الراء والهمزة	ابن كثير وعاصم (في رواية حفص)
١٣	رَأَى	الأنعام ٧٦	بين بين بعد الهمزة	نافع
			بالإمالة بعد الهمزة	أبو عمرو
			بإمالة الراء والهمزة	ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم (في رواية شعبة)
١٤	هَدَانِ	الأنعام ٨٠	بالفتح بعد الدال	السبعة عدا الكسائي
			بالإمالة بعد الدال	الكسائي
١٥	هَارٍ	التوبة ١٠٩	بالفتح بعد الهاء	ابن كثير وحمزة وعاصم (في رواية حفص) وابن عامر
			بالإمالة بعد الهاء	نافع وأبو عمرو والكسائي وعاصم (في رواية شعبة)
١٦	الر	يونس ١	بالفتح بعد الراء	ابن كثير ونافع (رواية المسيبي) وعاصم (رواية حفص)
			بالإمالة بعد الراء	أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ونافع (رواية ابن جماز) وعاصم (رواية شعبة)
١٧	ولاأدراكم به	يونس ١٦	بالفتح بعد الراء	ابن كثير ونافع وعاصم (رواية حفص)
			بالإمالة بعد الراء	أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم (رواية شعبة)

١٨	مجراها ومرساها	هود ٤١	بالفتح بعد الراء والسين	ابن كثير وابن عامر
			بالفتح بعد السين	أبو عمرو وعاصم (رواية حفص)
			بالإمالة بعد الراء والسين	نافع وحمزة والكسائي وعاصم (رواية شعبة)
			بالإمالة بعد الراء	أبو عمرو
١٩	رؤياك	يونس ٥	بالفتح بعد الياء	السبعة عدا الكسائي
			بالإمالة بعد الياء	الكسائي
٢٠	يَلْقَاهُ	الإسراء ١٣	بالفتح بعد القاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم
			بالإمالة بعد القاف	حمزة والكسائي
			بالفتح بعد الميم في الإثنين	ابن كثير ونافع وابن عامر واصم (رواية حفص)
٢١	أعْمَى .. أعْمَى	الإسراء ٧٢	بالإمالة في الأولى والفتح في الثانية	أبو عمرو
			بالإمالة بعد الميم في الأولى والثانية	حمزة والكسائي وعاصم (رواية شعبة)
			بالفتح بعد الهمزة	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم (رواية حفص)
٢٢	ونأى	الإسراء ٨٣	ناء (بالقلب والفتح)	ابن عامر
			بالإمالة بعد الهمزة	عاصم (رواية شعبة) وحمزة (رواية خلاد)
			بالإمالة بعد النون والهمزة	الكسائي وحمزة (رواية خلف)
٢٣	وما أنسانيه	الكهف ٦٣	بالفتح بعد السين	السبعة عدا الكسائي
			بالإمالة بعد السين	الكسائي

أهم ما يمكن استخلاصه من هذا الجدول الملاحظات الآتية:

١ - بلغ عدد الأحرف المختلف فيها بين الإمالة الكبرى والإمالة الصغرى (بين بين) وسالفتح في النصف الأول من القرآن الكريم ثلاثة وعشرون (٢٣) حرفا، منها ثلاثة أحرف عبارة عن أزواج هي الحاملة للأرقام: ١٢، ١٨، ٢١ . وقد اعتبرنا الزوج الواحد منها حرفا واحدا لارتباط اختلاف القراءات فيها بعنصري الزوج الواحد. ولوحظ أن حرفين عبارة عن فعلين ثلاثيّيْن ناقصيْن عينهما همزة هما الحاملان للرقمين: ١٣، ٢٢، قد قرأهما الكوفيان حمزة والكسائي بإمالة مزدوجة فأمالا فتحة الأول وألف الثاني، ووافقهما ابن عامر وعاصم فيما رواه عنه شعبة في الحرف ١٣ (رأى).

٢ - أمال من هذه الأحرف إمالة كبرى كل من:

أ - **الكسائي**: ثمانية عشر (١٨) حرفا، هي الحاملة للأرقام: ٢، ٣، ٤، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ .

ب - **حمزة**: ثلاثة عشر (١٣) حرفا، هي الحاملة للأرقام: ١، ٤، ٥، ٦، ١٠، ١٢، ١٣، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢ .

جـ - **أبوعمرو**: ثمانية (٨) أحرف، هي الحاملة للأرقام: ٦، ٩، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١ .

د - **عاصم**: ثمانية (٨) أحرف، هي الحاملة للأرقام: ٧، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢ .

هـ - **ابن عامر**: أربعة (٤) أحرف، هي الحاملة للأرقام: ١، ١٣، ١٦، ١٧ .

و - **نافع**: ثلاثة (٣) أحرف، هي الحاملة للأرقام: ١٥، ١٦، ١٨، والحرف رقم ١٦ لم يروه عنه بالإمالة الكبرى سوى ابن جماز كما حكاه ابن مجاهد حيث قال: «وقال ابن جمّاز: نافع يُكسر الراء»[1]. وفي معاني القراءات للأزهري: «وقرأ

(١) السبعة في القراءات: ص٣٢٢ .

نافع [هذا الحرف] بين الفتح والكسر»[1]. وإذا صح هذا القول الأخير فإن نافعًا لم يقرأ بالإمالة الكبرى سوى حرفين مما اختلف فيه في النصف الأول من القرآن الكريم هما: رقم ١٥ (هار) ورقم ١٨ (مجراها ومرساها).

ز – **ابن كثير**: لم يُمل أي حرف من الأحرف المذكورة، بل إنه لم يُمل شيئا في جميع القرآن كما أُثر عنه[2].

٣ – وبناء على ما ورد في الملاحظة الثانية تكون نسب القراءة بالإمالة الكبرى كالآتي:

– بلغت نسبة ذلك عند قراء العراق كالآتي:

* الكسائي الكوفي: ٨١,٨١٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.
* حمزة الكوفي: ٥٩٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.
* أبوعمرو البصري: ٣٦,٣٦٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.
* عاصم الكوفي: ٣٦,٣٦٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.

أي بنسبة عامة بلغت أكثر من ٥٣,٣٨٪.

– أما نسبة الإمالة الكبرى عند بقية القراء فكانت كالآتي:

* ابن عامر الشامي: ١٨,١٨٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.
* نافع المدني: ١٣,٦٣٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.
* ابن كثير المكي: ٠٠٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.

أي بنسبة عامة بلغت ١٠,٦٠٪ تقريبا.

نستنتج من المعطيات السابقة ثبوت أثر قبائل نجد المميلة في قرّاء العراق. وهو أمر يتوافق قطعيا مع المعطيات التاريخية التي نبهت على هذا الأثر.

---

(١) معاني القراءات: ٢/٣٩ . (٢) راجع: الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص١٠٨ .

إنّ أثر تلك القبائل أهل الإمالة هو السبب الرئيسي والمباشر في ارتفاع نسبة الإمالة عند قراء العراق. يأتي بعد ذلك مصادر قراءة هؤلاء القراء الأخرى، وشيوخهم، والبيئات التي عاشوا فيها، فإن لذلك أثراً في اختيار كل قارئ لما يقرأ به ويؤخذ عنه. ولك في اختيار ابن كثير نموذج حيّ، فالأصل في قراءته الخالية من الإمالة تعود إلى عبد الله بن السائب المخزومي مقرئ أهل مكة الذي أرسله الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بمصحف إليها. وتذكر كتب الطبقات والتراجم أن ابن كثير ظل ثلاثة أرباع قرن بمكة مقيما فيها[١]. ولك في اختيار عبد الله بن عامر الشامي نموذج آخر، فهو مقلٌّ في الإمالة لأن أصل قراءته تعود إلى أبي الدرداء الأنصاري الخزرجي، وإلى المغيرة بن شهاب المخزومي صاحب الإمام عثمان بن عفان القرشي الحجازي.

وإذا بحثت عن أسباب أخرى في أمر إكثار قراء العراق للإمالة خاصة الإمام حمزة وصاحبه الكسائي تبيّن لك شيء من تلك العوامل البيئية والمرجعية؛ فالأولى تتمثل في غلبة الأسديين في الكوفة بعد استيطانهم إياها حيث سيطرت لهجتهم على بقية اللهجات الأخرى، وقد كان الكسائي مولى هؤلاء الأسديين وربيبهم[٢]. والثانية تتمثل في غلبة مذهب الشيعة على قراءتهم بدءاً من الصحابي عبد الله بن مسعود الذي أرسل إلى هناك لإقراء الناس وقد أُثِر عنه أنه كان يُميل في قراءته[٣]. وتذكر بعض الدراسات أن كون علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – سنَد الإمام حمزة في القراءة يجعله سنداً «كُلّه شَيوخ كوفيون شيعيّون»[٤]. ذلك أن حمزة قد أخذ القراءة على جعفر الصادق على أبيه محمد الباقر على أبيه زين العابدين على أبيه الحسين على أبيه علي بن أبي طالب[٥].

---

(١) معرفة القراء الكبار، للذهبي: ١/٨٦ . وانظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص١١٧ .

(٢) راجع: الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص١٢٨ .

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر: ٢/٣١ .

(٤) الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص١٢٧ .

(٥) انظر: المرجع السابق: ص١٢٧ .

ولعل سائلا يسأل: لماذا لم يكن أبو عمرو بن العلاء وعاصم - وهما عراقيان - مكثرين في الإمالة الكبرى إكثار حمزة والكسائي؟ والجواب عن ذلك نوجزه في أمرين اثنيْن:

- **الأول**: هو أن القراءة اختيار لمأثور، وأن الإمالة والفتح كل منهما متضمّنٌ في معنى حديث الأحرف السّبعة، ولا يبعد أن يكون ذلك وراء توزيع عاصم لاختياره فكان يقرئُ أبا بكر شعبة بالإمالة ويقرئُ حفصًا بالفتح.

- **الثاني**: يتمثل في أن كلا من أبي عمرو وعاصم قد خضع لمعطيات خاصة؛ منها أن أبا عمرو قد تتلمذ لإمامي مكة والمدينة ابن كثير ونافع مقرئيْ الحجازيين وهم أهل الفتح أو التفخيم لا الإمالة، وأنّ عاصمًا (ت ١٢٨ هـ) قد «سبق كلا من حمزة الكوفي (ت ١٥٦ هـ) وأبا عمرو البصري (ت ١٥٤ هـ) بنحو ربع قرن، وسبق الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ) بنحو من ستين عاما، فلعل القبائل العربية المميلة النازحة إلى العراق لم تكن قد تمّت سيطرتها اللغوية.. ولعلها لم تكن قد تناسلت وتكاثرت بحيث تجعل عاصمًا يثبت على الميل الذي رواه عنه أبو بكر»[١].

على كل حال، إننا نهدف في النهاية للوقوف على العلل أو الأسباب اللغوية الحقيقية والخاصة التي لأجلها كان يُميل مَنْ يُميل مِنَ القراء وغيرهم. ويبدو أن الإمالة مع كونها لغة من لغات العرب الفصيحة إنما كان يُلجأ إليها بغرض التخفيف في الكلام، حالها في ذلك حال الإدغام كما سبق توضيحُه وكذلك غرض كثير من الظواهر الصوتية الأخرى كالقلب والإبدال؛ قال ابن الجزري: «وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال مَنْ أمال»[٢].

---

(١) الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص١٢٢.
(٢) النشر في القراءات العشر: ٢/ ٣٥ .

ثالثا : علل الإمالة

في الواقع، الحديث عن علل الإمالة بدأ قبل الآن، فالفقرات السابقة كانت تتحدث عن ذلك حديثا عاما أهم ما فيه غلبة الإمالة عند قراء العراق لما كان للقبائل المميلة من أثر في البيئة العراقية، ولما كان للإمالة ذاتها من تخفيف في النطق. وقد أردنا أن يكون حديثنا في الفقرات اللاحقة حديثا لغويا خاصا في أمر هذه العلل أو الأسباب التي يمكن أن نحصرها في اثنتي عشرة علة هي[1]:

١ - **إمالة الألف بسبب كسرة متقدمة عليها**، مثل: كتاب، حساب، عماد. وأجازوا الإمالة مع الفصل بين الألف والكسرة المتقدمة بحرفين بشرط أن يكون أولها ساكنا، نحو: إنْسَان، أو أن يكون الحرفان الفاصلان مفتوحَيْن وثانيهما هاء، نحو: لن يضرِبَهَا، وعللوا ذلك بكون الهاء حرفا خفيًّا وكون الساكن حاجزًا غير حصين[2].

٢ - **إمالة الألف بسبب ياء متقدمة عليها**، مثل: الأيام والحياة. وأجازوا الفصل بين الألف والياء المتقدمة، مثل: شيْبان وحيَوَان، ولكن الإمالة في الأولى (شيبان) عندهم أقوى منها في الثانية (حيوان) لأن الياء في الأولى ساكنة. كما أجازوا الفصل بحرفين مفتوحين بشرط أن يكون ثانيهما هاء، مثل: قبّلت يَدَهَا.

٣ - **إمالة الألف بسبب كسرة متأخرة مباشرة لها** سواء كانت هذه الكسرة جزءاً من بنية الكلمة أو كانت علامة إعراب مثل: عابِد، حامِد، وشاكر، وسالم، وكامل، ومن الناس، وفي النارِ.

٤ - **إمالة الألف بسبب ياء متأخرة مباشرة لها**، يحصل ذلك في الأسماء والأفعال على حد سواء وكيفما كانت حركة الياء، مثل: معايِش، مبايِع، سايَر، تحايَل.

---

(١) راجع: النشر في القراءات العشر: ٢/ ٣٢ - ٣٥ وكتاب سيبوية: ٤/ ١١٧ - ١٤٢ .
(٢) انظر: النشر: ٢/ ٣٣ .

٥ - **إمالة الألف بسبب وقوعها عينا في فعل أجوف يصير وزنه عند إسناده إلى تاء الضمير «فِلْت»** مكسور الفاء محذوف العين، مثل: خاف، باع، سواء كانت الألف أصلها ياءً أو واواً. وذهب ابن الجزري إلى أن الإمالة في «خاف» هي «لأجل الكسرة المقدرة في المحل الممال»[١] لأن أصل خاف «خوِف» بكسر الواو، ولو كانت بفتح الواو لبطلت الإمالة عندئذ. وألحق بعضهم الإمالة في «باع» وما كانت ألفه في الأصل ياء بسبب ما كانت الألف فيه ياء في الأصل[٢]. وهو السبب الموالي.

٦ - **إمالة الألف بسبب كونها في الأصل ياء متطرفة**، مثل: الهدى، والفتى، والثرى، ورمى، وسقى، وأتى، ويخشى، واشترى... وقد سمى ابن الجزرى هذا السبب: الإمالة لأجل الياء المقدرة في المحل الممال[٣]، حالها في ذلك حال إمالة الألف في «خاف».

٧ - **إمالة الألف بسبب كونها واقعة عينا للكلمة معلّة بالقلب عن ياء**، مثل: باع، وطاب، وناب، وجاء، وشاء، وزاد... ونحن نذكر هذا على اعتبار أنه سبب قائم بذاته أخذا بما هو جار في كتب القراءات، وإن كان هذا السبب والسبب السابق (رقم ٦) مما كانت الألف فيه ياء في الأصل إلا أن ذلك وقعت الألف فيه لاما متطرفة، وهذا وقعت الألف فيه عينا في وسط الكلمة.

٨ - **إمالة الألف التي أصلها واو بسبب انقلابها إلى ياء في بعض الأحوال**، مثل: تلا، وغزا. قال ابن الجزري: «وذلك لأن الألف فيهما منقلبة عن واو التلاوة والغزو، وإنما أميلت في لغة مَنْ أمالها لأنك تقول إذا بنيْت الفعل للمفعول: تُلِيَ وغُزِيَ (أي بقلب الألف فيهما ياء) مع بقاء عدة الحروف كما كانت حين بنيْتَ الفعْل للفاعل»[٤].

---

(١) النشر في القراءات العشر: ٢ / ٣٣ .

(٢) انظر: كتاب سيبوية: ٤ / ١١٧ والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ١ / ٩٧ .

(٣) النشر في القراءات العشر: ٢ / ٣٤ .

(٤) نفسه : ٢ / ٣٤ .

٩ - إمالة الألف أو الفتحة بسبب مجاورتهما أو قربهما من ألف ممالة. مثل: إمالة فتحة الراء في «رأى» لأجل إمالة الألف بعد الهمزة، وإمالة الألف الموقوف عليها المبدلة من التنوين في قولنا: رأيت عِمَادًا لأجل إمالة الألف الأولى قبلها المسبوقة بكسر. وقال ابن الجزري: «وقيل في إمالة ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضحى: ١] و﴿الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] و﴿وَضُحَاهَا﴾ و﴿تلاها﴾ [الشمس: ١] إنها بسبب إمالة رؤوس الآي قبل وبعد، فكانت من الإمالة للإمالة. ومن ذلك إمالة قتيبة عن الكسائي الألف بعد النون من ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦] لإمالة الألف من "الله"»(١).

١٠ - إمالة الألف بسبب الشبه، كإمالتهم ألف التأنيث في نحو: الحسنى، «قالوا إنهم أمالوا ألفها لشبهها بألف الهدى»(٢). أي أنهم حملوا ألف التأنيث في «فُعْلَى» على الألف المتطرفة المنقلبة عن ياء، وذهب ابن الجزري إلى جواز إمالتها لأنها «تنقلب ياء في بعض الأحوال، وذلك إذا ثَنَّيْتَ قلت: الحُسْنَيَان»(٣).

وعلة الشبه هذه ليست محصورة فيما كان على وزن «فُعْلَى» وشابه ما تطرّف وكان أصله ياء، بل إنهم جعلوها متضمنة أيضا ما شابه المشبه بالمتطرف الذي أصله ياء «كإمالتهم موسى وعيسى، فإنه أُلحق بألف التأنيث المشبهة بالهدى»(٤).

١١ - إمالة الألف بسبب كثرة الاستعمال، كإمالتهم الف «الحُجّاج» لكثرته في كلامهم، منسوب إلى سيبويه(٥). وإمالتهم ألف «النّاس» رفعًا ونصبًا وجرًّا. وأجاز ابن الجزري أن يقال في ألف «الناس» إنها أميلت لأنها منقلبة عن الياء(٦). وشبهها سيبويه بما كانت الألف فيه ثانية مكسور ما بعدها كاسم الفاعل من الثلاثي الصحيح(٧).

---

(١) النشر في القراءات العشر: ٢/ ٣٤. (٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ص١٤٧.
(٣) النشر في القراءات العشر: ٢/ ٣٤. (٤) النشر: ٢/ ٣٤.
(٥) راجع: كتاب سيبويه: ٤/ ١٢٧. (٦) انظر: النشر: ٢/ ٣٥.
(٧) الكتاب: ٤/ ١٢٨.

١٢ - إمالة الألف لأجل الفرق بين الاسم والحرف، كإمالة ألف «باء» و«تاء» «لأنها أسماء ما يُلفظ به فليست مثل «ما» و«لا» وغيرها من الحروف المبنية على السكون»[١].

هذا مجمل ما توفر لدينا من أسباب الإمالة اعتمدنا في جمعه وتنسيقه على بعض مؤلفات الأسلاف ككتاب «النشر» لابن الجزري، و«الكتاب» لسيبويه. ولننظر الآن إلى أي من هذه الأسباب أو العلل يمكن أن نردّ إمالة مَنْ أمال في الأحرف المذكورة.

أما الحرف رقم ١ المتمثل في «فزادهم» من قوله تعالى ﴿**فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**﴾ [البقرة: ١٠] فقد قرأه حمزة وابن عامر بالإمالة بعد الزاي بسبب كون الألف واقعة عينا للكلمة معلة بالقلب عن الياء.

وأما الحرف رقم ٢ المتمثل في «طغيانهم» من قوله تعالى ﴿**وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [البقرة: ١٥] فقد انفرد الكسائي بإمالة الألف فيه لعلتين: الأولى بسبب الياء المتقدمة على الألف، والثانية بسبب الكسرة المتأخرة المباشرة للألف.

وأما الحرف رقم ٣ المتمثل في «آذانهم» من قوله تعالى ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾ [البقرة: ١٩] فقد انفرد الكسائي كذلك في قراءته بالإمالة بعد الذال للعلة السابقة حيث إن الألف قد باشرتها كسرة بتأخر.

وأما الحرف رقم ٤ المتمثل في «بالهدى» من قوله تعالى ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٦] فقد قرأه حمزة والكسائي بالإمالة بعد الهاء لكون الألف ههنا أصلها ياء، وقد تطرّفت، وهو من المشهور عند القراء بذوات الياء.

وأما الحرف رقم ٥ المتمثل في «فأحياكم» من قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ**

---

(١) النشر: ٢/ ٣٥.

بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فانفرد فيه حمزة بإمالة الألف إمالة كبرى لكون الألف مسبوقة بالياء وليس بينهما فاصل.

وأما الحرف رقم ٦ المتمثل في «أُسارى» من قوله تعالى ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] فقد قرأه حمزة والكسائي بالإمالة بعد الراء وكذلك أبو عمرو، وذلك لعلة الشبه؛ شبهوا ذلك بما كانت ألفه في الأصل ياء متطرفة، أو هي ملحقة بما كان على وزن «فَعْلَى» الذي شابه ما تطرفت ألفه وكان أصلها ياء.

وأما الحرف رقم ٧ المتمثل في «اشتراه» من قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ[1] مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] فقد انفرد عاصم فيما رواه عنه حفص بقراءة ذلك بالإمالة بعد الراء، قال ابن مجاهد: «روى هُبَيْرة عن حفص عن عاصم: لمن اشتراه ممالة».[2] وهو حكم لا يستقيم لثلاثة أسباب:

١ - أن عاصما معروف عنه غلبة الفتح لا الإمالة، وهو ما نبّهَ عليه ابن مجاهد نفسه، حيث قال: «والمعروف عن عاصم التفخيم».[3]

٢ - أنه لم ينسب إلى أي من القراء السبعة غير عاصم القراءة بالإمالة في هذا الحرف، والمعروف أن عاصما لم ينفرد بالإمالة في أي من الأحرف المختلف فيها، وإنما يكون ردفا معطوفا على غيره في ذلك.

٣ - أن رواية الإمالة عنه منسوبة في العادة إلى راويّه أبي بكر شعبة بن عياش لا إلى حفص، ثم إن ابن مجاهد قد نبّه على أن حفصا روى عن غير هُبيرة أن عاصما قرأ بالتفخيم في هذا الحرف.[4]

وأما سبب الإمالة هنا فَتَطَرّفُ الألفِ، إذ هي واقعة لاما للكلمة كما أنها منقلبة عن ياء.

---

(١) الهاء في «اشتراه» تعود على كتاب الله، والواو في «علموا» تعود على اليهود.

(٢) السبعة في القراءات، ص١٦٨.

(٣) السبعة في القراءات، ص١٦٨.

(٤) انظر: السبعة في القراءات، ص١٦٨.

أما الحرف رقم ٨ المتمثل في «مرضات» من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] فقرأه الكسائي وحده بالإمالة بعد الضاد لعلة الشبه أو لأن الألف تقلب ياء في بعض المشتقات. فأصل الألف واو (من: رَضِوَ) ولكنها تقلب في صيغة الفعل الماضي ياء، فنقول: رَضِيَ، وفي اسم المفعول: مرضيٌّ عنه، وفي اسم الفاعل المؤنث: راضيّة، فكل ذلك بالياء.

وأما الحرف رقم ٩ المتمثل في «التوراة» من قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣] فاختار فيه أبو عمرو والكسائي الإمالة بعد الراء، وأشار ابن مجاهد[1] أيضا إلى أنهما أمالا الألف بين الراءين من ﴿الأبرار﴾ و﴿مِّنَ الأَشْرَارِ﴾ [ص: ٦٢] و﴿مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٦٢] و﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾. [المؤمنون: ٥٠] وواضح أن إمالتهما الألف في هذه الأحرف الأربعة الأخيرة إنما كان لأجل الكسر الذي لحق الألف وباشرها. وأما إمالتهما الألف بعد الراء في «التوراة» فلأنها شابهت ألف التأنيث التي شابهت بدورها الألف المتطرفة المنقلبة عن ياء، وذلك ما ذهب إليه أبو علي الفارسي حيث قال: «وقول من أمال: إن الألف لما كانت رابعة لم تخل من أن تشبه ألف التأنيث أو الألف المنقلبة عن الياء أو عن الواو..»[2]، وذهب ابن خالويه إلى أن الألف في «توراة» أصلها ياء، فعنده أن الكلمة أصلها «وَوْرَيَة» قلبت فيها الواو الأولى تاء، وقلبت الياء ألفا ليسهل النطق بالكلمة[3].

وأما الحرف رقم ١٠ المتمثل في «تقاة» من قوله تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨] فامال ألفها حمزة والكسائي. والأرجح أن يقال إن علة ذلك جواز انقلابها إلى ياء في بعض الأحوال أو التصاريف، فاسم الفاعل من ذلك

---

(١) راجع: السبعة في القراءات، ص٢٠١ . (٢) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٣٤٤ .
(٣) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٦ .

بالياء في قولك: قابلت مُتّقيًا الله. ولا يبعد أن يكون مقيسا على ما كان أصل ألفه الياء، وهو مذهب ابن خالويه الذي يرى أن «تقاة» أصلها «تَقَيَة» «انقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها»(١). وذهب أبو علي الفارسي إلى أن حجة الإمالة ما ذكره سيبويه من «أن قوما قد أمالوا من هذا مع المستعلي ما لا ينبغي أن يُمال في القياس... وذلك قول بعضهم: رأيتُ عِرْقًا وضيقًا»(٢). والذي عليه القياس أن الحروف المستعلية والتي منها القاف مَانِعَةٌ لإمالة الألف بتقديم وتأخير خاصة إذا كانت متصلة بها(٣).

وأما الحرف رقم ١١ المتمثل في «للأبرار» من قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨] فإن من قرأه منهم بالإمالة لم يبلغ به حدَّ الإمالة الكبرى(٤).

وأما الحرف رقم ١٢ المتمثل في «ضِعَافًا خافوا عليهم» من قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٩] فقد انفرد حمزة بإمالة الألف بعد العين والخاء. أما سبب إمالتها بعد العين في «ضِعَافًا» فلأجل كسرة الضاد السابقة عليها والمفصولة عنها، إذ أن كون الضاد وهي حرف استعلاء مكسورة غير مانع للإمالة. وقد يقيسه بعضهم على إمالة قتيبة عن الكسائي لألف «إنا» لأجل إمالة ألف «الله» من قوله ﴿إنا لله﴾ فتكون الإمالة في «ضعافا» لأجل إمالة الألف في «خافوا». والعلة الأولى أرجح وأقوى.

وأما إمالة الألف بعد الخاء في «خافوا» فلأنها واقعة عينا لفعل وزنه مع تاء الضمير «فِلْت» (خِفْتُ) بكسر الفاء وحذف العين.

وذهب الأزهري إلى أن قراءة الإمالة في هذين الحرفين غير قوية، وأن النحاة لا يُجيزون فيهما إلا التفخيم(٥).

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٧.
(٢) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٣٥٣ وانظر: كتاب سيبويه: ٤/١٣٧.
(٣) راجع تفصيل ذلك: كتاب سيبويه: ٤/١٣٤.
(٤) انظر: السبعة في القراءات، ص٢٢٢. (٥) معاني القراءات: ١/٢٩٢.

أما الحرف رقم ١٣ المتمثل في «رأى» من قوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] فأمال ألفها أبو عمرو لتطرفها وانقلابها عن الياء، ولم تمنع الراء المفتوحة إمالتها لانفصالها عنها. وأما حمزة والكسائي وابن عامر وكذا عاصم في رواية شعبة فإنهم أمالوا الألف للعلة المذكورة وأمالوا قبلها فتحة الراء لمجاورتها الألف الممالة، وهو ما ذهب إليه ابن خالويه في قوله: «والحجة لمن أمال الهمزة والراء قبلها فإنه أتبع بعض الحروف بعضا بالإمالة، وكسر الياء بواجب الإمالة، وكسر الهمزة لمجاورة الياء، وكسر الراء لمجاورة الهمزة»[١].

وأما الحرف رقم ١٤ المتمثل في «هدان» من قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام أيضا ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: ٨٠] فانفرد الكسائي بإمالة الألف فيه لوقوعها لاما للفعل وانقلابها عن الياء، وإليه ذهب ابن خالويه فقال: «فالحجة لمن أمال أنه في الأصل من ذوات الياء»[٢].

وأما الحرف رقم ١٥ المتمثل في «هار» من قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾. [التوبة: ١٠٩] فقد قرأه بإمالة الألف كل من نافع وأبي عمرو والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر شعبة، واختلف عن ابن عامر[٣]. وعلة ذلك كون الألف قد تلاها كسر، ولم يمنع الإمالة كون المكسور هو الراء، ووزن «هَارٍ» فَالٍ لأن أصلها «هَايِرٌ» ولكن الياء أُخّرت وقُدّمت الراء مكانها على القلب المكاني فعُوملت الكلمة معاملة الاسم المنقوص، ويجوز القول بناء على ذلك بأن علة الإمالة هي الياء الواقعة تقديراً بعد الألف[٤].

---

(١) الحجة في القراءات السبع، ص١٤٣ .

(٢) نفسه، ص١٤٤ .

(٣) قيل: إن ابن عامر قرأ هذا الحرف بالإمالة، وقيل: قرأه بالفتح، انظر: السبعة: ص٣١٩ بالهامش.

(٤) انظر: النشر: ٢/٥٧ والحجة في القراءات السبع: ص١٧٧ .

وأما الحرف رقم ١٦ المتمثل في «آلر» أول سورة يونس فقرأه بالإمالة بعد الراء كل من حمزة والكسائي وأبي عمرو وابن عامر وعاصم فيما رواه عنه شعبة وكذا نافع فيما رواه عنه ابن جمّاز، وذلك لأجل الفرق بين الاسم والحرف، وكذلك فعلوا في الألف بعد الراء من «آلر» في أول هود ويونس وإبراهيم والحجر، وفي الألف بعد الراء من «آلمر» أول الرعد[١]. غير أن نافعا قد اختلف عنه في الخمس الأخيرة بين الفتح والإمالة الصغرى.

وأما الحرف رقم ١٧ المتمثل في «أدراكم» من قوله تعالى على لسان سيدنا محمد ﷺ ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ﴾ [يونس: ١٦][٢] فقرأه بإمالة الألف بعد الراء حمزة والكسائي وأبو عمرو وابن عامر وكذا شعبة عن عاصم، والعلة في ذلك انقلاب الألف عن الياء، ووقوعها رابعة، من الفعل درى يدري دراية[٣]، إلا أن الإمالة تَضْعُفُ لا نفتاح الراء التي باشرتها الألف.

وأما الحرف رقم ١٨ المتمثل في «مجراها ومرساها» من قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١] فقرأ ذلك بإمالة الألف بعد الراء من «مجراها» وبعد السين من «مرساها» كل من حمزة والكسائي ونافع وشعبة عن عاصم، وقرأ أبو عمرو بالإمالة في الأولى فقط. وعلة ذلك وقوع الألف رابعة منقلبة عن الياء. وقد يذهب بعضهم إلى أن إمالة الألف في الثانية كان إتباعا أو مجاورة لإمالة أختها في الأولى. ولعل بعضهم أيضا يجيز ذلك لعلة الشبه بـ«فُعْلَى». ولم يمنع حرف الراء الإمالة في الكلمتين لانفصاله عن الألف.

أما الحرف رقم ١٩ المتمثل في «رؤياك» من قوله تعالى على لسان أبي يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] فانفرد فيه الكسائي بإمالة الألف لأنها مسبوقة بالياء.

---

(١) انظر: النشر: ٢/ ٦٦.

(٢) ومعنى «لا أدراكم به»: لا أعلمكم به (أي بالقرآن) على لساني. انظر: الكشاف: ٢/ ٣٣٥.

(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٨٠.

وأما الحرف رقم ٢٠ المتمثل في «يلقاه» من قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣] فقرأه حمزة والكسائي بإمالة الألف بعد القاف لأنها وقعت رابعة منقلبة عن الياء (أصل الفعل لَقِيَ)، ولم تمنع القاف الإمالة مع كونها حرفا من حروف الاستعلاء المانعة للإمالة لأن الألف إذا خرجت من موضعها استعلت مثلها[١]. وإنما أميلت الألف لتغليب العلة السابقة وهي علة مزدوجة: وقوع الألف رابعة وانقلابها عن الياء، ثم مجيء الهاء بعدها، وهي حرف ضعيف فيه هشاشة حاله حال هاء التأنيث الموقوف عليها بعد الألف الممالة لأجلها، ثم إن إمالة الألف بعد القاف هو مما يفعله بعض العرب على غير قياس، وقَدْ نَبَّهَ عليه سيبويه فقال: «وقد أمال قوم في هذا ما لا[٢] ينبغي أن يمال في القياس .. وذلك قول بعضهم: رأيت عرْقًا وضِيقًا»[٣].

وأما الحرف رقم ٢١ المتمثل في «أعمى .. أعمى» من قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[الإسراء: ٧٢] فقد قرأه حمزة والكسائي وأبو بكر شعبة عن عاصم بإمالة الألف في الأولى والثانية، وأمالها أبو عمرو في الأولى فقط. وعلة إمالة الألف هنا وقوعها رابعة متطرفة ومنقلبة عن الياء.

وأما الحرف رقم ٢٢ المتمثل في «نأى» من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ [الإسراء: ٨٣] فقرأه الكسائي وحمزة فيما رواه عنه خلف بإمالة الألف والنون، وقرأه أبو بكر شعبة عن عاصم وخلاد عن حمزة بإمالة الألف بعد الهمزة فقط. وتعليل الإمالة فيه كتعليل الإمالة في الحرف رقم ١٢ حيث أميلت الألف لتطرفها وانقلابها عن الياء (مصدرها: النأي) وأميلت فتحة النون لمجاورتها الألف الممالة أو الهمزة التي أميلت الفها[٤].

---

(١) انظر: كتاب سيبوية: ٤/ ١٢٩ .

(٢) في الأصل: ما ينبغي، والتصحيح من الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٣٥٣ .

(٣) كتاب سيبويه: ٤/ ١٣٤ .

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٢٢٠، وإعراب القراءات: ١/ ٣٨١ .

وأما الحرف الأخير رقم ٢٣ المتمثل في «أنسانيه» من قوله تعالى على لسان فتى سيدنا موسى عليه السلام ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف : ٦٣] فقد انفرد الكسائي فيه بإمالة الألف بعد السين لأنها وقعت رابعة منقلبة عن الياء (أصل الفعل: نَسِيَ)، ثم إنه قد تلاها كسر بدون فاصل، وكل ذلك يجعل الإمالة قوية[١].

هذه علل ما أميل إمالة كبرى من النصف الأول من القرآن الكريم، أتينا على الإحاطة بها وبسطها وردها إلى ما ذكرناه قبل ذلك مما اتفق بشأنه من تلك العلل. وقد تبيّن بجلاء أن العلة الغالبة من ضمن ما ذكر في إمالة الألف خاصة هي كون هذه الألف منقلبة عن الياء، سواء ما تطرف منها كأحيى، واشترى، ورأى، وأدرى، ومجرى، ورؤيى، ويلقى، ونأى، وأنسى، أو ما ورد منها عينا لفعل كُسرت فاؤه مع تاء الضمير وحذفت عينه كزاد. وقد أخذت علة الشبه وعلة مجاورة الكسر حظهما حيث جاءا بعد ما كان أصله ياء من تلك الألفات.

* * *

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٢٢٦، وإعراب القراءات: ١/٤٠٠ .

المبحث الثاني : الإمالة الصّغرى والفتح

أولا : الإمالة الصغرى

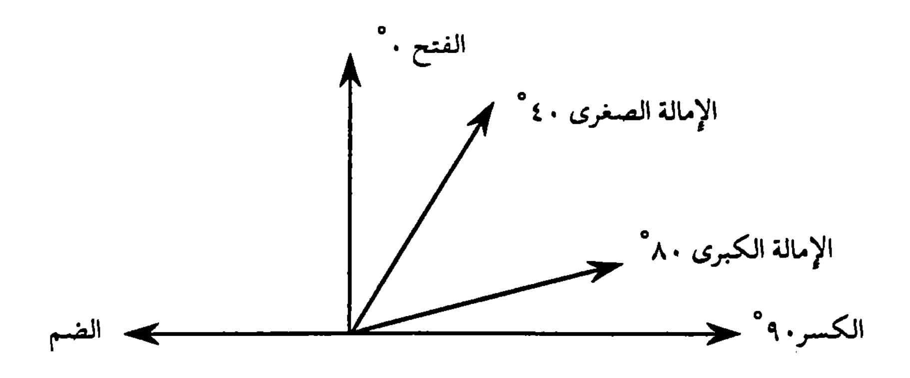
سبقت الإشارة إلى تعريف الإمالة الصغرى كدرجة ثانية من الإمالة. ويكثر الإشارة إليها عند علماء القراءات بعبارة «بين بين»، ويعنون بذلك أن النطق بالألف أو الفتحة يكون فيه اللسان في وضع وسط بين وضع الفتح المطلق ووضع الإمالة الكبرى.

والواقع أنه لا يمكن تحديد درجة الإمالة الصغرى بشكل دقيق، وكذلك هو حال الإمالة الكبرى، ومع ذلك فإنه يمكن أن نحدد ذلك بشكل تقريبي كما يأتي:

لنفرض مثلا أن الضم والكسر على طرفي نقيض، أي أنهما رأس خط مستقيم وأن الفتح وسط بين ذلك، أي أنه رأس خط مستقيم عمودي على خطّ الضم والكسر، وهو ما يعني أن الفتح والكسر يمثلان طرفين لزاوية قائمة بدايتها عند الفتح ونهايتها عند الكسر. وعليه فإن الإمالة الكبرى لابد أن تكون أقل من ٩٠° درجة لأنها إذا تطابقت مع الكسر صارت قلبا، وذلك محال، وإنما سمّاها بعضهم «كسرا» – كما أشرنا إلى ذلك في تعريفها – من باب أنها إليه أقرب لكنها لم تبلغه، وعليه يمكن أن نحدد درجتها بـ ٨٠° درجة تقريبا ويرمز لها بالرمز الدولي "e" (١) وتكون الإمالة الصغرى عند وسط المنحنى الممتد بين درجة الفتح (٠° درجة) ودرجة الإمالة الكبرى (٨٠° درجة)، وهو ما يمثل الدرجة ٤٠° تقريبا. ويمكن تحديد ذلك على شكل بياني كالآتي:

---

(١) راجع: الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص٤٤ .



فالإمالة الصغرى – كما يشير إلى ذلك الشكل – هي الانحراف أو الميل بالفتحة نحو الكسرة أو بالألف نحو الياء بلغ نصف درجة انحرافها عند الانتقال من الفتح إلى الإمالة الكبرى، وهو وضع يجعل الصائت المنطوق به مزيجا من الفتح والكسر في إمالة الفتحة ومزيجا من الألف والياء في إمالة الألف، وقد رمزلها بعض الدارسين بالرمز "E"(١).

يهمنا كثيرا هنا أن نؤكد على أن هذا الوضع كان الهدف منه هو التخفيف في النطق من غير مبالغة، وكذلك هو هدف الإمالة الكبرى وإن كانت درجتها تعدل ضعفي درجة الإمالة الصغرى. كذلك فإن الإمالة الصغرى إنّمَا أسباب اللجوء إليها هي الأسباب نفسها التي لأجلها كانت الإمالة الكبرى.

هذا النوع من الإمالة اختاره الإمام نافع مذهبا له فاشتهر به. يدل على ذلك أنه ما من قراءة لألف أو فتحة بالإمالة الصغرى قد رُوِيَتْ إلا كان له تفرّدٌ فيها أوْ كَانَ هو رأسا في ذلك وغيره معطوفا عليه تابعا له. ذلك ما يمكن ملاحظته أو استخلاصه من مجموع ما قرئ بالإمالة الصغرى في النصف الأول من القرآن الكريم، وهو الأحرف المذكورة في الجدول رقم ٥؛ فقد انفرد نافع بقراءة أكثرها منتحيًا بالألف بين بين، وذلك في كل من: الحرف رقم ١ (فزادهم) والحرف رقم ٣ (بالهدى) والحرف رقم

(١) انظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص٤٤ .

٦ (أسارى) والحرف رقم ١٣ (رأى). وقد وافقه بعض القراء في إمالة الألف إمالة صغرى في ثلاثة أحرف هي: الحرف رقم ٥ (فأحياكم) وافقه في إمالة الألف بعد الياء كل من الكسائي وأبي عمرو، والحرف رقم ٩ (التوراة) وافقه في إمالة الألف بعد الراء إمالة صغرى حمزة، والحرف رقم ١١ (للأبرار) أمال الألف الفاصلة بين الراءين معه كل من حمزة وأبي عمرو وابن عامر والكسائي، وأمال الأربعةُ كلَّ ألف بين راءين، والراء الثانية مكسورة[١].

إن مذهب نافع بصفة عامة يقوم على قراءة الألف التي أصلها ياء – وهي المعروفة عند القراء بذوات الياء – من الأسماء والأفعال وما شُبّه بذلك فحمل محمله بين الفتح والإمالة الكبرى. وقد أكد ابن مجاهد على ذلك في مواضع عدة من كتاب «السّبعة» من ذلك ما قاله في معرض حديثه عن الخلاف في قراءة الحرف رقم ٣: «كان نافع لا يفتح ذوات الياء ولا يكسر، مثل قوله: الهدى والهوى والعمى واستوى وأعطى وأكدى، وما أشبه ذلك، كانت قراءته وسطا في ذلك كلّه. وكذلك: يحيى وموسى وعيسى والأنثى ولليسرى وللعسرى ورأى ونأى»[٢].

كما كان نافع يجعل الألف بين بين إذا كان أصلها ياء واقعة عينا للكلمة وكذا ما كان أصله واوا إذا كان يُحذف مع تاء الضمير، وهو ما نبّه عليه ابن مجاهد عند إشارته إلى قراءة نافع للحرف رقم ١ حيث قال: «وكذلك أخوات فزادهم لا مفتوح ولا مكسور».[٣] وهذا يعني أن ما كان الإمام حمزة يقرأه بالإمالة الكبرى كان الإمام نافع يقرأه بالإمالة الصغرى. من ذلك: شاء وجاء وخاب وطاب وضاق وخاف وحاق[٤]. وقد حمل ورش ذلك عنه وأذاعه.

والواقع أن اختيار نافع للقراءة بالإمالة الصغرى فيما ذُكر من أحرف مذهب يعتمد بالأساس على ما هو شائع مأخوذ به عند المسلمين من أن خير الأمور أوسطها،

---

(١) انظر: السبعة: ص٢٢٢ . (٢) السبعة: ص١٤٥ . (٣) السبعة: ص١٤٢ .
(٤) انظر: السبعة، ص١٤١ . والتسيير في القراءات السبع: ص٤٨ . والنشر: ٢/ ٤٨ .

ولذلك وجدت بعض اللغويين يتخذ ذلك حجة لا ختيار قراءة نافع؛ قال ابن خالويه في الاحتجاج لقراءة نافع ألفَ «رأى» بين الفتح والإمالة الكبرى: «والحجة لمن قرأها بين بين أنه عدل بين اللّفظيْن، وأخذ بأوسط اللّغتيْن»[١].

ثانيا : الفتح

الفتح في اللغة نقيض الإغلاق. وهو في الاصطلاح ضد الإمالة، إذ يعني النطق بالصوت مع فتح الفم، وهو لذلك حركة من الحركات تقابل الكسر والضم استمدت معناها من فتح الممر الهوائي عند الحلق والشفتين.

وعرّفه ابن الجزري فقال: هو «عبارة عن النطق بالألف مركبة على فتحة خالصة غير ممالة، وَحَدُّهُ أنْ يُؤتى به على مقدار انفتاح الفم، مثاله قال تُرَكّبُ صوتَ الألف على فتحة القاف، وهي فتحة خالصة لا حَظَّ للكسر فيها، معترضة على مخرج القاف اعتراضا. وحقيقته أنْ ينفتح الفم بالنطق بقال ونظيره كانفتاح الفم في كان ونظيره»[٢].

يطلق عليه القدماء من اللغويين وعلماء القراءات أكثر من اسم فَيُسَمُّونَه أحيانا الفتح وأحيانا التفخيم وأحيانا النصب[٣]. والأنسب تسميته بالفتح لـمَا وَضُح من معنى ذلك أو التفخيم إذا كان المراد الانتحاء بالألف نحو الضم مبالغة في الفتح كما هو الحال في نطْقنا للصلاة والزكاة والحياة[٤]. أما تسميته نصبًا فمن النصب في النحو الذي هو نظير الفتح في البناء[٥]. وقد غلب تسميته بهذا الاسم عند سيبويه[٦].

قسم ابن الجزري الفتح إلى نوعين: فتح شديد، وفتح متوسط، «فالشديد هو

---

(١) الحجة في القراءات السبع، ص١٤٢ . (٢) التمهيد في علم التجويد: ص٧١ ، ٧٢ .
(٣) انظر: النشر: ٢/٢٩ . (٤) انظر: لسان العرب: ٥/٣٣٦٢، مادة: فخم.
(٥) انظر المرجع نفسه: ٦/٤٤٣٧، مادة: نصب.
(٦) انظر: كتاب سيبويه: ٤/١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٣ .

نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف [الملفوظ به] »[١] وهو منعدم - عنده - في لغة العرب، لا يكون في الأصل إلا في نطق الأعاجم. « والفتح المتوسط هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة (أي الصغرى) »[٢]. ذلك هو المعروف الذي يخصونه بلفظ الترقيق.

وكيفما كان نوع الفتح، فإن ذلك لم يكن موضع خلاف كبير بين العلماء أو الدارسين، إنما الخلاف كان في نظرتهم إلى الفتح مقابل الإمالة: أيهما الأصل وأيهما الفرع؟ « فذهب جماعة إلى أصالة كل منهما وعدم تقدمه على الآخر... وقال آخرون: إن الفتح هو الأصل وإن الإمالة فرع بدليل أن الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب، فإنْ فُقِدَ سببٌ منها لزم الفتح، وإن وُجد شيءٌ منها جاز الفتح والإمالة »[٣]. ومن ثم كان الفتح أعم في كلام العرب فكل ممال يجوز فتحه وليس كل مفتوح تجوز إمالته.

على كل حال لا يهمنا كثيرا ما وُجد من خلاف في هذا الأمر، ونحن نميل إلى القول بأصلية الفتح وأسبقيته على الإمالة. وإنا ليهمنا أكثر في هذا المقام أن نقف على ما تعلل به مَنْ قرأ بالفتح في مقابل مَنْ قرأ بالإمالة، وذلك فيما ورد من الأحرف المذكورة.

في الواقع، إن الدارسين وقبلهم العلماء لم يهتموا كثيرا بالإحالة على الأسباب التي لأجلها اختار بعض القراء الفتح كاهتمامهم بإبراز أسباب الإمالة، لا لشيء إلا لكون أكثرهم كانوا ينظرون إلى أن قراءة الفتح هي القراءة الطبيعية التي اعتاد عليها عامة المسلمين، أو أنها هي الأصل الذي يرونه، وأن الفتحة هي الحركة الأخف على اللسان العربي.

إن نظرة في الجدول رقم ٥ تبيّن بوضوح أن نسبة الفتح المقروء به أعلى بكثير

---

(١) النشر: ٢/ ٢٩، ٣٠.   (٢) النشر: ٢/ ٣٠.   (٣) النشر: ٢/ ٣٢.

من نسبة الإمالة بدرجتيْها الكبرى والصغرى معًا، فقد بلغت نسبة الفتح في الأحرف الثلاثة والعشرين (٢٣) المذكورة ٦٠٪ تقريبا، في حين بلغت الإمالة بدرجتيْها ٤٠٪ تقريبا، وذلك بناء على أن مجموع نقاط الفتح والإمالة في الأحرف المذكورة عند القراء السبعة قد بلغ ١٥٠ نقطة تقريبا منها ٩٠ نقطة تقريبا للفتح وحده، و٦٠ نقطة تقريبا للإمالة الكبرى والصغرى معًا.

إن أهم ما تدل عليه هذه المعطيات هو أن لغة الفتح في قراءة القرآن غالبة على لغة الإمالة، وذلك راجع لأسباب لغوية بحتة بالدرجة الأولى، يأتي في مقدمتها كون الفتح هو الأصل الغالب في لغات العرب.

وربما كان لأسباب أخرى عقائدية أو قبلية نصيبها في هذه الغلبة، ونعني بذلك على وجه الخصوص ما كان للرسول ﷺ من منزلة لدى مجموع المسلمين والقراء منهم بخاصة، فكما أنه فوق كل الناس منزلة، فإن لغته القرشية الحجازية الخالية من الإمالة هي أيضا فوق كل اللغات.

ومعلوم أن قريشا كانت أهم القبائل الحجازية والعربية على الإطلاق، ومن ثم فقد كانت لغتها لها التقدمة على غيرها خاصة فيما كانت له صلة بالنص القرآني[١]. فوجدّت القراء لذلك أكثر ميْلا إليها.

يمكن إذًا الاستناد إلى غلبة الفتح وخفته على تبرير غلبته في قراءة القرآن، حتى أن بعض الدارسين ذهب إلى القول أن الفتحة أخف حتى من السكون أي من اللاحركة[٢]. غير أن بعض العلماء أو القراء تميزوا بالإضافة إلى ذلك بعلل خاصة يمكن إيجازها فيما يلي:

---

(١) يشيع في الأثر أن القرآن نزل بلغة قريش، وهو ما اعتمده الخليفة عثمان – عند كتابة المصاحف – فيما اختلف فيه. راجع «جمع عثمان» للقرآن في الباب الأول.

(٢) انظر: إحياء النحو، لإبراهيم مصطفى. الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٢، ص٨١ .

أ - **علة الأصل**: اشتهر في الإحالة عليها ابن خالويه. والأصل عنده نوعان:

١ - الأصل اللغوي: وقد استند إليه في التعليل لمن قرأ بالفتح في الحرف رقم ٨ المتمثل في «مرضات» فقال بعد أن ذكر قراءة الكسائي للألف الممالة: «وفخمها الباقون، والحجة لهم أن الألف منقلبة من واو، وأصلها مَرْضَوَةٌ من الرضوان، فقلبت الواو ألفًا لتحريكها وانفتاح ما قبلها، فكان التفخيم أولى بها من الإمالة»(١).

٢ - اعتباره الفتح هو الأصل والإمالة فرع عليه، وقد استند إلى هذا الأصل في التعليل لقراءة أحرف كثيرة بالفتح منها أحرف ذكرناها وهي الحاملة للأرقام: ٩، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ٢١، فإن تعليله في هذه لا يخلو من عبارة «فالحجة لمن قرأه بالتفخيم أنه أراد أن يأتي به على أصل الكلام» أو ما هو في معنى ذلك(٢).

ب - **علة الوصل**: وهي العلة التي لأجلها قرأ أبو عمرو بن العلاء أحرفا كثيرة في القرآن بالفتح خاصة منها ما كان آخره ألفا أصلها ياء. فإن أبا عمرو يجعله بين الفتح والإمالة إذا كان رأس آية «فإذا لم يكن رأس آية فتح مثل ﴿قَضَىٰ أَجَلاً﴾ [الأنعام: ٢] و﴿وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦، ١٥٩، ١٧٥، ١٨٥] و﴿اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] و﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٢] و﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩] و﴿فَأَحْيَا﴾ [البقرة: ١٦٤] فإنه بالفتح كلّه»(٣).

جـ - **علّتا التكرير والاستعلاء**: ذكرنا في بداية هذا الفصل أن الراء المكسورة تجوز إمالة الفتحة السابقة عليها بشروط سبقت الإشارة إليها، غير أن الراء التي تكون الألف مدا لها يمتنع إمالتها لأن التكرير الذي فيها يمنع ذلك(٤). وبتكررها هي يتكرر فتحها فيقوى، فإذا كان ذلك الفتح عبارة عن حركة طويلة (ألف)

---

(١) الحجة في القراءات السبع، ص٩٥ .

(٢) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٠٦، ١٤٤، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ٢٢٠ .

(٣) السبعة في القراءات، ص١٤٥ وانظر: ص١٥١ .

(٤) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٣٤٤، وكتاب سيبويه: ٤/١٣٦ .

تضاعفت قوته فيمنعه ذلك من أن يميل نحو الكسر. ومن أمثلة ما كانت علة فتحه تكرير الراء قراءة ابن كثير وعاصم وابن عامر في الحرف رقم ٩ المتمثل في «التوراة».

أما حروف الاستعلاء (خ، غ، ق، ص، ض، ط، ظ) فإنها عند اللغويين تُعدُّ أقوى مُضْعِفات الإمالة، بل هي مانعة لها موجبة للفتح - إلا ما شذّ من أحرف[1] - خاصة إذا كانت الألف مدّا لأحدها أو كان حرف الاستعلاء مباشرا لها، وذلك لأن الألف التي أميلت نحو الأعلى يكون من الصعوبة بعد ذلك أن نميلها نحو الأسفل. قال سيبويه: «وإنما مَنَعَتْ هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها»[2]. ومن أمثلة ما كانت علة فتحه اجتماع الألف مع حروف الاستعلاء قراءة عامة القراء في الحرف رقم ١٠ المتمثل في «تقاة» وقراءتهم في الحرف رقم ٢٠ المتمثل في «يلقاه»، فقد اجتمعت القاف فيهما مع الألف بتقديم فغلبت قراءتهما بالفتح، واختار فيهما حمزة والكسائي الإمالة، وقد شذّذ ذلك النحويون[3]. وإن الإمالة لتغلب على الألف إذا كانت مع حروف مستفلة، مثل ألف مساجد[4].

د - **علة القياس**: استند إليها بعضهم، من ذلك ما ذكره ابن خالويه في علة تفخيم الألف من «تقاة» فهي عنده مقيسة على غيرها كـ«قضاة» و«رماة»؛ ذلك لأن «لفظ الياء قد زال بانقلابها فزال حكمها - معه - كما قالوا: قضاة ورماة بالتفخيم»[5].

وردَّ الأزهري إلى هذه العلة قراءة الفتح في «ضعافًا خافوا» فقال: «الإمالة فيهما غير قوية عند النحويين فلا يُقْرآن إلا بالتفخيم»[6]. أي أن النحويين، وهم أهل القياس، لا يجيزون غير الفتح في ذلك حملا على ما هو جار عندهم في العربية.

---

(١) راجع: كتاب سيبويه: ٤/ ١٣٤.
(٢) نفسه: ٤/ ١٢٩.
(٣) انظر: كتاب سيبويه: ٤/ ١٣٤.
(٤) نفسه: ٤/ ١٢٩.
(٥) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٧.
(٦) معاني القراءات: ١/ ٢٩٢.

هـ- **علة أفصح اللغات**: وهي العلة التي عَوَّل عليها أبو منصور الأزهري في تفضيله لقراءة الفتح على قراءة الإمالة في بعض الأحرف، من ذلك الحرف رقم ١٥ المتمثل في «هار» حيث يرى أن الإمالة والفتح فيه «هما لغتان، والتفخيم أفصح اللغتيْن»(١).

هذا كل ما أمكننا الإحاطة به بخصوص الإمالة والفتح وعلل القراءة بهما، ولولا أننا كنا نريد الإيجاز لطال مقامنا في ذلك أكثر. وأنت ترى في النهاية أنه إذا كان الفتح هو اللغة الأفصح الغالبة، فإن الإمالة لغة فصيحة لا يخلو سبب اللجوء إليها من أن يكون طلب الخفة أو العمل على الانسجام الصوتي، هذا الانسجام الذي نجد له منزلة خاصة في الفصل الآتي.

(١) معاني القراءات: ١/٤٦٦ .

الفصل الرابع
لغات بين التحريك والإسكان

المبحث الأول : بين الفتح والضم

في العربية ثلاث حركات أو صوائت قصيرة هي الفتحة والضمة والكسرة، والفتحة هي أخف هذه الحركات وأقلها جهداً عضليا على الإطلاق، تليها الكسرة، وأثقلها الضمة.[1] وعليه يكون بديهيا لو أننا عللنا لما قرئ بالفتح بأنه قد اختير دون غيره لخفته، وكذلك ما قرئ بالإسكان، وأن ما قرئ بالكسر قد اختير لأنه أخف من الضم. إن ذلك يبدو منطقيا جدًا، ولكنه - مع ذلك - يعتمد على بعض العلل اللغوية التي تخص بعض القراءات دون الأخرى نتيجة لما يتميّز به بعض الأحرف عن غيرها، سوف نتحدث عنها بعد قليل.

أولا : المختلف فيه بين الفتح والضم

وعدد أحرف ذلك اثنا عشر (١٢) حرفا، هي المبيّنة في الجدول الآتي :

جدول رقم : (٦)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالفتح / بالضم	المقرئ
١	غَرفة	وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ	البقرة ٢٤٩	بفتح الغين	ابن كثير ونافع وأبو عمرو
				بضم الغين	ابن عامر وعاصم وحمزة الكيسائي
٢	بربوة	كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ	البقرة ٢٦٥	بفتح الراء	عاصم وابن عامر
				بضم الراء	ابن كثير وأبو عمرو ونافع وحمزة والكسائي

(١) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ص١٢٧ .

٣	ميسرة	وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ	البقرة ٢٨٠	بفتح السين	السبعة عدا نافع
				بضم السين	نافع
٤	قرح	إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ	آل عمران ١٤٠	بفتح القاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (رواية حفص)
				بضم القاف	حمزة والكسائي وعاصم (رواية شعبة)
٥	كرها	لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا	النساء ١٩	بفتح الكاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم
				بضم الكاف	حمزة والكسائي
٦	بالبخل	وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ	النساء٣٧	بفتح الباء	حمزة والكسائي
				بضم الباء والخاء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم
٧	بزعمهم	فَقَالُوا هَذَا لله بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا	الأنعام ١٣٦	بفتح الزاي	السبعة عدا الكسائي
				بضم الزاي	الكسائي
٨	الرشد	وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَيَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً	الأعراف ١٤٦ والكهف ٦٦	بفتح الراء	حمزة والكسائي
				بضم الراء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم
٩	ضعفا	الآنَ خَفَّفَ الله عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا	الأنفال ٦٦	بفتح الضاد	عاصم وحمزة
				بضم الضاد	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي
١٠	هيت	وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ	يوسف ٢٣	بفتح التاء	أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي نافع وابن عامر[١]
				بضم التاء	ابن كثير

(١) نافع وابن عامر قرآ هذا الحرف بكسر الهاء وفتح التاء .

١١	السّدّيْن	حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا	الكهف ٩٣	بفتح السين	ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (رواية حفص)
				بضم السين	نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم (رواية شعبة)
١٢	الصّدفيْن	حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا	الكهف ٩٦	بفتح الصاد والدّال	نافع وحمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بضم الصاد والدّال	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (رواية شعبة)

إن الذي يمكن استخلاصه من هذا الجدول أمرين اثنين :

١ - أن معظم المختلف فيه بين الفتح والضم من هذه الأحرف المذكورة جاء فاء للكلمة، وذلك يصدق أيضا على أكثر الأحرف التي لم نذكرها والمختلف فيها بين الفتح والضم. ولم يختلف في غير فاء الكلمة من الأحرف المذكورة سوى في ثلاثة أحرف هي الحاملة للأرقام : ٣ (ميسرة) الذي اختلف في السين منه وهي عين الكلمة، و١٠ (هيت) الذي اختلف في التاء منه وهي لام الكلمة، و١٢ (الصدفين) الذي اختلف في الدال منه وهي عين الكلمة وذلك تبعا لاختلافهم في الصاد منه وهي فاء الكلمة.

٢ - أن اختيار القراء بين الفتح والضم اختيار متوازن إلى حد كبير، فقد تساوت نسبة القراءة بالفتح والقراءة بالضم عند كل من ابن كثير ونافع وابن عامر فقرأ كل واحد منهم ست مرات بالفتح وست مرات بالضم. وقرأ كل من أبي عمرو وحمزة سبع مرات بالفتح وخمس مرات بالضم، وعكس الكسائي فقرأ خمس مرات بالفتح وسبع مرات بالضم. وكان عاصم أكثرهم ميلا إلى القراءة بالفتح حيث بلغت نسبة ذلك عنده ٦٢,٥٪ ونسبة الضم ٣٧,٥٪.

ثانيا : علل المختلف فيه بين الفتح والضم

إن البحث في أمر التعليل لهذا المختلف فيه بين الفتح والضم المبيّن في الجدول السابق (رقم ٦) لابد أن يُعوّل فيه على شيء مما يأتي :

١ - أنّ هذا الاختلاف لغات من لغات العرب كله جائز؛ فالفتح جائز فصيح والضم جائز فصيح أيضا، يدعم ذلك ما لوحظ عند القراء حيث « لم يكن لهم مذهب واحد في القراءة بالفتح أو بالضم »[١]. وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن الفتح لغة أهل الحضر وأن الضم لغة أهل البوادي[٢]، ولكن ذلك لا يصدق في جميع الحالات، ونحن نفضل أن يقال : إن الفتح غالب عند الحجازيين وإن الضم غالب عند غيرهم من أهل نجد[٣]. ووصف الفتح والضم بأن كلا منهما لغة أمرٌ كثيرا ما تشير إليه المعاجم العربية والدراسات اللغوية القديمة، فالحرف رقم ١ (غرفة) ورد بخصوصه في لسان العرب : « والغَرفة والغُرفة ما غُرف »[٤] من ماء ومرق ونحوهما. وقال ابن خالويه في فتح الراء وضمها من الحرف رقم ٢ (بربوة) : « وهما لغتان فصيحتَان »[٥] قيل الفتح لغة تميم والضم لغة قريش[٦]. وهو ما علل به قراءة الفتح والضم في الحرف رقم ٣ (ميسرة)[٧] وبه علل الأزهري قراءة الفتح والضم في الحرف رقم ٤ (قرح)[٨]. وفي لسان العرب أن « القَرح والقُرح لغتان . . . وأكثر القراء على فتح القاف »[٩]. وورد بخصوص الحرف

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ص ١٣١ .

(٢) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ص١٣٢ .

(٣) انظر : من لغات العرب : لغة هذيل - عبدالجواد الطيب - القاهرة ١٩٨٥، ص٣٠ .

(٤) لسان العرب : ٥ / ٣٢٤٢، مادة : غرف .

(٥) الحجة في القراءات السبع : ص١٠٢، وقيل إن في « ربوة » لغات ذكر منها في لسان العرب تسع هي : الرَّبْو والرُّبْوَة والرَّبْوَة والرِّبْوَة والرُّباوة والرِّباوة والرّابية والرُّبَاة (انظر : مادة : ربا) .

(٦) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : ص٣١٠ .

(٧) انظر : الحجة في علل القراءات السبع : ص١٠٣ . (٨) انظر : معاني القراءات : ١ / ٢٧٤ .

(٩) لسان العرب : ٥ / ٣٥٧١ مادة : قرح .

رقم ٥ أن أهل اللغة أجمعوا على «أن الكَرْهَ والكُرْهَ لغتان فبأي لغة وقع فجائز»[١]. وقال الأزهري بخصوص الحرف رقم ٦ إن الفتح والضم فيه «هما لغتان؛ البُخْلُ والبَخَلُ، فاقرأ كيف شئت»[٢]. وكذلك الأمر بالنسبة للحرف رقم ٧ فإنهم يُجمعون على أن الزَّعْمَ والزُّعْمَ لغتان فصيحتان، قيل الفتح لغة أهل الحجاز والضم لغة بني أسد[٣]، وذكر الفرّاء لغة ثالثة الزِعْمُ بكسر الزاي[٤]. كما أجمعوا أيضا على أن فتح الراء وضمها من الحرف رقم ٨ (الرشد) لغتان في مصدر «رشد» إضافة إلى لغة ثالثة هي الرَّشاد. وفي لسان العرب أن «الرُّشْدَ والرَّشَدَ والرَّشاد: نقيض الغيّ. رَشَدَ الإنسان - بالفتح - يَرْشُدُ رُشْداً بالضم، ورَشِدَ - بكسر الشين - يَرْشَدُ رَشَداً ورشاداً»[٥]. كذلك فتح الضاد وضمها من الحرف رقم ٩ (ضعفا) فهما عند أهل البصرة سيّان كما حكاه الأزهري[٦]، وإن كان بعضهم يخصّ الضَّعف بفتح الضاد في ضعف الفعل والرأي، ويخصّ الضُّعف بضم الضاد في ضعف البدن[٧].

كذلك حال فتح السّين وضمها من الحرف رقم ١١ (السّدّين) وفتح الصاد وضمها من الحرف رقم ١٢ (الصّدفين) فإن ذلك مُجْمَعٌ عليه على أنه من لغات العرب بأي قرأت فقراءتك جائزة، غير أنهم اختلفوا في نسبة فتح الصاد وضمها من الحرف الأخير فقيل: الفتح لغة تميم والضم لغة الحجازيين، وقيل: الفتح لغة الحجازيين والضم لغة غيرهم[٨].

---

(١) لسان العرب: ٥/ ٣٨٦٥ مادة: كره.
(٢) معاني القراءات: ١/ ٣٠٨ وانظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٢٣ .
(٣) انظر: معاني القراءات: ١/ ٣٨٨ والحجة في القراءات السبع، ص١٥٠ .
(٤) معاني القرآن: ١/ ٣٥٦ .
(٥) لسان العرب: ٣/ ١٦٤٩ مادة: رشد. وانظر: معاني القراءات: ١/ ٤٢٣ .
(٦) معاني القراءات: ١/ ٤٤٤، وانظر: لسان العرب: ٤/ ٢٥٨٧ . مادة: ضعف.
(٧) انظر: الكشاف: ٢/ ٢٣٥ ولسان العرب، مادة: ضعف.
(٨) انظر: طلائع البشر، ص١٥٤ .

٢ – أن هذا الاختلاف مقيس على غيره، له نظير أو شبيه في كلام العرب، وذلك مذهب أبي علي الفارسي في تعليله لبعض الأحرف التي قرئت بالفتح والضم، مثل فتح السّين من الحرف رقم ٣ (فميسرة) حيث ذهب إلى أن «حجة من قرأ (إلى مَيْسَرة) – بفتح السين – أنّ مَفْعَلَة قد جاء في كلامهم كثيراً. وأما من قرأ (إلى مَيْسُرَة) بضم السّين فلأن مَفْعُلَة قد جاء أيضا في كلامهم؛ قالوا: المَشْرُبَة[١]، وقالوا: المَشْرُقَة[٢][٣]».

وعلة النظير هذه أخذ بها الفارسي أيضا في فتح الراء وضمها من الحرف رقم ٤ (قرح)، «فعنده قَرْحٌ وقُرْحٌ مثل الضَّعْفِ والضُّعْفِ، والكَرْهِ والكُرْهِ، والفَقْرِ والفُقْرِ، والدَّفُّ والدُّفُّ، والشَّهْدِ والشُّهْدِ»[٤].

وقد استند إلى هذه العلة ابن خالويه أيضا في تفسيره لقراءتيْ الفتح والضم من الحرف رقم ٦، فعنده أن البُخْلَ والبَخَلَ «كالعُدْمِ والعَدَمِ، والحُزْنِ والحَزَنِ»[٥]. وبها أيضا فسّر الفتح والضم في الحرف رقم ٨ فعنده أن الرُّشْدَ والرَّشَدَ «كقولهم: السُّقْمُ والسَّقَمُ»[٦]. وذهب إلى أن ضم التاء من الحرف رقم ١٠ (هيت) شبيه بضم الثاء من حيث، وأن فتحها وفتح الهاء معها شبيه بفتح أول وآخر: كَيْفَ وأَيْنَ ولَيْتَ[٧].

وقد عوّل مكي بن أبي طالب القيسي على هذه العلة في تفسيره لفتح السّين وضمها من الحرف رقم ١١ إذ يرى أن السَّدَّ والسُّدَّ كالضَّعْفِ والضُّعْفِ والفَقْرِ والفُقْرِ[٨].

---

(١) المشربة: هي أراضٍ دائمة النبات في الشتاء.
(٢) المشرقة: هو موضع القعود قبالة الشمس في الشتاء.
(٣) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٣٠٨ . (٤) نفسه: ٢/٣٨٥ .
(٥) الحجة في القراءات السبع: ص١٢٣ . (٦) الحجة في القراءات السبع: ص١٦٤ .
(٧) إعراب القراءات: ١/٣٠٧ وانظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٩٤ .
(٨) الكشف عن وجوه القراءات: ٢/٧٥ .

٣ - أن بعض هذا الاختلاف مرجعه إلى المجاورة أو الاتباع بغرض الانسجام الصوتى (Vowel Harmony)، وذلك ما نلاحظه على وجه الخصوص في الحرفين رقم ١١ (السّدّيْن) ورقم ١٢ (الصّدفيْن) فإن فتح السين في الأول تلائم فتح الدال التي بعدها، وأن ضم الدال في الثاني إنما كان إتباعًا لضم الصاد التي قبلها في قراءة من ضم[١].

وإن إتباع الحركة الحركة ليكون أكثر استحسانا إذا كانت الحركات المتتابعة فتحات كما هو الحال في قراءة الفتح بالأحرف «مَيْسَرَة» و«بالبَخَل» و«الرَّشَد» وكذلك «هَيْتَ»، فإن توالي الفتحات في هذه الأحرف وماشابهها يجعل الأصوات أكثر انسجاما وخفة لما يتميّز به الفتح في اللسان العربي من خفة كما أشرنا إليه في مقدمة هذا الفصل.

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع. ص٢٣٢ .

المبحث الثاني : بين الفتح والكسر

أولا : المختلف فيه بين الفتح والكسر

هذا بيان بما اختلف فيه من ذلك في النصف الأول من القرآن الكريم. وعدد ذلك خمسة عشر (١٥) حرفا منها ثلاثة مكررة هي الحاملة للأرقام : ١، ٣، ٩ .

جدول رقم : (٧)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالفتح/بالكسر	المقـــرئ
١	السّلم	ادْ خُلُوا في السّلْمِ كَافَّةً ، وَإِنْ جَنَحُوا لِلسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا	البقرة ٢٠٨ الأنفال ٦١	بفتح السين	ابن كثير ونافع والكسائي وحمزة وأبو عمرو وابن عامر (في الأنفال)
				بكسر السين	عاصم وحمزة وأبو عمرو وابن عامر (في البقرة)
٢	عَسيتم	قَالَ هَلْ عَسَيتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا	البقرة ٢٤٦	بفتح السين	السبعة عدا نافع
				بكسر السين	نافع
٣	نعِمّا	إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، إِنَّ الله نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ	البقرة ٢٧١	بفتح النون	ابن عامر وحمزة والكسائي
			النساء ٥٨	بكسر النون	ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو
٤	يَحْسَبُهم	يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ	البقرة ٢٧٣	بفتح السين	ابن عامر وعاصم وحمزة
				بكسر السين	ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي
٥	حجّ	وَلله عَلَى النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً	آل عمران ٩٧	بفتح الحاء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (رواية شعبة)
				بكسر الحاء	حمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)

٦	حَرَجًا	وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا	الأنعام ١٢٥	بفتح الراء	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بكسر الراء	نافع وعاصم (رواية شعبة)
٧	حصاده	كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ	الأنعام ١٤١	بفتح الحاء	أبو عمرو وعاصم وابن عامر
				بفتح الحاء	ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي
٨	نَعَمْ	ونَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ	الأعراف ٤٤	بفتح العين	السبعة عدا الكسائي
				بكسر العين	الكسائي
٩	ولاية	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا.	الأنفال ٧٢	بفتح الواو	السبعة عدا حمزة
		هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لله الْحَقِّ	الكهف ٤٤	بكسر الواو	حمزة
١٠	غلظة	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً	التوبة ١٢٣	بفتح الغين	عاصم (في رواية المفضل)
				بكسر الغين	السبعة
١١	هيت	وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ	يوسف ٢٣	بفتح الهاء	ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي
				بكسر الهاء	نافع وابن عامر
١٢	يقنط	قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ	الحجر ٥٦	بفتح النون	ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة
				بكسر النون	أبو عمرو والكسائي

١٣	ضيق	وَلَاتَكُ في ضيقٍ ممَّا يَمْكُرُونَ	النحل ١٢٧	بفتح الضاد	السبعة عدا ابن كثير
				بكسر الضاد	ابن كثير
١٤	افّ	أمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُمَا أوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا	الإسراء ٢٣	بفتح الفاء	ابن كثير وابن عامر (أفَّ)
				بكسر الفاء	أبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة (أفِّ) نافع وحفص (أفٍّ)
١٥	خطأً	إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا	الإسراء ٣١	بفتح الخاء	ابن عامر
				بكسر الخاء	نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي (خِطًا) ، ابن كثير (خِطاءً)

ويمكننا أن نسجل الملاحظتين الآتيتيْن بخصوص هذا المختلف في قراءته بين الفتح والكسر المثبت في الجدول السابق:

١ – أن المختلف فيه بين الفتح والكسر من الأحرف المذكورة قد انحصر في فاء الكلمة أو عينها، حيث بلغ عدد المختلف في فائه تسعة (٩) أحرف هي الحاملة للأرقام: ١، ٢، ٥، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٥ .

وبلغ عدد المختلف في عينه (ثانيه) ستّة (٦) أحرف هي الحاملة للأرقام: ٣، ٤، ٦، ٨، ١٢، ١٤ . وهو ما يعني أن نسبة المختلف في أوله من مجموع الأحرف المذكورة بلغت ٦٠٪، وبلغت نسبة المختلف في ثانيه ٤٠٪، وبناء على ذلك نفهم أن أوائل الكلم في العربية أكثر عرضة للاختلاف فيها بين الفتح والكسر.

٢ – تباينت نسب قراءتي الفتح والكسر بين القراء في الأحرف المذكورة عدا أبي عمرو وحمزة اللذين تساوت عندهما نسبة الفتح (٥٦,٦٦٪) وكذا نسبة الكسر (٤٣,٣٣٪) . وتعاكست النسبتان عند إمامي الحرمين ابن كثير ونافع، فبلغت

نسبة قراءة الفتح عند الأول ٦٠٪ ونسبة الكسر ٤٠٪، وبلغت نسبة الفتح عند الثاني ٤٠٪ ونسبة الكسر ٦٠٪.

وقد كان ابن عامر أكثرهم فتحًا (٨٣,٣٣٪) يليه عاصم (٦٣,٣٣٪) ثم ابن كثير (٦٠٪) ثم أبوعمرو وحمزة (٥٦,٦٦٪) ثم الكسائي (٤٦,٦٦٪) ثم نافع (٤٠٪). وبناء على ذلك فإن نافعًا أكثرهم كسراً (٦٠٪) يليه الكسائي (٥٣,٣٣٪).

وبالجملة فإن النسبة العامة للفتح عند مجموع القراء في الأحرف المذكورة سابقا قد بلغت ٥٨,١٪ تقريبًا، وبلغت نسبة الكسر ٤١,٩٪ تقريبًا، وهو أمر يتوافق مع ما ثبت في اللغة من أن اللسان العربي ميّال إلى الفتح.

ثانيا : علل المختلف فيه بين الفتح والكسر

إن التعليل لما اختلف فيه بين الفتح والكسر لا يخرج في معظمه عما عللنا به لما اختلف فيه بين الفتح والضم، خاصة من ذلك :

١ - **أن هذا الاختلاف لغات فصيحة**، وهو أمر نؤكد عليه في جميع أوجه الخلاف من هذا الفصل، حيث يبدو أنه هو الأصل المقدم وبقية الأسباب أو العلل فرع عليه لاحقة به.

تذكر كتب اللغة أنّ «أهل الحجاز يميلون إلى الفتح، وأن قبائل قيس وتميم تميل إلى الكسر»[1].

ونحن نستطيع أن ننسب الفتح للقبائل الحجازية بعامة، والكسر للقبائل النجدية، وذلك في حالة ثبوت القراءة بهما في الحرف الواحد، غير أن ذلك لا يعني أبدًا أن الحجازيين يلتزمون الفتح في لغتهم وأن النجديين يلتزمون هم أيضا الكسر في لغتهم، فقد ثبت في الأثر أمثلة عكس الذي اشتهر عن هؤلاء وهؤلاء، من ذلك أن

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ص١٢٩ .

قراءة الفتح في الحرف رقم ٤ المتمثل في «يَحْسَبُهُمْ» تعزى إلى التميميين وأن الكسر فيه يعزى إلى الحجازيين[١] . وهذا يعني أن نسبة الفتح لأهل الحجاز حيث ينسب الكسر لأهل نجد هو من باب التغليب ليس إلا، وإنه ليكون أحيانا صعبًا للغاية أن نحدد صاحب الفتح وصاحب الكسر، ولذلك كثيرا ما نجد علماء العربية والقراءات يشيرون في مصنفاتهم إلى أن «بعض» العرب قرأوا بالفتح و«بعضهم» قرأوا بالكسر، أو أن هذا «لغة» وذلك «لغة» أخرى، وهو المذهب الغالب عند أصحاب المعاجم العربية، وقد بني عليه ابن السكيت (١٨٦ - ٢٤٤ هـ) كثيراً من الأمثلة التي ساقها في كتابه «إصلاح المنطق» في باب ماجاء على فَعَلْتُ وفَعِلْتُ بمعنى وباب ما نُطِقَ به بفَعِلْتُ وفَعَلْتُ، من ذلك[٢]:

* «حَقَدْتُ عليه أحْقِدُ حِقْداً، وحَقِدْتُ أَحْقَدُ لغة».
* «وقد حَذَقَ الغلامُ القرآن والعملَ يَحْذِقُ.. وقد حَذِقَ يَحْذَقُ».
* «وقد زَلَلْتَ يافلان تَزِلُّ.. وقال الفراء: يقال زَلِلْتَ تَزَلُّ».
* «وقد نَكِفْتُ من الأمر أنْكَفُ إذا استنكفت منه، قال الفراء: وَنَكَفْتُ عنه لغة».
* «وقد رَكِنْتُ إلى الأمر أَرْكَنُ إليه رُكُونًا، ورَكَنْتُ أَرْكُنُ لغة، إذا ملت إليه».
* «ويُقال: فَضَلَ الشَيْءُ يَفْضُلُ، وفَضِلَ يَفْضَلُ».

وأمثله هذا كثيرة في اللغة، ونحن نعتقد أن مَنْ لم ينسب ذلك من العلماء إلى بعض العرب دون البعض الآخر يكون قد فعل ذلك لأن الفتح فصيح والكسر فصيح كذلك، وأنه لا يهمهم بعد ذلك إذا عُرف صاحب الفتح وصاحب الكسر أو لم يعرف.

وإذا علمنا أن العرب قد تأثروا بلسان غيرهم من الأقوام الأخرى، فإن تأثيرهم

---

(١) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ص١٢٩ .

(٢) راجع: إصلاح المنطق: ص٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٣ .

في بعضهم البعض واختلاط لغاتهم أمر طبيعي جدّا، إذ لا يحُول كونهم قبائل وفصائل دون تأثير بعضهم في البعض الآخر، وعليه أمكنك أن تجد ما ينسب لأهل الحجاز في العادة ينسب إلى أهل نجد في أحيان أخرى كما هو حال الفتح، فإنّ فتح الراء من الفعل «نَفْرَغُ» هو لغة تميم والكسر لغة أهل الحجاز[١]. و«غشاوة» بفتح الغين لغة ربيعة[٢]. و«ما فتئت أذكره» تقول فيها تميم: ما فتأت بفتح التاء[٣].

كل هذا يجعلنا نتحفظ بعض الشيء في نسبة ظاهرة لغوية معيّنة إلى بعض العرب دون البعض إلا إذا كان ذلك على سبيل التغليب.

ويزيد من تأكيد هذا الأمر أن كسر العين من الحرف رقم ٨ المتمثل في «نَعِمْ» لغة لهذيل كانت جارية في قريش أيضا، فقد رُوي أن الرسول ﷺ كان ينطقها كذلك، أي بكسر العين، وأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يستحب نطقها بالكسر أيضا[٤].

ويزيد من تأكيد هذا أيضا أن في «لسان العرب» قولاً يشير إلى أن أشياخ قريش ما كانوا ينطقون «نعم» إلا بكسر العين[٥].

وقد أرجع كثير من علماء العربية والقراءات معظم هذا الاختلاف بين الفتح والكسر إلى اختلاف لغات العرب؛ من ذلك أن الحرف رقم ١ المتمثل في «السلم» قال العكبري في فتح السين وكسرها منه: «والسّلم بكسر السّين وفتحها لغتان، وقد قرئ بهما، وهي مؤنثة»[٦]. والحرف رقم ٢ المتمثل في «عسيتم» قال الفارسي بشأنه: «الأكثر فيه فتح السّين وهي [اللغة] المشهورة»[٧]. وقال الأزهري في كسر سينه:

---

(١) انظر: في اللهجات العربية: ص٩٩ .
(٢) في اللهجات العربية: ص٩٩ .
(٣) نفسه، ص٩٩ .
(٤) لسان العرب: ٦/ ٤٤٨٥ مادة: نعم.
(٥) نفسه: ٦/ ٤٤٨٥، مادة: نعم.
(٦) إعراب ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: ٢/ ٩ .
(٧) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٢٦٢ .

«وأنا أحسبها لغة لبعض العرب»[1]. ونبّه الأزهري أيضا في الحرف رقم ٥ المتمثل في «حج» إلى أن كسر الحاء فيه «لغة أهل نجد والفتح لغة أهل العالية»[2]. كما أشار إلى أن فتح الراء وكسرها في الحرف رقم ٦ المتمثل في «حرجا» «لغتان معناهما الضّيق»[3]. وهو ما ذهب إليه في الحرف رقم ٧ المتمثل في «حصاده» حيث أشار إلى أن فتح الحاء وكسرها فيه «هما لغتان»[4]. الفتح لغة أهل الحجاز والكسر لغة تميم. ويبدو أن التميميين كانوا يميلون إلى كسر فاء «فعال» إذا كان اسما دالا على فلاحة كما هو حال «قطاف» فإنهم ينطقونها بكسر القاف كما نطقوا «حصاد» بكسر الحاء. ويذهب أهل الحجاز عكس ذلك فيفتحون الفاء، وهي اللغة الغالبة.

أما الحرف رقم ٩ المتمثل في «ولاية» فقد أشار معجم لسان العرب إلى فصاحة فتح الواو فيه وفصاحة كسرها كذلك، وفيه عن ابن سيده: «وَلِيَ الشيْء ووَلِيَ عليه وِلاَيَةً بالكسر ووَلاَيَةً بالفتح»[5]. قيل الفتح لغة الحجاز والكسر لغة تميم[6]. كذلك الحال بالنسبة لفتح الغين وكسرها من الحرف رقم ١٠ المتمثل في «غلظة» فهما لغتان[7]. والكسر أكثر استعمالا وأشهر[8]. والحال كذلك بالنسبة للحرف رقم ١٢ المتمثل في «يقنط» فكسر النون لغة أهل الحجاز وأسد وفتحها لغة غيرهم[9]. كذلك الأمر نفسه في الحرفين: رقم ١٣ (ضيق) ورقم ١٥ (خطأ) إذ أن فتح أوليْهما وكسرهما لغتان في مصدر فعليْهما[10].

---

(١) معاني القراءات: ١/٢١٤.

(٢) معاني القراءات: ١/٢٦٩.

(٣) معاني القراءات: ١/٣٨٤.

(٤) معاني القراءات: ١/٣٩٢.

(٥) لسان العرب: ٦/٤٩٢٠، مادة: ولي.

(٦) انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ص٣١١.

(٧) انظر: معاني القراءات: ١/٤٦٩.

(٨) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٧٩.

(٩) طلائع البشر: ص١٣٢.

(١٠) انظر: إعراب القراءات: ١/٣٦١، ومعاني القراءات: ٢/٨٥، والكشف عن وجوه القراءات: ٢/٤١.

وأما الحرفان: رقم ١١ (هيت) ورقم ١٤ (أف) فقد رُويت في كل منهما مجموعة من اللغات منها لغة في فتح الآخر منهما ولغة في كسره.

فأما « هيت » فقد رُويت فيها ثلاث لغات فصيحة إحداها بفتح الهاء والتاء هي التي قرأ بها الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي وكذا أبوعمرو البصري، وأخرى بكسر الهاء وفتح التاء قرأ بها نافع وابن عامر، وثالثة بفتح الهاء وضم التاء وهي التي قرأ بها ابن كثير. هذا بالإضافة إلى لغتيْن غير فصيحتيْن قرئ بهما شذوذا، الأولى بفتح الهاء وكسر التاء (هَيْتِ)، والثانية بكسر الهاء وضم التاء (هِيتُ)[١] ، ولغتين أخريين بالهمز بدل الياء (هِئْتُ) وبالياء والهمز (هُيِّئْتُ)[٢] .

ويعتبر الدارسون « هَيْتَ » بفتح الهاء والتاء هي أجود اللغات وأفصحها، لما فيها من الانسجام الصوتي وإتباع الفتح الفتح، وهي قراءة أهل العراق.

وأما « أفّ » فرويت فيها سبع لغات منها ثلاث فصيحة وردت بها قراءات مشهورة هي:

* أُفَّ بفتح الفاء، قرأ بها ابن كثير وابن عامر.
* أُفِّ بكسر الفاء، قرأ بها أبوعمرو وحمزة والكسائي.
* أُفٍّ بتنوين الكسر، قرأ بها نافع وعاصم.

وتشير الدراسات إلى أن كسر الفاء هي لغة أهل الحجاز واليمن، وأن فتحها هي لغة قيس[٣] .

وأما اللغات الأربع الأخرى التي لم يُقرأ بها في الصحاح، وقرئ ببعضها شذوذا[٤] ، فهي: « أُفُّ » بضم الهمزة والفاء، و« أُفٌّ » بتنوين الضم، و« أُفًّا » بتنوين

(١) انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ص٣٨٢ .
(٢) انظر: المحتسب: ١/ ٣٣٧ .
(٣) انظر: طلائع البشر: ص١٣٩ .
(٤) انظر: المحتسب: ٢/ ١٨ .

الفتح، و« أُفْ » بإسكان الفاء[١]. وذكر بعضهم لغة أخرى هي « أُفَّى » كذا في « المحتسبَ »[٢] : بضم الهمزة وفتح الفاء والتضعيف ثم القصر. قال ابن جني : « وهي التي يقول لها العامة أُفِيّ بالياء »[٣]. وهي في « الحجة » لابن خالويه : أَفَّى بفتح الهمزة والفاء على وزن « فَعْلَى »[٤].

٢ – **علل أخرى** : وهي التي قلنا عنها إنها فرع لعلة اختلاف لغات العرب، وتكون لاحقة بها، وأهمها :

أ – **الانسجام الصوتي أو الاتباع** : وهو قانون صوتي أساسي عوّل عليه كثير من الدارسين في تطوّر حركات الكلمات، ذلك أن الكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطوّرها إلى الانسجام بين هذه الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية[٥]. ومن أمثلة هذا الانسجام الصوتي في اللهجات العربية[٦] :

١ – أن أهل الحجاز يقولون « بَرَأْتُ من المرض » بفتح الراء توقا لتحقيق نوع من الانسجام بين الحركات بجعل حركتي فاء الكلمة وعينها من جنس واحد هو الفتح، أما بقية العرب فيقولون « بَرِئْتُ » بكسر الراء.

٢ – أن الكلابيّين كانوا ينطقون كلمة « تَفَاوَتٌ » بفتح الواو عملا على تحقيق انسجام مع الفتحة الطويلة التي قبلها، ويقول بقية العرب « تَفَاوُتٌ » بضم الواو، وهي اللغة الغالبة في مصدر الفعل.

٣ – أن تميما وأسدًا تنطق كلمات مثل : بعير وشهيد ورئيس بكسر الحرف الأول عملا على تحقيق ذلك الانسجام باتباع الكسر الكسر.

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٢١٥ ومعاني القرآن: ٢ / ١٢١، ومعاني القراءات: ٢ / ٩١ .

(٢) انظر: المحتسب: ٢ / ١٨ .

(٣) المحتسب: ٢ / ١٨

(٤) الحجة في القراءات السبع: ص٢١٥ .

(٥) في اللهجات العربية: ص٩٦ – ٩٧ .

(٦) انظر: المرجع السابق: ص٩٦ – ٩٧ .

هذا، وإن الملاءمة بين الحركات في العربية كثيرة، وهدفها تحقيق ذلك الانسجام.

وإذا عدنا إلى الأحرف المذكورة المختلف فيها بين الفتح والكسر وجدنا أمثلة تقوم على تحقيق الانسجام الصوتي، من ذلك:

- الحرف رقم ٢ المتمثل في «عسيتم» فإن قراءته بفتح السين إنما كان إتباعا وملاءمة لفتح العين، وكسرها إنما كان للياء التي بعدها لأن الكسر والياء من جنس واحد. وذلك ما نجده محققا في كسر الضاد من الحرف رقم ١٣ (ضيق).

- كذلك الحرف رقم ٣ المتمثل في «نعمّا» إذ أن قراءته بكسرالنون إنما كان لكسر العين عملا على تحقيق ذلك الانسجام الصوتي. قال بعض الدارسين بخصوص قراءة الكسر في هذا الحرف: «وقرئ بكسر النون إتباعا لكسر العين لأن حرف الحلق إذا كان عينا للفعل وهو مكسور أُتبع بما قبله فكسر لكسره»(١).

والحقيقة أن العمل على تحقيق الانسجام الصوتي واقع مع حروف الحلق ومع غيرها، وهو ما تدل عليه أمثلة كثيرة من الأفعال التي ليس عينها حرف حلق، وهو ما تشير إليه صيغة «فَعَلَ» بفتح الأول والثاني والثالث.

- كذلك الأحرف: رقم ٦ (حرجا) ورقم ٧ (حصاده) ورقم ٩ (ولاية) ورقم ٨ (نعم) ورقم ١٥ (خطأ)، فإن فتح أوائلها ملائم لفتح ثانيها ومحقق لانسجام صوتي، وإن توالي الفتحات فيها يجعلها أخف على اللسان من توالي الضم أو الكسر.

ب - القياس والشبه: بعض القراءات في الأحرف المذكورة السابقة مقيسة على غيرها مما اشتهر من اللغات العربية، أو هي مشبهة ببنية بعض الألفاظ في العربية محمولة عليها، من ذلك:

- أن القراءة بفتح السين من الحرف رقم ٤ (يحسبهم) هي قراءة قياسية، قال ابن خالويه: «فالحجة لمن فتح أنه أتى بلفظ الفعل المضارع على ما أوجبه بناء ماضيه

---

(١) طلائع البشر: ص٥٠ .

لأن «فَعِلَ» بالكسر يأتي مضارعه على «يَفْعَلُ» بالفتح قياس مطرد»[1]. وقال الفارسي: «القراءة بفتح السّين أقيس، لأن الماضي إذا كان على «فَعِلَ» نحو حَسِبَ كان المضارع على يَفْعَلُ، مثل فَرِقَ يَفْرَقُ، وشَرِبَ يَشْرَبُ..»[2]. وأما قراءة الكسر فلمجيء السماع بها في مضارع بعض فَعِلَ حدده بعضهم بأربعة أفعال هي: يحسب وينعم وييئس وييبس[3]، بالإضافة إلى مضارع أفعال أخرى مثل: يرث بحذف فاء الفعل إذ أن ماضيه على وزن فَعِلَ بكسر العين، والقياس يقتضي أن تكون عينه مفتوحة في المضارع إلا أنه سُمِعَ بكسرها.

– أن القراءة بفتح الحاء من الحرف رقم ٥ (حج) هي قراءة قياسية أيضا، وذلك مذهب سيبويه فهو يرى أن مصدر الفعل الذي وزنه فَعَلَ يَفْعُلُ يكون على وزن فَعْل إذا كان فعله متعديا كخَلَقَ يَخْلُقُ خَلْقًا، ودَقَّ يَدُقُّ دَقًّا[4]. أما مصدر اللازم منه فالغالب فيه أن يكون على وزن فُعُول[5]. وأما مجيء مصدر فَعَلَ يَفْعُلُ المتعدّي على وزن فِعْل بكسر الفاء فسماعي؛ قال سيبويه: «وقالوا: حَجَّ حِجًّا كما قالوا: ذَكَرَ ذِكْرًا»[6].

– أن القراءة بفتح الراء وكسرها من الحرف رقم ٦ (حرجا) اعتبرها الفراء مقيسة على غيرها مما هو جار بين الفتح والكسر من ألفاظ العرب؛ قال: «وهو في كسره وفتحه بمنزلة الوَحَدِ والوَحِدِ، والفَرَدِ[7] والفَرِدِ، والدَّنَفِ[8] والدَّنِفِ، تقوله العرب في معنى واحد»[9].

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٣ . (٢) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٣٠١ .
(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٠٣ . (٤) انظر: كتاب سيبويه: ٤/ ٥ .
(٥) انظر: كتاب سيبويه: ٤/ ٩ . (٦) كتاب سيبويه: ٤/ ١٠ .
(٧) في لسان العرب (مادة: فرد): الفاردُ والفَرَد: الثور.
(٨) في لسان العرب (مادة: دنف): الدنف: المرض الملازم، ورجل دَنَفٌ ودَنِفٌ: لازمه المرض حتى أشفى على الموت.
(٩) معاني القرآن: ١/ ٣٥٣، ٣٥٤ .

- أن القراءة بفتح النون من الحرف رقم ١٢ (يقنط) علتها أن أصحاب هذه القراءة ذهبوا إلى أن ماضي « يقنط » هو قَنِطَ على وزن فَعِلَ بكسر العين، وعليه تكون قراءة الفتح قياسية، كما تكون قراءة الكسر قياسية كذلك لأن أصحابها ذهبوا إلى أن الأصل هو « قَنَطَ » بفتح النون على وزن « فَعَلَ »، وهذا الوزنُ القياسُ في مضارعه أن يكون على وزن « يَفْعُلُ » أو « يَفْعِلُ »(١). وفي لسان العرب: « قَنَطَ يَقْنِطُ ويَقْنُطُ قُنُوطًا مثل: جَلَسَ يَجْلِسُ، وقَنِط قَنَطًا »(٢).

- أن قراءة فتح الخاء وكسرها من الحرف رقم ١٥ (خطأ) محمولة على بعض مصادر الثلاثي التي سمعت بفتح الفاء وكسرها، مثل: حِذْرٌ، وحَذَرٌ، ونِجْسٌ ونَجَسٌ، وإِثْرٌ وأثَرٌ(٣). وقيل: إن « خَطَأً » - بفتح الخاء - مصدر قياسي، و« خِطأ » بكسر الخاء مصدر سماعي(٤).

- أما فتح الفاء من الحرف رقم ١٤ (أفّ) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر فمقيسة على ما ضُمّ أوله من الأفعال عند الأمر بها وادغام العين في اللام، مثل: غُضَّ ومُدَّ(٥). وقيل: إنما فُتحت الفاء لشبه « أفّ » بحروف المعاني الثلاثية فأغلبها مبني على الفتح مثل: رُبَّ ولَيْتَ وإنَّ(٦). وأما قراءة الكسر دون تنوين فمقيسة على ما بُنِيَ مِن المعارف على كسر مثل: سيبويه، وعليه يكون معنى ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾: فلا تقل لهما القبيح، بالألف واللام. وأما قراءة « أُفٌّ » بتنوين الكسر فمقيسة على ما بُنِيَ من النكرات على كسر، أي أنك إذا قلت: أُفٌّ، فأنت تتأفف من أي فعل قبيح، وليس من قُبْحٍ محدّد(٧).

---

(١) انظر: كتاب سيبويه: ٤/ ٥ .

(٢) لسان العرب: ٥/ ٣٧٥٢، مادة: قنط.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ١٢٣ .

(٤) انظر: طلائع البشر: ص١٣٩ .

(٥) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٢١٥ وإعراب القراءات: ١/ ٣٦٧ ومعاني القراءات: ٢/ ٩١ .

(٦) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه القراءات: ٢/ ٩٠ .

(٧) انظر: إعراب القراءات: ١/ ٣٦٧ .

جـ- أصلية الفتح والكسر: ذلك أن بعض القراءات مما اختلف فيه بين الفتح والكسر فُسّرت بأنها ما كانت لتكون كذلك إلا لأن الفتح أو الكسر هو الأصل فيها، من ذلك:

- أن القراءة بفتح النون في الحرف رقم ٣ (نعمّا) وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي قد فُسّرت على هذا الأساس، أي أن فعل المدح نِعْمَ الأصل فيه أن يقال: نَعِمَ بفتح النون وكسر العين على وزن فَعِلَ، وكذلك فعل الذم بِئْسَ فالأصل فيه بَئِسَ بفتح الأول وكسر الثاني؛ قال ابن خالويه في هذا الحرف: «والحجة لمن فتح النون وكسر العين أنه أتى بلفظ الكلمة على الأصل لأن أصلهما: نَعِمَ وبَئِسَ»(١). وقد ذهب الفارسي إلى ذلك أيضا(٢).

- أن القراءة بكسر الفاء دون تنوين في الحرف رقم ١٤ (أُفٍّ) وهي قراءة أبي عمرو والكوفيين قد فسّرها بعضهم على هذا الأساس أيضا، ذلك أن الأصل عند التقاء ساكنيْن أن يُكسر أحدهما فتقول مثلا: نجحتِ البنتُ، ولم تنجحِ البنتُ، فتكسر تاء «نجحت» وحاء «تنجح» لأجل السكون الذي والاهما، وكذلك الفاء من «أفّ» التي هي عبارة عن مثليْن أُدغم أولهما في الثاني، الأول ساكن والثاني ساكن أيضا حُرّك لأجل الإدغام فكانت حركته هي الكسرة حسب الأصل، قال العكبري: «فمن كسر بناه على الأصل»(٣). وقال ابن خالويه: «والحجة لمن كسر ولم ينوّن أنه أراد إسكان الفاء [الثانية](٤) فكسر لا لتقاء السّاكنيْن»(٥).

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٢ .
(٢) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢ /٢٩٨ .
(٣) إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه القراءات: ٢ / ٩٠ .
(٤) إضافة لا بد منها لأن الفاء الأولى من المدغم ساكنة.
(٥) الحجة في القراءات السبع: ص٢١٥ .

المبحث الثالث : بين الضم والكسر

أولا : المختلف فيه بين الضم والكسر

اختلف القراء بين الضم والكسر في سبعة عشر (١٧) حرفا وردت في النصف الأول من القرآن الكريم، منها حرفان مكرران، وكلها قرئ بها في الصحاح، وهذا بيان بذلك.

جدول رقم : (٨)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالضم / بالكسر	المقـــرئ
١	فَمَنُ	فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ	البقرة ١٧٣	بضم النون	ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي
				بكسر النون	أبو عمرو وعاصم وحمزة
٢	البُيُوتَ	وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا	البقرة ١٨٩	بضم الباء	أبو عـــمــرو (واخـتلف عن نافع وعاصم وحمزة)[1]
				بكسر الباء	ابن كثير وابن عامر والكسائي
٣	رضوان	لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ من الله	آل عمران ١٥	بضم الرّاء	عاصم (رواية شعبة)
				بكسر الرّاء	السّبعة

(١) راجع: السبعة في القراءات، ص١٧٨ ، ١٧٩ .

٤	إصري	قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكَ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا	آل عمران ٨١	بضم الهمزة	عاصم (رواية شعبة)
				بكسر الهمزة	السّبعة
٥	مُتُّمْ	وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ	آل عمران ١٥٧	بضم الميم	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (رواية شعبة)
				بكسر الميم	نافع وحمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
٦	فَلأُمه	فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ	النساء١١	بضم الهمزة	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم
				بكسر الهمز	حمزة والكسائي
٧	أنُ..أوُ	وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ	النساء٦٦	بضم النون والواو	ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي
				بكسر النون وضم الواو	أبو عمرو
				بكسر النون والواو	عاصم وحمزة
٨	خُفْيَةً	تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً – ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً	الأنعام٦٣ الأعراف ٥٥	بضم الخاء	السّبعة
				بكسر الخاء	عاصم (رواية شعبة)
٩	يَعْرِشُونَ	وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ – وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ	الأعراف ١٣٧	بضم الراء	ابن عامر وعاصم (رواية شعبة)
			النحل٦٨	كسر الراء	بقية السبعة

١٠	يَعْكُفُونَ	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ	الأعراف ١٣٨	بضم الكاف	حمزة والكسائي
				بكسر الكاف	بقية السبعة
١١	حُلِيِّهِمْ	وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ	الأعراف ١٣٨	بضم الحاء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر
				بكسر الحاء	حمزة والكسائي
١٢	بِالْعُدْوَةِ	إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ	الأنفال ٤٢	بضم العين	نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
				بكسرالعين	ابن كثير وأبو عمرو
١٣	يَلْمِزُكَ	وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ	التوبة ٥٨	بضم الميم	ابن كثير
				بكسر الميم	بقية السبعة
١٤	يَعْزُبُ	وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ	يونس ٦١	بضم الزاي	السبعة عدا الكسائي
				بكسر الزاي	الكسائي
١٥	بِالْقِسْطَاسِ	وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ	الإسراء ٣٥	بضم القاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (رواية شعبة)
				بكسر القاف	حمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
١٦	قُلْ.. أَوْ	قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ	الإسراء ١١٠	بضم اللام والواو	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي
				بضم اللام والواو	عاصم وحمزة

١٧	قُبلاً	وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ –	الأنعام ١١١	بضم القاف والباء	عاصم وحمزة والكسائي
		* قُبُلاً	الكهف ٥٥	بكسر القاف وفتح الباء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر

يمكننا أن نسجل الملاحظات الآتية حول هذا الجدول:

١ – إن المختلف فيه بين الضم والكسر من الأحرف المبيّنة سابقا (جدول ٨) يمكن تصنيفها في ثلاثة أصناف هي:

أ – **أسماء**: ممثلة في الأحرف ذوات الأرقام: ١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٨، ١١، ١٢، ١٥، ١٧

ب – **أفعال**: ممثلة في الأحرف ذوات الأرقام: ٥، ٩، ١٠، ١٣، ١٤، ١٦ .

جـ – **حروف معان**: ممثلة في الحرفيْن رقم ٧ (أن ، أو) ورقم ١٦ (أو).

وهذا يعني أن نسبة الأسماء المختلف في بعض حروفها بين الضم والكسر قد فاقت نسبتي الأفعال والحروف معا، حيث بلغت ضعف نسبة الأفعال المختلف فيها تقريبا.

٢ – بلغ عدد الأحرف المختلف في أوّلها بين الضم والكسر عشرة أحرف هي الحاملة للأرقام: ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٨، ١١، ١٢، ١٥، ١٧ . وبقية الأحرف اختلف في ثانيها، وهي الحاملة للأرقام: ١، ٧، ٩، ١٠، ١٣، ١٤، ١٦ .

وهذا يعني أن نسبة المختلف في أوله بين الضم والكسر أعلى بكثير من نسبة المختلف في ثانيه، حيث بلغت نسبة الأول ٥٩٪ تقريبا، وبلغت نسبة الثاني ٤١٪ تقريبا.

٣ - مذاهب القراء السبعة في الضم والكسر لاتكاد تتحدد، كل واحد منهم كان له في اختيار الضم نصيب وله في اختيار الكسر نصيب آخر. وهذا بيان ذلك في الأحرف المذكورة:

جدول رقم: (٩)

المقرئ	عدد المرات التي ضم فيها	عدد المرات التي كسر فيها	نسبة الضم عنده	نسبة الكسر عنده	ملاحظات
ابن كثير	١٠	٧	٥٨٫٨٢٪	٤١٫١٨٪	-
نافع	٩	٧	٥٥٫٨٨٪	٤٤٫١٢	اختلف عنه في الحرف رقم ٢
أبو عمرو	٨	٨	٥٠٪	٥٠٪	عدل في رقم ٧ (أن..أو) فكسر النون وضم الواو
ابن عامر	١١	٦	٦٤٫٧٠٪	٣٥٫٣٠٪	-
عاصم	٦	٤	٥٥٫٨٨٪	٤٤٫١٢٪	اختلف عنه في سبعة أحرف[١]
حمزة	٥	١١	٣٢٫٣٥٪	٦٧٫٦٥٪	اختلف عنه في الحرف رقم ٢
الكسائي	٧	١٠	٤١٫١٨٪	٥٨٫٨٢٪	-

(١) هي الأحرف ذوات الأرقام: ٢، ٣، ٤، ٥، ٨، ٩، ١٥، فانظرها في الجدول رقم ٨.

وهذا يعني أن ابن عامر أكثرهم ضما في القراءة، يليه ابن كثير ثم نافع وعاصم ثم أبوعمرو ثم الكسائي ثم حمزة، وبناء على ذلك يكون حمزة أكثرهم كسرا يليه الكسائي ثم نافع وعاصم ثم أبوعمرو ثم ابن كثير، وأقلهم كسرا ابن عامر.

ثانيا : علل المختلف فيه بين الضم والكسر

إن محاولتنا التعليل لظاهرتيْ الضم والكسر في الأحرف المذكورة، على ضوء المعطيات المتوفرة التي ذكرناها للتوّ لا تمكننا من أن ننسب الضم إلى بيئة أو قبيلة والكسر إلى بيئة أو قبيلة أخرى؛ ذلك أن مذاهب القراء في الضم والكسر شتى، ولا يمكن أن يكون ذلك الاختلاف الصغير بين نسبتي الضم والكسر عند المقرئ الواحد دليلا حاسمًا في تحديد أصحاب الضم وتحديد أصحاب الكسر من العرب. بل إننا نجد حمزة والكسائي إمَامَيْ أهل الكوفة – مسكن المهاجرين من بدو شرق شبه الجزيرة العربية وشمالها – يغلب عندهما الكسر، وهو أمر لا يتماشى مع ما عُرف من غلبة الضم عند تلك القبائل المهاجرة إلى الكوفة[1]. وبالعكس نجد إمَامَيْ الحرميْن مكة والمدينة وهما ابن كثير ونافع يغلب عندهما الضم على الكسر، وهو أمر لا يتماشى كذلك مع ما عُرف من غلبة الكسر عند أهل الحضر[2].

إن هذه المعطيات تجعلنا نقطع أن ليس الضم ولا الكسر في القراءات السبعة الصحيحة إلا اختياراً لدى المقرئ، كانت وراءه أسباب أخرى على رأسها الأثر الذي تركه مقرئو المصاحف العثمانية المرسل بهم إلى الأمصار المختلفة. ومع ذلك فإننا لا يمكننا أن ننفي الأثر البيئي المتمثل في لهجات القبائل العربية، وهو ما أكدنا عليه في المبحث الثاني من هذا الفصل. وعليه يمكن حصر علل المختلف فيه بين الضم والكسر فيما يأتي:

١ – **الانسجام الصوتي** : وذلك في جميع الأحرف المذكورة؛ حيث إن قراءة

---

(١) راجع: في اللهجات العربية: ص٩٣ .   (٢) المرجع السابق: ص٩١ .

الضم فيها تلائم ضمة أو واواً سابقة أو لاحقة، وقراءة الكسر فيها تلائم كسرة أو ياءً سابقة أو لاحقة كذلك، وهذا بيان ذلك:

أ - قراءة الضم : من ذلك ما لاءم ضما مثله ومنه ما لاءم واوا.

فأما الذي لاءم ضمًّا مثله فكلّه كان متقدما وهو ممثل في الأحرف الآتية:

- **الحرف رقم ١** المتمثل في «فَمَنُ» من قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ**﴾، ضُمت النون فيه لتلائم ضم الطاء بعدها حيث أنّ الفاصل - وهو الضاد - غير حصين لسكونه؛ قال ابن خالويه في مَنْ ضم ذلك إنه «كره الخروج من كسر إلى ضم فأتبع الضمَّ الضمَّ ليأتي باللفظ من موضع واحد»(١).

- **الحرف رقم ٧** المتمثل في «أنُ.. أوُ» من قوله تعالى: ﴿**أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا**﴾، ضَمُّ النون من «أن» والواو من «أو» إنما كان لأجل ضم التاء والراء من الفعلَيْن المذكورين، وذلك أيسر على اللسان، والفاصل غير حصين لسكونه.

- **الحرف رقم ٩** المتمثل في ﴿**يَعْرِشُونَ**﴾ ضُمّت الراء منه لتلائم ضمّ الشين بعدها.

- كذلك **الحرف رقم ١٠** المتمثل في ﴿**يَعْكُفُونَ**﴾ القراءة بضم الكاف منه كانت لأجل ضم الفاء بعدها.

- كذلك **الحرف رقم ١٣** المتمثل في ﴿**يَلْمِزُكَ**﴾ ضُمّت الميم منه في قراءة ابن كثير لتلائم ضمة الزاي التي بعدها.

- كذلك الحال بالنسبة **للحرف رقم ١٤** المتمثل في ﴿**يَعْزُبُ**﴾ إنما ضُمّت الزاي منه لتلائم ضم الباء بعدها.

- وضُمّت اللام من «قل» والواو من «أو» في **الحرف رقم ١٦** من قوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**﴾ من أجل أنْ يُلائما ضم عين الفعل «ادعوا» المفصولة عنهما بفاصل غير حصين لسكونه.

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص٩٢ .

- وضُمّت القاف من الحرف رقم ١٧ المتمثل في «قُبُلاً» من قوله تعالى ﴿أَوْيَأْتِيكُمُ العَذَابُ قُبُلاً﴾ لضم الباء بعدها من الكلمة نفسها، وكذا لضم باء «العذاب» قبلها. ومعنى ﴿يَأْتِيكُمُ العَذَابُ قُبُلاً﴾ أي: عيانا أو مقابلة يرونه[1].

وأما الضمّ الذي لاءم واواً لأنهما من جنس واحد فممثل في الأحرف الآتية:

- الحرف رقم ٢ المتمثل في ﴿الْبُيُوتِ﴾ ضُمّت الباء فيه لتلائم ضمة الياء بعدها. ومعلوم أن ذلك يتماشى مع القياس في جمع «فَعْل» الذي عينه ياء.

- والحرف رقم ٣ المتمثل في ﴿رِضْوَانَ﴾ ضُمّت الراء منه لتلائم الواو التي بعدها المفصولة عنها بفاصل غير حصين وهو الضاد السّاكنة.

- كذلك الحرف رقم ٥ المتمثل في «مُتُّمْ» من قوله تعالى ﴿أَوْمُتُّمْ﴾ ضُمّت الميم الأولى منه لتجانس الواو السابقة فيسهل النطق بالكلمة.

- والأمر نفسه في الحرف رقم ٨ المتمثل في «خُفْية» من قوله تعالى ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ حيث ضمت الخاء فيه في قراءة السبعة لتلائم الواو السابقة عليها.

- وضمت العين من الحرف رقم ١٢ ﴿بالعُدْوَة﴾ لأجل الواو التي بعدها المفصولة عنها بفاصل غير حصين هو الدال.

وربما لاءم الضم الاستعلاء الذي توصف به بعض الحروف فقرأ بعضهم به لأجل ذلك في الحرفين رقم ٤ (إصري) ورقم ١٥ (بالقسطاس) فإن الصاد والقاف من حروف الاستعلاء والضم أنسب له لما بينهما من تفخيم.

ب - **قراءة الكسر** : من ذلك ما لاءم كسرا مثله، ومنه ما لاءم ياء من جنسه.

فأما الذي لاءم كسرا مثله فمنه ما تقدمه كسر ومنه ما تأخر عنه.

فأما ما تقدمه كسر فقُرِئ بكسره لأجل ذلك عند بعضهم فيتمثل في ثلاثة أحرف هي:

---

(١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات: ٢/ ٦٤ ومعاني القرآن: ٢/ ١٤٧ .

- **الحرف رقم ٦** المتمثل في «فلأمه»، قرأه حمزة والكسائي بكسر الهمزة ليلائم ذلك كسر لام الجرّ؛ قال ابن خالويه: «فمن كسرها فلكسرة اللام قبلها لئلا يخرج من كسر إلى ضمّ»(١). ولاشك أن انكسار الميم بعد الهمزة قد ساعد في انسجام كسر الهمزة مع ما قبلها وما بعدها.

- **والحرف رقم ١٢** ﴿ **بالعُدْوَة** ﴾ قرأه ابن كثير وأبوعمرو بكسر العين حتى تتلاءم مع كسر باء الجرّ قبلها دون اعتبار للفاصل - وهو لام التعريف - لسكونه.

- **والحرف رقم ١٥** ﴿ **بِالْقِسْطَاسِ** ﴾ قرأه أئمة الكوفة بكسر القاف لانكسار باء الجرّ قبلها وعدم اعتبار الفاصل لسكونه كما في ﴿ **بالعُدْوَة** ﴾.

وأما ما تأخر عنه كسر فقُرئ بكسره لأجل ذلك فحرف واحد، وهو **الحرف رقم ١١** ﴿ **حِلِيِّهِمْ** ﴾، قرأه حمزة والكسائي بكسر الحاء لانكسار اللام بعدها، وهو أيسر على النطق من قراءة الضم.

وأما مالاءم ياء فقرئ بكسره لأجل ذلك فبعضه تقدمت عليه الياء وبعضه تأخرت عنه.

فأما الذي تقدمته الياء فأربعة أحرف أوّلها ياء مضارعة هي: الحرف رقم ٩ ﴿ **يَعْرِشُونَ** ﴾، والحرف رقم ١٠ ﴿ **يَعْكُفُونَ** ﴾، والحرف رقم ١٣ ﴿ **يَلْمِزُكَ** ﴾، والحرف رقم ١٤ ﴿ **يَعْزُبُ** ﴾ فالأرجح أن يكون كسر عين الوزن في هذه الأحرف الأربعة أكثر ملاءمة لياء المضارعة المتقدمة والمفصولة بفاصل ساكن غير حصين، وإن كانت الياء في هذه الأحرف زائدة ليست أصلا في الكلمة.

وأما الذي تأخرت عنه الياء فكسر لأجلها فحرفان هما:

- **الحرف رقم ٢** ﴿ **الْبُيُوتِ** ﴾، فإن القراءة بكسر الباء تلائم الياء التي بعدها؛ قال ابن خالويه: «والحجة لمن كسر أنه لـمّا كان ثاني الكلمة ياء كرهوا الخروج من ضم

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١٢٠ وانظر: معاني القراءات ١/ ٢٩٤ .

إلى ياء فكسروا أوّل الاسم لمجاورة الياء »[1] . ويبدو أن كسر فاء « فعول » للجمع يكثر عند العرب كلما كانت عين الكلمة ياء مثل: شيوخ وجيوب وعيون. فتكسر الفاء « لأن الكسرة للياء أشدّ موافقة من الضمة لها »[2] .

- **الحرف رقم ٨** ﴿ خُفْيَةً ﴾، كَسَرَ أوله عاصم فيما رواه عنه أبوبكر شعبة فلاءم الياء الواقعة لاما للكلمة المفصولة بساكن غير حصين هو عين الكلمة.

٢ - **اعتبار الضم والكسر من لغات العرب الفصيحة** : وذلك علة يعوّل عليها بعض العلماء أو الدارسين فينسبون ما قرئ بالضم إلى أهل البوادي العربية، وينسبون ما قرئ بالكسر إلى أهل الحضر، وذلك أمر نحتاط من تعميمه لما ذكرناه آنفا من اختلاط الألسنة.

وقد عوّل بعض القدماء على هذه العلة، من ذلك أن ابن خالويه ذهب عند حديثه عن الحرف رقم ٣ (رضوان) إلى أن من يقرأ كلمة في موضع من القرآن بضم ويقرأ الكلمة نفسها في موضع آخر بكسر إنما يفعل ذلك باللغتين لِيُعلمك جوازهما[3] . كما ذهب إلى أن ضم الخاء وكسرها من الحرف رقم ٨ (خفية) « هما لغتان فصيحتان »[4] . وعنه أن القراءة بضم القاف من الحرف رقم ١٥ (بالقسطاس) هي لغة أهل الحجاز[5] ، وعليه تكون قراءة الكسر في هذا الحرف لغير أهل الحجاز، ويبدو أنها هي الغالبة الآن في الاستعمال. والقسطاس كلمة رومية الأصل تعني الميزان. ومعلوم أن العرب تذهب في الكلمات الدخيلة مذاهب شتى.

ومن ذلك أن الفراء ذهب إلى أن الضم والكسر في الحرف رقم ٨ (خفية) لغتان بالإضافة إلى لغة ثالثة بالواو بدل الياء (خفوة)[6] .

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص٩٣ .
(٢) الحجة في علل القراءات السبع ٢ / ٢١٥ وانظر: معاني القراءات ١ / ١٩٥ .
(٣) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٦ . (٤) المرجع السابق: ص١٤١ .
(٥) راجع: المرجع السابق: ص٢١٧ وانظر: إعراب القراءات ١ / ٣٧٣ ومعاني القراءات ٢ / ٩٤ .
(٦) انظر: معاني القرآن: ١ / ٣٣٨ .

ومن ذلك ما ذكره أبو علي الفارسي بخصوص الحرف رقم ٤ أنه «يُشَبَّهُ أن يكون الضم في الأُصْر لغة في الإِصْر»[١]. وذلك ما أجازه الزمخشري[٢].

ومنه ما ورد في «لسان العرب» بخصوص الحرف رقم ٥ منسوبا لابن سيده الأندلسي أن «مِتَّ» - بكسر الميم - تموت لغة لا نظير لها من المعتل، وقال كراع إن نظيره: دِمْتَ تدوم[٣].

كذلك الحروف رقم ٩ (يعرشون) ورقم ١٠ (يعكفون) ورقم ١٤ (يعزب)، ذهب كثير من الدارسين إلى أن الضم والكسر فيها لغتان فصيحتان[٤]. الكسر لأهل الحجاز والضم لغيرهم[٥].

ومنه أن الضم والكسر في **الحرف رقم ١٢** (بالعدوة) عند بعضهم «هما لغتان لأهل الحجاز»[٦] وقد ذكر ابن جني لغة ثالثة هي «العَدْوَة» بفتح العين قرئ بها في الشواذ[٧]. وذكر الزمخشري لغة رابعة هي «العِدْيَة» بقلب الواو ياء حتى تلائم كسرة العين[٨].

٣ - اعتبار إحدى القراءتين أصلا والأخرى فرعًا : أي أن إحداهما قياسية والأخرى مسموعة، وهي علة عوّل عليها بعض اللغويين أو الدارسين، من ذلك:

- **أن الحرف رقم ١** (فمن) **والحرف رقم ٧** (أن.. أو) **والحرف رقم ١٦** (قل.. أو) قد اعتُبِر الكسرُ فيها هو الأصل لا لتقاء ساكنَيْن، والضم فرع عليه[٩]. ومعلوم أنّ العرب تحرّك أول الساكنين عند التقائهما فتختار لذلك الكسرة، ولكنها قد

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٣٨٠ . والإصر والأصر: هو العهد.
(٢) انظر: الكشاف: ١/ ٣٨٠ .
(٣) انظر: لسان العرب: ٦/ ٤٢٩٥، مادة: موت.
(٤) انظر: طلائع البشر، ص٩٩، ١١٧ .
(٥) انظر: من لغات العرب: لغة هذيل، ص٤٤، ٤٦ .
(٦) طلائع البشر: ص١٠٦ .
(٧) انظر: المحتسب: ١/ ٢٨٠ .
(٨) انظر: الكشاف: ٢/٢٢٣ .
(٩) انظر: السبعة في القراءات: ص١٧٥ والحجة في القراءات السبع، ص٩٢ والكشاف، ١/ ٢٧٤ .

تجيء بحركة الفتحة أو الضمة لعلة تَجدُّ تكون في كثير من الأحيان هي العمل على تحقيق الانسجام الصوتي فُتتبِعُ الفتْحَ الفَتْحَ والضمَّ الضمَّ.

- أن الحرفين رقم ٤ (إصري) ورقم ١٢ ﴿بالعُدْوَة﴾ قد اعتبر كسر الهمزة في الأول وكسر العين في الثاني أصلا لكون القراءة به هي الشائعة الغالبة، وفي لسان العرب: الإصر بكسر الهمزة، وليس فيه أُصرٌ بضم الهمزة[١]. وقد ذهب بعضهم إلى حد إنكار لغة الضم في «عدوة»[٢].

ومما ذهبوا فيه إلى اعتبار الضم هو الأصل أو القياس، واعتبار الكسر هو الفرع أو السماع:

- أن الحرفين رقم ٣ ﴿رِضْوَانَ﴾ ورقم ٨ ﴿خُفْيَةً﴾، اعْتُبِرَتْ القراءةُ بضم أوّل المصدريْن هي الأصل الغالب؛ قال ابن خالويه بخصوص الأول: «إن الضم في المصادر مع زيادة الألف والنون أكثر وأشهر»[٣]. وقال الأزهري بخصوص الثاني: إن قراءة الضم في «خفية» هي أجود من غيرها[٤].

ومعلوم أن مصادر الثلاثي سماعية لا تنضبط لقياس، ومنها أن المصدر المزيد بألف ونون جاء بعضه على فُعْلان بضم الفاء مثل غُفْران، وجاء بعضه على فِعْلان بكسر الفاء مثل عِرْفان، وهو مانص عليه سيبويه صراحة[٥]. وكذلك المصدر من فَعِلَ يَفْعَلُ قد جاء منه فِعْلَة لغير الهيئة مثل هبة بحذف الفاء، وجاء منه فُعْلَة كذلك مثل خُضْرَة.

كذلك الأحرف الحاملة للأرقام: ٩، ١٠، ١٣، ١٤، المتمثلة على التوالي في الأفعال: يعرشون ويعكفون ويلمزك ويعزب، قُرئت كلها بضم عين الوزن أو الكلمة وبكسرها على اعتبار أن كلا من الضم والكسر أصل فيها لأن القياس في مضارع الماضي الذي وزنه فَعَلَ بفتح العين هو يَفْعِلُ ويَفْعُلُ بكسرها وضمها[٦].

---

(١) انظر: لسان العرب ١/٨٦، مادة: أصر. (٢) انظر: طلائع البشر: ص١٠٦ .
(٣) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٦ . (٤) معاني القراءات: ١/٣٦٢ .
(٥) انظر: كتاب سيبويه: ٤/٨ . (٦) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٦٢ .

المبحث الرابع : بين الفتح والإسكان والكسر والإسكان[1]

أولا : بين الفتح والإسكان

١ - المختلف فيه بين الفتح والإسكان :

اختلف في ثمانية أحرف بين الفتح والإسكان من النصف الأول من القرآن الكريم، هذا بيانها :

جدول رقم : (١٠)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالفتح / بالإسكان	المقرئ
١	قدره	عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ	البقرة ٢٣٦	بفتح الدال	ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بإسكان الدال	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم (رواية شعبة)
٢	الدرك	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ	النساء ١٤٥	بفتح الراء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر
				بإسكان الراء	عاصم وحمزة والكسائي
٣	المعز	ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ	الأنعام ١٤٣	بفتح العين	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر
				بإسكان العين	نافع وعاصم وحمزة والكسائي
٤	الرشد	وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً	الأعراف ١٤٦	بفتح الشين	حمزة والكسائي
				بإسكان الشين	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم

---

(١) جمعنا في هذا المبحث بين الفتح والإسكان، والكسر والإسكان من باب العمل على توازن المباحث.

٥	دأبًا	قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا	يوسف ٤٧	بفتح الهمزة	عاصم (رواية حفص)
				بإسكان الهمزة	السبعة
٦	ظعنكم	وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ	النحل ٨٠	بفتح العين	ابن كثير ونافع وأبو عمرو
				بإسكان العين	ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
٧	خطأً	إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا	الإسراء ٣١	بفتح الطاء	ابن عامر
				بإسكان الطاء وكسر الخاء	نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي[1]
٨	كسفا	أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا	الإسراء ٩٢	بفتح السين	نافع وعاصم
				بإسكان السين	بقية السبعة

يمكن من خلال ملاحظة هذا الجدول أن نسجل شيئين اثنين:

١ - أن الأحرف المختلف فيها بين الفتح والإسكان كلّها أسماء ثلاثية بصيغة المصدر، اختلف في الأوسط منها جميعا، أي في عين الكلمة، ولم يُختلف في غير ذلك لوجوب تحرك الأول وكون الثالث موضع إعراب.

٢ - المقرئون الكوفيون الثلاثة (عاصم وحمزة والكسائي) أكثر ميلا إلى الإسكان وأقل ميلا إلى الفتح، فقد بلغت نسبة الإسكان عند كل منهم ٧٥٪، ونسبة الفتح ٢٥٪ فقط.

(١) قرأ ابن كثير هذا الحرف «خِطَاءً» ممدودة.

وبلغت نسبة الإسكان عند كل من نافع وأبي عمرو ٦٢,٥٪، ونسبة الفتح ٣٧,٥٪. وتساوت نسبة الإسكان ونسبة الفتح عند كل من ابن كثير وابن عامر (٥٠٪).

٢ - علل المختلف فيه بين الفتح والإسكان :

إذا بحثنا عما نعلل به لظاهرتيْ الفتح والإسكان في هذه الأحرف المختلف فيها، وبناء على المعطيَيْن السابقيْن، فلا بد أن نعود بالضرورة إلى أمر اللهجات العربية التي بنى عليها المقرئون، ولابد أن نقرّ أيضا بأن القراءة بالإسكان معناها سلب لحركة واختصار في كلمة مما ينتج عنه التخفيف وقلة الجهد في النطق.

إن الفتح مع الإقرار بخفته وغلبته في اللسان العربي على بقية الحركات ينفر الذوق اللغوي لدى بعض العرب من توالي أمثاله فيهرب منه كما يهرب من توالي الضم وتوالي الكسر.

ولا شك أن الذين يميلون من العرب إلى عدم الجمع بين الفتحات هم الذين أخذ مقرئو الكوفة بلغتهم في الغالب، وهم أهل نجد من تميم[١] وغيرهم من عرب شرقي الجزيرة العربية وشمالها الذين نزحوا إلى جنوب العراق واستقر كثير منهم في الكوفة. وأهل الحجاز كانوا يميلون إلى الفتح[٢]، وبلغتهم أخذ من قرأ بالفتح من المقرئين.

ويبدو أن بني عقيل كانوا يميلون إلى فتح حروف الحلق الواقعة عينا في الأسماء إذا كانت مسبوقة بفتح، وذلك ما نصّ عليه ابن جني أثناء تعليقه على قراءة ﴿جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] و﴿زَهْرَةَ﴾ [طه: ١٣١] بفتح الهاء وما قبلها، فقال: «مذهب أصحابنا في كل شيء من هذا النّحْوِ مما فيه حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح: أنه لا يحرك إلا على لغة فيه، كالزهْرة والزهَرة، والنهْر والنهَر، والشّعْر والشَّعَر،

---

(١) انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ص٧٥ .

(٢) انظر: من لغات العرب: لغة هذيل، ص٣٠ .

فهذه لغات عندهم، كالنَّشْز والنَّشَز والحَلْب والحَلَبَ، والطَّرْد والطَّرَد. ومذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثاني لكونه حرفا حلقيا فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه، كالبْحر والبحَر، والصّخْر والصّخَر[١].

وما أرى القول من بعد إلا معهم[٢]، والحق فيه إلا في أيديهم. وذلك أنني سمعت عامة عقيل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغًا غير مستكره»[٣].

ويمكن أن نستخلص شيئيْن مهميْن من نصّ ابن جني السابق، هما:

أ – أن فتح الحروف الحلقية الواقعة عينا في الأسماء التي فاؤها مفتوحة هي لغة بني عقيل المنتسبين للحجازيين، وأن لغة الإسكان هي لغيرهم من عرب وسط شبه الجزيرة وشرقها.

ب – أن اللغويين البصريين – أصحاب ابن جني – يجعلون إسكان الحروف الحلقية الواقعة عينا في الأسماء التي فتحت فاؤها قياسًا، ويجعلون فتحها لغة (هي لبني عقيل) تحفظ ولا يقاس عليها، وذلك مذهب سيبويه الذي يعلل لفتح الحروف الحلقية بقوله: «وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيّزها وهو الألف، وإنما الحركات من الألف والياء والواو.

وكذلك حرّكوهنّ إذْ كُنَّ عينات، ولم يُفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء لأنهما من الحروف التي ارتفعت، والحروف المرتفعة حيّز على حِدَة..»[٤].

أما الكوفيون فيجيزون تحريك عين الاسم المسبوقة بفتح متى كانت حرف حلق، كما يجيزون إسكانها أيضا، فالفتح عندهم في ذلك قياس، والإسكان قياس كذلك.

---

(١) أورد ابن السكيت في «إصلاح المنطق». (ص١٧٢، ١٧٣) أمثلة مما – يجوز فيه فتح العين وإسكانها، فانظره هناك.

(٢) الضمير في «معهم» يعود على أصحاب ابن جني وهم البصريون.

(٣) المحتسب: ١/ ٨٤.

(٤) كتاب سيبويه: ٤/ ١٠١.

وإذا عدنا إلى أحرف الخلاف المذكورة (جدول رقم ١٠) وجدنا ضمنها ثلاثة أحرف أسماء يشملها الحكم السابق، فالحرف رقم ٣ (المعز)، والحرف رقم ٥ (دأبا)، والحرف رقم ٦ (ظعنكم) كلها أسماء عينها حرف حلقي مسبوق بفتح وكان فتح العين لأن ذلك لغة بني هذيل على رأي البصريين أو لأن ذلك قياس على رأي الكوفيّين. وكل ما كان من هذا بين الفتح والإسكان فهو عند ابن خالويه لغتان الأصل فيهما الإسكان والفتح جائز لمكان الحرف الحلقي[١] . وهو مذهب الفراء أيضا[٢]. أما الأزهري ومكي بن أبي طالب القيسي فإن لغة الإسكان عندهما مساوية للغة الفتح[٣] ، وهو ما ذهب إليه عامة الكوفيين.

وقد ذهب بعض الدارسين المحدثين إلى أن تحريك الصوت الحلقي أخف من تسكينه لأن « كل أصوات الحلق بَعْدَ صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم. . ولهذا ناسبها من أصوات اللّيْن أكثرها اتساعًا، وتلك هي الفتحة »[٤].

ويشير بعض الدارسين أيضا إلى أن هذا التحريك بالفتح في أصوات الحلق المسبوقة بفتح ربما يكون ميزة مشتركة بين اللغات السامية إذ أنه « واضح كل الوضوح في اللغة العبرية »[٥].

وأما إسكان العين، وهو اللغة المنسوبة لغير أهل الحجاز فلا يعدو إلا أن يكون في الحقيقة هروبا من توالي الحركات، أو هو هروب من المقاطع الصوتية المفتوحة إيثاراً للمقاطع الصوتية المغلقة أو الساكنة، وذلك منسوب إلى تميم[٦] .

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٥٢، ١٩٥، ٢١٢، وانظر: إعراب القراءات ١ / ٣١٠، ٣٥٩ .

(٢) انظر: معاني القرآن: ٢ / ٤٧ .

(٣) انظر: معاني القراءات ١ / ٣٩٢، ٢ / ٨٢ والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ١١، ٤٠ .

(٤) في اللهجات العربية، ص١٧٠ .

(٥) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص١٢١ .

(٦) في اللهجات العربية، ص١٦١ .

أما ما كان من الأحرف المذكورة وعينه ليست من ذوات الحلق، فيبدو تساوي الفتح فيها والإسكان لانتفاء القياس في مصادرها، إذ هي محكومة بالسماع، ومن ثَمّ وجدت أن معظم من علل لذلك لم يُرد أن يفاضل بين قراءتيْ الفتح والإسكان، من ذلك:

قال الفارسي في الحرف رقم ١: إن «القَدْرَ والقَدَرَ بمعنى»[١] أي بمعنى واحد، وهو مذهب الأزهري أيضا[٢]. وقال الزمخشري: «القَدْر والقَدَر لغتان»[٣].

وقال الأزهري في الحرف رقم ٢: «هما لغتان؛ الدَّرْكُ والدَّرَك، ومثلهما: ليلة النَّفْر والنَّفَر، ونَشْزٌ من الأرض ونَشَزٌ، وشَطْرٌ وشَطَرٌ»[٤]. كل ذلك جائز إسكان ثانيه وفتحه، وإن بدا إسكانه أكثر استعمالا لخفته.

وقيل في الحرف رقم ٤ (الرشد): إن فتح الراء والشين، وضم الراء وسكون الشين، إنهما «لغتان في الصلاح والدين»[٥] معناهما واحد[٦]. وقال الزمخشري: «وقرئ سبيل الرُّشْد والرَّشَد والرَّشَاد كقولهم: السُّقْمُ والسَّقَمُ والسَّقَامُ»[٧]. وفي لسان العرب: «رَشَدَ الإنسانَ يَرْشُدُ رُشْداً، بالضم، ورَشِدَ يَرْشَدُ رَشَداً ورَشَاداً»[٨]. وهو ما يعني أن الفتح والإسكان في «الرشد» تابعان لكسر الشين وفتحها في الفعل؛ فإذا قلنا: رَشِد – بكسْر الشين – كان المصدر رَشَداً، وإذا قلنا: رَشَدَ – بفتح الشين – كان المصدر رُشْداً.

وقال الفراء في فتح الطاء وإسكانها من الحرف رقم ٧ (خَطَأً): «وكلٌّ صواب»[٩]، فذلك عنده مثل: حِذْرٌ وحَذَرٌ، ونِجْسٌ ونَجَسٌ. ويبدو أن فتح الطاء وفتح الخاء قبلها هي اللغة الغالبة في الاستعمال لاجتماع الخاء والهمزة في كلمة واحدة وهما حرفان حلقيان وإن لم يكن أي منهما عينا لها.

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٢٥٦.
(٢) انظر: معاني القراءات: ١/٢٠٨.
(٣) الكشاف: ١/٢٨٥.
(٤) معاني القراءات: ١/٣٢١.
(٥) طلائع البشر: ص١٠٠.
(٦) انظر: معاني القراءات: ١/٤٢٣.
(٧) الكشاف: ٢/١٥٩، وانظر: الحجة في القراءات السبع، ص١٦٤.
(٨) لسان العرب: ٣/١٦٤٩، مادة: رشد.
(٩) معاني القرآن: ٢/١٢٣.

وذهب الفراء كذلك إلى أن إسكان السّين وفتحها من الحرف رقم ٨ (كِسَفًا) لغتان بمعنى واحد، قال: «والكِسْفُ والكِسَفُ وجهان»[١]. وفي لسان العرب: «وكِسْفُ السَّحَابِ وكِسَفُهُ: قِطَعُهُ»[٢]، محمولة على معنى الجمع، وقد حملها بعضهم على معنى المفرد، أي على معنى إسقاط السماء قطعة واحدة أو إسقاطها قطعة بعد قطعة[٣].

ثانيا : بَيْن الكسر والإسكان

١ - المختلف فيه بين الكسر والإسكان :

اجتمع لدينا من ذلك في النصف الأوّل من القرآن الكريم أربعة (٤) أحرف فقط منها حرف مكرر هو «نعمّا»، وهذا توضيح لها في هذا الجدول:

جدول رقم : (١١)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالكسر / بالإسكان	المقــرئ
١	نعمّا	إنْ تُبدُوا الصّدَقَاتِ فَنِعِمّا هِيَ ،	البقرة ٢٧١	بكسرالعين (وكسر النون)	ابن كثير ونافع (رواية ورْش) وعاصم (رواية حفص)
		إنّ الله نِعِمّا يَعِظُكُمْ به	النساء٥٨	بكسر العين (وفتح النون)	ابن عامر وحمزة والكسائي
				بإسكان العين[٤] (وكسرالنون)	أبو عمرو ونافع (رواية قالون) وعاصم (رواية شعبة)

(١) لسان العرب: ٥/ ٣٨٧٧، مادة: كسف. (٢) لسان العرب: ٥/ ٣٨٧٧، مادة: كسف.

(٣) انظر: معاني القراءات ٢/ ١٠١، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٥١ .

(٤) كذا في كتاب «السبعة» (ص١٩٠) والأصح أن يقال: باختلاس حركة العين حتى يكون لها وجه في العربية.

٢	رجلك	وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ	الإسراء ٦٤	بكسر الجيم	عاصم (رواية حفص)
				بإسكان الجيم	السّبعة
٣	لدنه	لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَدُنْهِ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ	الكهف ٢	بكسر النون[1] (وكسر الهاء)	عاصم (رواية شعبة)
				بإسكان النون (وضم الهاء)	السّبعة
٤	بورقكم	فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ	الكهف ١٩	بكسر الراء	ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بإسكان الراء	أبو عمرو وحمزة وعاصم (رواية شعبة)

وأهم ما يمكن تسجيله من خلال نظرة في الجدول السابق:

١ - أن المختلف فيه بين الكسر والإسكان أقل مما سواه مما اختلف فيه بين حركة وحركة أخرى أو بين حركة وسكون.

٢ - أن الإمام عاصمًا كان له نصيب في قراءة الكسر في جميع الأحرف المذكورة، وكان له مثله في قراءة الإسكان أيضا؛ فقد روى عنه حفص الكسر في ثلاثة أحرف والإسكان في حرف واحد، وروى عنه شعبة الكسر في حرف واحد والإسكان في ثلاثة أحرف، وذلك يعني أن نسبة الكسر ونسبة الإسكان عند عاصم متساويتان، وهو ما حصل أيضا عند ابن كثير وابن عامر والكسائي إذ قرأ

(١) يري بعضهم أن قراءة شعبة هذه رافقها إشمام الدال الضم. انظر: السبعة، ص٣٨٨، والتوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم: ص٢٩١ .

كل واحد منهم حرفيْن بالكسر وحرفيْن بالإسكان. وغلبت نسبة الإسكان عند كل من نافع (٦٢,٥٪) وحمزة (٧٥٪). وقرأ أبوعمرو كل ذلك بالإسكان.

٣ - الأصوات المختلف في قراءتها بين الكسر والإسكان: ثلاثة منها تمثل عين الكلمة، والرابع ورد ثالثا في كلمة. أحد هذه الأصوات حلقي هو العين من «نعمّا» واثنان لثويان هما النون من «لدنه» والراء من «بورقكم» والرابع غاري هو الجيم من «رجلك».

٢ - علل المختلف فيه بين الكسر والإسكان:

إن التعليل لقراءتيْ الكسر والإسكان في هذه الأحرف الأربعة المذكورة - إضافة إلى كونها لغات - لايخرج عن أحد أمور ثلاث هي الانسجام الصوتي والتخفيف والأصل.

أ - **أما الانسجام الصوتي**: فيتحقق في حالة الكسر دون الإسكان. وقد تجتمع علتا الانسجام الصوتي والأصل في قراءة الكسر، فإن كانت قراءة الإسكان هي الأصل كان الانسجام الصوتي متحققا نتيجة لإتباع الكسرة الكسرة.

فأما ما اجتمع فيه الانسجام والأصل فقراءة ابن كثير وورش عن نافع وحفص عن عاصم في الحرف رقم ١ (نِعِمَّا) وكذا قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم في الحرف رقم ٤ (بِوَرِقِكُمْ).

أما «نِعِمَّا»، بكسر العين، فذلك هو الأصل فيها، أي: نَعِمَ، مبنيّة على «فَعِلَ» (وهي التي قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي) وكسرت النون لأجل كسر حرف الحلق وهوالعين، وتلك لغة هُذيل حيث كانوا يجعلون حركة فاء الفعل الثلاثي من حركة عينه إذا كانت حرف حلق[1]، وقال ابن جني: «أصل قولنا: نِعْمَ الرجل

(١) انظر: الحجة في علل القراءات السبع ٢/٢٩٧ والتوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم، ص٧٤.

ونحوه: نَعِمَ كعَلِمَ. وكل ما كان على «فَعِلَ» وثانيه حرف حلقي فلهم فيه أربع لغات، وذلك نحو: فَخِذٌ، ومَحِكٌ[1] ونَغِرٌ[2] بفتح الأول وكسر الثاني على الأصل، وإن شئت أسكنْتَ الثاني وأقررت الأول على فتحه فقلت: فَخْذٌ ومَحْكٌ ونَغْرٌ، وإن شئت أسكنْتَ ونَقَلْتَ الكسرة إلى الأول فقلْتَ: فِخْذٌ ومِحْكٌ ونِغْرٌ، وإن شئْتَ أتبعْتَ الكَسْرَ الكَسْرَ فقلت: فِخِذ ومِحِك ونِغِر... فعلى هذا تقول: نَعِمَ الرجلُ، وإن شئت: نَعْمَ، وإن شئت: نِعْمَ وإن شئت: نِعِمَ»[3]. وعليه كان كسر العين - كما ترى - على الأصل، وكان كسر النون للإتباع. وقد عمل كسر هذا وذلك على الانسجام الصوتي.

وأما «بوَرِقِكُمْ» بكسر الراء، فإن ذلك هو الأصل فيها، أجمع على ذلك علماء العربية[4]. والورق - بكسر الراء - اسم «للفضة مضروبة وغير مضروبة»[5].

وقد عمل اجتماع كسرة الراء مع كسرة القاف (وهي علامة للجر) على تحقيق الانسجام الصوتي.

وأما الانسجام الصوتي الحاصل نتيجة إتباع الكسرةِ الكسرةَ فمتحقق في قراءة حفص عن عاصم في الحرف رقم ٢ (رَجِلِك)، وكذا في قراءة شعبة عن عاصم في الحرف رقم ٣ (لَدُنِهِ)، فقد كانت قراءة العامة بإسكان الجيم في الأول والنون في الثاني هي الأصل، وعليه فإن قراءة عاصم بالكسر فيهما لم تكن سوى إتباعا؛ قال ابن خالويه في قراءة «رجِلك» بكسر الجيم: «والحجة لمن كسر فلمجاورة اللام، لأن اللام كسرت للخفض، وكُسرت الجيم للقرب منها»[6]. وقال في موضع آخر: «وكسرت الجيم إتباعًا لكسرة اللام»[7]. فهذه الجيم - كما ترى - قد كسرت إتباعا لحركة مثلها.

---

(١) مَحِكٌ: من مَحَكَ بمعنى لَجَّ. (٢) نَغِرٌ: من نَغَرَ عليه: غلاجوفُه وغَضِبَ.

(٣) المحتسب: ١/٣٥٦، ٣٥٧.

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص٢٢٢ وإعراب القراءات ١/٣٨٩ والكشف ٢/٥٨ ومعاني القرآن ٢/١٣٧.

(٥) الكشاف ٢/٧١٠ وانظر: معاني القراءات ٢/١٠٨.

(٦) الحجة في القراءات السبع، ص٢١٩. (٧) إعراب القراءات ١/٣٧٧.

وأما كسر النون من «لَدُنِهِ» في رأينا فيجوز لاعتبار الكسرة علامة جر لـمّا دخلتْ «مِنْ» على «لدن» وهي مضافة إلى ضمير لَحِقَتْه كَسْرَةُ إتباع، وذلك كما هو حال مرادف «لدن» وهو «عِنْدَ» المضاف إلى ضمير إذا لحقه حرف الجر «من» فتقول: من عِنْدِهِ بكسر الدال علامة للجر وكسر الهاء إتباعًا. ويجوز كذلك اعتبار كسرة نون «لدن» لغة عند مَنْ أسكن الدال وأشمّها الضَمَّ، أي أن كسرة النون جيء بها لالتقاء ساكنيْن، وأما كسرة الهاء فللإتباع دائما، وذلك مذهب ابن خالويه[1].

فالكسر في هذيْن الحرفيْن السابقين ليس أصلا فيهما، ولكنّ حصوله مع كسر تابع له أو كونه هو تابعا وغيره متبوعا قد أدى إلى حصول انسجام صوتي ارتضاه الذوق اللغوي العربي الفصيح.

ب - **وأما التخفيف**: فيتحقق في قراءة الإسكان والإخفاء دون التحريك أو الكسر. نلمس ذلك في إسكان العين من الحرف رقم ١ (نِعْمًا) وفي إسكان الراء من الحرف رقم ٤ (بِوَرْقِكُمْ).

فأما إسكان العين من «نعمّا» مع إدغام المثلين بعدها.[2] فمختلف في أمر تحقيقه عند النحاة والدارسين؛ قال أبو علي الفارسي: «مَنْ قرأ (فنعمّا) بسكون العين من نعمّا لم يكن قوله مستقيمًا عند النّحْويّين لأنه جمع بين ساكنيْن الأول منهما ليس بحرف مدّ ولين»[3]. وردّ ذلك العكبري أيضا للسبب نفسه[4] وقيل: إن الذي روى قراءة الإسكان هذه «لم يضبط القراءة لأن القارئ اختلس كسرة العين فظنه [الراوي] إسكانا»[5]. وذلك أمر رجّحه أبو علي الفارسي فقال: «ولعل أبا عمرو [بن العلاء] أخفى ذلك»[6]. وقال ابن الجزري: «واختلف عن أبي عمرو وقالون وأبي بكر

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص٢٢٢ وإعراب القراءات ١/٣٨٦ .

(٢) الميم الأولى ميم نعم، والميم الثانية هي ميم «ما»، اسم موصول.

(٣) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٢٩٦ . (٤) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن: ١/١١٥ .

(٥) إملاء ما من به الرحمن: ١/١١٥ . (٦) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٢٩٧ .

[شعبة] فروى عنهم المغاربة قاطبة إخفاء كسرة العين ليس إلاّ، يريدون الاختلاس فرارا من الجمع بين السّاكنيْن»[1].

إنّ إشارة علماء القراءات إلى هذه الحالة بالإسكان في هذا الحرف وغيره لا يعني أبدًا أنه إسكان تام حقيقي، بل هو من باب تخفيف لكسرة العين لاحذف لها، وهو ما عبّر عنه بعضهم الآخر بالاختلاس أو الإخفاء[2]، لكون الصوت لا يصل إلى السّامع محققا تحقيقا كُلّيًا مع حركته، لأن القارئ لم يُسْمِعْ به إلا نفسه، ومن ثم يُخيل للسامع أو الرّاوي أن القارئ أسْكنَ. وهذه حالة لا يوجد ما يقابلها في الكتابة العربية، فلا يقال مثلا: إن عين نعم مكسورة ساكنة، ومن ثم وجدتهم يغلبون أحدهما فقالوا: هي ساكنة. حال ذلك كحال تغليبهم ضم الدال من «لدن» عن الإسكان تسمية في قراءة من كسر النون، وهو في الواقع دليل إشمام لادليل ضم.

إن كون عين «نعم» على تلك الصورة لا يمنع أبدًا من القول أن بها تخفيف، فذلك محقق مسعيٌّ إليه.

وأما إسكان الراء من «بورقكم» فهي قراءة أبي عمرو وحمزة وشعبة عن عاصم، لاخلاف أنها رُويت عنهم بالإسكان إرادة للتخفيف حالها حال من يقول في مثل: كَبِدٌ كَبْدٌ، وكَتِفٌ كَتْفٌ بإسكان عين الكلمة، وهي لغة نسبها سيبويه إلى بكر ابن وائل وأناس من تميم فيما عنوَن له بـ«باب ما يسكّن استخفافا وهو في الأصل متحرك»[3] وقال معللا لذلك: «وإنما حملهم على هذا أنّهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل»[4].

---

(١) النشر في القراءات العشر: ١/٢٣٥ .

(٢) الإخفاء في الأصل يكون للصامت، يكون للميم مع الباء خاصة، ويجوز أن يُحمل بمعنى عام فيدل على خفاء أي صوت بما في ذلك الصائت. راجع: النشر: ١/٢٢٢، ٢٥٤ .

(٣) كتاب سيبويه: ٤/١١٣ . (٤) كتاب سيبويه: ٤/١١٤ .

جـ - **وأما الأصل**: كعلة قرئ لأجلها فتحقق ذلك في الحالتيْن: في القراءة بالكسر، وفي القراءة بالإسكان، فـ« نعمّا » قرأها ابن كثير وورش عن نافع وحفص عن عاصم بكسر العين على الأصل وكسروا النون إتباعا. واكتفى ابن عامر وحمزة والكسائي بكسر العين على الأصل[1]. كذلك قرأ من قرأ « بورقكم » بكسر الراء على الأصل، وهو مذهب ابن خالويه الذي قال: « فالحجة لمن كسر أنه أتى به على أصله »[2]. وهو ما ذهب إليه مكي بن أبي طالب القيسي كذلك[3].

وقرأ القراء السّبعة « رجْلك » بإسكان الجيم على الأصل؛ فهو جمع « راجل » كما يقال في جمع راكب « ركْب » بإسكان الكاف، وفي جمع صاحب « صَحْب » بإسكان الحاء[4].

وقرأ السّبعة كذلك « لدنه » بإسكان النون للعلة نفسها لأن « لدن » ظرف غير متمكن، وغير المتمكن الأصل فيه عند النحاة البناء على السكون[5].

---

(١) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢ / ٢٩٨ .

(٢) الحجة في القراءات السبع، ص٢٢٢ . وانظر: إعراب القراءات ١ / ٣٨٩ .

(٣) انظر: الكشف ٢ / ٥٨ .

(٤) انظر: معاني القراءات ٢ / ٩٦، والكشف ٢ / ٤٩، والحجة في القراءات السبع، ص٢١٩ .

(٥) راجع باب المعرب والمبني في النحو العربي.

المبحث الخامس : بين الضم والإسكان

أولا : المختلف فيه بين الضم والإسكان

مجموع ما اختلف فيه بين الضم والإسكان في النصف الأول من القرآن الكريم ثلاثة عشر (١٣) حرفا، منها حرفان مكرران أحدهما كرر خمس مرات والآخر مرتين. وهذا بيان ذلك:

جدول رقم : (١٢)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالضم / بالإسكان	المقرئ
١	خطوات	وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ	البقرة ١٦٨	بضم الطاء	ابن كثير وابن عامر والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بإسكاء الطاء	نافع وأبو عمرو وحمزة وعاصم (رواية شعبة)
٢	أكلها	فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ	البقرة ٢٦٥	بضم الكاف	ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
				بإسكان الكاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو
٣	رسل	وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ	البقرة ٢٨٥ الأعراف ١٠١ التوبة ٧٠	بضم السّين	السّبعة

		وَجَاءَتْهُمْ رُسْلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ جَاءَتْهُمْ رُسْلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ	يونس١٣ إبراهيم٩	بإسكان السين	أبو عمرو (عند إضافة رسل إلى ضمير من حرفين)
٤	الرُّعْبَ	سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ	آل عمران ١٥١	بضم العين	ابن عامر والكسائي
				بإسكان العين	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة
٥	للسّحت	سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ	المائدة ٤٢	بضم الحاء	ابن كثير وأبو عمرو والكسائي
				بإسكان الحاء	نافع وابن عامر وعاصم وحمزة
٦	أذن . .أذن	وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ	التوبة٦١	بضم الذال	السّبعة عدا نافع
				بإسكان الذال	نافع
٧	قربة	وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ	التوبة٩٩	بضم الراء	نافع
				بإسكان الراء	بقية السبعة
٨	جرف	أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ	التوبة ١٠٩	بضم الراء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بإسكان الراء	ابن عامر وحمزة وعاصم (رواية شعبة)

الرقم	الحرف	الآية	السورة والآية	القراءة	القراء
٩	القُدُس	قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ	النحل ١٠٢	بضم الدال	السبعة عدا ابن كثير
				بإسكان الدال	ابن كثير
١٠	عُقُبًا	هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقُبًا	الكهف ٤٤	بضم القاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي
				بإسكان القاف	عاصم وحمزة
١١	رُشْدًا	قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا	الكهف ٦٦	بضم الشين	ابن عامر
				بإسكان الشين	بقية السبعة عدا أبي عمرو[1]
١٢	نُكرًا	لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا	الكهف ٧٤	بضم الكاف	نافع وابن عامر وعاصم (رواية شعبة)
		فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا	الكهف ٨٧	بإسكان الكاف	ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
١٣	رُحمًا	فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا	الكهف ٨١	بضم الحاء	ابن عامر وأبو عمرو (في رواية)[2]
				بإسكان الحاء	ابن كثير ونافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو عمرو (في رواية)[2]

وإذا عدنا إلى الجدول السابق (رقم ١٢) لاستنتاج شيء ما، فإننا سوف نخرج بالنتائج الأولية الآتية:

١ - كل الأحرف المختلف فيها هنا بين الضم والإسكان أسماء ثلاثية مفردة عدا الحرف الأول (خطوات) والحرف الثالث (رسل) جاءا بصيغة الجمع.

(١) قراءة أبي عمرو في هذا الحرف بفتح الراء والشين. انظر: السبعة في القراءات، ص٣٩٤ .
(٢) انظر هذه الرواية في كتاب: السبعة في القراءات، ص٣٩٧ .

٢ - كل الأحرف المذكورة اختلف في العين منها، ولم يُختلف لا في الفاء لوجوب تحرك الأول في العربية ولا في اللام لكونها موضع الإعراب في الغالب.

٣ - مذاهب القراء بين الضم والإسكان لا تكاد تُتَحَدَّدُ كما هي مذاهبهم بين الضم والكسر سوى القليل منهم ممن غلب الضم عنده أو الإسكان، وهذا بيان ذلك:

جدول رقم : (١٣)

المقرئ	عدد المرات التي ضم فيها	عدد المرات التي كسر فيها	نسبة الضم عنده	نسبة الكسر عنده	ملاحظات
ابن كثير	٦	٧	٤٦٫١٥٪	٥٣٫٨٥٪	-
نافع	٦	٧	٤٦٫١٥٪	٥٣٫٨٥٪	-
أبو عمرو	٥	٦	٤٥٫٨٣٪	٥٤٫١٧٪	اختلف عنه في رقم ١٣ (رحما) وقرأ رقم ١١ (رشدا) بالفتح
ابن عامر	١٠	٣	٧٦٫٩٣٪	٢٣٫٠٧٪	-
عاصم	٤	٦	٤٢٫٣١٪	٥٧٫٦٩٪	اختلف عنه في ١ (خطوات) و٨ (جرف) و١٢ (نكرا)
حمزة	٤	٩	٣٠٫٧٧٪	٦٩٫٢٣٪	-
الكسائي	٩	٤	٦٩٫٢٣٪	٣٠٫٧٧٪	-

وهذا يعني أن ابن عامر أكثرهم ضما كما هو حاله فيما اختلف فيه بين الضم والكسر، ويليه الكسائي ثم ابن كثير ونافع ثم أبو عمرو ثم عاصم ثم حمزة، ومن ثم

فإن حمزة أكثرهم تسكينا ثم يليه عاصم ثم أبوعمرو ثم ابن كثير ونافع ثم الكسائي ثم ابن عامر.

إن هذه المعطيات تؤكد على أن القراءة الصحيحة في الأحرف المذكورة أساسها الرواية عن المعلم الأول وليس للغات العربية السائدة أو البيئة اللغوية أثر مباشر معيّن في المقرئ.

ثانيا: علل المختلف فيه بين الضم والإسكان

إن الدراسات اللغوية والتاريخية العربية تشير في مجملها إلى أن أهل الحجاز يضمون حيث يسكن غيرهم من أهل نجد[1]. وهو أمر لا تعكسه قراءة المقرئين؛ فابن كثير ونافع إمَامَا حاضرتيْ أهل الحجاز نسبة الإسكان عندهما أكثر، وأئمة الكوفة الثلاثة عاصم وحمزة والكسائي لم يكن في قراءتهم دليل على اغترافهم من لغة القبائل النجدية المهاجرة إلى الكوفة ماعدا حمزة فإن نسبة التسكين عنده أعلى، ولكن تلميذه وصاحبه الكسائي شذّ فخالف فكانت نسبة الضم - لغة أهل الحجاز - أعلى عنده بكثير من نسبة الإسكان.

وبالجملة فإن التعليل لما اختلف فيه بين الضم والإسكان لا بد أن يُعوّل فيه على ما يأتي:

أ - أن الضم يكون لأحد أمرين:

١ - الانسجام الصوتي.

٢ - مراعاة الأصل.

ب - أن الإسكان يكون لأحد أمرين أيضا:

١ - التخفيف في النطق.

٢ - مراعاة الأصل.

---

(١) انظر: من لغات العرب (لغة هذيل)، ص٣٣.

فأما الانسجام الصوتي فإنه متحقق في قراءة الضم بجميع الأحرف المذكورة، إذ أنّ ضم عين الكلمة جاء إتباعا لضم فائها فأدى ذلك إلى حدوث انسجام صوتي لكون الحركة هي هي في الفاء وفي العين، وهو ما يعني عدم انتقال اللسان والشفتين من وضع إلى وضع آخر، «وقد برهنت الملاحظة الحديثة على أن الناطق حين يقتصد في الجهد العضوي يميل دون شعور منه أو تعمّد إلى الانسجام بين حركات الكلمات»[1]. حيث لم يمنع في هذه الأحرف تتابع حركات الضم من حدوث ذلك الإنسجام، مع الإقرار بأن الضم هو أثقل الحركات على اللسان، وإنما يكون أثقل عند انتقال اللسان من حالة غير الضم إلى حالة الضم، فالانتقال مثلا من الفتح إلى الكسر أيسر من الانتقال منه إلى الضم.

أما مراعاة الأصل اللغوي في بعض الأحرف التي ضمت عينها فذلك أمر قرره أعلام العربية، ونحن لا نملك إلا قبوله والإحالة عليه، وهم في حكمهم على أصلية بعض الصيغ دون بعض يستندون إلى القياس أو غلبة الاستعمال.

من الأحرف التي استندوا في ضم عينها إلى علة الأصل: الحرف رقم ٣ (رسل)، فإن ضم السين هو الأصل لغلبة الاستعمال والقياس معا، فقد قرأ القراء السّبعة جميعهم كذلك ولم يخالفهم غير أبي عمرو بن العلاء في رواية. كذلك فإن اللغويين مجمعون على أن كل اسم مفرد جاء على صيغة فَعُول فإن وزن جمعه القياسي فُعُلٌ بضم الفاء والعين، قال الفارسي: «وجه قراءة من ثقّل.. أن أصل الكلمة على فُعُل بضم العين.»[2]. كذلك الحرف رقم ٤ (الرعب)، فإن ضم العين فيه عند الفارسي هو الأصل[3].

وقال ابن خالويه في ضم الذال من الحرف رقم ٦ (أذن): «فالحجة لمن ضم أنه

---

(١) في اللهجات العربية، ص٩٧ .

(٢) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٣٣٥ .

(٣) انظر: المصدر السابق: ٢/٣٩٠ .

أتى به على الأصل»[1]. والأذن هنا تعني «الرجل الذي يصدّق كل ما يَسْمَعُ، ويَقْبَل قول كل أحد»[2].

واعتبر ابن خالويه ضم الراء من الحرف رقم ٧ (قربة) أصلا مثل ضم الذال في «أذن»، قال: «فالحجة في ذلك كالحجة في أُذُن»[3]. غير أن معاصره أبا منصور الأزهري رأى أن «قربة» مبنية أصلا على فُعْلَة بإسكان العين[4].

كذلك حال ضم عين الكلمة من الحرف رقم ٨ (جرف) والحرف رقم ٩ (القدس) والحرف رقم ١٠ (عقبا) فإن ذلك معلل عندهم بكونه أصلا[5].

وأما التخفيف في النّطق فهي العلة التي استند إليها اللغويون القدماء والدارسون المحدثون في تفسيرهم لظاهرة الإسكان في أحرف كثيرة مما ذكرناه ومما لم نذكره.

وإذا كان هروب بعض العرب من توالي الفتحات مع خفة ذلك فُيسَكّنون بعض الحروف المفتوحة فإن هروبهم إلى التّسْكين عند توالي الضمات أولى لأن الضم أثقل من الفتح.

إن المختلف فيه بين الضم والإسكان من الأحرف المذكورة والتي علل للضم فيها بالأصل قد عُلّلَ للإسكان فيها بالتخفيف، من ذلك أن كل جمع اشتهر على وزن فُعُل بضم الفاء والعين يجوز فيه فُعْل بإسكان العين تخفيفا كما هو حال «رُسُلهم» فإنه يجوز فيها «رُسْلهم» بإسكان السين، وهي قراءة أبي عمرو عند إضافة «رسل» إلى ضمير من حرفين[6]. ومنه أيضا قولهم في كُتُب: كُتْب بإسكان التاء[7].

أما ماجاء من المفرد في الأصل على فُعُل بضم العين فإنه قد غلب فيه فُعْل

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١٧٦.
(٢) الكشاف: ٢/٢٨٤.
(٣) الحجة في القراءات السبع: ص١٧٦.
(٤) معاني القراءات: ١/٤٦٢.
(٥) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٨٥، والكشف عن وجوه القراءات ١/٢٥٣ و٢/٦٣.
(٦) انظر: السّبعة في القراءات: ص١٩٥.
(٧) انظر: الكشاف: ١/٣٣١.

بإسكان العين في الاستعمال الحديث لخفة ذلك حتى ليبدو أنه هو الأصل والضم فرع عليه، بل ربما لم يستسغ كثير من المحدثين الضم فيعتبرونه خطأ أو شاذا إذا اعترضهم، ذلك أننا لا نكاد نسمع كلمات مثل: الرعب والسحت والجرف والقدس والنكر إلا وهي ساكنة العين، أي الثاني، ولا شك أن ذلك جار في اللغات إذ كثيرا ما يغلب الفرع على الأصل والمجاز على الحقيقة.

أما ما قرئ بإسكان عينه مراعاة للأصل اللغوي كذلك فإنه قليل، رجّح منه علماء العربية ثلاثة من الأحرف المذكورة، هي:

– **الحرف رقم ١ (خطوات)**: ذهب الفارسي إلى أن إسكان الطاء هو القياس أو الأصل؛ قال: «أما الخطوة فإنهم قد قالوا: خَطَوْتُ خَطْوَةً، كما قالوا: حَسَوْتُ حَسْوَةً. والحُسْوَةُ: اسم ما يُحْسَى، وكذلك: غَرَفْتُ غَرْفَةً. والغُرْفَةُ: اسم ما اغْتُرِفَ. فعلى هذا القياس يجوز أن تكون الخَطْوَةُ والخُطْوَةُ»[١]. فيكون قد ذكر حالتين في فاء «خطوة» هما الفتح والضم ليس بينهما ضم الطاء، ثم قال في قراءة «خطوات» بإسكان الطاء: إنهم «تركوها في الجمع على ما كانت عليه في الواحد»[٢]. أي أنهم حملوها على أصلها في المفرد. وفي «لسان العرب» أن جمع خَطْوة: خُطًى وخُطْوَات وخُطُوَات. وفيه أنه إنما يكون قد رُجّح إسكان الطاء في «خطوات» لاجتماعها مع الواو.[٣] أي أن النطق بالطاء وهي مضمومة وبعدها واو – وهو من جنس الضم – يكون ثقيلا، فسكّنت الطاء لأجل ذلك حتى يسهل النطق بالكلمة.

– **الحرف رقم ١١ (رشدا)**: ذهب ابن خالويه إلى أن إسكان الشين فيه هو الأصل، وذلك ما يُفهم من تعليله لقراءة الضم بأن من فعل ذلك «فإنه أتبع الضمَّ الضمَّ مثل السُّحْت والسُّحُت والبُخْل والبُخُل»[٤]. فقد علل لقراءة الضم بغير علة

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٢٠٣. (٢) المصدر نفسه: ٢/٢٠٥.

(٣) انظر: لسان العرب: ٢/١٢٠٥، مادة: خطا.

(٤) إعراب القراءات: ١/٤٠١ وانظر: الحجة في القراءات السبع، ص٢٢٦.

الأصل مما يعني أن غيرها، أي الإسكان، هو الأصل، ثم إنه قد شبّه ذلك بالسُّحْت والبُخْل اللذين سُكّنت عينهما في الأصل - حسب رأيه - وكان ضمهما فرعًا.

- **الحرف رقم ١٣ (رحما)**: اختُلف في ضم الحاء منه وإسكانها، كما اختلف في أيّهما الأصل وأيّهما الفرع، ورجّح بعضهم أن تكون قراءة الإسكان هي الأصل لأنها قراءة العامة. قال ابن خالويه: «وهو الأكثر في كلامهم»[١].

والأرجح أن نتحفظ فلا ندعي أن الإسكان - في هذه الأحرف وما شابهها - هو الأصل وأن الضم فرع عليه أو أن الضم هو الأصل والإسكان فرع عليه لأن ذلك كله لغات صحيحة، الضم في الغالب لغة أهل الحجاز، والإسكان في الغالب لغة أهل نجد.

نعُود في نهاية هذا الفصل لنؤكد على أن ما ورد فيه من اختلاف القراء الأصل فيه أن يقال إن ذلك لغات فصيحة. وأما بقية العلل الأخرى فهي محتواة في تلك اللغات منتمية إليها وشارحة لها.

(١) إعراب القراءات: ١ / ٤١٠.

الفصل الخامس
ظواهر صوتية أخرى

المبحث الأول : المد والقصر

١ - تعريف المد والقصر :

المد في اللغة الإطالة أو الزيادة[١]. وفي الاصطلاح معناه إطالة الصوت بحرف المدّ عند ملاقاة الهمزة أو السكون.

والقصر في اللغة خلاف الإطالة، وفي الاصطلاح «عبارة عن ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله»[٢].

وإذا كان القَصْرُ أو المدّ الطبيعى مقدرا عادة بحركتيْن، فإن المدّ الفرعي أو العرضي وهو المقصود في باب المد، لابد أن يزيد عن ذلك فأوسطه أربع حركات وأطوله ستّ حركات، وهو عند القراء على أربع مراتب: إشباع (ست حركات)، ثم دونه (خمس حركات) ثم دونه (أربع حركات) ثم دونه (ثلاث حركات)[٣].

٢ - أشهر أنواع المد :

يذكر علماء القراءات أنواعا كثيرة للمد أشهرها أربعة أنواع، هي:

أ - **المدّ المتصل**: يكون في الكلمة الواحدة، وهو واجب مثل: أولائك، يشاء، يضيء، يسوء.

ب - **المدّ المنفصل**: يكون حرف المد في آخر كلمة والهمزة أول كلمة ثانية، مثل: ما أنزل، ياأيها، قالوا آمنا، إني أخاف الله.

---

(١) انظر: لسان العرب: ٦/٤١٥٦، ٤١٥٧، مادة: مدد.

(٢) النشر في القراءات العشر: ١/٣١٣. (٣) انظر: النشر: ١/٣١٦.

وهذان النوعان - كما ترى - من المد الفرعي سببهما هو التقاء حرف المد بالهمزة؛ قال ابن الجزري: «ووجه المدّ لأجل الهمز أن حرف المد خفي والهمز صعب فزيد في الخفي ليتمكن من النطق بالصعب»(١).

جـ - **المدّ اللازم**: هو ما جاء فيه بعد حرف المد سكون لازمة، منه «المثقّل» الذي يكون بعد حرف المد حرف مشدد أو مدغم، مثل: الحاقّة، الصاخّة، الضالّين، الكتاب بأيديهم، ومنه «المخفّف» الذي يكون خاصة في الحروف الثلاثية التي ابتدئ بها بعض السور القرآنية ومجموعها سبعة هي: لامْ، ميمْ، صادْ، نونْ، كافْ، قافْ، سينْ.

د - **المدّ العارض**: هو ما كان فيه حرف المد قبل آخر حرف في الكلمة وقد سُكّن آخرها للوقف، مثل: الرحمٰنْ، الدّينْ، يوقنونْ، الضالّينْ.

ويغلب التمكين لهذين النوعين من المد حتى يبلغ حرف المد ست حركات(٢).

وأما سبب هذين النوعين الأخيريْن (اللازم والعارض) فهو وجود السكون بعدهما، ذلك أن العرب تكره أن تجمع بين ساكنيْن فتمدّ الألف أو الياء أو الواو - وهي ساكنة - لتقيم ذلك المد مقام الحركة فيُتَوَصّل به إلى الساكن الثاني(٣).

٣ - مذاهب القراء في المد :

لن نتحدث عن تفاصيل مذاهب القراء في المدّ ولكننا نريد أن نقدم صورة عامة بالخط العام الغالب عند كل منهم في هذه القضية.

فابن كثير ونافع وأبوعمرو يذكر ابن مجاهد أن مذهبهم كان واحدا في المد المتصل والمنفصل؛ فالأول يمدون فيه الألف والياء والواو مدّا وسطا، ولا يسكتون على حرف المد قبل الهمزة، ولا يحققون الهمزة معه تحقيقا مطلقا أو شديدا، وذلك كما هو الحال في مثل: ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [البقرة: ٢٢] و﴿أَضَاءَ لَهُم﴾، [البقرة: ٢٠] فإن كان المد منفصلا مكّنوا حروف المدّ التي بعدها همزة كمثل: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ

---

(١) النشر: ١/٣١٣ . (٢) انظر: علم التجويد: ص٥٨ . (٣) نفسه ص٥٨ .

﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤] و﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٤] و﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ [الذاريات: ٢١][١].

أما عاصم بحسب رواية أبي بكر شعبة فإنه «كان يَمُدُّ مدا واحداً في كل الحروف، لا يفضل حرفا على حرف في مدّ، وكان مدّه مشبعًا، ويسكت بعد المدّ سكتة ثم يهمز»[٢]. وقد قيل فيه: «كان عاصم صاحب همز ومّد وقراءة شديدة»[٣]. فالمتصل والمنفصل عنده سيان مشبعان.

وكان حمزة يطيل المد على ضربيْه المتصل والمنفصل خاصة إذا والاه همزتان مفتوحتان، مثل ﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ﴾ [الأعراف: ٤٧] و﴿جَاءَ أَحَدَهُمُ﴾، [المؤمنون: ٩٩] وكذلك إذا جاء بعده همزة واحدة مفتوحة، مثل: ﴿يَا أَيُّهَا﴾. [البقرة: ٢١] أما إذا جاء بعد حرف المد همزة متحركة بكسر فهو عنده دون الذي بعده همزة مفتوحة، مثل ﴿خَائِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤] و﴿الْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١] ولكنه مع ذلك يبقى أقرب إلى الإشباع[٤].

أما ابن عامر والكسائي فإن مدّهما كان وسطا، وكانا لايسكتان على حرف المد قبل الهمزة بل يصلان المد بالهمز[٥].

ويذكر أبو عمرو الداني في «التيسير» أن القراء السبعة لم يكن بينهم خلاف في تمكين حرف المد إذا كان المد متصلا، فإن كان منفصلا فإنهم يختلفون في زيادة التمكين لحرف المد، فابن كثير وقالون والسوسي يقصرون والباقون يطوّلون حرف المد في الضربين المتصل والمنفصل[٦].

أما المدّ للتسكين فإن اللازم منه بنوعيْه المثقّل والمخفّف قد أجمع القراء «على مدّه قدرا واحدا من غير إفراط»[٧].

---

(١) راجع: السبعة في القراءات: ص١٣٤.
(٢) السبعة في القراءات: ص١٣٤.
(٣) السبعة: ص١٣٥.
(٤) انظر: السبعة في القراءات، ص١٣٥، ١٣٦.
(٥) انظر: السبعة، ص١٣٦.
(٦) انظر: التسيير في القراءات السبع: ص٣٤، ٣٥.
(٧) النشر في القراءات العشر: ١/٣١٧.

ولم يفرق كثير منهم بين المد اللازم والمد العارض في درجة المدّ كما سلف الذكر، غير أن القليل منهم أجاز في المد العارض القصر والتوسط والإشباع[1]. واختار جمهور أئمة العراقيين المدّ في اللازم والعارض على درجة واحدة[2].

وقد تفاضل بعض العلماء في المدغم والمظهر من ذلك فذهب كثير منهم «إلى أن مدّ المدغم منه أشبع تمكينا من المظهر من أجل الإدغام لاتصال الصوت فيه وانقطاعه في المظهر»[3]. من هؤلاء أبو حاتم السجستاني وابن مجاهد وأبو عمرو الداني ومكي بن أبي طالب القيسي[4].

وذهب بعضهم إلى عكس ذلك فقالوا إن المدّ في غير المدغم فوق المدغم «لأن المدغم يتحصّن ويقوى بالحرف المدغم فيه بحركته، فكأن الحركة في المدغم فيه حاصلة في المدغم فقوي بتلك الحركة»[5].

٤ - المختلف فيه بين المد والقصر :

علمت أن علة المد هي إما التقاء حرف المد بالهمزة فيزاد في حرف المد لأجل النطق بالهمزة، وإما لالتقاء حرف المد بساكن بعده فيزاد في مد الحرف تقوية له حتى يتوصل به إلى النطق بالساكن بعده.

والواقع أنه لم يرو من اختلافهم في هذا ولا في ذلك إلا حرفان فقط مما ورد في النصف الأول من القرآن الكريم مما كان سبب مدّه الهمزة، والمد فيها متصل.

فأما الحرف الأول فهو «زكريا» من قوله تعالى في حق مريم: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] قرأه كل من ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم بالمدّ (زكرياء)، وقرأه حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالقصر (زكريا)[6].

---

(١) انظر: علم التجويد: ص٥٦ .
(٢) انظر: النشر: ١/ ٣١٨ .
(٣) النشر: ١/ ٣١٨ .
(٤) انظر المرجع نفسه، ١/ ٣١٨ .
(٥) النشر: ١/ ٣١٨ .
(٦) انظر: السبعة في القراءات: ص٢٠٤ .

وأما الحرف الثاني فهو «دكا» في موضعين، الأول في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، [الأعراف: ١٤٣] والثاني في قوله تعالى على لسان ذي القرنيْن: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الكهف: ٩٨] قرأه حمزة والكسائي بالمدّ (دَكَّاءَ) في الموضعيْن، وقرأه ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر بالقصر (دكًّا) في الموضعيْن أيضا، وقرأ عاصم في الأعراف بالقصر (دَكًّا) وفي الكهف بالمد (دَكَّاءَ).

إن اختلافهم في هذين الحرفيْن غير مبني في الحقيقة على ما عرفناه من قواعد المدّ والقصر عند القراء، ولكنه يستند على ما هو جارٍ عند القبائل العربية من قصر ممدود أو مد مقصور؛ فالذين مدّوا يكونون قد قرأوا بلغة أهل الحجاز لأن المدّ من لهجاتهم، والذين قصروا يكونون قد قرأوا بلغة تميم وقيس وربيعة وأسد[١]. ذلك أن القبائل الحجازية تذهب إلى التأنّي وتحقيق الأصوات فتستوفي كميّة هذا الصائت حتى تصل به إلى الهمزة، وإن القبائل البدوية من تميم وقيس وربيعة وأسد تميل إلى السّرعة في النطق مما يؤدي بها إلى كثير من الحذف[٢].

---

(١) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص١٧٧ .

(٢) المرجع السابق، ص١٧٨ .

المبحث الثاني : الإبدال

١ - تعريف الإبدال وفيم يكون :

الإبدال في اللغة جَعْلُ شيء مكان شيء آخر، وبديل الشيء: الخلف منه[١]. وفي الاصطلاح معناه وَضْعُ حرف مكان حرف آخر تبعا لتأثر الأصوات بعضها بالبعض الآخر.

يكون فيما تقاربت مخارجه بانتقال مخرج الصوت إلى الوراء أو إلى الأمام[٢]. والصوتان المتبادلان أحدهما أصل والآخر فرع، وقد يكون كل منهما أصلا في بيئته[٣].

ذهب بعض المحدثين إلى أن الإبدال قد يكون لاتحاد الصفة بين المتبادلَيْن[٤]. وقال بعضهم: «إن المعوّل في معرفة نوع الصوت ودرجة إيقاعه على العضو الذي خرج منه من بيْن أعضاء جهاز النطق وليس على الطريقة أو الكيّفية التي تمّ بها انطلاق هذا الصوت»[٥].

وعلى كل حال فإن ظاهرة الإبدال واقعة في اللغة بين الأصوات يغلب أن يكون ذلك لِـ «تجانس» المتبادلَيْن أو لِـ «تقاربهما»؛ فمن الأول تبادل الهمزة والهاء في مثل: اتْمألّ السّنام واتْمَهلّ إذا انتصب، وأرقت الماء وهرقته. ومنه تبادل التاء والطاء في مثل

---

(١) لسان العرب: ١/ ٢٣١ مادة: بدل.
(٢) انظر: الأصوات اللغوية، ص٢٠٨ وسر صناعة الإعراب ١/١٩٧ .
(٣) انظر: الأصوات اللغوية، ص٢١٠ والخصائص ٢/ ٨٢ .
(٤) انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص٧٣ .
(٥) دراسات في فقه اللغة، الدكتور صبحي الصالح. طبعة دار العلم للملايين بيروت، طبعة ١٠، ١٩٨٣، ص٢١٨ .

قولهم: الأقطار والأقتار وهي النواحي. ومنه تبادل الثاء والذال في نحو: ثَرْوَة وذَرْوَة بمعنى: مال. ومنه تبادل الجيم والشين في مثل الأجدر والأشجر.

ومن الثاني، أي مما تقاربا في المخرج واتحدا صفة تبادل الحاء والخاء الرخوان في مثل: اطْمَحَرَّ واطمخرّ: إذا امتلأ وروي، ومنه تبادل الدال والباء المجهوران في مثل قولهم: قاد قوسيْن وقاب قوسيْن. ومنه تبادل الشّين والسّين المهموسان الرخوان في مثل قولهم: الغبش والغبس بمعنى السّواد(١).

٢ - اختلافهم في تبادل السّين والصاد، وعلة ذلك :

لم نجد من القراءات الصحيحة المتواترة بخصوص الإبدال في النصف الأول من القرآن الكريم سوى تبادل السين والصاد في كلمتيْن هما: السِّرَاطُ وَيَبْسُطُ.

فأما الكلمة الأولى فقد اختلف في قراءتها في موضعيْن من النصف الأول من القرآن الكريم:

أ - **الموضع الأول** في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] قرأها ابن كثير بالسّين (السراط) في رواية القَوّاس وعُبَيْد بن عَقيل عن شِبْل(٢). وروى عبيد بن عقيل كذلك عن أبي عمرو بن العلاء «أنّه كان يقرأ السراط بالسّين»(٣). وعن الأصمعي عن أبي عمرو أنه كان يقرأها بالزاي(٤)، وهي عند أبي على الفارسي من باب إشمام الصاد زايا(٥). أما بقية السبعة فقرأوا ذلك بالصاد الخالصة، وكذلك رواية البَزّي عن ابن كثير واليزيدي وعبد الوارث عن أبي عمرو(٦).

ب - **والموضع الثاني** في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] قرأها ابن كثير وابن عامر بالسين (سراطي)، وقرأها الباقون بالصاد (صراطي) وأشمّ حمزة الصاد الزاي.

---

(١) ينظر في هذا: دراسات في فقه اللغة، ص٢٢٠ وما بعدها.
(٢) انظر: السبعة في القراءات، ص١٠٥ . (٣) السبعة في القراءات، ص١٠٥ .
(٤) السبعة في القراءات، ص١٠٦ . (٥) انظر: الحجة في علل القراءات السبع، ١/ ٣٧ .
(٦) انظر: السبعة في القراءات، ص١٠٦، ١٠٧ .

أما القراءة بالسّين في ذلك فإنها على الأصل، وهو ما ذهب إليه ابن مجاهد(١).

وفي «لسان العرب»: «والسراط: السّبيل الواضح، والصّراط لغة في السّراط، والصاد أعلى لمكان المضارعة، وإن كانت السّين هي الأصل»(٢). ونقل أبو علي الفارسي عن ابن السّرّاج قوله: «للقارئ بالسّين أن يقول هو أصل الكلمة»(٣).

وأما القراءة بالصاد في ذلك فلكون الراء قد فُخّمت لأنها وردت مفتوحة ومسبوقة بكسر، فهي لذلك «تُعَدُّ من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق»(٤). وقد عمل الإطباق الذي فيها على تحويل السّين صاداً مثلها في الإطباق.

وذكر ابن مجاهد أن السّين قد رُسمت صاداً في المصحف العثماني وعلل ذلك بقوله: «وإنما كُتبت بالصاد ليقرّبوها من الطاء، لأن الطاء لها تصعّدٌ في الحنك، وهي مطبقة، والسّين مهموسة، وهي من حروف الصّفير، فثَقُلَ عليْهم أنْ يعمل اللسان منخفضًا ومستعليًا في كلمة واحدة فقلبوا السّين إلى الصاد لأنها مؤاخِيَةٌ في الإطباق ومناسبةٌ للسّين في الصغير، ليعمل اللسان فيها متصعّداً في الحنك عملاً واحداً»(٥).

وسواء أكان إبدال السّين صاداً للإطباق الذي في الراء كما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس أم لإطباق الطاء نفسها واستعلائها، فإن ذلك لا يغيّر في حقيقة علة الإبدال شيئا، فالإبدال في الحالتيْن عبارة عن تأثر رجعي محقّق لمبدإ الانسجام الصوتي وتقريب الحرف من الحرف.

وأما ما نُسب لأبي عمرو بن العلاء وحمزة من إشمام الصاد الزاي فعلته أن يقال: إن الزاي أخت الصاد في الصّفير وأخت الطاء في الجهر(٦).

وأما الكلمة الثانية (يبسط) فاختلف في قراءتها من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، [البقرة: ٢٤٥] كما اختلفوا في «بسطة» من قوله تعالى

---

(١) انظر: السبعة في القراءات، ص١٠٧.

(٢) لسان العرب: ٣/١٩٩٣، مادة: سرط.

(٣) الحجة في علل القراءات السبع: ١/٣٦.

(٤) الأصوات اللغوية: ص٦٧.

(٥) السبعة في القراءات: ص١٠٧.

(٦) انظر: السبعة في القراءات: ص١٠٨.

في حق طالوت: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾، [الأعراف:٦٩] قرأ ابن كثير وعاصم وأبوعمرو وابن عامر وحمزة كل ذلك بالسّين، وقرأ نافع والكسائي بالصاد(١).

وعلة هذا لا تخرج عما عللنا به لقراءتي السّين والصّاد في الحرف السابق؛ فالقراءة بالسين على الأصل، والقراءة بالصاد لمطابقة الطاء. قال ابن خالويه: «فالحجة لمن قرأ بالسّين أنه جاء به على أصل الكلمة، والحجة لمن قرأ بالصاد أنه أبدلها من السّين لتؤاخي السّين في الهمس والصفير، وتؤاخي الطاء في الإطباق»(٢).

---

(١) انظر: السبعة في القراءات: ص١٨٥ ، ١٨٦ . ولم يذكر ابن مجاهد كيف قرأ ابن عامر.
(٢) الحجة في القراءات السبع: ص٦٣، وانظر: الحجة في علل القراءات السبع ٢/١٦١ .

المبحث الثالث : الوصل والوقف

الوصل والوقف ضدان؛ الأول من وصل الشيء بالشيء دون فصل، وهو في الاصطلاح يعني وصل الكلام أوله بآخره دون تنفس. والثاني من وَقَفَ إذا قَطَعَ أَوْ كَفَّ، وفي الاصطلاح معناه قَطْعُ الكلمة عما بعدها بسكتة طويلة يُتنفّس فيها قبل الابتداء.

وللوقف أنواع وقواعد مفصّلة في كتب القراءات نتجاوز ذلك طلبًا للإيجاز[1].

وقد ارتبطت بظاهرتيْ الوصل والوقف مجموعة من الحروف والضمائر أهمها: ياء المتكلم، وياء المنقوص والناقص، والألف في بعض التراكيب، وهاء السكت.

أولا : ياء المتكلم

ياء المتكلم هي ضمير بُني في الأصل على السكون، يكون في محل جر مع الأسماء وحروف الجر، ويكون في محل نصب مع الأفعال والحروف المشبهة بالفعل. وقد أطلق أئمة القراءة على هذا الضمير اسم « ياء الإضافة » تجوّزًا[2]. ولكنهم جعلوه خاصًا بما رُسِمَ من ذلك في المصحف سواء اختُلف فيه بين الإسكان والفتح أو لم يختلف فيه. أما ما حُذف منه في رسم المصحف فهو عندهم من « ياءات الزوائد »[3] التي تزاد على رسم المصحف في القراءة.

فأما النوع الأول – وهو ياء الإضافة المرسومة في المصحف – فقد انحصر الخلاف فيه بين الإسكان والفتح، وجملة ما اختلف فيه في القرآن كلّه « مائتا ياء واثنتا عشرة

---

(١) انظر في ذلك: النشر في القراءات العشر: ١ / ٢٢٤ – ٢٣٠ و٢ / ١٢٠ وما بعدها.

(٢) راجع: النشر ٢ / ١٦١ .

(٣) ياءات الزوائد: مصطلح خاص لدى علماء القراءات يعنون به ما حذف رسمًا من الياءات سواء كان من الحروف الزائدة في الكلمة أو الأصلية فيها.

(٢١٢) ياء، وقد عَدَّها الداني وغيرُهُ: أربع عشرة [ومائتين] (٢١٤) فزادوا اثنتيْن »[1].

ولا شك أن مَن اختار القراءة بإسكان الياء في هذا النوع يكون قد اختار الأصل لأن ياء المتكلم ساكنة في الأصل. وذهب بعضهم إلى اعتبار الفتح فيها أصلا أيضا لأن هذه الياء اسم على حرف واحد فقوي بالحركة[2]. هذا في حالة ما لم يجاورها ساكن بتقديم أو تأخير، فإن جاورها حرّكوها بأخف الحركات وهو الفتح لأن الياء حرف ثقيل إذا تحرّك، ولذلك وَجَدْت العرب تقلبها ألفًا إذا تحرّكت بفتح وكان ماقبلها مفتوحًا، مثل: باع واختار، وتحذفها في الاسم المنقوص في حالتيْ الرفع والجرّ لثقل النطق بالياء مع ضم أو كسر.

نحن إذًا نميل إلى القول بأن علة مَنْ قرأ مِنْ « ياءات الإضافة » بالإسكان يكون قد فعل ذلك مراعاة للأصل وأنّ مَنْ قرأ منها بالفتح يكون قد اختار أخفّ الحركات، وكلّه جائز لأن « الفتح والإسكان – في ياء المتكلم – لغتان فاشيتان عند العرب »[3] في الوصل والوقف، وذلك إذا لم يَحُلْ حائل لفظي دون ذلك كما حصل في قراءة نافع من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] حيث قرأ ذلك بإسكان الياء من « مَحْيَاي » وفَتَحَها في « مَمَاتِي ». وقد اعتبر الفارسي إسكان ياء « محياي » شاذًا لالتقاء ساكنيْن[4]. واعتبر الوقف عليها قبيحًا لتعلق ما قبل الياء بما بعدها في المعنى. وقد روى ورش أن نافعًا عَدَلَ عن ذلك ففتح ياء « محياي »[5]. وهو من الناحية الصوتية جائز في العربية لكون الساكن الأول ألف مدّ.

---

(١) النشر: ٢ / ١٦٣ وانظر: التيسير في القراءات السبع: ص٥٦ .

(٢) انظر: طلائع البشر: ص١٨ .

(٣) طلائع البشر: ص١٧ .

(٤) انظر: معاني القراءات: ١ / ٣٩٩ بالهامش "١".

(٥) انظر: السبعة في القراءات: ص٢٧٥ .

أما إن حال ساكن غير المدّ دون إسكان ياء المتكلم، فالعرب تفضل فتح الياء كما هي قراءة العامة في «بمُصْرِخِيَّ» من قوله تعالى على لسان إبليس ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم : ٢٢] بفتح الياء في الوقف والوصل لالتقائها مع ياء الجمع الساكنة المدغمة فيها[١].

واختار حمزة قراءة ذلك بكسر الياء مع التشديد (بِمُصْرِخِيِّ) وقفا ووصلا. وذهب بعضهم إلى اعتبار ذلك لغة عند العرب[٢]. وقال الفراء: إنه قد يكون وهمًا من القراء[٣].

إنّ القراءة بفتح ياء المتكلم في الوصل لتكون أكثر تقبلا واختيارا لها عندما يليها الهمز، وذلك أمر ملاحظ سواء كانت الهمزة مفتوحة أومكسورة أو مضمومة أو همزة وصل، فابن كثير ونافع وأبوعمرو يفتحون كل ياء متكلم جاءت بعدها همزة مفتوحة[٤] مثل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٠، ٣٣] و﴿أَنِّي أَخْلُقُ﴾ [آل عمران : ٤٩] و﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ﴾، [المائدة: ١١٦] ونافع وأبوعمرو يفتحَان كذلك كل ياء متكلم بعدها همزة مكسور[٥] ، مثل ﴿يَدِيَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٢٨] و﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢، والصف: ١٤] و﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩] ونافع يفتح وحده كل ياء متكلم بعدهَا ضم والباقون يسكنونها(٦)، وذلك مثل ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾ [آل عمران: ٣٦] و﴿إِنِّي أُمِرْتُ﴾. [الأنعام: ١٤، والزمر : ١١]

وكأني بمن يفتح ياء المتكلم في الوصل قبل الهمز إنما يفعل ذلك للسبب الذي لأجله يُمدّ قبل الهمز، فإن الفتح يسهل معه النطق بالهمز محققا ومخففا.

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٢٠٣ وإعراب القراءات: ١/ ٣٣٥ .
(٢) انظر: إعراب القراءات ١/ ٣٣٥ وإملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ٢٦ .
(٣) معاني القرآن ٢/ ٧٥ .
(٤) انظر: التيسير في القراءات السبع: ص٥٦ .
(٥) التيسير في القراءات السبع. ص٥٨ .
(٦) التسيير في القراءات السبع، ص٥٨ .

أما إسكان ياء المتكلم في الوصل إذا كان بعدها همز فإن ذلك لا يكون في الحقيقة ممكنا إلا بواسطة مدّ الياء، وكذلك إسكانها في الوصل أيضا إذا كان بعدها همزة وصل أو «أل» التعريف، كما هو الحال في ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] في قراءة نافع وابن عامر والكوفيّين، و﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] في قراءة حمزة وحفص عن عاصم، و﴿رَبِّيَ الَّذِي﴾ [البقرة: ٢٥٨] في قراءة حمزة وحده، و﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٦] في قراءة ابن عامر وحمزة.

والذي يظهر أن قراءة ذلك بحذف الياء أمكن على اللسان وأفصح في البيان. ولعل قولهم أن بعض القراء قرأوا ذلك بالإسكان، أي بالحذف نطقا لا خطا لثبوت الياء في الرسم.

وأما النوع الثاني – وهو ما حذف من ياء المتكلم في رسم المصحف – فقد انحصر الخلاف فيه بين الحذف والإثبات قراءةً أو نطقًا في الوصل والوقف. وقد ألحقه علماء القراءات بما حذف من الياءات في رسم المصحف مما تطرّف في آخر الكلمة سواء كان أصليا أو زائداً.

ذكر أبوعمرو الداني أن عدد ياءات الزوائد إحدى وستون (٦١) ياء[١]، أحصيْنا منها ستًّا وعشرين (٢٦) ياء متكلم في النصف الأول من القرآن الكريم، اختُلف في ثماني عشرة (١٨) منها بين الحذف والإثبات وصلاً ووقفًا.

لاخلاف بين علماء القراءات واللغة العربية أن ياءات الزوائد بما في ذلك ياءات المتكلم إنما تُحْذَفُ اكتفاءً بالكسرة التي قبلها كما يقولون، وهي حركة قصيرة من جنس الياء.

والواقع أن حذفهم لتلك الياء في الوقف وحده أو في الوقف والوصل إن كان

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع: ص٦٠ .

لأجل الاكتفاء بالكسرة قد جاء موافقا أيضا لرسم المصحف كما ارتضاه الصحابة من الجيل الأول الذي شهد نزول الوحي وكتابة المصاحف العثمانية، ثم إن ذلك الحذف قد وافق رؤوس آي الذكر الحكيم في كثير منه، ومن ثَمَّ فإن العلة التي لأجلها كان هذا الحذف ثلاثية الأبعاد تتمثل في:

١ – الاكتفاء بالكسر.

٢ – موافقة رسم المصحف.

٣ – موافقة رؤوس الآي.

فأما العلة الأولى فصالحة لحذف كل ياء من ياءات الزوائد، ولذلك حصل بخصوصها إجماع العلماء. وابن مجاهد ما يفتأ يذكرها في إشارته إلى حذف ياءات الزوائد وله في ذلك عبارتان مشهورتان هما:

أ – أن الياء حذفت «لكسر ما قبلها»[١].

ب – أن الياء حذفت «اكتفاء بكسر ماقبلها»[٢].

كذلك العلة الثانية، فإنها صالحة للقول بها في حذف كل ياء من ياءات الزوائد.

وأما العلة الثالثة فصالحة في البعض دون البعض الآخر. وأما من اختار القراءة بإثبات شيء من ياءات الزوائد في النطق فإنه يكون قد اختار الأصل[٣].

ومن أمثلة المختلف فيه من ياءات المتكلم بين الحذف والإثبات: ﴿دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] و﴿وَاتَّقُونِ﴾[البقرة: ١٩٧] قرأهما ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بغير ياء في الوصل والوقف؛ وقرأهما أبو عمرو بالياء في الوصل

---

(١) السبعة في القراءات: ص١٩٧، ٢٢٢.

(٢) السبعة في القراءات: ص٢٥٠، ٣٨٦، ٤٠٣.

(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٣٠.

وبغير الياء في الوقف، واختُلف عن نافع[1]. ومن ذلك ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] و﴿خافون﴾؛ [آل عمران: ١٨٥] قرأهما أبوعمرو بالياء في الوصل، وبغير الياء في الوقف، واختلف عن نافع، وقرأهما الباقون بغير الياء في الوصل والوقف[2].

ومن ذلك أيضا ﴿أَخَّرْتَنِ﴾، [الإسراء: ٦٢] قرأها ابن كثير بالياء في الوصل والوقف، وقرأها بغير الياء نافع وأبوعمرو في الوقف وبالياء في الوصل، وقرأها الباقون بغير ياء في الوصل والوقف.

ومنه أيضا: ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ [الكهف: ٢٤] و﴿إِن تَرَنِ أَنَا﴾ [الكهف: ٣٩] و﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي﴾ [الكهف: ٤٠] و﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾ [الكهف: ٦٦] قرأهن ابن كثير ونافع وأبوعمرو بياء في الوصل ووقفوا بغير ياء، وقرأهن الباقون بغير ياء في الوصل والوقف.

والذي نلاحظه بصورة عامة أن الكوفيّين الثلاثة عاصما وحمزة والكسائي ومعهم ابن عامر هم أكثر حذفا لياء الزوائد اتباعًا للرّسم. وأبو عمرو ميّال للحذف وقفا وللإثبات وصلا ثم هو مختار لأحدهما حينا وللآخر حينا آخر إذا كانت الياء رأس آية كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] وقوله ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: ٦٤] وأما نافع فجامع بيْن الحذف والإثبات وصلاو وقفًا[3].

ثانيا : ياء المنقوص والناقص

أما ياء الاسم المنقوص والفعل الناقص المحذوفة في رسم المصحف فهي من «ياءات الزوائد» وإن كانت أصلية لأنها تقابل لام الكلمة أو الوزن، وقد انحصر خلاف القراء فيها بين الحذف والإثبات كما هو حال خلافهم في ياء المتكلم الزائدة

---

(١) انظر: السّبعة في القراءات: ص١٩٧ .
(٢) انظر: السبعة في القراءات: ص٢٢٣ .
(٣) انظر نسبة قراءة كل قارئ بالحذف والإثبات لياءات الزوائد في «التيسير في القراءات السبع»: ص٦٠، ٦١ .

المحذوفة من الرسم، وبناء على ذلك فإن علة حذفها لا تخرج عن علة حذف هذه بأبعادها الثلاثة المذكورة، وعلة إثباتها هي علة إثبات هذه، وهي علة الأصل.

وقد عرض سيبويه لياء المنقوص والناقص، وذهب إلى أن حذف هذه الياء وقفا في مثل: القاضي والرامي والغازي قد «شبهوه بما ليس فيه ألف ولام.. لأن الياء مع الكسرة تستثقل»[١].

وقد اختلفوا في أربع ياءات منقوص من النصف الأول من القرآن الكريم، هذا بيان لها[٢].

اختلفوا في «الداع» من قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] أثبت الياء في الوصل مراعاة للأصل أبوعمرو وورش فيما رواه عن نافع، وحذفها الباقون في الوصل والوقف موافقة للرسم واكتفاء بالكسرة.

واختلفوا في «المتعال» من قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ .[الرعد : ٩] أثبت الياء في الوصل والوقف ابن كثير على الأصل، وحذفها في الحالين الباقون موافقة للرسم واكتفاء بالكسرة.

واختلفوا في «المهتدِ» في موضعين، الأول في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾، [الإسراء: ٩٧] والثاني في قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾، [الكهف: ١٧] أثبتها فيهما نافع وأبوعمرو في الوصل على الأصل، وحذفها الباقون في الوصل والوقف مراعاة للرسم واكتفاء بالكسرة.

وأما ياءات الفعل الناقص، فقد اختلفوا في ثلاث منها[٣]، وهي الواردة في قوله تعالى في يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥] أثبتها ابن كثير في الوصل والوقف لتجردها من العامل النحوي على الأصل، وأثبتها نافع

---

(١) كتاب سيبويه: ٤/ ١٨٣.

(٢) انظر ذلك في فرش الحروف عند نهاية كل سورة في الكتب الآتية: «السبعة» و«التيسير» و«النشر».

(٣) انظر ذلك عند نهاية «هود» و«يوسف» و«الكهف» في: السبعة، والتيسير، والنشر.

وأبوعمرو والكسائي في الوصل وحذفوها في الوقف، وقرأ عاصم وحمزة وابن عامر بحذفها وقفا ووصلا موافقة للرسم. والتي في قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، [يوسف: ٩٠] أثبت الياء من «يتق» ابن كثير في رواية قنبل وصلا ووقفا حملاً لها على الأصل، وعلامة الجزم السكون المقدرة، وحذفها الباقون في الحالين موافقة للرسم، والتي في قوله تعالى على لسان موسى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾، [الكهف: ٦٤] أثبتها ابن كثير في الوصل والوقف لتجردها من العامل اللفظي النحوي، وأثبتها نافع وأبوعمرو والكسائي في الوصل على الأصل وحذفوها في الوقف، وحذفها عاصم وحمزة وابن عامر في الحالين.

ثالثا : الألف من «أنا» و«حاشا» و«لكنا»

ارتبطت الألف بظاهرتيْ الوصل والوقف في بعض التراكيب أو الألفاظ، لوحظ ذلك في مواضع، منها في النصف الأول من القرآن الكريم خمسة مواضع اختلف في حذف الألف فيها وإثباتها في حالة الوصل، واتفقوا على إثباتها في الوقف، وذلك في لفظ «أنا» من قوله تعالى على لسان الذي حاجّ إبراهيم ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقوله ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، [الأنعام: ١٦٣] قرأ نافع وحده بإثبات ألف «أنا» في الآيتيْن وصلا ووقفا، ووصل بقية القراء السبعة بغير ألف.

وفي علة جواز إثبات الألف وحذفها وصلا في الموضعين نقول: إن قراءة نافع بالإثبات في الوصل هي على المد المنفصل لأجل الهمزة التي بعد الألف في أول «أحيى» و«أول»، وقد سبق الحديث عن ذلك في المبحث الأول (المد والقصر) من هذا الفصل.

وذهب ابن خالويه إلى أن قراءة نافع في لفظ «أنا» هي على الأصل «لأن الألف في أنا كالتاء في أنت»[1].

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص٩٩ .

وأما قراءة بقية السّبعة بحذف الألف في الموضعين وصلا فإن ذلك هو الغالب في العربية، وذهب ابن خالويه إلى أن «الحجة لمن طرحها أنه اجتزأ بفتحة النون ونابت الهمزة عن إثبات الألف»[1].

ولم يختلفوا في إثبات ألف «أنا» في الموضعيْن المذكورين وفي غيرهما وقفًا.

وأما الموضعان الثالث والرابع ففي لفظ «حاشا» من قوله تعالى ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً﴾ [يوسف: ٣١] وقوله ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١] حيث قرأ ذلك أبوعمرو وحده بإثبات الألف في الوصل والوقف، وقرأ بقية السبعة بغير ألف في الوصل.

وعلة قراءة أبي عمرو بالألف هي على الأصل[2]، ثم هي جائزة صوتيا لعدم التقاء ساكنيْن إذ أن الذي بعد الألف متحرّك بكسر وهو اللام. وذهب ابن خالويه إلى أن القراءة بإثبات الألف هي من حاشى يحاشي بمعنى معاذ الله. وإليه ذهب المبرّد وابن جني والكوفيون فـ«حاشا» عندهم فعل لتصرفهم فيها بالحذف ولدخولها على حرف الجر. وذهب ابن هشام إلى «أنها اسم مرادف للبراءة»[3].

وأما الموضع الخامس ففي لفظ «لكنّا» من قوله تعالى ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] حيث قرأ ابن عامر والمسيّبي فيما رواه عن نافع «لكنّا» بالألف في الوصل والوقف، وقرأ الباقون ذلك بإسقاط الألف في الوصل.

وعلة قراءة ابن عامر والمسيّبي بالألف على الأصل، لأن لفظ «لكنّا» هنا في الأصل: لكنْ أنا، حذفت الهمزة تخفيفا ثم أدغمت نون «لكن» في نون الضمير. والألف من «أنا» أصلية كالتاء في أنت[4]. وهو مذهب الكوفيّين[5]. وذهب

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص٩٩ . (٢) انظر: الكشف عن وجوه القراءات: ٢/ ١٠ .

(٣) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ١٤٠ .

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٢٢٤ وإعراب القراءات: ١/ ٣٩٤، ومعاني القرآن: ٢/ ١٤٤ .

(٥) انظر: الكشف عن وجوه القراءات: ٢/ ٦٢ .

أبو منصور الأزهري إلى أن إثبات الألف في الوصل أجود بعد حذف الهمزة «فصار إثباب الألف عوضا من الهمزة»[1].

أما قراءة العامة بغير ألف في الوصل فلعلتيْن هما: الاكتفاء بالفتحة عن الألف، وموافقة رسم المصحف، إذ هي في المصاحف العثمانية بغير ألف. وذهب مكي بن أبي طالب القيسي إلى القول: «وكأنهم جعلوا اللام في لله عوضًا منها»[2]. وقد اشتهر عند علماء القراءات ألفات تَثْبُتُ وقفا وتحذف وصلا بلغ عددها عشر[3].

رابعا: هاء السّكت

هاء السكت هي هاء متطرفة زائدة، يُؤتى بها لغرض الوقف أو السّكت، وهي لذلك لا تكون إلا ساكنة، ويسميها بعضهم «هاء الراحة»[4].

يغلب استعمال هاء السكت مع الفعل المعتل الناقص المسند للمفرد المذكر في صيغة الأمر أو المضارع المجزوم، مثل: اسعهْ، ولم يسعهْ. كما تستعمل مع ياء المتكلم إذا فُتحتْ، مثل كتابِيَهْ، وكذلك مع ضميريْ الغائب: هو وهي، فيقال فيهما: هُوَهْ وهِيَهْ.

والهاء - كما هو معلوم - حرف حنجري رخو مهموس مستفل، وهي لذلك ضعيفة، وقد زاد في ضعفها عدم تحرّكها، فكانت أنسب لحالة الوقف والسكت.

ذُكرت هاء السكت في سبعة مواضع من القرآن كله؛ في قوله تعالى:

﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]

وقوله: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]

وقوله: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٦]

---

(١) معاني القراءات: ٢/١١١.
(٢) الكشف عن وجوه القراءات: ٢/١٠.
(٣) انظر: علم التجويد: ص٨١، ٨٢.
(٤) نيل الخيرات في القراءات العشر المتواترة: ص٤٧.

وقوله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠]

إن هاء السكت مع أنها لا يُؤتى بها إلا للوقف والاستراحة، فلا تكون في الوصل[١]، وهو ما يدل عليه معناها وصفاتها قد اختلف في إثباتها وحذفها وصلا، وذلك في مواضع خمس من المواضع المذكورة في القرآن، وذلك كما يأتي:

قرأ كل من ابن كثير ونافع وعاصم وأبوعمرو وابن عامر الأحرف لم يتسنه، واقتده، وماليه، وسلطانيه، وماهيه كلها بإثبات هاء السكت في الوقف وفي الوصل أيضا. وقرأ حمزة ذلك بحذف الهاء في الوصل (لم يتسنّ، واقتد، ومالي، وسلطاني، وماهي). وقرأ الكسائي من ذلك: لم يتسنّ، واقتد بحذف الهاء في الوصل، وأثبت الهاء في الأحرف الأخرى وقفا ووصلا كعامة القراء.

ولم يُختلف في حرفيْ الحاقة الأوليْن (كتابيه وحسابيه) فهما عندهم جميعًا بإثبات الهاء في الوقف وحذفها في الوصل.

فأما علة من قرأ بإثبات الهاء في الوصل أيضا، فالأرجح أن يقال في ذلك: إنهم اتبعوا رسم المصحف[٢]. ويجوز القول: إنهم شبهوها بهاء الضمير التي للغائب المفرد. ويلاحظ أنه لا يوجد ساكن بعدها يحول دون النطق بها في الوصل، فلا عيب في ذلك من الناحية الصوتية، ولا من ناحية المعنى كذلك لأن الوقف عليها في المواضع المذكورة مستحب، بل لأجله جيء بها، فهي رؤوس آي، ولكنه وقف غير لازم لعدم فساد المعنى مع الوصل.

وذهب أبو علي الفارسي إلى أن هاء السكت بمثابة لام الكلمة فهي تثبت لذلك

---

(١) انظر: كتاب سيبويه: ٤/ ١٥٩.

(٢) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٠٠ والكشاف: ٢/ ٤٣.

في حالتيْ الوقف والوصل[١]. واختار أبو إسحاق الزجاج الوقف عليها فلا يصل معها[٢].

وأما علة من طرحها في الوصل فلأنها إنما جيء بها في الأصل للوقف وبيان حركة ما قبلها، واسْتُغْنِيَ عنها في الوصل لبيان حركة ما قبلها بدونها[٣]. ولذلك شبهها بعضهم بهمزة الوصل التي يُؤتى بها للابتداء، فإن لم يُبتدأ بها سقطت[٤]، وكذلك حال هاء السكت تسقط عندهم إذا لم يوقف عليها.

---

(١) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٢٨٢ .
(٢) انظر: معاني القراءات: ١/ ٣٧٠ .
(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٠ وطلائع البشر: ص٤٧ .
(٤) انظر: السبعة في القراءات: ص٢٦٢ ومعاني القراءات: ١/ ٢٢١ .

المبحث الرابع : هاء الضمير

أولا : أصلها في الوصل والمختلف فيه منها

١ - هاء الضمير وأصلها في الوصل :

هاء الضمير هي هاء الغائب المفرد المذكر. يغلب تسميتها في كتب القراءات بـ« هاء الكناية » لأنه يكنى بها عن ذلك.

تكون متطرفة، وتتصل بالاسم أو بالفعل أو بالحرف. وتنقسم بحسب ما بعدها إلى قسمين، هما:

١ - أن تقع قبل متحرك، والأصل فيها عند القراء في حال الوصل كما يلي:

أ - إذا تقدمها فتح أو ضم وُصِلَتْ عندهم جميعا بالواو إشباعًا لحركة الضم فيها، وذلك مثل: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ [الكهف: ٣٧].

ب - إذا تقدمها كسر وُصِلتْ عندهم بياء إشباعًا لحركة الكسر فيها، مثل: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ [الإسراء: ١].

والوصل بالواو بعد الفتح والضم وبالياء بعد الكسر أصل نصّ عليه سيبويه(١).

جـ - إذا تقدمها ساكن جاز وصلها وعدم وصلها، مثل: ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾ [البقرة: ٢] و﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] و﴿ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ١٢١] و﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١] غير أن ابن كثير اختار وحده وصل هذا الضمير المسبوق بساكن أوحرف مد ألفا كان أو واوًا أو ياءً، فجعله كحال المسبوق بفتح أو ضم أو كسر، واختار غيره تحريكه من غير صلة، وهو مذهب سيبويه(٢).

---

(١) انظر: كتاب سيبويه: ٤/ ١٩٠.

(٢) انظر: كتاب سيبويه: ٤/ ١٨٩.

٢ - أنْ تقع قبل ساكن، والأصل فيها في حالة الوصل التحريك من غير صلة، وذلك لئلا يجمع ساكنان. ويكون ذلك كما يلي:

أ - إذا تقدمها كسر أو ياء ساكنة تُكسر من غير وصلها بياء، نحو: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١] ونحو ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. [المائدة: ١٨]

ب - إذا تقدمها فتح أو ضم أو ساكن غير الياء، تُضَمُّ من غير وصلها بواو، نحو: ﴿نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] و﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣] و﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] و﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾. [الكهف: ٤٥]

٢ - المختلف فيه منها :

خرج عن هذه الأصول المذكورة ثمانية عشر (١٨) حرفا في أربعة وعشرين (٢٤) موضعًا أحْصَيْناها في كتاب «النشر»[١] منها في النصف الأول من القرآن الكريم تسعة (٩) أحرف، هذا بيان بها وبكيفية الخلاف فيها منسوبا إلى أصحابه من القراء السبعة:

جدول رقم : (١٤)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	السورة ورقم الآية	بالضم/ بالإسكان	كيفية القراءة	المقرئ
١	فيهِ	البقرة ٢	بعدها متحرك قبلها ياء ساكنة	بالكسر دون صلة	السبعة عدا ابن كثير
				بالكسر والصلة	ابن كثير
٢	يُؤَدِّهِ	آل عمران ٧٥ (مرتان)	بعدها متحرك قبلها كسر	بالكسر والصلة	ابن كثير والكسائي ونافع (رواية ورش)
				باختلاس كسرة الهاء	نافع (رواية قالون)
				بالإسكان أو الاختلاس أو الصلة	ابن عامر
				بإسكان الهاء	أبو عمرو وعاصم وحمزة

(١) النشر: ١/٣٠٥ - ٣١٣ . وذكر مكي أن عددها ٢٢ موضعا، انظر: التبصرة: ص٥٩ .

٣	نُؤْتِه	آل عمران ١٤٥ (مرتان) الشورى ٢٠	بعدها متحرك قبلها كسر	بالكسر والصلة	ابن كثير والكسائي ونافع (رواية ورش)
				باختلاس كسرة الهاء	نافع (رواية قالون)
				بالإسكان أو الاختلاس أو الصلة	ابن عامر
				بإسكان الهاء	أبو عمرو وعاصم وحمزة
٤	نُوَلِّه	النساء ١١٥	بعدها متحرك قبلها كسر	بالكسر والصلة	ابن كثير والكسائي ونافع (رواية ورش)
				باختلاس كسرة الهاء	نافع (رواية قالون)
				بالإسكان أو الاختلاس أو الصلة	ابن عامر
				بإسكان الهاء	أبو عمرو وعاصم وحمزة
٥	نُصْلِه	النساء ١١٥	بعدها متحرك قبلها كسر	بالكسر والصلة	ابن كثير والكسائي ونافع (رواية ورش)
				باختلاس كسرة الهاء	نافع (رواية قالون)
				بالإسكان أو الاختلاس أو الصلة	ابن عامر
				بإسكان الهاء	أبو عمرو وعاصم وحمزة
٦	بِه	الأنعام٤٦	بعدها ساكن قبلها كسر	بالكسر من غير صلة	السّبعة
				بالضم من غير صلة	نافع (رواية ورش)
٧	أَرْجِه	الأعراف ١١١	بعدها متحرك قبلها كسر	بالكسر والصلة	الكسائي ونافع (رواية ورش)
				باختلاس كسرة الهاء	نافع (رواية قالون)
				بإسكان الهاء	عاصم وحمزة
				بهمزة قبل الهاء والوصل بالواو	ابن كثير وابن عامر (رواية هشام)
				بهمزة دون الوصل بالواو	أبو عمرو
				بهمزة وكسر الهاء دون صلة	ابن عامر (رواية ابن ذكوان)

٨	تُرْزَقَانه	يوسف٣٧	بعدها متحرك قبلها كسر	بالكسر والصلة	السّبعة
				باختلاس كسرة الهاء أو الصلة	نافع (رواية قالون)
٩	أَنْسَانِيه	الكهف ٦٣	بعدها متحرك قبلها ياء ساكنة	بالكسر من غير صلة	السّبعة عدا ابن كثير
				بالكسر والصلة	ابن كثير
				بضم الهاء من غير صلة	عاصم (رواية حفص)

والذي يمكن ملاحظته من خلال نظرة في هذا الجدول أنّ:

١ – ثمانية (٨) أحرف من مجموع تسعة (٩) وقعت هاء الضمير فيها قبل متحرك، ستّة (٦) منها مسبوقة بكسر، وحرفان (٢) مسبوقان بياء ساكنة. أما الحرف التاسع فقد وقعت الهاء فيه قبل ساكن مسبوقة بكسر وهو الحامل لـ رقم ٦ (به).

٢ – كُرِّر من هذه الأحرف التسعة حرفان مرتيْن هما الحاملان لـ رقم ٢ (يؤده) ورقم ٣ (نؤته)[١].

٣ – اختيار القراء متماش مع الأصول المذكورة سابقا غير أن نافعًا اختار فيما رواه عنه قالون اختلاس كسرة الهاء إذا جاء بعدها متحرك وسبقها كسر، وكان ابن عامر مخيّرا في ذلك بين إسكان الهاء أو اختلاس حركتها أو وصلها بياء.

ثانيا : علل المختلف فيه من هاء الضمير

١ – الهاء التي بعدها متحرك المكسور ما قبلها :

فأما ما قرئ بكسر الهاء ووصلها بياء من هذه الأحرف التي جاءت فيها قبل متحرك ومسبوقة بكسر، فإن قراءته هي على الأصل الذي ارتضاه عامة القراء في حالة الوصل، وأخذ به ابن كثير في خمسة أحرف من السّتّة المذكورة، والتي أرقامها هي : ٢، ٣، ٤، ٥، ٨، ووافقه الكسائي وورش (عن نافع) فيها، ولكن ابن كثير خالفهما

(١) تكرر هذا الحرف مرة ثالثة في سورة الشورى، الآية ٢٠ .

في الحرف رقم ٧ فقرأه هو وهشام (عن ابن عامر) بهمزة ساكنة قبل الهاء وضم الهاء ووصلها بواو (أرجئهو)[١]، وقرأه الكسائي وورش (عن نافع) بكسر الجيم من غير همزة ووصل الهاء بياء (أرجهي) على الأصل.

وإنما كان وصل الهاء بياء أصلا لأن الهاء حرف ضعيف[٢] فإذا تُركت بلا صلة فإنه يكاد يتلاشى وقعها ويتبدّد جرسها لضعفها وخفائها[٣].

ويلاحظ أن الهاء في الأحرف الستّة المشار إليها واقعة طرفًا في أفعال؛ خمسة منها أفعال ناقصة (آخرها حرف علة) أربعة مضارعة مجزومة بالشرط هي الحاملة للأرقام: ٢ (يؤدّه) و٣ (نؤته) و٤ (نولّه) و٥ (نصله)، والفعل الخامس ورد بصيغة الأمر وهو الحرف رقم ٧ (أرجه). وبناء على ذلك فإن الأصل في هاء الضمير المتصلة بهذه الأفعال أنها مسبوقة بياء ساكنة حذفت في الأفعال المضارعة علامة للجزم وحذفت في «أرجه» علامة للبناء «فأفضى الكلام إلى هاء قبلها كسرة فأشبعت حركتها فردّ ما كان يجب في الأصل لها»[٤].

وأما الحرف رقم ٨ (تُرْزَقَانِه) فقد اتّصلت الهاء فيه بفعل صحيح مضارع مرفوع علامة رفعه ثبوت نون مكسورة بعد ألف المثنّى وبعد النون هاء الضمير التي وُصلتْ كسرتها بياء على الأصل عند القراء السبعة دون خلاف إلا فيما نُسب لقالون عن نافع في رواية من أنه قرأ باختلاس كسرة الهاء.

يُضاف إلى اعتماد الأصل في قراءة الأحرف السابقة بالكسر والصلة ارتضاءُ تلك الصلة بوجه خاص في الحرفين رقم ٢ (يؤده إليك) ورقم ٨ (ترزقانه إلا)، وذلك لأجل الهمزة التي جاءت بعد الهاء، وعليه يكون وصل كسرة الهاء – في هذين الحرفيْن وماشابههما – بالياء من باب الصلة الكبرى أو مدّ المنفصل.

---

(١) راجع ذلك في الفصل الأول من هذا الباب (الثاني).

(٣) راجع هاء السكت المذكورة سابقا.

(٣) انظر: التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم، ص٩١ .

(٤) الحجة في القراءات السبع: ص١١١ .

وأما ما قُرئ من تلك الأحرف الستّة وماشابهها باختلاس كسرتها، وهو اختيار نافع فيما رواه عنه قالون في مجموع الأحرف الستّة ووافقه ابن عامر (في رواية) في الأحرف: ٢ (يؤده) و٣ (نؤته) و٤ (نوله) و٥ (نصله) فالأرجح أنه كان بِنِيَّةِ الوقف بالسكون على الهاء، فلما حصل الوصل صُيِّر السكون بَيْنَهُ وبيْن الكسر، وهو وضع يشبه تماما همزة الوصل.

وذهب ابن خالويه إلى أن الحجة لمن اختلس الحركة في الأحرف التي حذفت فيها ياء الفعل الناقص أنه لـمّا زالت الياء «بقيت الحركة (وهي الكسرة) مختلسة على أصل ما كانت عليه»[١] أي على اعتبار أن الهاء مسبوقة بياء ساكنة. وذهب أبو البقاء العكبري إلى أن هذه القراءة هي بـ« كسر الهاء من غير ياء – وليس اختلاسا – اكْتُفِيَ بالكسرة عن الياء لدلالتها عليها، ولأن الأصل أن لا يُزاد على الهاء شيء كبقية الضمائر»[٢]. وذلك هو اختيار القراء السّبعة عدا ابن كثير في هاء الضمير المسبوقة بساكن والمتبوعة بمتحرك.

وأما ما قرئ من تلك الأحرف الستّة وما شابهها بإسكان الهاء في الوصل، وهو ما فعله أبوعمرو وعاصم وحمزة في الأحرف: ٢ (يؤده) و٣ (نؤته) و٤ (نوله) و٥ (نصله) ووافقهم ابن عامر فيها في رواية عنه، وبه قرأ عاصم وحمزة في الحرف رقم ٧ (أرجه) فإنّ علته قد اختُلف فيها على النحو الآتي:

١ – ذهب بعضهم إلى أنه أجري الوصل فيه مجرى الوقف.[٣]

٢ – وذهب بعضهم إلى أن هاء الضمير شُبّهت في هذه المواضع بهاء السكت[٤].

٣ – وذهب البعض إلى القول بأن من أسكن الهاء في هذه المواضع يكون قد فعل ذلك بنيّة الوقف[٥].

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١١١، وانظر: نيل الخيرات، ص٤٩ .
(٢) إملاء مَامَنّ به الرحمن: ١ / ١٤٠ . (٣) نفسه: ١ / ١٤٠ .
(٤) التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عَاصم: ص٩١ . (٥) نيل الخيرات: ص٤٩ .

٤ - وقال ابن خالويه: إنه لـمّا اتصلت الهاء بالفعل صارت معه كبعض حروفه فخففت بإسكانها كما خففت الراء من الفعليْن «يأمرْكم» و«ينصرْكم» وهما غير مجزوميْن[١].

ويهمنا هنا أن نؤكد على أن القراءة بإسكان الهاء في المواضع المذكورة جائزة في حالة الوصل من الناحية الصوتية مادام لم يجتمع معها ساكنان، وذلك على الرغم من الخلاف الملاحظ في التعليل لها، وتضعيف بعضهم لها[٢].

٢ - الهاء التي بعدها متحرك المسبوقة بياء ساكنة :

الأمر هنا يتعلق بالحرفين: رقم ١ (فيه) ورقم ٩ (أنسانيه) إذ الأصل في قراءتهما وماشابههما عند القراء جواز وصل الهاء بياء وجواز كسر الهاء دون وصل.

فأما الحرف الأول (فيه) فقد قرأه السّبعة عدا ابن كثير بكسر الهاء دون صلة، وقرأه ابن كثير بالكسر والصلة حيثما وقع في القرآن قبل متحرك ووافقه حفص عن عاصم في ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾. [الفرقان : ٦٩].

وأما الحرف الثاني (أنسانيه) فقراءتهم فيه كقراءتهم في الأول غير أن حفصا عن عاصم قرأه بضم الهاء وكذلك فعل في ﴿عَلَيْهُ اللَّهَ﴾. [الفتح : ١٠]

فأما قراءة عامة السبعة بالكسر دون صلة بياء فلا يُخفى ما فيها من خفّة بعد ياء المد السابقة للهاء والتي أتت على استهلاك قدر كبير من نَفَسِ القارئ، فكان أولى به بعد ذلك لأن يخفف ويستريح، وكان الاكتفاء بالكسر أنسب له في حالة الوصل. وفي الحجة للفارسي أن «أبا بكر بن السري [قال]: الاختيار في «فيه» الكسر بغير ياء ولا إدغام، وحكى عن أبي حاتم [السجستاني] أن ذلك قراءة العامة. قال أبو بكر: وهو الأخف وخط المصحف بغير ياء»[٣]. فيكون بذلك أبو بكر بن السري قد نبّه على

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١١١ . (٢) انظر: إملاء ما من به الرحمن: ١/ ١٤٠ .
(٣) الحجة في علل القراءات السبع: ١/ ١٣٢ .

اجتماع علتيْن لقراءة الكسر دون صلة، هما: التخفيف، وملاءمة خط المصحف العثماني.

وأما قراءة ابن كثير للحرفين بكسر الهاء ووصلها بياء، وكذا ما قرأ به حفص في سورة الفرقان فإن ذلك جائز من الناحية الصوتية ممكن، وفيه تحقيق لأمرين اثنين:

أ – إظهار هاء الضمير وتقويتها لِمَا كانت تتصف به من ضعف(١).

ب – تحقيق تناسق موسيقي من خلال المساواة بين المقاطع الصوتية وجعلها من نوع واحد هو المقطع الطويل المفتوح (في / هي) و(ني / هي).

وأما قراءة حفص لـ «أنسانيه» في الكهف، و«عليه» في الفتح بضم الهاء فقد فُسّر على أنه هو الأصل الذي وجب في حق هذه الهاء، أجمع على ذلك علماء العربية، غير أنهم اختلفوا في اعتماد الضم أَصْلاً لَهَا، فذهب ابن جني وابن خالويه إلى أن الأصل فيها الضم لأنها مضمومة في الضمير المنفصل «هو»(٢). وذهب أبو البقاء العكبري إلى أن الضم هو الأصل أيضا ولكن لأنه هو الغالب حيث تُضم بعد الفتحة والضمة والسكون والألف والواو الساكنة، ولا تُكسر إلا مع الكسرة والياء الساكنة(٣). وذهب مكي القيسي إلى أن الأصل فيها الضم والإشباع لأنها اسم من حرف ضعيف؛ قال: «الهاء في به وعليه وشبهه هي الاسم، لكن لما قلّتْ حروف الاسم فكان على حرف واحد، وذلك الحرف حرف خفي ضعيف، قوّوه بزيادة واوفقالوا: بِهُو وعليْهُو، فهذا هو الأصل»(٤).

وفي قراءة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] اختلافات في السّبع هي بين كسر الهاء وضمها، وإسكان الميم وكسرها من غير صلة، وكسرها ووصلها بياء، وضمها من غير

---

(١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات: ١ / ٤٢ .

(٢) انظر: المحتسب: ١ / ٤٤ والحجة في القراءات السبع، ص٦٣ .

(٣) انظر: إملاء ما من به الرحمن: ١ / ٩ .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات: ١ / ٤٢ .

صلة، وضمها ووصلها بواو[1]. نحن نذكر ذلك هنا لما له من علاقة بهاء الضمير المتطرفة المسبوقة بياء ساكنة.

٣ - الهاء التي بعدها ساكن المسبوقة بكسر :

يتعلق الأمر هنا بالحرف رقم ٦ (به) من قوله تعالى: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ [الأنعام: ٤٦] وماشابه ذلك مما كانت هاء الضمير فيه بعدها ساكن وقبلها كسر. ويبدو أن إجماع القراء السبعة على قراءة ذلك بكسر الهاء من غير صلة إجماع لم يحصل مثله في قراءتهم لهاء الضمير، وعلة ذلك ذكرناها سابقا، وهي هروبهم من الجمع بين الساكنيْن من جهة، ومن جهة ثانية فإن في كسرهم للهاء تحقيقًا لمبدأ الانسجام الصوتي المتمثل في إتباع الكسر الكسرَ. غير أن ما نسب لنافع في رواية[2] تشير إلى قراءته للحرف السابق بكسر الباء وضم الهاء (بِهُ) يجعل في إجماعهم نقصا.

والحقيقة أن تعليل ضم الهاء من «به» لا يخرج عما عللنا به لضم هاء الضمير المسبوقة بياء ساكنة فيما نسب لحفص، ذلك أنهم يعتبرون الضم أصلا في هاء الضمير، ولعله لم يكن ضما خالصا وإنما هو من باب الكسرة المشوبة بالضم لأجل همزة الوصل في «انظر» التي تلت هاء الضمير.

---

(١) انظر ذلك في: المحتسب: ١/٤٣، ٤٦ وإملاء ما من به الرحمن: ١/٩ .

(٢) انظر: السبعة في القراءات: ص٢٥٧ ، ٢٥٨ .

المبحث الخامس : قضايا أخرى

هذه القضايا لاحقة بأخواتها السابقة، وهي ذات بعد صوتي، يهمنا منها هنا ثلاث قضايا، هي: حروف بين التشديد والتخفيف، وأخرى بين الإثبات والحذف، وبعض الأسماء الأعجمية.

أولا : حروف بين التشديد والتخفيف

يعنينا من ذلك حرفان اختلف في قراءتهما في النصف الأول من القرآن الكريم، أحدهما اسم موصول هو «اللّذان» من قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا** ﴾ [النساء: ١٦] والآخر هو «ربما» مركب من «رب» الجارّة و«ما» الزائدة الكافة[١]، ورد في قوله ﴿ **رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** ﴾. [الحجر: ٢]

فأما الحرف الأول (اللذان) فقد اختلف في تشديد النون منه وفي كسرها دون تشديد؛ فابن كثير قرأ بتشديدها وكان يفعل ذلك في نون التثنية من: هذان وذانك وهاتين واللذين[٢]. وقد وافقه أبو عمرو في «ذانك» من قوله تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿ **فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ** ﴾ [القصص: ٣٢] وقرأ بقية السّبعة بكسر نون التثنية دون تشديد.

الأرجح أن تشديد نون المثنى وتخفيفها فيما كان من أسماء الإشارة والموصول لغتان فصيحتان؛ قال أبو منصور الأزهري: «من شدّد النون في «ذانك» فهو على لغة مَنْ يقول في الواحد: ذلك في موضع ذاك»[٣]. ونقل الأزهري كذلك عن بعضهم أن «مَنْ شدّد النون في سائر الحروف فهي لغات جاءت عن العرب»[٤].

---

(١) راجع ذلك في: مغني اللبيب: ١/١٥٧ .
(٢) انظر: السبعة في القراءات: ص٢٢٩ .
(٣) معاني القراءات: ١/٢٩٧ .
(٤) نفسه: ١/٢٩٧ .

وقال أبو البقاء العكبري: «ويُقرأ اللذان بتخفيف النون على أصل التثنيّة، وبتشديدها على أن إحدى النونيّن عِوَضٌ من اللام المحذوفة، لأن الأصل اللّذَيَان مثل العميان والشجيان فحذفت الياء لأن الاسم[1] مبهم، والمبهمات لا تُثنّى التثنية الصناعية، والحذف مؤذن بأن التثنية هنا مخالفة للقياس»[2]. وقال ابن خالويه: «قرأ ابن كثير وحده: واللّذانّ، جعل النون عوضا من الياء المحذوفة التي كانت في الذي، وخففها الباقون، لأن من كلام العرب أن يحذفوا ويُعوّضوا، وأن يحذفوا ولا يُعوّضوا»[3].

ولا يبعد أن يكون تشديد نون «اللذان» وما شابهها من باب نبر المقطع الأخير من الكلمة، وهي لغة منسوبة لقبيلة سعد بن بكر إذ «يظهر أن هذه القبيلة قد التزمت في معظم الأحيان نبر المقطع الأخير من الكلمة في حالة الوقف عليها، مما أدّى إلى تضعيف الحرف الأخير»[4].

وأمّا الحرف الثاني (ربما) فقد اختُلف في تشديد الباء منه وعدم تشديدها؛ فابن كثير وأبوعمرو وابن عامر وحمزة والكسائي كلهم قرأوا بتشديد الباء، وقرأ نافع وعاصم بدون تشديدها.

والذي يظهر أن التعليل لاختلافهم في هذا الحرف كالتعليل لاختلافهم في الحرف السابق؛ إذ أن تشديد الباء وتخفيفها لا يخرج عن كون ذلك لغتيْن فصيحتيْن، وإن كان التشديد أكثر شيوعا، وهو اختيار معظم القراء.

وتذكر كتب اللغة في «رب» لغات كثيرة أحصاها ابن هشام الأنصاري فقال: «وفي رُبَّ ست عشرة لغة: ضم الراء وفتحها، وكلاهما مع التشديد والتخفيف، والأوجه الأربعة مع تاء التأنيث ساكنة أو متحركة، ومع التجرّد منها، فهذه اثنتا عشرة، والضم والفتح مع إسكان الباء، وضم الحرفين مع التشديد ومع التخفيف»[5].

---

(١) يعني: اسم الموصول.

(٢) إملاء ما منّ به الرحمن: ١/ ١٧١ .

(٣) إعراب القراءات: ١/ ١٣٠ .

(٤) في اللهجات العربية: ص١٤٨ .

(٥) مغني اللبيب: ١/ ١٥٨ .

وقال غيره: في ربّ ثمان لغات[١]. وقال بعضهم: فيها ست لغات[٢]. ومعلوم أن «رب» في الأصل حرف جر شبيه بالزائد يفيد التقليل عند البعض[٣]، والتكثير عند البعض الآخر[٤].

أما «ما» فهي حرف زائد، تزاد مع حروف كثيرة[٥]. منها مع «رب»، وزيادتها معها تكفها عن عمل الجرّ وتهيّئها للدخول على الجمل الفعلية كما هو الحال في الآية المذكورة ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

ثانيا: حروف بيْن الإثبات والحذف

يعنينا من ذلك هنا حرف واحد ورد في النصف الأول من القرآن الكريم هو الفعل «لوى» جاء بصيغة المضارع المجزوم مسنداً إلى واو الجماعة في قوله تعالى: ﴿فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء: ١٣٥] هذا الفعل قرأه ابن كثير ونافع وأبوعمرو وعاصم والكسائي بواويْن، الأولى مضمومة وقبلها اللام ساكنة والثانية حرف مد، وذلك على أصل ما ارتضته العربية إذ الأصل فيه أن يقال: وإنْ تَلْوِيُوا: بياء مضمومة هي لام الكلمة ولكنها حُذفت تبعًا لقواعد الإعلال ونُقلتْ حركتها وهي الضمة إلى الواو وهي عين الكلمة؛ فقراءة العامة هذه تتماشى مع القاعدة اللغوية التي تخص إسناد الفعل الثلاثي الناقص إلى واو الجماعة في صيغة المضارع إذا كانت لامه ياء أو واوا، فلا تناقض فيها مع ما قرره علماء العربية واطرد في القياس، قال الأزهري: «من قرأ تَلْوُوا فهو من لَوَى يَلْوِي. يُقال: لَوَيْتَ فلانا حقَّه ليًّا: إذا دافَعْتَه ومَطَلْتَهُ»[٦]. وفي «لسان العرب»[٧]:

---

(١) إملاء ما منّ به الرحمن: ٢/٧١. (٢) إعراب القراءات: ١/٣٤١.
(٣) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ص٢٢٨.
(٤) مغني اللبيب: ١/١٥٤. (٥) انظر «ما» الزائدة، في البرهان في علوم القرآن: ٣/٧٦.
(٦) معاني القراءات: ١/٣١٩، وانظر: إملاء ما منّ به الرحمن: ١/١٩٨.
(٧) لسان العرب: ٥/٤١٠٧، مادة: لوى.

«ولوى يَدَه ليًّا ولَوْيًا.. ثَنَاها» وفيه: «ولاوت الحيّةُ لواءً: الْتَوَتْ عليها، والْتَوَى الماءُ في مجراه وتَلَوّى: انعطف ولم يَجْرِ على الاستقامة».

وقال ابن خالويه في «تلووا»: «وأصله تَلْوِيُوا، فاستثقلت الضمة على الياء فحُذفتْ... ثم ضُمّت الواو الأولى لمجاورة الثانية»[١].

وقرأ هذا الفعل حمزة وابن عامر بواو واحدة ساكنة قبلها لام مضمومة (تَلُوا) على وزن «تَفُوا» بحذف العين واللام وَنَقْلِ حركة العين – التي هي في الأصل حركة اللام – إلى الفاء وهي حرف صحيح ساكن، وعلة ذلك – على الأرجح – الهروب من اجتماع الواو المضمومة مع واو أخرى بعد حذف الياء الفاصلة بينهما.

وقد ذهب بعض اللغويين في تخريجهم لهذه القراءة الثانية إلى أن الواو الأولى (عين الكلمة) قد أُبدلتْ همزة (تَلْؤُوا) ثم حذفت الهمزة وطرحت حركتها على اللام (فاء الكلمة) فصارت «تَلُوا»[٢].

وقد يبدو هذا الحذف غير مستساغ لدى بعض الدارسين وهو ما يفسّره تخريج بعضهم لهذه القراءة على أنها من الفعل «وَلِيَ»[٣] على اعتبار أن «عين» الثلاثي بمنأى عن الحذف. ولكنّ مجيءَ عينه ولامه حَرفًا علة (لفيف مقرون) ثم نسبته إلى واو الجماعة مما أدى إلى اجتماع أمثال، كل ذلك عمل على جواز حذف ما هو حرف علة والإبقاء على ما هو صحيح.

ثالثا : الأسماء الأعجمية

استعملت العربية ألفاظا أعجمية لأسباب مختلفة، حالها في ذلك حال بقية اللغات الإنسانية التي تقترض من غيرها غير أن استعمال العرب لهذه الألفاظ الأعجمية قد خضع لتغييرات على مستوى الصوت والوزن والاشتقاق أو على مستوى بعض ذلك حسب ما يرتضيه ذوقهم اللغوي.

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١٢٧ وانظر: طلائع البشر: ص٧٢ .
(٢) معاني القراءات: ١/ ٣١٩، وإملاء ما منّ به الرحمن: ١/ ١٩٨ .
(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٢٧، وإملاء ما منّ به الرحمن: ١/ ١٩٨ .

وقد أشارت الدراسات اللغوية القديمة إلى ذلك التغيير الذي كانت العرب تجريه على تلك الألفاظ، من ذلك ما نصّ عليه سيبويه من «أنهم مما يغيّرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتّة، فربّما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يُلحقوه... وربّما غيّروا حَالَهُ عن حاله في الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية، فأبدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربيًّا غيْره، وغيّروا الحركة وأبدلوا مكان الزيادة، ولا يبلغون به بناء كلامهم لأنه أعجمي الأصل، فلا تبلغ قوّتُه عندهم إلى أن يبلغ بناءهم... وربّما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم أو لم يكن»[١]. وقال أبو علي الفارسي: إنّ «العرب إذا اشتقت من الأعجمي خلطت فيه»[٢]. وذلك لجهلها بأصله الاشتقاقي.

وإذا كان الحال كذلك، فإن ماورد في القرآن الكريم من تلك الألفاظ الأعجمية يكون في كثير من الأحيان موضع اختلاف في قراءته، وهو ما لوحظ بشكل واضح في بعض الأسماء مثل: جبريل وميكائيل وإسرائيل، حيث بلغت صور قراءة الاسم الأول خمس عشرة (١٥) صورة، والثاني تسع (٩) صور، والثالث ثمان (٨) صور، وذلك مما قُرئ به في الصحاح والشواذّ[٣].

إن اختلافات القراء في الأسماء الأعجمية ذات بعدين: صوتي وصرفي، وإنّ التعليل لذلك لا يخرج عن دائرة تعامل العرب مع اللفظ الأعجمي. ويبدو أنّ بعض الأسماء من ذلك كأسماء الملائكة كان لها وقع خاص عند العرب فاهتموا بها اهتماما خاصّا كان نتيجته أنْ قُرئت في لهجاتهم قراءات شاذة بلغت بها ذلك العدد من الصور أو الأوجه[٤].

ولا عجب أن يكون اختلاف ألسنة العرب وراء كثير من تلك الصور، من ذلك

---

(١) كتاب سيبويه: ٤/٣٠٣، ٣٠٤. (٢) الخصائص: ١/٣٥٩.
(٣) انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ص٣٩٢.
(٤) انظر: المرجع السابق: ص٣٩٣.

قراءة كلمة «التابوت» (التي تعنى: صندوق التوراة) وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨] وفي قوله أيضا: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه: ٣٩] حيث قرئت بالتاء وبالهاء (التابوت والتابوه)، والقراءة بالتاء لُغة قريش، والقراءة بالهاء لغة الأنصار أخذوها عن اليهود في المدينة المنوّرة[١].

ومما اختلفوا فيه من تلك الأسماء «إبراهيم»، قرأ ابن عامر كل ما ورد منها في سورة البقرة بفتح الهاء وألف بعدها (إبراهام) أخذاً بما هي عليه في العبرية فإنها تنطق كذلك، وقال ابن خالويه: إنما قرأها بألف في موضع الياء هاهنا لأنها في السواد بغير ياء[٢]. وقرأها بقية السّبعة بكسر الهاء وياء بعدها من باب إبدال الفتح كسرا والألف ياء، وهو ليس من باب الإمالة.

واختلفوا أيضا في قراءة «اليسع» من قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦] وكذلك ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ [ص: ٤٨] قرأها حمزة والكسائي «اَلّيْسَع» بتشديد اللام، أي بزيادة لام واعتبار الأولى للتعريف[٣]. ويرى الفراء أن تشديد اللام أشبه بأسماء العجم وأقرب إلى التعبير على ذلك[٤]. أما بقية القراء السبعة فقرؤوها بلام واحدة ساكنة (الْيَسَعَ) على اعتبار أن أصلها – عندهم – «لَيْسَع» فلما زيدت همزة الوصل سكّنت اللام وفتحت الياء، واعتبر الفراء هذا التغيير غير مستساغ[٥].

وبالجملة فإن الأسماء الأعجمية هي محل اختلاف وتغيير بين العرب بعامة، وأئمة القراءة بخاصة، وتبقى تلك الاختلافات بين القراء مدعومة بالأسانيد الصحيحة المتواترة مما يجعلها محل رضى.

---

(١) انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ص٣٩٥.
(٢) الحجة في القراءات السبع: ص٨٨.
(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٤٤.
(٤) انظر: معاني القرآن: ١/٣٤٢.
(٥) انظر: معاني القرآن: ١/٣٤٢.

الخاتمة

وبعد.. فقد وصلنا في بحثنا هذا الموسوم بـ "علل القراءات القرآنية" إلى نهاية عبر سبيلَيْن : أولهما سبيل عام واسع الأفق تطلعنا خلاله إلى الكشف عن حقائق تاريخية وموضوعية تتعلق بأقدس نصّ على الإطلاق هو نص القرآن الكريم، وثانيهما سبيل لغوي صوتي خاص نفذنا من خلاله إلى داخل اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم فوجدناها قد جمعت لغات كلها حجة بدت صورها ماثلة في قراءات القرآن الكريم.

وإذا كان بحثنا هذا يهدف بالأساس إلى الإجابة عن ذلك السؤال الهام، وهو: لماذا تعددت القراءات القرآنية؟ فإننا نحسب أنه آل إلى النتائج الآتية:

أولا : فيما يخص العلل الفكرية انتهينا إلى

١ ـ إن اسم «القرآن» مشتقا من الفعل «قرأ»، وأن الفرق بين كل من القرآن والحديث القدسي والمصحف واضح، وقد ثبت بطلان ما ذهب إليه أهل الزيغ من أن القرآن قرآنات، وأن كثيرا مما سُمي به القرآن من أسماء هي في الحقيقة أوصاف له غلبت عليه.

وأن هناك فرقا بين القرآن والقراءات إذ القرآن وحْيٌ والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي. وأن القراءة اللفظية المسموعة لها أهمية كبيرة لأنها هي الأصل المعجز وهي سبيل العصمة من الخطإ، وأن طابع القراءة الشفوي السماعي لا سبيل ولا مجال للقياس فيه، وأن الاختلاف في القراءات القرآنية الصحيحة هو اختلاف نقل لا اختلاف عقل.

٢ ـ أن القراءات القرآنية المتواترة ما كانت لتكون محل شك لأنها وُثّقتْ بتوثيق القرآن بطرق هي: تنجيمه وكتابته وحفظه في الصدور وإقراؤه.

٣ – أن الحديث الشريف حول الأحرف السّبعة هو حديث مرتبط بالقراءات القرآنية لا بغيرها، وأنه يفيد التيسير في القراءة، وهو الأصل في كل حديث عن تعدد القراءات، وأن تفسيرها لا يخرج عن الإطار الذي فسّرت فيه الأحرف وتعددها. وأن الاختلافات المشهورة في القراءة والتي شملها توثيق النصّ القرآني هي نتيجة رخصة إلهية أباحت للعرب المسلمين من الصحابة والتابعين الاتساع في القراءة والنهل من نبع الأحرف السبعة بما يتناسب واختلاف ألسنة العرب.

٤ – أن تجريد الرسم المصحفي العثماني من النقط والشكل كان بغرض تضمينه ما أمكن من القراءات الصحيحة المتواترة، وأن نقطه وشكله لاحقا كان لغاية حماية القرآن من اللحن بعد أن لوحظ أن البعض من الأجيال اللاحقة كان يعوّل على المصاحف في حفظ القرآن أو قراءته، وأن التحسينات التي أدخلت على الرسم العثماني قد قلصت دائرة القراءات في المصحف الواحد إلى القراءة الواحدة ومكّنت المسلمين من القراءة في المصاحف دون أن يكون ذلك مانعا للقراءة الشفوية السماعية عن المشايخ المجوّدين والعارفين لقواعد القراءة الصحيحة.

وأكد البحث على رد دعوى المستشرقين التي تذهب إلى أن تعدد القراءات القرآنية إنما مرده إلى الخط الذي كتبت به المصاحف، وأوضح أن ذلك ما كان ليستقيم لأن القراءات سابقة على الرسم، وأن المسلمين ما كانوا يعوّلون على الخط أو الكتابة وحدها في حفظ القرآن وإنما كان معتمدهم الأول حفظ الصدور والقلوب، ونبه كذلك إلى أن الكتابة كيفما كانت درجة تطوّرها لن تكون ممثلة للمنطوق تمثيلا أمينًا.

٥ – وخلص البحث في الباب الأول منه إلى الوقوف على حقيقة ما صح من القراءات وما شذّ منها فبيّن أن ذلك التقسيم قد استظلّ بتقسيم العلوم الإسلامية بعامة وتقسيم الحديث الشريف بخاصة، وأوضح أن القراءات الصحيحة ما كانت لتسمى كذلك إلا لاجتماع مقاييس موضوعية مهمة فيها، وأن القراءات الشاذة ما كانت لتسمى كذلك إلا لكونها قد اختل فيها بعض مقاييس القراءة الصحيحة.

وفي ما يخص قضية تسْبيع ابن مجاهد للقراءات الصحيحة انتهى البحث إلى أنه كان وراء ذلك عوامل موضوعية شبيهة بتلك التي أقدم الخليفة عثمان لأجلها على توحيد المصاحف، وقد نبّه على أهم تلك العوامل. كما نبه كذلك على دواعي المعترضين على تسبيع ابن مجاهد للقراءات خاصة ما أدت إليه عملية التسبيع من التباس لدى العامة بين سبعة الحديث الشريف وسبعة ابن مجاهد، وكذا ما ترتّب على ذلك الاختيار من إسقاط لقراء مجوّدين مشهورين صحت قراءتهم.

ثانيا : فيما يخص العلل اللغوية الصوتية انتهى البحث إلى

١ - أن نسبة تحقيق الهمز أعلى من نسبة تخفيفه عند القراء السبعة جميعهم عدا الإمام نافع مقرئ أهل المدينة المنوّرة، وأن هذه الغلبة هي في الحقيقة اختيار للأفصح الغالب في اللغة الفصيحة. وقد بدا واضحًا مدى ارتباط تحقيق الهمز في قراءة القرآن بالأثر المسموع المتواتر، وكون ذلك التحقيق خاصية من خصائص لغة القرآن التي تتخذ منه وسيلة لقرع الأسماع وتبليغ المعاني.

وقد وضح أيضا أن بُعْدَ الهمزة مخرجًا وصعوبتها نطقا هو الذي دفع بها لأن تكون محل تغيير من طرف أصحاب اللغة بوجه عام والمقرئين بوجه خاص حيث نحوا بها نحو التخفيف فسهلوها وأبدلوها وقلبوها وحذفوها. وقد بدا أن القراءة بالإبدال غالبة على درجات التخفيف الأخرى عند القراء. وأن القراءة بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الصحيح الساكن قبلها قد تميّز بها الإمام نافع فيما رواه عنه ورش، كما لوحظ أن القراءة بقلب الهمزة إلى حرف لين كانت غالبة عند كل من أبي عمرو ابن العلاء ونافع.

٢ - أن الأصوات اللثوية والأسنانية هي أكثر الأصوات قابلية للإدغام والإدغام فيها، وأن الإدغام الكبير قد غلب على الصغير في أحرف الخلاف عند القراء. وأن للإدغام قيمته المتميّزة في اللسان العربي بشكل عام وفي قراءة القرآن بشكل خاص حيث اختير في مواضع كثيرة من أحرف الخلاف خاصة فيما التقي من

الأمثال لصعوبة التلفظ بالصوت من مخرجه والعودة ثانية للنطق به من النقطة نفسها، وقد بدت أحرف الخلاف لذلك قليلة إذ كان القراء جميعهم يميلون في الغالب الأعم إلى لغة الإدغام إذا لم يحلْ حائل دونه، وذلك لما في الإدغام – كوسيلة من وسائل التعبير والبيان – من تخفيف واختصار للجهد مع الإشارة إلى الأصل.

وقد لوحظ أن أكثر القراء ميلا إلى الإدغام هم أبو عمرو وحمزة والكسائي، وهو ما يعني أن قراء العراق – عدا عاصم – كانوا يؤثرون لغة التميميّين أهل الإدغام الذين سكنوا العراق.

وقد كان للقراءة بالإظهار قيمتها الخاصة أيضا لما كان فيها من إعطاء للصوت اللغوي المفرد حقّه من التحقيق والتجويد في النطق جهرا وهمسا وشدّة ورخاوة، فكان فكّ الحروف بتأنّ وحسن أداء أنسب لقراءة الترتيل.

وقد لوحظ أن أكثر القراء السّبعة إظهاراً في أحرف الخلاف ابن كثير ونافع إمامَا الحجازيين أصحاب لغة الإظهار.

ولوحظ أيضا أن القراءة بالحذف كانت غالبة في ما كان مِثْلاً لغيره ولم يخرج عن ذلك إلا أحرف نادرة مما كانت أصواته متجانسة حيث حذفت تاء الافتعال تخفيفا مما كانت عينه طاء.

٣ – أن الإمالة كانت مُحقّقة لغرض التخفيف حالها في ذلك حال الإدغام وبقية الظواهر الصوتية الأخرى، وأنها كانت عاملة على خلق الانسجام الصوتي بتقريب الألف من الياء بسبب كسرة أو ياء سابقة أو لاحقة، أو بسبب كون الألف ياء في الأصل، وهما السببان الرئيسيان في حدوث الإمالة. وقد وضح جليا أن أكثر القراء تحقيقا للإمالة الكسائي الكوفي وشيخه حمزة، وهما في ذلك ممثلان لقبائل نجد أصحاب الإمالة الذين اتخذوا من الكوفة مسكنا لهم.

أكّدَ البحث كذلك على أن الإمالة الصغرى ماهي إلا مزيج من الفتح والكسر

أو الألف والياء، وأنها تكون للتخفيف كما هو حال الإمالة الكبرى. وقد لوحظ أنها كانت مذهب الإمام نافع إذ ما من ألف قرئت بيْن بيْن إلا كان لنافع فيها تفرّد أو اشتراك.

ومع أهمية الإمالة في تحقيق الانسجام الصوتي فإنه قد لوحظ غلبة الفتح عليها في قراءة القرآن لأنه أخف الحركات على الإطلاق أو لأنه هو الأصل والإمالة فرع عليه. وقد حالت حروف الاستعلاء في أحرف من القرآن دون القراءة بغير الفتح.

٤ – وفيما يخص ما اختلف فيه بين التحريك والإسكان انتهى البحث إلى مايلي:

(أ) أن الغالب فيما اختلف فيه بين الفتح والضم من أحرف القرآن ورد فاء للكلمة، وكلّه لغات فصيحة لها نظير أو شبيه، وعاملة على تحقيق الانسجام الصوتي.

(ب) أن المختلف في قراءته بين الفتح والكسر كان إمّا فاءً للكلمة أو عينًا لها، وكانت لامها بمنأى عن الاختلاف، وفي القراءتين تحقيق لمبدإ الانسجام الصوتي وأغراض أخرى.

(جـ) أن المختلف في قراءته بين الضم والكسر أغلبه كان فاء للكلمة، وأن القراء السبعة كانت مذاهبهم شبه متوازنة غير أن الإمام ابن عامر كان أكثرهم ضمًّا وأن حمزة كان أكثرهم كسرًا، وأن الضم قد لاءم في القراءة ضمًّا مثله أو واوًا، وأن الكسر قدْ لاءم كسرًا مثله أو ياءً.

(د) أن المختلف في قراءته بين الفتح والإسكان من الأحرف المذكورة كله مصادر للفعل الثلاثي، اختلف في عينها لوجوب تحرك الفاء وكون اللام موضع إعراب. وقد لوحظ أن قراء الكوفة عاصمًا وحمزة والكسائي كانوا يميلون في الغالب إلى لغة أهل نجد من التميميين وغيرهم، فكانوا أكثر إسكانا حيث كان غيرهم يفتح. أما مَنْ قرأ بالفتح بدل الإسكان فإنه يكون قد أخذ بأخف الحركات، وقد لاءم ذلك حروفا حلقية في مواضع كثيرة لأنها كانت تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم.

(هـ) أن المختلف في قراءته بين الكسر والإسكان كان قليلا اختار فيه أبو عمرو ابن العلاء الإسكان، واختار غيره الكسر في بعْضه والإسكان في بعْضه الآخر. وقد لوحظ ما في قراءة الكسر من الانسجام الصوتي وما في قراءة الإسكان من تخفيف.

(و) أن المختلف في قراءته بين الضم والإسكان كله أسماء اختلف في العين منها فقط، وقد كانت مذاهب القراء فيه شتى غير أن ابن عامر كان أكثرهم ضمّا وأن حمزة كان أكثرهم تسكينا، وكانت قراءة الضم عاملة على تحقيق الانسجام الصوتي، وقراءة الاسكان عاملة على تخفيف اللفظ.

٥ - وانتهى البحث في فصله الأخير الذي جمعنا فيه بين ظواهر صَوْتية إلى ما يلي:

(أ) أن ظاهرة المَدِّ والقَصْرِ قد حظيت باهتمام القراء فكانت لهم فيها مذاهب، وأن الإمام عاصمًا كان أكثرهم إطالة في جميع أنواع المد العرضي. وأكد البحث على أن سبب إطالة حرف المد فوق ما وجب له أمران اثنان: مباشرة الهمزة المحققة له، ومباشرة السكون له فزيد فيه لتمكين اللافظ بهما.

(ب) أن المختلف فيه بخصوص الإبدال قليل في قراءة القرآن، وأن أشهر ما عرف من صور الإبدال في ذلك إبدال السين صادا في كلمتيْ "السّراط" و"يبسط" لمجيء الطاء بعد السين فأبدلت السين صادا عند بعضهم حتى تجانس الطاء في الإطباق والسين في الصفير.

(جـ) أن ياء الضمير الثابته في رسم المصحف قد سُكّنت عند بعضهم على الأصل وفتحت عند بعضهم فأعطيت أخف الحركات، وأمّا المحذوف منها في الرسم فقرئ بحذفها نطقا اكتفاء بكسرة ما قبلها وموافقة لرسم المصحف ورؤوس الآي، وقرئ بإثباتها في النطق على الأصل.

كذلك حال ياء الاسم المنقوص والفعل الناقص؛ حذفت في أحرف كثيرة من

القرآن رسما وقرئت بالإثبات نطقا اكتفاءً بالكسرة وبالحذف نطقا أيضا للعلة التي حذفت لها ياء الضمير.

(د) أن الألف المتطرفة في بعض الكلمات قرئت بالحذف في الوصل اكتفاء بالفتحة وقرئت بالإثبات في الوصل أيضا لأنه هو الأصل فيها وهو جائز صوتيا ومستحسن إذا وليت الألف همزة، غير أن العامة قد لوحظ ميلها إلى حذف الألف وصلا وإثباتها وقفا، وذلك هو الغالب الذي ارتضاه الذوق واشتهر في اللسان العربي.

كذلك كان حال هاء السكت فاختلف فيها بين الإثبات والحذف وصلا؛ أثبتها بعضهم اتباعا لرسم المصحف وجواز ذلك صوتيا لعدم اجتماعها مع ساكن آخر، وحذفها بعضهم وصلا أيضا لانتفاء الغرض الذي جيء بها لأجله - وهو الاستراحة - ولبيان حركة ما قبلها بدونها.

(هـ) أن هاء الضمير التي تحرك ما بعدها وما قبلها قد أشبعت حركتها لضعفها ووقوعها طرفا، وأما مَنْ اختلس حركتها فرُجّح أن تكون قراءته بنية الوقف على الهاء ساكنة فلما حصل الوصل صُيّر السكون إلى حالة بيْن الحركة والسكون، وأما قراءتها بالتحريك من غير صلة فعلى الأصل الذي قسم لها، وكذلك حال قراءة العامة لهاء الضمير المسبوقة بمد أو ساكن بالتحريك دون صلة، وأما قراءة ابن كثير لها بالتحريك والصلة فجائز من الناحية الصوتية وفيه تقوية للهاء وهي حرف ضعيف.

أما هاء الضمير التي بعدها ساكن فحصل إجماع القراء كلهم على قراءتها بالتحريك من غير صلة لئلا يجتمع ساكنان.

أما من قرأ بعض ياءات الضمير بالضم إذا كانت مسبوقة بكسر أو ياء ساكنة فالأرجح أن قراءته هي على الأصل الذي قسم لهاء الضمير.

(و) أن ما اقتضاه البحث في نهايته من ذكر بعض القضايا الصوتية انتهى فيها إلى أن ما اختلف فيه بين التشديد والتخفيف هو من اللغات العربية الفصيحة، وكذلك ما اختلف فيه بين الحذف والإثبات، وأما اختلافهم في الأسماء الأعجمية فكان مرده لجهل العرب بأصل الاشتقاق فيها.

وفي النهاية لابد من أن نؤكد على أن القراءات القرآنية مصدر أصيل في تقويم اللسان العربي قراءةً، وعليه وجب توجيه العناية بها وتضافر الجهود الجماعية والمؤسساتية للقيام بدراسات في هذا الإطار يعوّل عليها في معرفة كل ما له صلة بالعربية، لغة القرآن. وإننا لنرجو أن نكون قد وضعنا لبنة تنتظر دورها إلى جانب اللبنات الأخرى التي على أساسها يتم البناء.

والله نسأل وبه وحده التوفيق.

فهرس المصادر والمراجع

١ – **القرآن الكريم.**

٢ – **الإبانة عن معاني القراءات**: مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ هـ، تحقيق: محيى الدين رمضان، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٧٩ .

٣ – **إبراز المعاني من حرْز الأماني**: الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٨٢ .

٤ – **الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الرابعة ١٩٧٨ .

٥ – **أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي**: عفيف دمشقية (دكتور)، معهد الإنماء العربي (طرابلس – بيروت) الطبعة الأولى ١٩٧٨ .

٦ – **أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمرو بن العلاء)**: عبد الصبور شاهين (دكتور)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٨ .

٧ – **أثر القراءات في الفقه الإسلامي**: صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي (دكتور)، مطبعة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٧ .

٨ – **الاحتجاج للقراءات الشواذ (دكتوراه)**: محمد عبد الحكيم بن سليمان رجب، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية ١٩٨٩ .

٩ – **الأحرف السبعة وارتباطها بالقراءات**: فتحي بن الطيب خماسي، دار المعرفة، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٥ .

١٠ – **إحياء النحو**: إبراهيم مصطفي، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٢ .

١١ – **إصلاح المنطق**: ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المتوفى سنة ٢٤٤هـ)، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر (دكتور) وعبد السلام هارون (دكتور)، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧ .

١٢ – **أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي**: سهيلة ياسين الجبوري، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٧ .

١٣ – **الأصوات اللغوية**: إبراهيم أنيس (دكتور)، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة ١٩٩٥ .

١٤ – **الأصول دراسة أبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (نحو-فقه اللغة-بلاغة)**: تمام حسان (دكتور)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٥ – **إعراب القرآن**: النحاس (الإمام أحمد بن محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٣٣٨هـ)، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٠ .

١٦ - **إعراب القراءات السبع وعللها**: الإمام ابن خالويه (أبو عبد الله أحمد المتوفي سنة ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٢.

١٧ - **الإمالة في القراءات واللهجات العربية (في الدراسات القرآنية واللغوية)**: عبد الفتاح إسماعيل شلبي (دكتور)، دار نهضة مصر - القاهرة.

١٨ - **إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات**: أبو البقاء العكبري (عبد الله ابن الحسين بن عبد الله المتوفى سنة ٦١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث - القاهرة.

١٩ - **إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربع عشرة**: ابن القباقبي (أبو عبد الله الحلبي المتوفى سنة ٨٤٩هـ)، تحقيق: فرحات عياش (دكتور)، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر ١٩٩٥.

٢٠ - **البرهان في علوم القرآن**: الإمام الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا - بيروت.

٢١ - **تاج اللغة وصحاح العربية**: الجوهري (أبو منصور إسماعيل المتوفى سنة ٢٩٣هـ)، المطبعة الأميرية، القاهرة.

٢٢ - **تاريخ الأدب العربي**: كارل بروكمان (مستشرق)، ترجمة: عبد الحليم النجار (دكتور)، الطبعة الثالثة، القاهرة.

٢٣ - **تاريخ توثيق نص القرآن الكريم**: خالد عبد الرحمن العك، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٨٦.

٢٤ - **تاريخ القرآن**: أبو عبد الله الزنجاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة.

٢٥ - **تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه**: محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي، جدة ١٩٤٦.

٢٦ - **التبصرة في القراءات**: مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ، معهد المخطوطات العربية، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨٥.

٢٧ - **التخريجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش**: سمير أحمد عبد الجواد (دكتور)، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩١.

٢٨ - **التعريفات**: الجرجاني (العلامة علي بن محمد السيد الشريف المتوفى سنة ٨١٦هـ)، تحقيق: عبد المنعم الحفني (دكتور)، دار الرشاد، القاهرة ١٩٩١.

٢٩ - **التمهيد في علم التجويد**: ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد المتوفى سنة ٨٣٣هـ)، تحقيق: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٦.

٣٠ - **التنبيه على حدوث التصحيف**: حمزة بن الحسن الأصفهاني المتوفى سنة ٣٦٠هـ، تحقيق: محمد أسعد طلس، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٦٨.

٣١ - **التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم**: صبري المتولي (دكتور)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٦ .
٣٢ - **التيسير في القراءات السبع**: الإمام أبو عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦ .
٣٣ - **الجمع الصوتي الأول للقرآن (المصحف المرتل)**: لبيب سعيد (دكتور)، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية ١٩٧٨ .
٣٤ - **الحجة في علل القراءات السبع**: أبو علي الفارسي (الحسن بن أحمد المتوفى سنة ٣٨٥هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٣ .
٣٥ - **الحجة في القراءات السبع**: الإمام ابن خالويه (أبو عبد الله أحمد)، تحقيق وشرح: عبد العال سالم مكرم (دكتور)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٧ .
٣٦ - **الخصائص**: ابن جني (أبو الفتح عثمان المتوفي سنة ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار (دكتور)، دار الهدى، بيروت، الطبعة الثانية.
٣٧ - **الخط العربي وتاريخه**: محمد مرتاض (دكتور)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٩٤ .
٣٨ - **خطوط المصاحف**: محمد بن سعيد شريفي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨٢ .
٣٩ - **دراسات في تطور الكتابات الكوفية**: إبراهيم جمعة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٩ .
٤٠ - **دراسات في علوم القرآن**: محمد بكر إسماعيل (دكتور)، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩١ .
٤١ - **دراسات في فقه اللغة**: صبحي الصالح (دكتور)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة ١٩٨٣ .
٤٢ - **رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءة القرآن الكريم**: عبد الفتاح إسماعيل شلبي (دكتور)، دار الشروق، جدة، الطبعة الثانية ١٩٨٣ .
٤٣ - **السبعة في القراءات**: ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس المتوفي سنة ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف (دكتور)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٨ .
٤٤ - **سر صناعة الإعراب**: ابن جني (أبو الفتح عثمان)، تحقيق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
٤٥ - **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**: أبو علي الفارسي (الحسن بن أحمد)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٧ .
٤٦ - **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي المتوفى سنة ٨٢١هـ)، مطبعة الأميرية، القاهرة.
٤٧ - **صحيح البخاري**: الإمام البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة المتوفى

سنة ٨٧٠هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر ١٩٩٨ . (وقد اعتمدنا أيضا: طبعة شركة الشهاب، الجزائر).
٤٨ - **طبقات النحويين واللغويين**: الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن المتوفى سنة ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر الطبعة الثانية ١٩٨٤ .
٤٩ - **طلائع البشر في توجيه القراءات العشر**: محمد الصادق قمحاوي، مطبعة النصر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٨ .
٥٠ - **ظاهرة الإعراب في النحو العربي**: أحمد سليمان ياقوت (دكتور)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٣ .
٥١ - **الظواهر النحوية والصرفية في القراءات القرآنية الشاذة (دكتوراه)**: فريد أحمد البسطويسي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم ١٩٩٩ .
٥٢ - **علم التجويد**: محمد محمود عبد الله (دكتور)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠١ .
٥٣ - **علوم القرآن**: عبد الفتاح أبو سنة (دكتور)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٥ .
٥٤ - **الفتح الرباني في القراءات السبعة من طريق حرز الأماني**: الشيخ محمد البيومي الشافعي الدمنهوري المتوفى سنة ١٣٣٥هـ، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر السبر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٩٩٧ .
٥٥ - **الفرقان**: ابن الخطيب (محمد محمد عبد اللطيف)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٥٦ - **فقه اللغة**: علي عبد الواحد وافي (دكتور)، دار نهضة مصر، الطبعة السابعة.
٥٧ - **الفهرست**: ابن النديم (محمد بن إسحاق المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجري)، تحقيق: مصطفى الشويمي (دكتور)، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٥ .
٥٨ - **في الأدب الجاهلي**: طه حسين (دكتور)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية عشرة ١٩٧٧ .
٥٩ - **في رحاب القرآن**: محمد سالم محيسن (دكتور)، القاهرة ١٩٧٨ .
٦٠ - **في اللهجات العربية**: إبراهيم أنيس (دكتور)، مطبعة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة ١٩٨٤ .
٦١ - **القبس الجامع لقراءة نافع**: عطية قابل نصر، دار الحرمين بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤ .
٦٢ - **القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية**: عبد العال سالم مكرم (دكتور)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ١٩٩٥ .
٦٣ - **القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب**: عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨١ .
٦٤ - **القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي**: محمد أحمد الصغير (دكتور)، دار الفكر، دمشق ١٩٩٩ .
٦٥ - **القراءات القرآنية في بلاد الشام**: حسين عطوان (دكتور)، دار الجيل، بيروت ١٩٨٢ .

٦٦ – **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**: عبد الصبور شاهين (دكتور)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٦٧ – **قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين**: أبو عمر الأندرابي النيسابوري المتوفى بعد ٥٠٠هـ، تحقيق: أحمد نصيف الجنابي (دكتور)، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٦٨ – **القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية**: محمد الحبش (دكتور)، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٩ .

٦٩ – **القراءات واللهجات**: عبد الوهاب حمودة، مطبعة السعادة، مصر ١٩٤٨ .

٧٠ – **قضايا قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية**: عبد العال سالم مكرم (دكتور)، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٨ .

٧١ – **كتاب سيبويه**: سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المتوفى سنة ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

٧٢ – **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: الزمخشري (الإمام محمود بن عمر المتوفى سنة ٥٢٨هـ)، دار الريان للتراث بالقاهرة ودار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٧ .

٧٣ – **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**: مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٩٨ .

٧٤ – **الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن**: الشيخ محمد بخيث المطيعي، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٢ .

٧٥ – **لسان العرب**: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد الأنصاري الإفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ) دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.

٧٦ – **اللغة العربية ومشاكل الكتابة**: البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية ١٩٨٦ .

٧٧ – **اللغة والنحو**: حسن عون (دكتور)، مطبعة الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٩٥٢ .

٧٨ – **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**: عبده الراجحي (دكتور)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٨ .

٧٩ – **مباحث في علوم القرآن**: مناع القطان،مكتبة وهبة، القاهرة،الطبعة الحادية عشرة ٢٠٠٠ .

٨٠ – **مجلة المجمع العلمي العراقي**: المجلد الثالث، الجزء الثاني ١٩٧٩ .

٨١ – **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت**: السنة الرابع عشرة – العدد ٣٨، سنة ١٩٩٩ . مقال: مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن لـ: عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس (دكتور).

٨٢ – **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: ابن جني (أبو الفتح عثمان)، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي (دكتور)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٩ .

٨٣ - **المحكم في نقط المصاحف**: الداني (الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد المتوفى سنة ٤٤٤هـ)، تحقيق: عزة حسن (دكتور)، دار الفكر، دمشق ١٩٩٧ .

٨٤ - **المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها**: محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

٨٥ - **المدارس النحوية**: شوقي ضيف (دكتور)، دار المعارف، مصر ١٩٧٩ .

٨٦ - **مذاهب التفسير الإسلامي**: جولد تسيهر (مستشرق)، ترجمة: عبد الحليم النجار (دكتور)، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣ .

٨٧ - **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مطبعة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٨٨ - **مشكلة الهمزة العربية**: رمضان عبد التواب (دكتور)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦ .

٨٩ - **المصاحف**: السجستاني (أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث المتوفى سنة ٣١٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٥ .

٩٠ - **مصادر الشعر الجاهلي**: ناصر الدين الأسد (دكتور)، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ .

٩١ - **معاني القرآن**: الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد المتوفى سنة ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور، القاهرة.

٩٢ - **معاني القراءات**: أبو منصور الأزهري (محمد بن أحمد المتوفى سنة ٣٧٠هـ)، تحقيق ودراسة: عيد مصطفى درويش (دكتور) وعوض بن حمد القوزي (دكتور)، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى ١٩٩١ .

٩٣ - **معجم القراءات**: عبد العال سالم مكرم (دكتور) وأحمد مختار عمر (دكتور)، مطبوعات جامعة الكويت ١٩٨٢ .

٩٤ - **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: الذهبي (الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف وآخران، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤ .

٩٥ - **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا - بيروت ١٩٩١ .

٩٦ - **المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية**: محمد سالم محيسن (دكتور)، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٨ .

٩٧ - **مقدمتان في علوم القرآن**: نشر وتصحيح: آرثر جفري، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

٩٨ - **مقدمة ابن خلدون**: ابن خلدون (عبد الرحمن محمد أبو زيد وليّ الدين المتوفى سنة ٨٠٨هـ)، تحقيق: علي عبد الواحد وافي (دكتور)، دار نهضة مصر ١٩٨١ .

٩٩ - **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط**: الداني (الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد)، تحقيق: محمد أحمد وهمان، دار الفكر دمشق - بيروت ١٩٨٣ .

١٠٠ - **مناهج البحث في اللغة**: تمام حسان (دكتور)، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ١٩٧٩ .

١٠١ - **مناهل العرفان في علوم القرآن**: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

١٠٢ - **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**: ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد)، تحقيق: عبد الحي الفرماوي (دكتور)، مطبعة جمهورية مصر، القاهرة ١٩٧٧ .

١٠٣ - **النحو والقراءات (دكتوراه)**: محمد شاطر، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية ١٩٧٢ .

١٠٤ - **النشر في القراءات العشر**: ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد)، تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٥ - **نظرية القياس الأصولي**: د. محمد سليمان داود، دار الدعوة، الإسكندرية ١٩٨٤ .

١٠٦ - **النهر الماد من البحر المحيط**: أبو حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف المتوفى سنة ٧٤٥هـ)، تحقيق: عمر الأسعد (دكتور)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥ .

١٠٧ - **نيل الخيرات في القراءات العشر المتواترة**: عبد الحميد يوسف منصور، دار ابن خلدون، الإسكندرية ١٩٩٦ .

١٠٨ - **وجوه الإسناد والإعراب في القراءات**: محمد أحمد خاطر (دكتور)، مطبعة الأمانة، القاهرة ١٩٩٠ .

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة